

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام بالرياض
قسم الدعوة والتعليم

الوصايا النبوية للعلما والفقهاء في القرون الثلاثة الأولى

رسالة ماجستير

إعداد الطالب

عمر بن محمد حسنة قاسم

إشراف فضيلة الدكتور

د. يوسف محمد الربيع أبو هلال

عام

١٤١١ هـ



وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ②
إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③

صِرَاطُ الْعَزِيزِ

شكر وتقدير

بعد إنجاز الرسالة والفراغ منها أجد لزاماً علي تقديم الشكر الوافي لكل من له يد عليّ في بحثي هذا عملاً بقول النبي ﷺ : « لا يشكرُ الله من لا يشكر الناس » (١) .

وأخص بالذكر أستاذي فضيلة الدكتور « يوسف محيي الدين أبو هلاله » الذي تحمل عناء الإشراف على رسالتي ، فحظيت بتوجيهاته وإرشاداته ، وأفادني بنصائحه وتعليماته ، والله أسأل أن يحفظه ويرعاه ويسدد سعيه ويبارك له في وقته وعمله .

كما أقدم وافر شكري وعظيم احترامي لوالدي الكريم ، والدكتور أبو الفتح البيانوني ، والدكتور نجم عبد الرحمن خلف ، الذين كان لهم جهد مشكور وقت اختيار موضوع الرسالة ووضع خطتها ، وإني إذ أتقدم لهم بشكري وتقديري أدرك تماماً أنهم أكبر من أن يقدم لهم شكر من شخص مثلي .

وأقدم أيضاً بالشكر الجزيل لسعادة القائمين على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة بمعالني مديرها د. عبد الله بن عبد المحسن التركي حفظه الله ، كما أقدم الشكر الجزيل إلى عميد كلية الدعوة والإعلام ، والأساتذة الفضلاء في قسم الدعوة والاحتساب ، وأسأل الله أن يحفظهم ويبارك فيهم .

ولا يفوتني أن أبدي علائم الحب والوفاء والامتنان لجميع من أعانني أثناء جمع المادة العلمية ووقت طباعة الرسالة وأذكر منهم الأخ الكريم الدكتور بهاء الدين عبد الوهاب ، وخالي عبد الهادي ، وشقيقي حمزة وعبد الله ، وأدعو الله تعالى أن يكتب لهم السعادة والتوفيق والنجاح إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(١) رواه أبوداود في كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ، ح ٤٨١١ ، انظر : السنن ١٥٧/٥ . والترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، ح ٢٠٢٠ ، ٢٠٢١ ، وقال : هذا حديث حسن . انظر : تحفة الأحوذى ٨٧/٦ - ٨٨ . والإمام أحمد في مواضع كثيرة من مسنده ، انظر : ٧٤/٣ ، ٢٩٥/٢ .

الْفَرَسِ

التمهيد

الحمد لله الذي هدى عباده المؤمنين ، وحيرَ عداهم من المخلوقين ، الذي لا يشارك في ملكه ولا يخرج شيء عن إرادته ، أحمده حمد العارفين ، وأشكره شكر الموقنين على ما أولى عباده من وافر إنعامه ، وتفضل عليهم بجزيل كرمه وإحسانه .
وأصلي وأسلم على إمام المهتدين ، وقدوة المتقين ، المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحابه الطاهرين الأبرار ، المتقين الأخيار ، الذين احتملوا الكربة ، فبلغوا الدعوة ، ونصحوا الأمة ، وجاهدوا في الله حق جهاده .. وبعد :
فإن الدعوة إلى الله تعالى واجب كفاي أمر به الله تعالى حيث قال : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (١) ،
كما جاء التوجيه الرباني للنبي ﷺ بممارستها في قوله عز وجل : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأندر ﴾ (٢) ، وقال سبحانه : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (٣) .

وهي ابتداءً وظيفية الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، فهم سلسلة متصلة الحلقات بُدئت بآدم عليه الصلاة والسلام وختمت بالنبي ﷺ ، يصدق ذلك قول النبي ﷺ : « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟! قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » (٤) .

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

(٢) سورة المدثر الآيتان : ١ ، ٢ .

(٣) سورة النحل آية : ١٢٥ .

(٤) رواه الإمام مسلم في كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ، ح ٢٢ (...) ، انظر : الصحيح ١٧٩١/٤ .

وكلهم كانوا يدعون إلى دين الله الواحد « الإسلام » كما توضح ذلك الآيات القرآنية الكريمة ، إذ قال تعالى - على لسان نوح عليه الصلاة والسلام - : ﴿ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(١) ، وقال سبحانه حاكياً عن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذَرَبْتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾^(٢) ، وحكى القرآن الكريم عن موسى عليه السلام قوله لقومه : ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾^(٣) ، وجاء ذكر الإسلام في القرآن الكريم عند يعقوب ويوسف وعيسى عليهم الصلاة والسلام والسحرة الذين آمنوا رحمهم الله تعالى .

وأكد هذا المعنى حديث النبي ﷺ « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد »^(٤) .

ولضمان استمرار الدعوة وتجديدها أوكل الله تعالى ذلك بعد ختم النبوة إلى العلماء ، فهم خلافت الأنبياء في حمل العلم وتعليم الناس وإرشادهم ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ « ... وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر »^(٥) .

والدعوة الإسلامية منذ بدئها على يد النبي ﷺ قامت على أساس دقيق محكم ، فهنالك منهج يحدد مسلك الدعوة ووجهتها وهويتها ، وهناك أساليب تبين الكيفيات

(١) سورة يونس آية : ٧٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٢٨ .

(٣) سورة يونس آية : ٨٤ .

(٤) رواه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وأذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾ [مريم : ١٦] ح ٣٤٤٣ . انظر : فتح الباري ٦/٤٧٨ . والإخوة لعلات هم الإخوة لأب ، انظر : فتح الباري ٦/٤٨٩ .

(٥) رواه الترمذي في كتاب العلم ، باب فضل الفقه على العبادة . ح ٢٨٢٢ ، انظر : تحفة الأحوذى ٧/٤٥٠ - ٤٥٣ . وأبوداود في كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ، ح ٣٦٤١ ، انظر : السنن ٤/٥٧ .

الملائمة لكل فئة من فئات المدعويين ، إضافة إلى الوسائل المساعدة في تبليغ الدعوة ونشرها ، وكل تلك الأمور كانت بارزة واضحة في سير الدعوة النبوية ، واستمرت كذلك على أيدي الصحابة ثم التابعين ومن سار على نهجهم .

وباللقاء نظرة عامة على الأساليب التي كانت مستخدمة دعويًا يجد المتتبع لذلك أن الوصايا إحدى أبرز تلك الأساليب ، فقد كانت شائعة عند الناس قبل الإسلام ، واستمرت إلى صدر الإسلام معتمدة كلياً على المشافهة ، ولعل شدة الحرص على الوصايا جاءت من اعتقاد بعضهم وبالأخص في الجاهلية من أن الحاضر لا بُدَّ أن يترك للغائب القادم كلمة يذكره بها ، ولا يتم ذلك إلا إن كانت الكلمة ذات قيمة يدركها من يتلقاها ، لكن بعد مجيء الإسلام واعتناق الناس له أخذ العلماء يصدرن وصاياهم من منطلق النصيحة والواجب الشرعي في التوجيه والوعظ والإرشاد ، ومن هنا جاءت وصايا العلماء في الإسلام والحكماء في الجاهلية بعد مضي سنوات طويلة من حياتهم وبلوغهم سن الشيخوخة ، واكتسابهم خبرة مديدة مما شاهدوه وعاشوه ، فتأتي الوصايا لتجمع معالم تلك التجربة الطويلة في كلمات موجزة قليلة واضحة .

وبعد الصدر الأول من الإسلام ، ونتيجةً لانتساع الفتوحات الإسلامية وتمازج أصحاب تلك البلاد بالمسلمين ، ثم نقل العلوم الفارسية واليونانية والهندية وترجمتها إلى العربية ، فقد أدى ذلك إلى اختلاف موضوعات الوصايا على امتداد القرون الثلاثة الفاضلة ، إذ مما لا شك فيه أن الوصايا من حيث موضوعاتها تتأثر على نحو واضح بالمشرب الثقافي والاجتماعي لقائلها ، بل إن بعض الوصايا تبرز معالم البيئة التي عايشها الموصي وما يحيط بها من ظروف ، كما في وصية أكثم بن صيفي التميمي^(١) ، وأبي بكر الصديق رضي الله عنه^(٢) ، ومحمد بن أسلم الكندي^(٣) ،

(١) انظر الوصية رقم ٨٤ ص ٢٠٤ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٢ ص ١٤٦ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١٥٣ ص ٢٥٠ من هذه الرسالة .

والوليد بن أبان^(١) ... ونحوها من الوصايا .

وقد استمر الاهتمام بالوصايا بعد العصر الجاهلي و صدر الإسلام ، وتميز ذلك الاهتمام بالتدوين ، حيث كتب طلبة العلم وصايا علمائهم وشيوخهم ، وذلك يظهر بجلاء لمن قدر على مطالعة فهرس المخطوطات المتاحة له ، وقد وقفت على عدد من تلك الفهارس وقمت باستخراج ما وجدته من الوصايا ، وهي :

١ - وصايا النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢) .

٢ - وصايا النبي ﷺ لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه (٣) .

٣ - وصايا النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه (٤) .

٤ - وصايا علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٥) .

٥ - وصية أحمد بن عبد القادر المبارك (٦) .

٦ - وصية الحارث بن كعب لبنيه (٧) .

(١) انظر الوصية رقم ١٦٢ ص ٢٥٦ من هذه الرسالة .

(٢) منها نسخة في مكتبة الحرم النبوي ضمن مجموع برقم ١/٨/٤١ . ونسخة أخرى في مكتبة الكونجرس

ضمن مجموع برقم SM٩٠ ، انظر : د. منجد ، فهرس المخطوطات العربية بمكتبة الكونجرس ص ٦١ .

(٣) منها نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٣٤١١ .

(٤) منها ثلاث نسخ في دار الكتب الوطنية بتونس ، الأولى تحت رقم ١٨٠٥ ، والثانية ضمن مجموع برقم

٢/١١٢٨ ، والثالثة ضمن مجموع برقم ١/١٤٣١ .

(٥) منها نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٢٤٧٢ . ونسخة أخرى في دار

الكتب المصرية برقم ١٩٩٩٤٠ ب .

(٦) منها نسخة في المكتبة الصبيحية برقم ٢/١٩٨ ، انظر : د. محمد حجي فهرس الخزانة العلمية

الصبيحية ص ٣٢٦ .

(٧) منها نسخة في مكتبة الحرم النبوي ضمن مجموع برقم ٧/٨/٦ .

- ٧ - وصية طاهر بن الحسين لابنه (١) .
 ٨ - وصية عبدالرحمن بن الجوزي لولده (٢) .
 ٩ - وصية عبدالله بن قدامة المقدسي لأحد أصدقائه (٣) .
 ١٠ - وصية لقمان المري عن الحسن البصري لابنه (٤) .
 ١١ - وصية محمد بن إدريس الشافعي (٥) .
 ١٢ - وصية محمد بن خفيف الشيرازي (٦) .
 ١٣ - وصية محمد بن عبدالرحمن بن عراق ، الموسومة بـ « وصية المنتظر غريب الوطن لكل حر أتى بالمصحف والكفن » (٧) .
 ١٤ - وصية محمد البركوي (٨) .
 ١٥ - وصية محمد الظريف (٩) .

- (١) منها نسخة في مكتبة الحرم النبوي ضمن مجموع برقم ٢/٨/١ . وهي مذكورة بتمامها في تاريخ الطبري ٥٨٢/٨ - ٥٩١ ، وذكرت بعضها في هذه الرسالة ص ٩٠ .
 (٢) منها نسخة في مكتبة رئيس الكتاب برقم ٩٢٧ . انظر د . ششن ، نوادر المخطوطات العربية في مكاتب تركيا ٦٦/١ .
 (٣) منها نسخة في مكتبة زيلة برقم ٣٠٧١ ، انظر : المرجع السابق ١٥٣/١ ، ومنها نسخ عديدة في الظاهرية بدمشق ، ودار الكتب الوطنية بتونس ، خزانة حسن حسني عبدالوهاب ، وقام بتحقيقها د . حمد الجنيدل ، ونشرتها دار التقوى .
 (٤) منها نسخة في مكتبة أحمد الثالث برقم ١٤١٩ . انظر د . ششن ، نوادر المخطوطات العربية في مكاتب تركيا ١٧٦/٣ .
 (٥) منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ، خزانة المدرسة الأحمدية ، ضمن مجموع رقم ٢٤/٧٤ ، انظر : سالم أحمد ، فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ٣٢٨/٥ . وقد تكون هي المذكورة عند البيهقي في كتابه « مناقب الشافعي » ٢٨٨/٢ - ٢٨٩ .
 (٦) منها نسخة في المكتبة المذكورة ، ضمن المجموع نفسه .
 (٧) منها نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس ضمن مجموع ٢١/١٦ برقم ١٨٤٣٧ .
 (٨) منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ، خزانة المدرسة الأحمدية ، ضمن مجموع رقم ٦/٨ ، انظر : المرجع السابق ٣٠/٧ .
 (٩) منها نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس ضمن مجموع ١٩/١٤ برقم ١٨٤٤١ .

- ١٦ - وصية المنصور لولده المهدي حين أراد الحج في آخر أيامه (١) .
 ١٧ - وصية الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت لابنه حماد (٢) .
 ١٨ - وصية الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت لأبي يوسف (٣) .
 ١٩ - وصية الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت إلى أصحابه عند مرضه (٤) .
 ٢٠ - وصايا الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (٥) .

هذه جملة من وصايا العلماء وصلتنا على شكل وثائق تاريخية مخطوطة ، تبين
 عناية أولئك العلماء بالوصايا ومالها من مكانة وفاعلية في صفوف العلماء وطلبة
 العلم بخاصة ، ولدى الناس عامة .

وأول ما لفت نظري إلى موضوع الوصايا عند الاحتضار وقوفي على مخطوطة
 ضمن مكتبة الوالد بعنوان « وصايا العلماء عند حضور الموت » لأبي سليمان محمد بن

- (١) منها نسخة في مكتبة أيا صوفيا ضمن مجموع برقم ٢١٥٦ . انظر د . ششن ، نوادر المخطوطات
 العربية في مكتبات تركيا ٢٢٦/١ . وذكرها الطبري في تاريخه ١٠٢/٨ - ١٠٨ .
 (٢) منها نسخة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة - ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز - برقم ١/٢٧٨١ .
 (٣) منها نسخة في مكتبة جامعة أم القرى برقم ٦/٤٠٣ . انظر : الفهرس ٢٣٦/١ . ونسخة أخرى في
 مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٤٧٥٧ .
 (٤) منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ، خزانة المدرسة الأحمدية ، ضمن مجموع رقم
 ٢٤/٨٥ ، انظر : سالم أحمد ، فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ٣٤٢/٥ . ونسخة
 أخرى بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة - ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز - ضمن مجموع برقم
 ٢٢/٢٦٥٠ . ومنها نسختان أيضاً في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أحدها برقم
 ٢٠٦٨ .

وللوصية شروح عديدة منها : شرح لأكمل الدين محمد بن محمود البابرقي ، مخطوط بمكتبة قليج علي
 ضمن مجموع برقم ٦٢٧ [نوادر المخطوطات العربية في مكتبة تركيا ٣٤١/١] وشرح لملا علي حسني
 اسكندر الهندي ، مخطوط بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ضمن مجموع برقم ٢/٢٧٣٠ . وفي هذه
 المكتبة شرح آخر لمجهول ضمن مجموع برقم ٧/٢٦٦٠ . وستذكر الوصية ضمن ملحق في نهاية الباب
 الثاني مع الملاحظات عليها .

- (٥) منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ، خزانة المدرسة الأحمدية ، ضمن مجموع رقم
 ٢٤/٧٤ ، انظر : فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ٣٢٨/٥ .

عبد الله بن زبّر الرّبيعي (ت ٣٧٩ هـ) فهيمت بتحقيقه ، لكن بعد السؤال عنه علمت أنه طبع بتحقيق « صلاح الخيمي » ومراجعة « عبد القادر الأرناؤوط » أخبرني بذلك أستاذي د. نجم عبدالرحمن خلف . فأثرت طرق الموضوع من جانب آخر وبخاصة بعد أن لاحظت عدم اتفاق كثير من نصوص الكتاب مع عنوانه ، وتبلور لدي بعد المشاورات ومناقشات الأساتذة عنوان هذه الأطروحة « الوصايا الدعوية للعلماء المحتضرين في القرون الثلاثة الأولى » الذي وافق عليه قسم الدعوة الموقر في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فسرتُ في البحث مستعيناً بالله أولاً ثم بأساتذتي الفضلاء ، وإخواني الأوفياء ، حتى جاءت الأطروحة على هذا النحو والحمد لله تعالى .

ولا أزعم كمال البحث وقامه ، فالنقص مركب في الإنسان وصفة من صفاته ، وكل ما يصدر عن الإنسان يأخذ من مزاياه ، فلا بد أن في البحث نقصاً ، وذلك مما قرره الله تعالى في كتابه العزيز حين قال : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (١) ، وإني مع ذلك أرجو عليه المثوبة من الله تعالى ، فقد حرصت أن أعمل فيه بقول الشاعر (٢) :

وما من كاتب إلا سيفنى ويُبقي الدهر ما كتبت يداه
فلاتكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

(١) سورة النساء آية : ٨٢ .

(٢) ذكره البسطامي في كتابه « نظم السلوك في مسامرة الملوك » (خ) ل ١ ب .

أهمية الموضوع

تعد الوصايا من أكثر الأساليب الكلامية شيوعاً بين الناس ، وأكثرها لصوقاً بحياتهم الاجتماعية والظروف القائمة فيها ، ويتصفح المصادر التاريخية عن الحقبة الجاهلية قبل الإسلام يدرك المطلع عليها مدى تمسك الناس بالوصايا ، وقدر اهتمامهم بوصايا وتوجيهات حكمائهم والمشاهير فيهم أمثال أوس بن حارثة الغسائي (١) ، وهبيرة ابن صخر الكلبي (٢) ، وسعد العشيرة (٣) ... ونحوهم ممن رويت عنهم وصايا توجيهية وإرشادية وصلت إلينا .

إلا أن الوصايا في العصر الجاهلي منها ما جاء مستقيماً محافظاً على مكارم الأخلاق كما في وصايا من ذكروا آنفاً ، ومنها ما جاء مخالفاً ذلك كما في وصية دويد ابن نهد (٤) .

وامتد الاهتمام بأسلوب « الوصايا » بعد مبعث النبي ﷺ ثم انتشار الإسلام ، ذلك أن مصدري التشريع أبرزوا اهتماماً بالوصية ، إذ جاء ذكرها في القرآن الكريم صراحة في كثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عن موضوعات ووصايا هامة وضرورية (٥) ، إضافة إلى شمول عدد من نصوص السنة المشرفة للوصايا بما فيها من أحكام وتوجيهات (٦) .

وذلك يوحي باهتمام القرآن الكريم والسنة المشرفة بـ « الوصية » مما يشعر بقيمة

(١) انظر ص ١١١ من هذه الرسالة .

(٢) لم أقف له على ترجمة ، ووصيته عند أبي حاتم السجستاني في « المعمرين والوصايا » ص ١٢٨ .

(٣) سعد العشيرة بن مالك بن أدد ، أبو الحكم ، جد جاهلي ، سُمي بسعد العشيرة لأنه كان يركب مع ولده من صلبه في ثلاثمائة فارس ، فإذا سئل من هؤلاء معك ؟ قال : عشيرتي ، مخافة العين . انظر :

ابن حزم ، الجمهرة ٤٠٥ ، ٤٠٩ . والزركلي ، الأعلام ٨٦/٣ . ووصيته في المعمرين والوصايا ١٢٢ .

(٤) لم أقف له على ترجمة ، ووصيته في المرجع السابق ٢٦ .

(٥) انظر ص ٥٧ من هذه الرسالة .

(٦) انظر ص ٦٢ من هذه الرسالة .

الوصايا في المجتمع الإسلامي أيضاً ، ومن هنا كثر استخدام المسلمين لها ، وبرزت بوضوح عند العلماء من هذه الأمة – أعني ما يتعلق بالدعوة والوعظ والإرشاد – حتى إن بعضهم كان يستغلّ كافة المناسبات المتاحة له ليتقدّم فيها بالنصح والإرشاد بما يتلاءم والمناسبة القائمة ، لتجد الوصية طريقها إلى القلوب فتحرّك المشاعر والأحاسيس ، وهو ما يرغب فيه الموصي بتوجيه الموصى نحو ما ينزع إليه ويقصده .

ويلاحظ أن الوصايا فيما بين العصر الجاهلي والإسلامي وقع بينها اختلاف بيّن في مضامينها ، فالوصايا بعد مجيء الإسلام أصبحت تقتبس من النصوص القرآنية ، والأحاديث الشريفة ، وتعنى بالموضوعات الإسلامية ، واختفت جميع الوصايا المعنية ببعض الأخلاق التي كانت سائدة عند الجاهليين والتي تخالف روح الإسلام وتعاليمه (١) .

وتزداد الوصايا عند الاحتضار أهمية وقيمة لأمر منها :

١ – أن شعور الإنسان عند الاحتضار بأنه قاب قوسين أو أدنى من الموت يجعله يحاول حصر أبرز ما يدور في خلدّه ، وأهم ما عني به ، ثم تقديمه للحاضرين من عواده في كلمات قليلة موجزة .

٢ – أن الإنسان حال احتضاره يصعب عليه أن ينطق بخلاف ما استقرّ في نفسه ، وهذا يفسّر قدرة المؤمن التقي على التشهد عند احتضاره ، وعجز الفاجر عنها ، والكافر أعجز من باب أولى لو رام ذلك ، يقول الإمام البخاري رضي الله عنه : « أصدق ما يكون الرجل عند الموت » (٢) ، ولهذا فالوصية الصالحة الصادرة من الصالحين فيها دلالة على صلاح قائلها وتقواه ، ومن ثمّ يجد السامع شعوراً داخلياً في نفسه لقبولها والعمل بها .

خلاصة الأمر أن أهمية الوصايا – وبخاصة عند الاحتضار – تبرز أهميتها في شفافيتها ونفاذها في النفس البشرية .

(١) المقارنة هنا بين حكماء الجاهلية ، وعلماء الإسلام ، أما غير العلماء فقد صدرت عنهم وصايا عند الاحتضار تخالف هدي الإسلام . انظر ص ٣٧٣ من هذه الرسالة .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٤٧/١٢ .

أسباب اختيار الموضوع

إن أهمية الموضوع التي تقدم ذكرها من الأسباب الأولى التي دفعتني لتحديد موضوع البحث في مجال الوصايا تحت عنوان « الوصايا الدعوية للعلماء المحترمين في القرون الثلاثة الأولى » ، وثمّت دوافع أخرى لاختياري دوحة الوصايا وتفضيلي التنقل بين قطافها وزهورها ومنها :

١ - لما عزمتم على اختيار موضوع الرسالة ، وتقرر في ذهني التركيز على الوصايا ، قمت بجمع الكتب المتعلقة بها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً أو الاطلاع على ما تعمّر عليّ اقتناؤه ، ومع البحث والتنقيب لم أجد دراسة دعوية متخصصة تبحث في الوصايا رغم كثرة استخدام العلماء لهذا الأسلوب في المجال الدعوي ، فأحببت - ومن خلال هذا البحث - تقديم دراسة دعوية مركزة خاصة بوصايا العلماء عند احتضارهم ، معتمداً على التحليل والاستنباط ، واستنطاق السطور للكشف عن أبرز الدروس الدعوية فيها ، والتعرف على مناهج العلماء فيها ، وإمطة اللثام عن خصائص الوصايا وآثارها .

٢ - اتفق جميع من تحدث عن الدعوة على أن العملية الدعوية منذ أن بدأ بها النبي ﷺ كان تعتمد منهجاً تسيير عليه ، وينطوي ذلك المنهج على ثوابت وطرق وقوالب تحافظ على هوية الدعوة ، وتساعد على صياغة الأفكار والمبادئ الإسلامية وتقديمها على نحوٍ يتناسب وحال المدعوين .

وفي سبيل جودة الأداء ، وحسن التبليغ المطلوبين من المسلمين ، فقد استُخدمت كافة الأساليب المتاحة والمشروعة في إطار الدعوة إلى الله تعالى ، وكان من ضمنها أسلوب « الوصايا » ، ومن الدوافع لهذا البحث العمل على إبراز الوصايا على أنها إحدى الأساليب المؤثرة في المجال الدعوي .

٣ - رغم أهمية الوصايا الدعوية عند الاحتضار وقوة تأثيرها ، ومع اهتمام الناس بها ، فإنني لم أقف على مصدر معين أو حتى على مجموعة من المصادر مختصة بالوصايا وجمعها ، بل إن وصايا العلماء مبثوثة في طيات كتب التراجم ، والكتب المعنية بالأدب ك : التعازي والمراثي ، والكامل في الأدب واللغة للمبرّد ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ... ونحوها من المؤلفات المعنية بالنصوص الأدبية ، والكلمات البلاغية ، وقد حدا بي ذلك إلى التوجّه لجمع شتات الوصايا الدعوية للعلماء المحتضرين في القرون الثلاثة الأولى من مصادرها قدر الطاقة ، وحسب الإمكان .

مجال البحث

بعد الاستقرار على اختيار وصايا العلماء الدعوية على أنها المادة العلمية للأطروحة ، قمت بمشاوره عددٍ من أساتذتي منهم الدكتور نجم عبدالرحمن خلف الذي رأى الاقتصار على الوصايا التي تقال في مرض الموت وساعة الاحتضار ، وقدم لي مصدراً أساساً من مصادر هذا الموضوع وهو كتاب « المحتضرون » لابن أبي الدنيا رحمه الله ^(١) ، وملت إلى رأيه لعدة دوافع منها :

١ - أن الوصايا الصادرة من العالم الحكيم في آخر حياته تلخص - في كثير من الأحيان - أهم العناصر والخطوات التي يحتاجها الداعية والمرشد في مجال الدعوة والوعظ والنصح ، حيث جاءت بعد مسيرة طويلة في الحياة مارس قائلها فيها صنوف الشدة ، وألوان الرخاء ، وعافس الناس وعرف كثيراً من عاداتهم وطبائعهم وسلوكياتهم ، فيأتي الداعية والواعظ « المستجد » ويأخذ تلك الخلاصة من المعرفة والتجربة العملية لينطلق وينجو من التكرار غير الضروري ، وليعمل عن سابق معرفة ، وذلك من أهم مقومات نجاح الداعية واستمرارية الدعوة .

٢ - أن الوصايا عند الاحتضار تعكس اهتماماً واضحاً بالدعوة بدءاً بالنبي ﷺ والسلف الصالح من بعده ، وحرصهم واستمرارهم عليها حتى في اللحظات الأخيرة من حياتهم ، فيُقدّمون تلك العظات والنصائح لزوارهم وذويهم ، مع ما يقاسونه من آلام بدنية ، وما هم فيه من حالة نفسية ، إذ يُقدّم الإنسان عند الموت على أمر جسيم لم يعهده من قبل ، بل بدأ من بعض كبار الصحابة جزع عند حلوله ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول عند احتضاره : « والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس أو غربت لاقتديت به من هول المطلع » ^(٢) ، وكان الحسن سبط رسول الله ﷺ يقول عند موته :

(١) الكتاب مخطوط وقد قمت بنسخه وتحقيق جزء كبير منه وأمل انجازه في وقت قريب إن شاء الله تعالى .

(٢) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون ل ٤٦ ب . وابن زبير ، وصايا العلماء عند حضور الموت ٣٨ .

« إنني لأقدم على أمر عظيم وهولٍ لم أقدم على مثله قطَّ » (١) .
 هذا فيما يتعلق بتحديد نوعية البحث ، أما ما يتعلق بميدان البحث فأتساءل فترة
 البحث والمشاوره ، أشار عليّ فضيلة الدكتور أبو الفتح البيانوني الاقتصار على كتاب
 الذهبي « سير أعلام النبلاء » واستخلاص الوصايا منها ، وذلك لاحتوائه تراجم
 لشخصيات إسلامية بارزة في القرون الستة الأولى ، مما يعطي انطباعاً عن تطوّر
 أسلوب الوصايا خلال الفترة تلك ، ومع وجاهة رأيه وواقعيته فإن بعض الأساتذة فضل
 الاختيار الآخر الذي وضعته ، وحدد فيه فترة زمنية بدّل تحديد كتاب معين هي « القرون
 الثلاثة الأولى » ، وهو ما اعتمده قسم الدعوة المؤرّر ، وكان من أسباب وضع الاختيار
 الآخر هذا ما يلي :

١ - أفضلية القرون الثلاثة الأولى ، جاء بيان تلك الأفضلية في قول النبي ﷺ
 « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة
 أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » (٢) ، وفي حديث آخر جعلهم النبي ﷺ من أسباب الفتح
 وذلك في قوله : « يأتي على الناس زمان ، فيغزو فئام من الناس فيقولون : فيكم من
 صاحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون لهم : نعم ، فيفتّح لهم . ثم يأتي على الناس زمان
 فيغزو فئام من الناس فيقال : فيكم من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم ،
 فيفتّح لهم . ثم يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيقال : هل فيكم من
 صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم فيفتّح لهم » (٣) ، ومن

(١) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون ل ٥٢ ب .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي ورواه من
 المسلمين فهو من أصحابه ، ح ٣٦٥١ . انظر فتح الباري ٣/٧ . ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ،
 باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ح ٢١٢ (...) ، انظر الصحيح ٤/١٩٦٣ .

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبي ومن صحب النبي ورواه
 من المسلمين فهو من أصحابه ، ح ٣٦٤٩ . انظر : فتح الباري ٣/٧ . ومسلم في كتاب فضل الصحابة
 ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ح ٢٠٨ (٢٥٣٢) . انظر الصحيح ٤/١٩٦٢ .

مكونات تلك الأفضلية بالنسبة لمجموع تلك القرون اهتمامهم بالجهاد والدعوة ، فوجودهم ضمن البعوث وانتشارهم في البلاد المفتوحة كان له أثر بالغ في شيوع الإسلام بين أهل البلاد المفتوحة ، ومن ثم دخولهم في الإسلام تبعاً ، وقد تواتر الخبر عنهم بذلك .

٢ - أن العلماء في تلك الحقبة من الزمن كانوا يشكلون القاعدة الأساس للدعوة الإسلامية بدءاً من الصحابة وحتى نهاية القرن الثالث^(١) ، فالصحابه رضوان الله عليهم والمهاجرين بخاصة تحمّلوا العذاب والأذى وكابدوا وصابروا وتشبّثوا بدينهم مواجهين تحديات كفار مكة وكبراء قريش ، حتى هباً الله لهم فرجاً ومخرجاً ، بل إن منهم مع تلك الظروف كان يمارس الدعوة ويجلب المهتدين إلى النبي ﷺ كما فعل « أبو بكر الصديق رضي الله عنه »^(٢) ، وبهجرة النبي ﷺ إلى المدينة بذل الأنصار جهودهم ووسعهم حتى استقرت الدولة الإسلامية الأولى ، وبعد وفاة النبي ﷺ واصل الصحابة مسيرة الجهاد والدعوة حتى انتشر الإسلام في أصقاع كبيرة من المعمورة ، وازدهرت حركة التعليم في تلك العصور المشرقة .

وبذلك استحق العلماء في القرون الثلاثة الأولى عن جدارة أن يكونوا المثل الذي يحتذى ، والنبراس الذي يستضاء به لمن بعدهم من الأجيال المتتابة .

٣ - أن الدعوة الإسلامية في القرون الثلاثة الأولى مرّت بمراحل وأطوار مختلفة ، حيث نشطت في بعض المراحل ، وتراخت نسبياً بسبب تراخي بعض القائمين بها تبعاً للأحداث التجارية في زمانهم كما حصل في عصر المأمون والمعتصم حين سادت فكرة « خلق القرآن » وساندها الدولة ، وقد انعكس ذلك على أسلوب الوصايا عند الاحتضار على وجه الخصوص .

(١) هذا التحديد تمثيلاً مع موضوع الرسالة وإلا فالعلماء دائماً هم الأساس الأول للدعوة منذ بدء الإسلام وإلى أن يأتي أمر الله تعالى .

(٢) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ٢٦٧/١ - ٢٧٩ .

وهناك سبب مشترك لتحديد نوعيّة الوصايا والفترة الزمنيّة للبحث هو أن البحث في عموم الوصايا ودون تحديد فترة زمنيّة تحدد ميدان البحث عمل ضخم وواسع يصعب القيام به في الوقت المحدد للرسائل العلمية في مرحلة الماجستير ، إضافة إلى افتقاره إلى التحديد الموضوعي المطلوب أكاديمياً في الرسائل العلمية على نحو عام .

الدراسات السابقة للموضوع

اتسمت جهود المسلمين في خدمة الإسلام بالعموم والشمولية ، فطالت أبحاثهم وتصانيفهم موضوعات كثيرة ومتنوعة ، وكان للموضوعات الدعوية نصيب منها ، حيث كثرت كتب النصائح والوصايا والمواعظ ولاسيما فترة ازدهار الحضارة الإسلامية أيام العباسيين ، وقد وصلت إلينا بعض تلك المصنفات ، ولم يصل من بعضها الآخر سوى عنوانها .

وفيما يتعلق بموضوع الرسالة فيمكن تناول الدراسات السابقة له من خلال عناصر ثلاثة هي :

أولاً : دراسات حول الوصايا عامة

جاءت هذه الدراسات على أشكال متعددة ، وبصفات متفاوتة :

١ - فمنها ما عني بجمع الوصايا جمعاً عاماً روعى فيه وجود قاسم مشترك بين مجموعها ، ومن هذه الدراسات :

أ - كتاب أبي حاتم السجستاني سهل بن محمد بن عثمان الجشمي (ت ٢٥٥ هـ) بعنوان « المعمرون والوصايا » وهو في الأصل كتابان : « المعمرون » و « الوصايا » جمعهما المحقق « عبد المنعم عامر » في كتاب واحد مع بيان بداية كل واحد ونهايته ، وكتاب « الوصايا » جمع فيه أبوحاتم السجستاني وصايا لمشاهير في الجاهلية وصدر الإسلام أمثال : سعد العشيرة ^(١) ، ومالك بن عمرو الكلبي ^(٢) ، وعوف بن كنانة الكلبي ^(٣) ، وأبي بكر وعمر وأبي عبيدة ومعاوية رضي الله عنهم ، وعبد الملك بن مروان ... الخ ، ورغم قدم الكتاب فإنه لم يسر على طريقة السلف في ذكر الروايات مسندة ، ولم يتجشم المحقق عناء ترجمة الوصايا ، سواء أتيسرت تراجمهم أم لا .

(١) انظر ص ١٢٢ . (٢) انظر ص ١٢٧ . (٣) انظر ص ١٣٥ .

ب - كتاب « فؤاد شاكر » بعنوان « وصايا الرسول ﷺ » جمع فيه نخبة من أحاديث النبي ﷺ ثم قسم الكتاب حسب صيغ الأحاديث الواردة مثل : الأوامر ، المناهي ، الشمائل ، التوجيهات ... ووضع ضمن كل فصل عنوانات موضوعية سرد تحته الأحاديث المتعلقة به ، مراعيًا تخريج الأحاديث وشرح المعضل فيها .

ج - كتاب « خالد سيد علي » بعنوان « وصايا ومواعظ العلماء للأمرء » ذكر فيه وصايا ذات صفة محددة بالنسبة للقائل والمتلقي كما هو واضح من العنوان ، وجل نقله عن كتاب « الذهب المسبوك في وعظ الملوك » لـ « محمد بن أبي نصر الحميدي » رحمه الله تعالى .

٢ - والنوع الثاني من هذه الدراسة عني بجمع نخبة من الوصايا مقرونة ببعض التحليل والاستنباط ، ومنها :

أ - كتاب « صديق بن حسن القنوجي البخاري » بعنوان « وصايا الله ووصايا رسوله ﷺ ووصايا صالحى أمته » صنفه على النحو الآتي :

✽ مقدمة عن معنى الوصية وحكمها .

✽ تقسيم الكتاب إلى ثلاثة أبواب : الأول فيه وصايا قرآنية ، والثاني وصايا نبوية ، وأعقب البابين باستنباط الأحكام والتوجيهات الواردة في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة . أما الباب الثالث ففيه وصايا لـ « محي الدين محمد بن عربي » تخلو مما عرف عنه من شطحات وانحرافات جعلت علماء أهل السنة يكفرونه ويحكمون عليه بالقتل ، وليس فيها سوى الاستدلال بالقرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة (١) .

✽ خاتمة في علم الوصايا والموارث .

ب - كتاب « سليم الهلالي » بعنوان « من وصايا السلف » أورد فيه بعض وصايا المشاهير من علماء السلف منها : « وصية علي بن أبي طالب لكميل بن زياد » (٢) ،

(١) انظر ص ١٢٠ ، والوصايا من ص ١١٩ إلى ١٥٧ .

(٢) انظر ص ١١ .

و « وصية وهب بن منبه في مكارم الأخلاق » (١) و « وصية الإمام أحمد بن حنبل في هجر أهل البدع » (٢) .

٣ - أما النوع الثالث فالدراسة منصبّة فيه على الناحية التحليلية الاستنباطية ، ومن الكتب التي وقفتُ عليها والمرتبطة بهذا النوع :

أ - كتاب « د.علي شواخ » بعنوان « وصايا تربوية قرآنية ونبوية » وهو مقسم إلى ثلاثة فصول : الأول مختص بالآيات القرآنية ذكراً واستنباطاً للطرق التربوية المستفادة منها ، وهو في ذلك يحاول الإفادة من منهج « سيد قطب » رحمه الله في كتابه « في ظلال القرآن الكريم » ، والفصل الثاني يُعنى بالأحاديث النبوية ، وفيه قدّم ذكر الأحكام والتوجيهات المستفادة من الأحاديث عليها ، وفي الفصل الثالث سرد وصايا لبعض الخلفاء الراشدين ووصية للحسن البصري .

ب - كتاب « د. سهام الفريح » بعنوان « الوصايا في الأدب العربي القديم » وعماده التحليل الأدبي للوصايا ، وقد بُحِثَ فيه الوصايا من خلال ثلاثة عصور : العصر الجاهلي ، وعصر صدر الإسلام وبنى أمية ، والعصر العباسي . وارتكز تقسيم أنواع الوصايا في الكتاب على قائلها ، عدا صدر الإسلام وبنى أمية فزاد فيه تقسيم أنواع الوصايا حسب موضوعاتها .

أما كتاب « الوصايا » للحارث بن أسد المحاسبي ، فعنوانه الأساس « النصائح الدينية والنفحات القدسية » غيّر أن المحقق غيّرهُ إلى العنوان الأول معللاً ذلك بأنه أكثر مناسبة لروح العصر ، وهو تعليل لا يصح في مجال البحث العلمي السليم وإن كانت النصائح تقرب من الوصايا في مضمونها والغاية منها ، وعلى كلٍ فهي نصائح تتحدث عن : التقوى ، وصلاح الأمة وفسادها ، والقناعة ، والتواضع ، والحلال ، والاقتصاد ، ومكائد الشيطان في الطاعات ... الخ .

(١) انظر ص ٥٩ . (٢) انظر ص ٨٧ .

ثانياً : دراسات حول المحتضرين

وقفت في هذا الجانب على عنوانات لثلاث كتب ، اثنان منها مفقودان :
الأول : لأبي الحسن المدائني علي بن محمد (ت ٢٢٥ هـ) بعنوان « المختضرون »
ومعناه من مات في شبابه ، ذكره ابن النديم ^(١) ، وأفاد منه المبرد في كتابه « التعازي
والمراثي » ونقل المدائني نفسه بعض نصوصه في كتابه « التعازي » إلا أن الجزء
الثاني من هذا الكتاب مفقود أيضاً .

الثاني : لأبي عبيد الله المرزباني محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤ هـ)
بعنوان « أخبار المحتضرين » ذكره ابن النديم ^(٢) ، وياقوت الحموي ^(٣) .
أما الكتاب الثالث فهو لابن أبي الدنيا أبوبكر عبد الله بن محمد بن عبيد
(ت ٢٨١ هـ) بعنوان « المختضرون » ومخطوطه بحوزة د. نجم عبد الرحمن خلف ، وقد
أفدت منه كثيراً إذ انتقيت منه عدداً كبيراً من الوصايا الدعوية للعلماء المحتضرين ^(٤) .

ثالثاً : دراسات حول وصايا المحتضرين

لم أقف فيما يتعلق بهذه الدراسة سوى على كتاب واحد لابن زبّير الربيعي محمد
ابن عبد الله بن أحمد (ت ٣٧٩ هـ) وهو بعنوان « وصايا العلماء عند حضور الموت »
وهو كتاب مسند لم يذكر الربيعي إلا ما وقعت له رواية فيه ، وكما يلاحظ من عنوانه
فإنه يتعرض للوصايا عامة ، وليس مختصاً بالوصايا الدعوية ، إضافة إلى اشتماله
على وصايا ليست عند الاحتضار منها وصية مروان بن الحكم ^(٥) ، ووصية الإمام
الأوزاعي ^(٦) ، وعلى نصوص ليست بوصايا كقول الحجاج بن يوسف : « مالي ولك

(١) انظر : الفهرست ص ١١٧ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٤٨ .

(٣) انظر : معجم الأدباء ، ١٨ / ٢٧١ .

(٤) سبق كلام عن هذا الكتاب ص ١٦ من هذه الرسالة .

(٥) انظر ص ١٠٤ . (٦) انظر ص ١٠٧ .

يا سعيد بن جبير « (١) ، وقول الإمام أبي حنيفة رحمه الله : « ارحمني وأنا صريع بين أهل الدنيا أعالج نفسي يا أرحم الراحمين » (٢) .

والعناصر الثلاث السابقة تمثل الدراسات المتخصصة ، وهناك دراسات عامة لها علاقة بالموضوع منها :

١ - الدراسات الأدبية ، فهناك عدد من المصنفات الأدبية احتوت بعض الوصايا عند الاحتضار ، وربما أفرزت لها فصلاً أو مبحثاً مستقلاً ، كما في « العقد الفريد » لابن عبد ربه ، و « التعازي والمراثي » للمبرد ، و « الفاضل في صفة الأدب الكامل » للوشاء .

٢ - موسوعات وكتب التراجم ، ولعل من أوسع مصنفات التراجم وأشملها : « الطبقات الكبرى » لابن سعد ، و « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصفهاني ، و « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي ، و « تاريخ دمشق » لابن عساكر (٣) ، و « سير أعلام النبلاء » للذهبي . إضافة إلى كتب التراجم المختصة بأصحاب المذاهب ك « ترتيب المدارك » للقاضي عياض ، و « طبقات الشافعية الكبرى » للسبكي .

٣ - مصنفات التاريخ ، وأهم الكتب التي أفدت منها في هذا البحث « الفتوح » لأحمد بن أعثم ، و « تاريخ الرسل والملوك » للطبري ، و « الكامل في التاريخ » لابن الأثير ، و « البداية والنهاية » لابن كثير .

(١) انظر ص ٩٦ . (٢) انظر ص ٩٩ .

(٣) صورة مخطوط تاريخ ابن عساكر منشورة في ١٩ مجلداً ، وقامت دار الفكر بطباعة « مختصر تاريخ دمشق » لابن منظور صاحب اللسان الذي اعتمد في المختصر على حذف الأسانيد غالباً ، وقد جاء بعد اكتمال طباعته في ٢٨ جزء ١ .

منهج البحث

إن طبيعة البحث تفرض على الباحث أن يتناوله من خلال مناهج متعددة هي :
المنهج الاستقرائي ، الذي يتم من خلاله حصر مصادر الرسالة ثم استقراؤها واستخراج
 المادة العلمية اللازمة لها ، و **المنهج التاريخي المقارن** ، وتظهر الحاجة إليه عند
 التعرض للدراسات السابقة في موضوع الرسالة ، وعند توثيق النصوص وعزوها إلى
 مصادرها ، و **المنهج التحليلي** ، ومن خلاله يتم نشر الوصايا ثم تصنيفها وتقسيمها
 حسب الأنواع المذكورة في خطة البحث ، و **المنهج الاستنباطي** ، وتكمن ضرورته في
 استنطاق الوصايا واستنباط الدروس والمناهج والخصائص والآثار منها .

ولا يعني ذلك أن كل منهج مختص بجزء معين من الرسالة ، بل إنها تتطافر
 أثناء العمل في الرسالة حتى تأتي على وجه حسن مرضي إن شاء الله تعالى .

وعلى ضوء هذه المناهج جرى السير في الرسالة وفق الخطوات التالية :

- ١ - تتبع الوصايا الدعوية للعلماء عند احتضارهم في القرون الثلاثة الأولى من
 مصادرها الأدبية والتاريخية وكتب التراجم ، معتمداً أهم وأوسع المصادر عن تلك الحقبة
 الزمنية ^(١) ، ثم انتقاء الوصايا الدعوية وفرزها لتذكر في مكانها المحدد في الرسالة .
- ٢ - الاقتصار على الصحيح والحسن فيما نسب إلى النبي ﷺ من وصايا عند
 الاحتضار ، أما بقية الوصايا فلم أشرط فيها ذلك ، لأن معظمها غير مسندة مما
 يجعل التعرف على درجة كل منها أمراً فيه صعوبة ، لكن إذا وقفت على حكم لوصية
 من الوصايا ذكرته في الحاشية معزواً إلى صاحبه .

- ٣ - الاقتصار على وصايا من عرف بالعلم في تلك القرون ، ومن هنا جرى

(١) الاطلاع على جميع المصادر والمراجع التي لها علاقة بالقرون الثلاثة الأولى أمر في غاية الصعوبة ، ومن
 هنا كان رأي المشرف حفظه الله في الاقتصار على ما يغلب على الظن شموله وسعته مما يتعلق بتلك
 الفترة .

استبعاد وصايا من اشتهر من بينهم ولم يعرف بالعلم بالنسبة لذلك الوقت كما هو الحال في وصية الحجاج بن يوسف الثقفي عند موته (١) .

٤ - استقراء وانتخاب جملة من الوصايا العامة لإعطاء موجز عام عنها في الباب الأول بحيث يكون مدخلاً لوصايا العلماء عند المحتضرين .

٥ - ترجمة أصحاب الوصايا والأعلام الواردين في ثنايا نصوصها قدر الإمكان ، ولم أعن بترجمة ما عداهم من الأعلام الواردين في الرسالة لعدم الحاجة الملحة لذلك ، ولتفادي تطويل الرسالة بما ليس منها أصالة .

٦ - محاولة تخريج الأبيات الشعرية ومعرفة أصحابها ، وهو أمر ليس بالسهل نظراً لعدم وجود فهارس عامة للأشعار بسبب غزارتها ، وفي الرسالة نخبة من الأشعار التي لم أستطع التعرف على أصحابها أو حتى تخريجها .

٧ - يلاحظ المطلع على الرسالة تكرار الاستشهاد بالنص الواحد في أكثر من موطن ، وذلك راجع إلى طبيعة الموضوعات التي يجري الحديث فيها من ناحية ؛ وما كل الوصايا - وإن كانت دعوية - تسعف في إجراء الدراسة الموضوعية و الاستنباطية عليها من ناحية أخرى ، مما يضطر إلى الاستعانة بالنص الواحد في مواطن متعددة .

٨ - إن الموضوع الذي يبحث فيه أثناء الدراسة الموضوعية والتحليلية في الباب الأول والثالث لا تذكر فيه جميع الشواهد المتعلقة فيه من الوصايا ، بل يقتصر على ما يكفي لإيضاح الموضوع واكتماله ، مضافاً إلى ذلك دعمه بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة المناسبة له ، مع الاستشهاد بنقول علمية وتاريخية متممة له ، مع مراعاة الإحالة إلى مصادر تحدثت عن الموضوع بتوسع أو من جوانب أخرى .

٩ - تقتضي بعض الوصايا شيئاً من التعليق ، فموطن التعليق الأساس هو « الباب الثاني » إن كانت من وصايا المحتضرين ، وربما تم الاستشهاد بهذه الوصية في أحد موضوعات الرسالة ، ففي هذه الحالة يذكر التعليق معها في الموطن الجديد

(١) انظر : ابن أعثم ، الفتوح ج ٤ ص ١٨٤ .

- أيضاً مراعاةً لاتصال الفكرة ، وعلى كلٍ فذلك قليل جداً في الرسالة .
- ١٠ - إحالة الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها وأرقامها .
- ١١ - تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادر السنة الأصيلة قدر الإمكان ، وقد تعسر عليّ تخريج بعض الأحاديث منها « أن النبي ﷺ مسح على رأس غلام وقال : عش قرناً . فعاش مائة سنة » ذكره ابن الأثير (١) ، وأورده بعض أصحاب معاجم اللغة العربية (٢) .
- ١٢ - عند توثيق الوصية تذكر مصادرها مرتبة تاريخياً حسب وفيات أصحابها ، ونظراً لتفاوت بعض ألفاظ الوصية بين مصدر وآخر قمتُ بالنص على صاحب اللفظ في الحاشية ، وعند عدم النص عليه فاللفظ لأول مذكور ، هذا في الباب الثاني ، أما في الباب الأول والثالث فربما انتقيت لفظاً من ألفاظ الوصية يناسب الموضوع المذكورة فيه وليس هو المثبت في باب الوصايا (الثاني) فأشير في الحاشية إلى مصدره مع الإحالة إلى مكان الوصية في الرسالة .
- ١٣ - عند الإحالة إلى المصادر يذكر اسم المؤلف أولاً ، ثم اسم الكتاب ، ثم الجزء - إن وجد - والصفحة . وإذا تكرر المصدر الواحد في الصفحة نفسها متتالياً أحلت إليه بعبارة « المصدر السابق » ، وإن لم يكن متتالياً أو ذكر اسم المؤلف في الأصل ذكرت اسم المصدر مختصراً في الحاشية .
- ١٤ - وُضِعَتْ إحالة الأبيات الشعرية عند اسم صاحبها سواء كان معلوماً مثل « قال حاتم » أو مجهولاً نحو « قال الشاعر » ، أما بقية النصوص المنقولة والمقتبسة فتوضع الإحالات في آخرها .
- ومجمل معالم الرسالة بعد المقدمة تتمثل في خطتها الآتية :

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث ٥١/٤ .

(٢) انظر ص ٥٥ من هذه الرسالة .

الباب الأول : « الدراسات الموضوعية لوصايا العلماء المحتضرين » ويشمل :
الفصل الأول ، وهو فصل تمهيدي يتحدث عن الوصايا عامة تحت عنوان « تعريف الوصايا ومشروعيتها وأنواعها » ويتضمن :

المبحث الأول : « التعريفات والمشروعية » وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف المصطلحات الرئيسية في البحث .

المطلب الثاني : مشروعية الوصايا وحكمها .

المبحث الثاني : « أنواع الوصايا » وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أنواع الوصايا من حيث مصدرها .

المطلب الثاني : أنواع الوصايا من حيث الموصى .

المطلب الثالث : أنواع الوصايا من حيث وقتها .

الفصل الثاني : « أنواع وصايا العلماء عند احتضارهم » ويتضمن :

المبحث الأول : أنواع الوصايا من حيث موضوعاتها .

المبحث الثاني : أنواع الوصايا من حيث طبيعتها .

الباب الثاني : « جمع الوصايا الدعوية للعلماء المحتضرين وتوثيقها » وهو مقسم حسب الآتي :

* الوصايا النبوية

* من له وصية من العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم .

* من له وصية من سائر الصحابة رضوان الله عليهم .

* من له وصية من المخضرمين .

* من له وصية من بقية التابعين إلى نهاية القرن الثالث الهجري .

وقد رتبت الوصايا في الأقسام الثلاثة الأخيرة على ترتيب المعجم الألف بائي ، مع ملاحظة شرح الكلمات الغريبة في الوصايا بوجه عام .

الباب الثالث : « الدراسة التحليلية الاستنباطية لوصايا المحتضرين » ويشمل :

الفصل الأول : « الدروس والمناهج الدعوية المستفادة من الوصايا » ويتضمن :

المبحث الأول : الدروس الدعوية المستفادة من الوصايا .

المبحث الثاني : المناهج الدعوية المستفادة من الوصايا ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المناهج الدعوية المستفادة من الوصايا حسب ركائزها .

المطلب الثاني : المناهج الدعوية المستفادة من الوصايا حسب طبيعتها .

الفصل الثاني : « الخصائص والآثار » ويتضمن :

المبحث الأول : خصائص وصايا العلماء المحتضرين ، وهي :

. الانضباط الشرعي

. الواقعية

. الوضوح

. التركيز

. التأثير

المبحث الثاني : آثار وصايا العلماء المحتضرين ، وهي قسمان :

المطلب الأول : الآثار الواقعة من خلال سير الموصين .

المطلب الثاني : الآثار المتوقعة من تطبيق الوصايا .

الخاتمة : وتتضمن خلاصة ما توصل إليه الباحث ، والتوصيات المقترحة .

الباب الأول

الدراسة الموضوعية
لوصايا العلماء المحتضرين

الفصل الأول

تعريف الوصايا ومشروعيتها وأنواعها

المبحث الأول

التعريفات والمشروعية

المطلب الأول

تعريف المصطلحات

وبيان المراد بمفهوم الوصايا في هذا البحث

تعريف المصطلحات

يتألف عنوان الرسالة من خمسة عناصر هي :

أ - الوصايا ، وهي الأسلوب الدعوي المراد جمعه وعمل الدراسة الموضوعية والتحليلية عليه في هذه الرسالة .

ب - الدعوة ، وهي الإطار المحدد لنوعية هذه الوصايا .

ج - العلماء ، وهم المصدر الذين تستقى منهم تلك الوصايا .

د - الاحتضار ، وهو الوقت المحدد الذي تستل فيه وصايا العلماء من ثنايا وصاياهم إجمالاً .

هـ - القرون الثلاثة الأولى ، وهي المجال التاريخي للبحث ، حيث تؤخذ وصايا العلماء الدعوية الصادرة منهم في هذه الفترة الزمنية فقط .

والعناصر الخمسة هذه عبارة عن مصطلحات ، وتعريف كل مصطلح منها ضروري ، لأنه يحدد وجهة البحث ، وإطار العمل فيه ولذلك عمدت إلى تعريفها لغةً واصطلاحاً حسب ترتيب عنوان الرسالة ، والله المستعان .

تعريف الوصية

التعريف اللغوي :

قال ابن فارس : « وَصَى » الواو والصاد والحرف المعتل أصل يدل على وصل شيء بشيء وَوَصَيْتُ الشيءَ : وصلته ، ويُقال : وطئنا أرضاً واصِيةً : أي أن نبتها متصل « (١) ويقال فلاة واصية إذا اتصلت بفلاة أخرى ، قال ذو الرمة (٢) :

بين الرِّحَا والرِّحَا من جنب واصية . . بهما خابطها بالخوف معكوم

قال الزبيدي : « والوصي - كغني - لقب علي رضي الله عنه ، سمي به لاتصال سببه ونسبه وسمته بنسب رسول الله ﷺ وسببه وسمته » (٣) .

قال ابن فارس : « والوصية من هذا القياس ، كأنه كلام يوصى أي يوصل » (٤) ، وقال ابن حجر : « وسميت وصية لأن الميت يصل بها ما كان في حياته بعد مماته » (٥) .

وقال المطرزي : « والإيصال طلب شيء من غيره ليفعله على غيب منه ، حال حياته وبعد وفاته » (٦) ، أما قول العرب : « إن الموصين بنو سهوان » فقليل : معناه أنه إنما يحتاج إلى الوصية من سهو ويغفل » (٧) ، واعترض أبو الفضل الميداني على هذا المعنى فقال (٨) : « الأصوب في معناه أن يقال : إن الذين يوصون بالشيء ، يستولي

(١) معجم مقاييس اللغة ١١٦/٦ ، مادة (وَصَى) ، يقال : خبط البعير الأرض أي ضربها ، (صحاح الجوهري ١١٢١/٣) ، والعكاف : الحبل الذي يشد به ، وعكمت البعير شددت عليه العكم (المرجع السابق ١٩٨٩/٥) .

(٢) انظر : الزبيدي ، تاج العروس ٣٩٢/١٠ ، مادة (وَصَى) .

(٣) المرجع السابق .

(٤) معجم مقاييس اللغة ١١٦/٦ ، مادة (وَصَى) .

(٥) ابن حجر ، فتح الباري ٣٥٥/٥ .

(٦) المطرزي ، المغرب في ترتيب المغرب ٤٨٦ .

(٧) المرجع السابق ٤٨٧ .

(٨) الميداني ، مجمع الأمثال ١١/١ - ١٢ .

عليهم السهو ، حتى كأنه موكل لهم ، ويدلّ على صحة هذا المعنى ما أنشده ابن الأعرابي من قول الراجز :

أنشد من خُوارةِ عَلِيَّانِ ... مضبورة الكاهلِ كالبُنَيَّانِ
أَلَقْتُ طَلاً بِلتقى الحُوَّمانِ ... أكثر ما طافت به يومان
لم يلهيها عن همها قِيدانِ ... ولا المَوْصُونِ من الرُّعِيَّانِ
إِنَّ المَوْصِيْنَ بنوا سَهْوانِ^(١)

ويضرب هذا المثل لمن يسهو عن شيء طلب منه .

وتأتي الوصية بمعنى العهد ، قال الفيروز أباذي : « أوصاه ووصاه توصية : عهد إليه ، والاسم : الوصاة ، والوصاية ، والوصية »^(٢) ومن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾^(٣) ، قال الطبري في معنى الآية : « عهد إليهم عهداً بعد عهد ، وأوصى وصية بعد وصية »^(٤) ، وقول رؤية^(٥) :

وصاني العجاج فيما وصني

وتأتي بمعنى الفريضة ، كما في قوله تعالى : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾^(٦) ، قال الفيروز أباذي : « أي يفرض عليكم »^(٧) ، وقوله تعالى

- (١) خُوارة : لينة سهلة يعني الظبية (الفيومي ، المصباح المنير ١٨٣) . و عَلِيَّانِ : يعني جاءت من مرتفع . ومضبورة : الضبر شدة تلزيز العظام واكتناز اللحم ، والمضبور المجتمع الخلق الأملس (لسان العرب ٤/٤٧٩) . والكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق (المصباح المنير ٥٤٣) . والطلا: ولد الظبية (المصباح المنير ٣٧٧) . والحومان واحد الحومانة شقائق بين الجبال ، وقيل : ما كان فوق الرمل ودونه حين تصعد وتهبط (لسان العرب ١٢/١٦٣) والقيدان : يقال للفرس قيد الأرايد إذا كانت تلحق الحمر الوحشية (لسان العرب ٣/٣٧٢) فلعله يريد بالقيدان الصياد على تلك الفرس .
- (٢) الفيروز أباذي ، القاموس المحيط ٤/٤٠٠ ، مادة (وَصَى) .
- (٣) سورة البقرة آية ١٣٢ .
- (٤) ابن عبد البر ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/٩٦ .
- (٥) ابن منظور ، لسان العرب ١٥/٣٩٤ ، - وأراد : فيما وصاني - ، مادة (وَصَى) .
- (٦) سورة النساء آية ١١ .
- (٧) القاموس المحيط ٤/٤٠٠ ، مادة (وَصَى) .

– بعد أن ذكر أصحاب الفروض من الورثة – : ﴿ وصية من الله والله عليم حكيم ﴾ (١) .
 وتجيء بمعنى الأمر ، كما في قوله جلّ ذكره : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به
 نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا
 تتفرقوا فيه ﴾ (٢) ، وقوله تعالى – بعد ذكر كبائر المحرمات ، الشرك وواد البنات ،
 والفواحش ، وقتل النفس بغير حق ، والأمر ببرّ الوالدين – : ﴿ ذلكم وصّاكم به لعلكم
 تعقلون ﴾ (٣) ، فالوصية في الآيتين تعني الأمر بفعل الواجب ، واجتناب المحرم ،
 ويصح أن تكون بمعنى العهد على سبيل الأمر ، فتندرج تحت معنى (عهد) .
 وعدّ الزمخشري استخدام « الوصية » في غير المال مجازاً ، فقال : « ومن
 المجاز : أوصيك بتقوى الله ، و ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ﴾ ، ووصيتك بفلان
 أن تَبَرّه ، واستوص بفلان خيراً » (٤) .
 وتوصى القوم ، أي استوصى بعضهم بعضاً (٥) ، ومنه ما جاء في الحديث
 الشريف أن النبي ﷺ قال : « استوصوا بالنساء خيراً » (٦) .

التعريف الاصطلاحي :

غلب على اصطلاح « الوصية » الطابع الفقهي « ولعل ذلك لأن الله تعالى سمّى
 مقادير الفرائض « وصايا » – كما في آيتي النساء – (٧) ، ومن هنا فإن العلماء الذين

(١) سورة النساء آية ١٢ .

(٢) سورة الشورى آية ١٣ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٥١ .

(٤) الزمخشري ، أساس البلاغة ٥٠١ . والآية في سورة البقرة رقم ١٣٢ .

(٥) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ١٥ / ٣٩٤ ، مادة « وصّى » .

(٦) رواه الإمام البخاري ، كتاب النكاح ، باب الوصاة بالنساء ، برقم ٥١٨٦ . فتح الباري ٢٥٣/٩ .

ومسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، برقم ٦٠ (...) . الصحيح ١٠٩١/٢ . وابن ماجه ،

كتاب النكاح ، باب حق المرأة على الزوج ، برقم ١٨٥١ . السنن ٥٩٤/١ .

(٧) الآيتان ١١ ، ١٢ .

تعرضوا لتعريف الوصية ، نظروا إلى الجانب الفقهي ، وعرفوها بناءً على ذلك ، وفيما يلي بعض تلك التعريفات :

١ - قال أبو بكر الكاساني : « الوصية اسم لما أوجبه الموصي في ماله بعد موته » (١) .

٢ - قال ابن قدامة : « الوصية بالمال هي التبرع به بعد الموت » (٢) .

٣ - قال عبدالرحمن بن أبي عمر : « الأمر بالتصرف بعد الموت » (٣) .

٤ - قال ابن حجر العسقلاني : « عهدٌ مضافٌ إلى ما بعد الموت ، وقد يصحبه التبرع » (٤) .

والتعاريف المذكورة آنفاً ، وسائر التعاريف الفقهية ، تتحدث عن الوصايا المالية ، ووافقهم في ذلك عدد من شراح الأحاديث ، كالتهانوي (٥) ، والمباركفوري (٦) رحمهما الله تعالى ، إلا أن ابن حجر رحمه الله تعالى ذكر تعريفاً آخر للوصايا يشمل الجوانب المادية وغيرها فقال : « وتطلق شرعاً على ما يقع به الزجر عن المنهيات ، والحث على المأمورات » (٧) ، وهذا التعريف وإن خرج عن الإطار الفقهي ، لكنه يكاد يتحدد في إطار الحسبة ، وهي على سعتها أخص من الدعوة ، إلا أن البخاري الزاهد - رحمه الله تعالى - ذكر للوصايا تعريفاً يتلاءم والدعوة فقال : « الوصية كسب الزيادة في الحياة » (٨) ، ثم أوضح المراد بهذا التعريف فقال : « الوصية في وجوه الخيرات زيادة

(١) بدائع الصنائع ٣٣٣/٧ .

(٢) المغني ٤٤٤/٦ .

(٣) الشرح الكبير - بحاشية المغني - ٤٤٤/٦ .

(٤) فتح الباري ٣٥٥/٥ .

(٥) انظر : إعلاء السنن ٢٩١/١٨ .

(٦) انظر : تحفة الأحرزي ٣٠٠/٦ .

(٧) فتح الباري ٣٥٥/٥ .

(٨) محاسن الإسلام وشرائع الإسلام ص ٩٨ .

في الحياة ، لأن المقصود من الحياة تحصيل الخيرات ، واكتساب الطاعات ، وإحراز وجوه البر في المعاملات ، فإذا استيقن المرء بموته ، وعلم بنزول أمر لا بد لكل ذي روح منه ؛ لم يكن في عمله خيراً من أن يكتسب ما يزيد في حياته « (١) ، يشير بذلك إلى قوله تعالى : « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات » (٢) ، قال القرطبي : « أي بادروا ما أمركم الله عزوجل من استقبال البيت الحرام ، وإن كان يتضمن المبادرة والاستعجال إلى جميع الطاعات بالعموم ... والمعنى المراد ، المبادرة بالصلاة أول وقتها » (٣) .

مفهوم الوصية المراد في البحث :

إن هذه الرسالة ، وكما هو واضح من عنوانها « الوصايا الدعوية للعلماء المحتضرين » ، لا تبحث في الوصايا الفقهية المتعلقة بالتركات والأحكام التابعة لها ، أو بعبارة أخرى ، لالعلاقة للوصايا المالية بهذه الرسالة (٤) .

وبناءً على ذلك فإن الرسالة تركز على الوصايا ذات الطابع الوعظي والإرشادي ، المتعلقة بالفرائض أو المندوبات : كالصلاة ، والصوم ، والجهد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبر الوالدين ، والوفاء بالعهد ، ونصرة المظلوم ، وإصلاح ذات البين ، والزهد ، وحسن الخلق ، والاجتهاد في النوافل ... ونحوها من الموضوعات التي اشتملت عليها وصايا العلماء عند احتضارهم ، والتي تزيد من إيمان الفرد ، وتوفر الإعداد الروحي للداعية ، وتؤمن للأمة مستوى رفيعاً بين الأمم إذا طبقت على وجهها

(١) محاسن الإسلام وشرائع الإسلام ص ٩٨ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦٥/٢ .

(٤) قد يكون للوصايا المالية مدخل دعوي ، وذلك من حيث أن الوصية بالدين فيها حث على الوفاء بالعهد ، والتبرع بجزء من المال فيه حث على الإنفاق في سبيل الله ، إلا أنها أخذت طابعاً فقهياً محدداً ، فلم أشأ إدخالها في وصايا المحتضرين الدعوية .

المطلوب ، كما حدث لدى جيل الصحابة ومن تربوا على أيديهم في القرون الفاضلة .
 إذاً فالمفهوم المراد من الوصايا في الرسالة هو المعنى الذي قصد إليه ابن حجر
 رحمه الله تعالى في تعريفه الآخر ، والبخاري الزاهد ، والذي عدّه الزمخشري - كما
 سبق - من ضروب المجاز ^(١) ، ويدخل فيه كل ما قاله المحتضر في مرض وفاته ، سواء
صرح بلفظ « الوصية » أم لم يصرح به ، وأيضاً أقواله التي لها تأثير في النفوس
دَعْوِيّاً وإن لم توجه إلى أحد ، كقول أبي الدرداء رضي الله عنه : « من يعمل لمثل يومي
هذا ؟ من يعمل لمثل ساعتى هذه ؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا ؟ ثم يقول : « ونقلب
أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة (٢) » .
 أما الدعاء إذا صدر من المحتضر فلا يدخل معنا - رغم تأثيره في الحاضرين -
 لأنه لا يندرج تحت مسمى « وصية » والله أعلم .

(١) انظر قوله ص ٣٥ .

(٢) الآية في سورة الأنعام رقم ١١٠ . والوصية في « حلية الأولياء » ٢١٧/١ ، ويأتي استيفاء تخريجها
 ص ١٨٤ من هذه الرسالة .

تعريف الدعوة

التعريف اللغوي :

الدعوة : من دَعَا ، يدعو ، دُعَاءٌ ، ودَعْوَةٌ ، وأصل الدعوة : أن تميل الشيء إليك بصوت أو كلام يكون منك ^(١) ، ودعوة الحق : شهادة أن لا إله إلا الله ^(٢) ، مأخوذة من قوله تعالى : « له دعوة الحق » ^(٣) ، والدعوة تطلق أيضاً ويراد بها الحلف ، يقال : دعوة فلان في بني فلان ^(٤) ، ويراد بها أيضاً الدعاء إلى الطعام ، وتسمى كذلك مَدْعَاةً ^(٥) .

ومن استخدام الدعوة مجازاً قول العرب : « تداعت الحيطان » إذا آيلت للسقوط ، أو سقطت ، « وتداعت إبل فلان » إذا تحطمت هزلاً ، قال ذوالرمة ^(٦) :
تباعدت مني أن رأيت حمولتي تداعت وأن أحتى عليك قطيع
والتداعي في الثوب : إذا أخلق ، كأنه يدعو صاحبه إلى استبداله ، وفي الدار : إذا تصدعت من نواحيها ، وفي السحابة إذا أرعدت وبرقت من كل جهة ، قال ابن أحرر :
ولا بيضاء في نضد تداعت ببرق في عوارض قد شربنا ^(٧)
أما داعي الله فيراد به النبي ﷺ ، مقتبس من قوله تعالى : ﴿ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ ^(٨) ، ويقال : رجلٌ داعيةٌ ، إذا كان يدعو الناس إلى

(١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ٩/٢٧٩ .

(٢) انظر : الزبيدي ، تاج العروس ١٠/١٢٨ ، مادة (دَعَوَ) .

(٣) سورة الرعد آية ١٤ .

(٤) انظر : تاج العروس ١٠/١٢٧ ، مادة (دَعَوَ) .

(٥) انظر : صحاح الجوهري ٦/٢٣٣٦ ، مادة (دَعَوَ) .

(٦) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ١٤/٢٦٢ ، مادة (دَعَوَ) .

(٨) الآية في سورة الأحزاب رقم ٤٦ ، وانظر : تاج العروس ١٠/١٢٧ ، مادة (دَعَوَ) .

بدعة أودين (١) .

ويطلق الداعية ويُراد به المؤذن ، ومنه حديث النبي ﷺ : « الخلافة في قريش ، والحكم في الأنصار ، والدعوة في الحبشة ، والهجرة في المسلمين ، والمهاجرين بعد » ، قال الزبيدي : « أراد بها الأذان » (٢) ، والداعية : صريح الخيل عند الحرب (٣) ، وداعية اللبن : ما يترك في الضرع ليدعو ما وراءه (٤) ، ومنه ما جاء في الحديث عن ضرار بن الأزور رضي الله عنه قال : « أهديت لرسول الله ﷺ لُقْحَةً ، فأمرني أن أحلبها ، فحلبتها فجهدت في حلبها ، فقال : « دَعُ دَاعِيَ اللَّبَنِ » (٥) .

وتطلق كلمة دعا يدعو دعاءً ودعوةً مجازاً في اللغة على معانٍ عدةٍ منها : الاستغاثة : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٦) ، قال ابن منظور : « فالدعاء هنا بمعنى الاستغاثة » (٧) .

التسمية : يقال : دعوته زيداً أي سميته به (٨) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (٩) ، وقول ابن أحرر الباهلي :
أَهْوَىٰ لَهَا مِشْقَصًا جَشْرًا فَشَبَّرَقَهَا وَكُنْتُ أَدْعُو قَذَاهَا الْإِثْمَدَ الْقَرْدَا (١٠)

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٢٥٩/١٤ ، مادة (دَعَوَ) .

(٢) الزبيدي ، تاج العروس ١٢٧/١٠ ، مادة (دَعَوَ) ، والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ١٨٥/٤ .

(٣) انظر : الفيروزأباذي ، القاموس المحيط ٣٢٨/٤ ، مادة (دَعَوَ) .

(٤) انظر : صحاح الجوهري ٢٣٣٧/٦ ، مادة (دَعَوَ) .

(٥) رواه الدارمي ، كتاب الأضاحي ، باب في الخالب يجهد الحلب ، ح ٢٠٠٧ ، انظر : السنن ١٥/٢ .
والإمام أحمد في مسنده ٧٦/٤ .

(٦) سورة البقرة آية ٢٣ .

(٧) لسان العرب ٢٦١/١٤ ، مادة (دَعَوَ) .

(٨) المرجع السابق ٢٦١/١٤ ، مادة (دَعَوَ) .

(٩) سورة الإسراء آية ١١٠ .

(١٠) انظر : لسان العرب ٢٦١/١٤ ، مادة (دَعَوَ) ، ومِشْقَصٌ جَشْرٌ : أي قاطع ، ويقال : جَشَرَ الصَّيْحُ =

التمني : قال تعالى : ﴿ لَئِمُّمَ فِيهَا فَاكِهِتُمْ وَلَهُمَّ مَا يَدْعُونَ ﴾ (١) ، وقال القرطبي : « يَدْعُونَ : يتمنون ، من الدعاء » (٢) .

السُّوق : يُقال : دعاه إلى الأمير ، أي ساقه إليه ، ومثله قول العرب : « دعانا غيث وقع ببلد فأمرع » (٣) .

العبادة : ومنه قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فلا تدعُ مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذِّبين ﴾ (٤) ، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾ (٥) .

العذاب والمكروه : يُقال : دعاه الله بمكروه ، أي أنزله به (٦) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ تدعو من أدبر وتولى ﴾ (٧) ، قال الزبيدي : « أي تفعل بهم الأفاعيل المنكرة ، والمكروهة » (٨) ، ومنه قول الشاعر (٩) :

دَعَاكَ اللهُ مِنْ قَيْسٍ بِأَفْعَى إِذَا نَامَ الْعَيْوُنُ سَرَتْ عَلَيْكََا

النِّدَاءُ : في الصحاح : « دعوت فلاناً : أي صحت به واستدعيتَه » (١٠) ،

= إذا انفلق . انظر (صحاح الجوهري ٦١٤/٢) ، وشبرقها : أي قطعها ، انظر المرجع السابق ١٥٠٠/٤ ، والقرود يعني الرديء ، يقال قرِد : للصرَف إذا التصق وتلبَّد ، وللعلك إذا فسدت بمضغته ، انظر : الزمخشري ، أساس البلاغة ٣٦١) .

(١) سورة يس آية ٥٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤٥/١٥ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ٢٥٩/١٤ ، مادة (دَعَوَ) .

(٤) سورة الشعراء آية ٢١٣ .

(٥) سورة الفرقان آية ٦٨ .

(٦) انظر : الزبيدي ، تاج العروس ١٢٧/١٠ ، مادة (دَعَوَ) .

(٧) سورة المعارج آية ١٧ .

(٨) تاج العروس ١٢٨/١٠ ، مادة (دَعَوَ) .

(٩) انظر : لسان العرب ٢٦٠/١٤ ، مادة (دَعَوَ) .

(١٠) صحاح الجوهري ٢٣٣٧/٦ ، مادة (دَعَوَ) .

ومنه قول عنتره (١) :

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالرَّمَا حُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ بِنْرِ فِي لَبَانِ الْأَذْهَمِ

التدبة : في اللسان : « دعا الميت : نَدَبَهُ ... والنادبة تدعو الميت إذا ندبته » (٢) .

النسبة : ومنه قوله تعالى : ﴿ ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ﴾ (٣) .

التعريف الاصطلاحي :

لم يصل إلينا عن السلف رحمهم الله تعالى تعريف للدعوة ، ويذكر د. فضل إلهي أسباباً تبرر عدم قيامهم بذلك هي (٤) :

١ - التعريف يعني تحديد المعرف ، والدعوة كانت من الوضوح لديهم بحيث لا تحتاج إلى تحديد .

٢ - أن كل واحد من السلف كان يعدّ الدعوة من أعماله الأساسية ، وواجباته الأولى ، مما دفعهم إلى ترك الاصطلاحات المقيدة للدعوة .

٣ - أخذهم بأسلوب القرآن بالتركيز على الصفات ، وعدم الخوض في الماهيات ، كما في قصة بني إسرائيل وذبح البقرة (٥) .

وبالنظر إلى تعريفات العلماء المحدثين للدعوة يمكن القول : إن بعض تلك التعاريف انصبّ على عملية الدعوة ذاتها والغاية منها ، ويظهر ذلك في تعريف كل من :

الشيخ آدم عبدالله الألوري حيث يقول : « صرف أنظار الناس وعقولهم إلى فكرة

(١) ذكره ابن منظور في لسان العرب ٢٥٩/١٤ ، وانظر : جبهة أشعار العرب ٥٠١/٢ .

(٢) لسان العرب ٢٥٩/١٤ ، مادة (دَعَوَ) .

(٣) سورة الأحزاب آية ٥ .

(٤) انظر : مذكرة مادة « تاريخ الدعوة » للدراسات العليا ، لعام ١٤٠٩ هـ ، تحت عنوان « معنى الدعوة اصطلاحاً » .

(٥) الآيات في سورة البقرة من ٦٧ حتى ٧١ .

أو عقيدة ، وحثهم عليها « (١) .

والشيخ علي محفوظ الذي قال : « حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل » (٢) .

والدكتور محمد حسن كاسولي في قوله : « هي عملية دعوة الناس إلى التمسك بالإسلام أو اعتناقه ، أو تطبيق مبادئه وممارسة شعائره » (٣) .

وهناك تعاريف أخرى تنزع إلى جعل الدعوة علماً ذا أصول وأركان رئيسة تمثل انطلاقة العملية الدعوية ، منها :

تعريف الدكتور أحمد أحمد غلوش ، قال : « هي العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة ، الرامية إلى تبليغ الإسلام للناس ، بما حوى من عقيدة ، وشرعية ، وأخلاق » (٤) .

ويقرب منه تعريف الشيخ محمد الغزالي (٥) على ما فيه من عموم وسعة .

ولا يعنينا إيراد التعاريف وسردها بقدر ما يعنينا ماتفيده من مدلول وترمي إليه من مقاصد ، وهي بجمالها تنبّه وتركز على أن الدعوة لا بد أن تقوم على أسس قوية ، ودعائم ثابتة ، ينطلق القائمون بها تجاه غاية نبيلة يسعون إلى تحقيقها مستعملين كافة الوسائل المتاحة والمباحة والتي كان منها أسلوب « الوصايا » .

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية بين أمس واليوم ص ١٧ .

(٢) هداية المرشدين ص ١٨ .

(٣) الدعوة الإسلامية ، الوسائل ، المخطط ، المداخل ، ص ٣١٥ . وتعريف فتحي يكن ، و أبوالمجد نوفل ، و محمد السيد الوكيل ، و محمد عمر الخطيب ، من هذا القبيل .

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، ص ٦٠ .

(٥) مع الله ص ١٧ .

تعريف العلم وصفة العلماء

التعريف اللغوي :

العلماء جمع عالم وَعَلِيمٌ ، وعالم هو الاسم من عَلِمَ ، يَعْلَمُ ، عَلِمًا ، ومثله عَلِمَ ، والمصدر منه الْعِلْمُ ^(١) ، وهو صفة من صفات الله تبارك وتعالى ، ذكرتها كثير من الآيات الكريمة في القرآن الكريم منها :

﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴾ ^(٢) .

﴿ ولسليمان الريح عاصفةً تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء

عالمين ﴾ ^(٣) .

﴿ عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾ ^(٤) .

والعلم : نقيض الجهل ، ويأتي في اللغة على معانٍ منها : اليقين ^(٥) ، والإتقان ، يقال : علم الأمر وتعلمته أي أتقنه ^(٦) . والشعور بالأمر ، يقال : ما علمتُ بقدم زيدٍ ، أي ما شعرت به ^(٧) . والمعرفة ^(٨) ، كما في قوله تعالى : ﴿ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ ^(٩) . قال الطبري : « وقيل : « لا تعلمونهم » ، فاكتفى لـ « العلم » بمنصوب واحد في هذا الموضع ، لأنه أريد : لا تعرفونهم ، كما قال الشاعر :

(١) انظر : ابن منظور ، لسان ٤١٧/١٢ ، مادة « عَلِمَ » .

(٢) سورة البقرة آية ٢٣١ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٨١ .

(٤) سورة الجن آية ٢٦ .

(٥) انظر : الفيومي ، المصباح المنير ٤٢٧/٢ ، مادة « عَلِمَ » .

(٦) انظر : لسان العرب ٤١٨/١٢ ، مادة « عَلِمَ » .

(٨) انظر : المصباح المنير ٤٢٧/٢ ، مادة « عَلِمَ » .

(٩) سورة الأنفال آية ٦٠ .

فإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُنِيْ وَيَهْبَأُ وَأَنَا سَوْفَ نَلْقَاهُ كِلَاتَا « (١) »
 كما تأتي المعرفة بمعنى العلم (٢) ، كما في قوله تعالى : ﴿ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ
 مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٣) ، وعلق الفيومي رحمه الله على تداخل العلم والمعرفة
 فقال : « ضُمَّنَ كل واحد معنى الآخر ، لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقاً بالجهل ،
 لأن العلم وإن حصل عن كسب ؛ فذلك الكسب مسبوقٌ بالجهل » (٤) .
 قال الراغب الأصفهاني : « وأعلّمته وعلمته في الأصل واحد ، إلا أن الإعلام
 اختصّ بما كان بإخبار سريع ، والتعليم اختصّ بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه
 أثر في نفس المتعلم » (٥) ، وقد يأتي التعليم بمعنى الإعلام ، كما في قوله تعالى ﴿ قل
 أتعلّمون الله بدينكم ﴾ (٦) ، وقول معدي كرب الزبيدي (٧) :
 تَعَلَّمَ أَنْ خَيْرَ النَّاسِ طَرّاً قَتِيلٌ بَيْنَ أَحْجَارِ الْكَلَابِ

التعريف الاصطلاحي :

وقف العلماء حيال وضع تعريف محدد لـ « العلم » موقفين ، فبعض العلماء رفض
 تعريف العلم ، وأنكر على من عرّفه ، قال ابن حجر : « وقد أنكر ابن العربي - رحمه
 الله - في شرح الترمذي على من تصدى لتعريف العلم ، وقال : هو أبين من أن يبين » (٨) ،

(١) الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٨/١٤ - ٣٩ ، والبيت - كما ذكر المحقق - للشاعر

النمر بن تولب العُكَلِي ، ذكره الزمخشري في « المفصل في علم العربية » ص ٨٨ .

(٢) انظر : الفيومي ، المصباح المنير ٤٢٧/٢ ، مادة « عَلِمَ » .

(٣) سورة المائدة آية ٨٣ .

(٤) المصباح المنير ٤٢٧/٢ .

(٥) المفردات في غريب القرآن ٣٤٣ .

(٦) سورة الحجرات آية ١٦ .

(٧) ذكره ابن منظور في « لسان العرب » ٤١٧/١٢ . والكَلَاب : اسمٌ لماء بين الكوفة والبصرة ، وقيل : ماء

بين جبلة وشام ، وفيه كان الكَلَاب الأول ، والكَلَاب الثاني . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ٤٧٢/٤ .

(٨) فتح الباري ١٤١/١ .

وهذه أيضاً طريقة حجة الإسلام الغزالي في كتابه - إحياء علوم الدين - حيث شرع ببيان فضل العلم ، ولم يتعرض للنظر في حقيقته ^(١) ، سيراً على أساليب العرب القديمة بذكر فضيلة المقصود إذا كانت حقيقته ظاهرة مكشوفة . ولعل وضوح العلم وبيانه جعلاً من العسير وضع حدّ له .

والفريق الآخر من العلماء لم يجد حرجاً في وضع حدّ أو تعريف للعلم ، فاجتهدوا في ذلك ، وصدرت عنهم تعاريف متعددة ، فيها بعض الاختلاف ، وفيما يلي جملة منها :

تعريف ابن عبد البر : قال : « حدّ العلم عند الفقهاء المتكلمين في هذا المعنى هو » ما استيقنته وتبيّنته ^(٢) ، ثم تعرض لشرح التعريف فبيّن أن كل من استيقن شيئاً وتبينه فقد علمه ، ومن لم يستيقن الشيء ، وقال به تقليداً ، لم يعلمه ، وبناءً على هذا فرق بين التقليد والاتباع فقال : « الاتباع هو أن تتبع القائل على ما بان لك من فضل قوله وصحة مذهبه ، والتقليد أن تقول بقوله وأنت لا تعرفه ، ولا وجه القول ، ولا معناه ، وتأبى سواه ^(٣) ، ثم ذكر نوعاً آخر للتقليد فقال : « أو يتبين لك خطؤه ، فتتبعه مهابة خلافه ، وأنت قد بان لك فساد قوله ، وهذا محرّم في دين الله ^(٤) .

تعريف الراغب الأصفهاني : قال : « هو إدراك الشيء بحقيقته ^(٥) » ثم بيّن تعريفه

(١) انظر الإحياء ٤/١ ، وقد أشار ابن حجر إلى منهجه هنا في المرجع السابق .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٣٦/٢ .

(٣) المرجع السابق ٧٣/٢ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المقدرات في غريب القرآن ٣٤٣ .

فذكر أنه على ضربين ، الأول : « إدراك ذات الشيء » ^(١) ، ومنه قوله تعالى : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » ^(٢) ، والثاني : « الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له ، أو نفي شيء هو منفي عنه » ^(٣) ، نحو قوله عز وجل : « فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار » ^(٤) .

وتجدر الإشارة إلى أن كلا التعريفين متقاربان ، فالأول نص على اليقين ، والآخر أكد على الحقيقة ، وحقيقة الشيء - كما قال الجرجاني - « هو الشيء الثابت قطعاً وقيناً » ^(٥) ، ويقاربهما في المعنى - أيضاً - تعريف الجرجاني الآتي :

تعريف الشريف علي الجرجاني : قال : « هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع » ^(٦) . ثم أعقب تعريفه بعدد من التعاريف ، أسوق للقارئ بعضها ليتبين حدود الاختلاف فيها ^(٧) :

- « قال الحكماء : هو حصول صورة الشيء في العقل » ،
- « وقيل : هو إدراك الشيء على ما هو به » ،
- « وقيل : زوال الخفاء من المعلوم ، والجهل نقيضه » ،
- « وقيل : العلم صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات » ،
- « وقيل : العلم وصول النفس إلى معنى الشيء » .

ولا عجب من اختلاف التعريفات ، لأنه لا أحد يستطيع الإحاطة بحدود العلم ،

(١) (٢٠١) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ٢٤٣ .

(٢) سورة الأنفال آية : ٦٠ .

(٤) سورة المتحنة آية : ١٠ .

(٥) التعريفات ص ٩٠ .

(٦) (٧٠٦) المرجع السابق ص ١٥٥ .

قال تعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ (١) ، والتعريف الجامع المانع : من شروطه إحاطة قائله بما يعرفه ، وبناء على ذلك فإن كل واحدٍ ممن عرف العلم ، إنما عرف ما يعرفه ، ونقص من تعريفه بقدر ما ينقصه .

مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى « عَالِماً » * :

العالم من صفات الكمال لله عز وجل ، وتعني في حقه : الذي لا يخفى عليه شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ (٢) ، وفي قوله تعالى : ﴿ علام الغيوب ﴾ (٣) ، إشارة بيّنة إلى إحاطة علم الله تعالى بكل شيء ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون .

أما في حق البشر فقد رويت آثار عن النبي ﷺ ، وأقوال لعلماء من السلف الصالح ، تذكر نبذاً من صفات العالم ، فمن الآثار المروية عن النبي ﷺ ما يلي : ما روي عن عبدالله بن مسعود أن النبي ﷺ قال له : « يا عبدالله بن مسعود ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : أتدري أي الناس أعلم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان مقصراً في العمل » (٤) .

ما رواه طاوس مرسلأ أنه قيل : « يا رسول الله ، أي الناس أعلم ؟ قال : من جمع

* الحديث هنا عن العلم الشرعي لأن الرصايا مرتبطة به .

(١) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(٢) سورة الحاقة آية : ١٨ .

(٣) وردت في آيتين من سورة المائدة رقم ١٠٩ ، ١١٦ ، وفي سورة التوبة آية : ٧٨ ، وفي سورة سبأ آية : ٤٨ .

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ١٧٧/٤ . وابن عبد البر في جامع العلوم والحكم ٤٣/٢ . والحاكم ، كتاب التفسير ، باب الفرقة الناجية من بين سائر الأمم ، المستدرک ٢٨٠/٢ .

- علم الناس إلى علمه ، وكل طالب علم غرثان علم « (١) .
 ومن أقوال السلف الصالح في ذكر بعض صفات العالم ما يلي :
 قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « إن الفقيه حق الفقيه من
 لم يُقنَط الناس من رحمة الله ، ولم يُرَخَّصْ لهم في معاصي الله ، ولم يؤمنهم من عذاب
 الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره » (٢) .
 وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : « كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاعتزاز
 بالله جهلاً » (٣) .
 وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : « لا تكون عالماً حتى تكون متعلماً ، ولا تكون
 بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً » (٤) .
 وقال سعيد بن أبي عروبة رحمه الله تعالى : « من لم يسمع الاختلاف فلا تعدوه
 عالماً » (٥) .
 وقال بعض الحكماء : « لا يسلم العالم من الخطأ ، فمن أخطأ قليلاً وأصاب كثيراً
 فهو عالم ، ومن أصاب قليلاً وأخطأ كثيراً فهو جاهل » (٦) .

فهذه الآثار تتحدث عن صفات إذا توفرت في المرء كونه عالماً ، قادراً على
 الوعظ والإشاد ، هي : الاستمرار في طلب العلم ، والتعرف على الأحكام الشرعية ،

(١) رواه الدارمي ، المقدمة ، برقم ٢٩١ . السنن ٧٤/١ . الغرث : الجوع ، والمراد به هنا أن طالب العلم لا
 يشبع منه . انظر صحاح الجوهري ٢٨٩/١ ، مادة (غَرَّثَ) .

(٢) رواه الدارمي ، المقدمة ، برقم ٣٠٣ . السنن ٧٦/١ .

(٣) رواه ابن عبدالبر في « جامع العلوم والحكم » ٤٥/٢ .

(٤) رواه الدارمي ، المقدمة ، برقم ٢٩٩ . السنن ٧٦/١ .

(٥) رواه ابن عبدالبر في « جامع العلوم والحكم » ٤٦/٢ .

(٦) رواه ابن عبدالبر في « جامع العلوم والحكم » ٤٨/٢ .

تعريف الاحتضار

الاحتضار: مصدر الفعل الخماسي « احتضر » وأصل بناء الكلمة من « حَضَرَ » ،
والحضور ضد الغيب أو الغيبة .

وكلمة « مُحْتَضِرٌ » تُطلق على الرجل يصيبه اللَمَمُ والجُنُونُ ، ومنه قول الراجز :
وَأَنَّهُمْ بِدَلْوَيْكَ نَهَيْمُ الْمُحْتَضِرُ فَقَدْ أُتَتْكَ زَمْرًا بَعْدَ زَمْرٍ (١)

كما تقول العرب : اللَّبَنُ مُحْتَضِرٌ وَمَحْضُورٌ فغَطَّهُ ، أي كثير الآفة ، بمعنى يحتضره
الجن والدواب وغيرها من آفات الأرض ، ومن ذلك ما جاء في الحديث الشريف : عن
زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن هذه الحشوش مُحْتَضِرَةٌ ، فإذا أتى
أحدكم الخلاء فليقل : أعوذ بالله من الخبث والخبائث » (٢) ، قال الخطابي : « أي
تحضرها الشياطين » (٣) .

واستعير هذا الفعل للمريض إذا دنا موته ، فيقال حُضِرَ واحْتَضِرَ ، وذلك إذا نزل
به الموت ، وحضره الملك .

ويقال للشاب إذا مات فتياً : اختضر - بالحاء المعجمة - ، لأنه يؤخذ في وقت
الحسن والإشراق ، وإن كان بعض العلماء عد ذلك تصحيفاً (٤) .

(١) النهم في الشيب: العناية به وبلوغ الهمة فيه ، انظر : الفروزآبادي ، القاموس المحيط ١٨٤/٤ مادة
« نهم » . والزمر : الجماعات من الناس . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٣٢٨/٤ مادة « زمر » .

(٢) رواه أبوداود ، كتاب الطهارة ، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ، برقم ٦ . السنن ١٦/١ - ١٧ .
وابن ماجة ، كتاب الطهارة ، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ، برقم ٢٩٦ . السنن ١٠٨/١ .
والإمام أحمد في مسنده ٣٦٩/٤ .

(٣) معالم السنن بحاشية سنن أبي داود ١٧/١ .

(٤) راجع تعريف الاحتضار : لسان العرب ١٩٦/٤ و٢٠٠ ، مادة « حَضَرَ » ، والقاموس المحيط
١٠/٢ - ١١ ، مادة « حَضَرَ » ، والزيدي ، تاج العروس ١٤٨/٣ - ١٤٩ ، مادة « حَضَرَ » .

تعريف القرون الثلاثة الأولى

أولاً : معنى « قَرْنٌ » في اللغة :

قال ابن فارس : « القاف والراء والنون أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء ، والآخر شيء يُنتأ بقوة وشدة » (١) .

فمن الأصل الأول : القِرْن ، وهو الثَدُّ ، يقال : قِرْنُكَ في الشجاعة . والقِرْنُ التقاء الحاجبين . والقِرَانُ يعني الجمع بين الحج والعمرة ، وأكل تمرتين معا ، والحَبْلُ يُقْرَنُ به شيان . كما يطلق القِرْنُ على الحَبْل ، ومنه قول جرير (٢) :

أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ
أَنْتِي لَدَى الْبَابِ كَالْمَشْدُودِ فِي قِرْنِ

أما الأصل الثاني : فيطلق القِرْنُ للشاة وغيرها ، وهو ناتئ وقوي ، كما يقصد به الخصلة من الشعر « الذؤابة » وجمعها قُرُونٌ (٣) ، قال الأخطل يصف النساء (٤) :

وَإِذَا نَصَبْنَ قُرُونَهُنَّ لِعَذْرَةٍ
فَكَأَنَّمَا حَلَّتْ لَهُنَّ نُذُورُ

أما قول العرب عن الروم « ذات القرون » فأورد الأزهري له معنيين (٥) :

أ - قيل لهم « ذات القرون » لتوارثهم الملك قرناً بعد قرن ، ويؤيده ما روي عن النبي ﷺ : « فارس نطحة أو نطحتان ، ثم لا فارس بعدها أبداً ، والروم ذات القرون ،

(١) معجم مقاييس اللغة ٧٦/٥ ، مادة « قَرَنٌ » .

(٢) انظر : المرجع السابق .

(٣) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٣٣١/١٣ مادة « قَرَنٌ » .

(٤) انظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ٨٧/٩ - ٨٨ ، مادة « قَرَنٌ » .

(٥) انظر : المرجع السابق ٨٨/٩ ، مادة « قَرَنٌ » .

أصحاب بحر وصخر ، كلما ذهب قَرْنٌ خَلْفَهُ قَرْنٌ « (١) .

ب - وقيل : سُمُوا بذلك لقرون شعورهم ، وتوفيرهم إياها ، وأنهم لا يجزؤونها ، فعرفوا بذلك .

ويطلق القَرْنُ على الحجر الأملس الذي لا أثر فيه (٢) ، وعلى الجَبَلِ الصغير المنفرد (٣) ، ونقل الأزهري عن الأصمعي أن الـ « قَرْنٌ » اسم لجبلٍ مُطِلٍّ على عرفات ، وأنشد لخداش ابن زهير (٤) :

وَأَصْبَحَ عَهْدُهُ كَمَقْصِ قَرْنٍ فَلَا عَيْنٌ تُحَسُّ وَلَا أُنَارُ

وقد يراد به سيّد القوم ، وحد السيف والنّصل (٥) ، وفسر بعض أهل العلم قول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه : « إن لك كنتراً من الجنة ، وإنك لذو قرنيها » (٦) ، بأنه أراد طرفي الجنة (٧) ، وعارضه أبو عبيد فقال : « لا أحسبه أراد هذا ، ولكنه أراد بقوله « ذو قرنيها » أي ذو قرني هذه الأمة ، فأضمر الأمة ، وكنتى عن غير مذكور ، كما قال عزوجل : « حتى توارت بالحجاب » (٨) ، أراد الشمس ولا ذكر لها » (٩) ، وقال أحمد بن يحيى : « يعني جبلها ، وهما الحسن والحسين - رضي الله عنهما » (١٠) .

وخرج عن هذين الأصلين - كما ذكر ابن فارس - استخدام القرن : للدُّفْعَة من العرق أو المطر ومنه قول زهير (١١) :

(١) رواه ابن أبي شيبة ، كتاب الجهاد ، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه ، المصنف ٥ / ٢٩٨ .

(٢) انظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ٨٧/٩ - ٨٨ ، مادة (قَرْنٌ) .

(٣) انظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ٧٧/٥ ، مادة (قَرْنٌ) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٨٨/٩ ، مادة (قَرْنٌ) .

(٥) انظر : المعجم الوسيط ٧٣٧/٢ ، مادة (قَرْنٌ) .

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٥٩/١ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة ٨٩/٩ ، مادة (قَرْنٌ) .

(٨) سورة ص آية : ٣٢ .

(٩) تهذيب اللغة ٨٩/٩ - ٩٠ ، مادة (قَرْنٌ) . وابن منظور ، لسان العرب ٣٣٣/٣ ، مادة (قَرْنٌ) .

(١١) انظر : معجم مقاييس اللغة ٧٧/٥ ، مادة (قَرْنٌ) . ولسان العرب ٣٣٣/٣ ، مادة (قَرْنٌ) .

نُعَوِّدُهَا الطَّرَادَ فَكُلُّ يَوْمٍ يُسَنُّ عَلَى سَنَائِكِهَا قُرُونٌ
وللأمة من الناس ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ (١) ، أو بمعنى
الوقت (٢) .

ثانياً : المراد بالقرون في الحديث الشريف :

اختلف في المراد بالقرون في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » (٣) ، فذهب ابن الأثير وآخرون إلى أن القرن : أهل كل زمان وجد فيه نبي ، أو طبقة من أهل العلم ، وهو مقدار التوسط في أعمارهم ، مشتق من الاقتران ، ومعناه : الناس الذين كانوا مقترنين في ذلك الوقت (٤) ، ويرى أبو إسحاق أن القرن كل أمة هلكت فلم يبق منهم أحد (٥) .

وذهب فريق آخر إلى أن القرن : الوقت من الزمان ، وهؤلاء منهم من قال : هو مطلق من الزمن (٦) ، ومنهم من حدده بزمن معين ، واختلفوا في ذلك المقدار (٧) ، فقال الحسن : عشر سنين ، وقال النخعي : أربعون سنة ، ويشهد له قول الجعدي (٨) :

(١) سورة الفرقان آية ٢٨ .

(٢) انظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ٧٧/٥ ، مادة (قَرَنَ) .

(٣) رواه الإمام البخاري ، كتاب الشهادات ، باب لا يُشهد على شهادة جور إذا أشهد ، برقم ٢٦٥٢ ، فتح الباري ٢٥٩/٥ . والإمام مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، برقم ٢١٢ (. . .) . الصحيح ١٩٦٣/٤ . وابن ماجه ، كتاب الأحكام ، باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد برقم ٢٣٦٢ . السنن ٧٩١/٢ .

(٤) انظر : الأزهرى ، تهذيب اللغة ٨٧/٩ ، مادة (قَرَنَ) ، وابن الأثير ، النهاية ٥١/٤ .

(٥) النووي على مسلم ٨٥/١٦ .

(٦) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٣٣٤/٣ ، مادة (قَرَنَ) .

(٧) انظر : النووي على مسلم ٨٥/١٦ . والنهاية ٥١/٤ ، وتهذيب اللغة ٩٤/٩ .

(٨) لسان العرب ٣٣٣/٣ ، مادة (قَرَنَ) .

ثلاثة أهلين أفنيتهم وكان الإله هو المستأسا

قال ابن منظور : « قال هذا وهو ابن مائة وعشرين سنة » (١) . حكى عن قتادة أن القرن سبعون سنة ، وقيل : ثمانون سنة . وقال عبدالمملك بن عمير : مائة سنة . وقال زرارة ابن أبي أوفى : مائة وعشرون سنة .

ورجح أبوالعباس المبرد مذهب من قال بأنه مائة سنة ، لما ورد عن النبي ﷺ أنه مسح على رأس غلام وقال : « عش قرناً » فعاش مائة سنة (٢) .

أما النووي رحمه الله تعالى فقال : « الصحيح أن قرنه ﷺ الصحابة ، والثاني التابعون ، والثالث تابعوهم » (٣) ، وبه قال الأزهري (٤) .

وقد سرت في الأطروحة على مارجحه أبو العباس المبرد من أن القرن مائة سنة ، وبناءً على ذلك فإن ميدان البحث يبدأ من السنة الأولى للهجرة حتى سنة ثلاثمائة .

(١) لسان العرب ٣/٣٣٣ ، مادة (قَرَنَ) .

(٢) انظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ٩/٩٤ ، مادة (قَرَنَ) .

(٣) النووي على مسلم ١٦/٨٥ .

(٤) تهذيب اللغة ٩/٨٧ ، مادة (قَرَنَ) .

المطلب الثاني

مشروعية الوصايا وحكمها

مشروعية الوصايا وحكمها

الأمر المشروع هو السائغ السالك ، والمراد بالمشروعية هنا المسوغات الشرعية للوصايا في مصدر التشريع الإسلامي ، والكتاب والسنة .
والقارئ المتأمل في أمر الوصايا يجد اهتماماً واضحاً في كل من مصدرَي التشريع ، القرآن والسنة ، حتى إنها وردت فيهما متضمنة أهم وأدق القضايا الشرعية .

أولاً : الوصايا في القرآن الكريم :

تناولت الوصايا في القرآن الكريم موضوعات مختلفة ، منها :

١ - الموارث : قال تعالى : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وصية من الله والله عليم حكيم ﴾ (١) .

هاتان الآيتان مع آية الكلاله (٢) هي أصول علم الفرائض في الإسلام ، وهي التي دارت عليها جميع التصانيف والمؤلفات قديماً وحديثاً ، حيث بينت الفرائض ، وأصحابها . ولم يُسند الله تعالى قسمة الموارث لأحد غيره ، وبين لعباده أن ذلك لقصور الذهن البشري عن الوصول إلى الكمال والعدل التام في تقسيم الموارث ، حيث قال : ﴿ آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً ﴾ (٣) ، ومن هنا كان علم الفرائض توقيفياً ، لم يرد الاجتهاد فيه إلا في مسائل يسيرة ، ك (مسألة الغراوين ، والمسألة المشتركة) (٤) .

(١) سورة النساء : الآيتان : ١١ - ١٢ .

(٢) آخر آية في سورة النساء .

(٣) سورة النساء : آية : ١١ .

(٤) انظر مسألة الغراوين : التحفة الخيرية على الفوائد الشنشورية ٨٥ - ٨٦ . والمشاركة في المرجع السابق « ١٢٦ » .

٢ - الصلاة والزكاة : قال تعالى - فيما يحكيه عن عيسى عليه السلام - :
﴿ وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً ﴾ (١) .

فالصلاة عبادة أمر الله تعالى بها سائر الأمم ، فإبراهيم عليه الصلاة قال فيما حكى عنه القرآن الكريم - : ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾ (٢) ، وأمر الله سبحانه بها نبيه موسى عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى : ﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ (٣) كما أمر بها عيسى عليه الصلاة والسلام ، وفرضها على نبيينا محمد ﷺ وأمه .

والوصية في قوله تعالى : ﴿ وأوصاني ﴾ تعني التكليف ، قال ابن حبان : « ويجوز أن يضم فعل في معنى أوصاني وهو كلفني لأن أوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد » (٤) ، ونبه القرطبي رحمه الله على أن ذلك التكليف ليس حيث نطق به عيسى عليه السلام حيث كان في المهد ، بل إذا بلغ حد التكليف ، قال : « أي لأؤديهما إذا أدركني التكليف وأمكنني أداؤهما » (٥) .

٢ - يرُ الوالدين : قال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ، وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (٦) .
والمراد بالوصية في هذه الآية - كما ذكر الزمخشري - التعهد والمراعاة ، ومعنى الآية : « أي وصيناه بإتيان والديه حسناً ، أو بإيلاء والديه حسناً ، أي فعلاً ذا حُسن ،

(١) سورة مريم آية ٣١ .

(٢) سورة إبراهيم آية : ٤٠ .

(٣) سورة طه آية : ١٤ .

(٤) البحر المحيط ١٨٨/٦ . وذكر معان أخرى ذكرها العلماء لهذه الآية ١٨٨/٦ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠٣/١ .

(٦) سورة العنكبوت آية : ٨ .

أو ما هو في ذاته حَسَنٌ « (١) ، فالإحسان في معاملتهما واجب ، قرنه الله تعالى بعبادته في قوله سبحانه : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾ (٢) ، إلا ما كان من قبيل الشرك ، أو ما فيه معصية لله تعالى ، فلا تجب الطاعة لهما آنئذٍ ، وفي هذا تنبيه على أن كل حق وإن عظم إذا عارض حقاً لله تعالى سقط .

ويذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، الذي كان باراً بأمه ، فلما أسلم وبلغها إسلامه حلفت ألا تذوق طعاماً ولا شرباً حتى يترك دينه ، أو تموت فيعير بها ، فقال لها : « يا أمه لو كان لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا ، فإن شئت فكلني ، وإن شئت فلا تأكلي » فلما رأت ذلك أكلت (٣) .

٤ - التقوى : قال تعالى : ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ (٤) .

فالتقوى - كما تبين الآية الكريمة - وصية الله تعالى للأولين والآخرين ، ولعل ذلك لأنها تكون الإطار الذي يحدد سلوك المسلم والداعية بخاصة ، وتنمي الدافع الذاتي لديه ، وتعني الوصية في هذه الآية الأمر (٥) ، أي أمر هذه الأمة والأمم السالفة بالتقوى ، قال الزمخشري : « يعني أنها وصية قديمة ما زال يوصي بها الله عباده ، لستم بها مخصوصين » (٦) ، فحق الله تعالى أن يكون مطاعاً في خلقه غير معصياً ،

(١) الكشاف للزمخشري ١٩٧/٣ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٢٣ .

(٣) انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٣٢٨/١٣ ، وجاءت الوصية ببر الوالدين في سورة لقمان آية : ١٤ ، والأحقاف آية : ١٥ .

(٤) سورة النساء آية : ١٣١ .

(٥) انظر : الكشاف للزمخشري ٥٦٩/١ . والشوكاني ، فتح القدير ٥٢٣/١ .

(٦) الكشاف للزمخشري ٥٦٩/١ .

يتقون عقابه ، ويرجون ثوابه (١) .

٥ - الوصية بدين الله تعالى عامة : قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ (٢) .

وتشير هذه الآية الكريمة إلى الأصل الواحد لدين الله تعالى ، يقول النبي ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » (٣) ، فكل رسالة تالية امتداد للرسالة السابقة ، وما زالت الرسائل التالية في اتساع وشمول حتى بلغت الكمال في الرسالة الخاتمة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (٤) ، وما أن الذي شرعه الله تعالى للنبي ﷺ ، هو الذي وصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، فإن وصية الله تعالى لهم ولأتباعهم : ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ « فيقيموا الدين ، ويقوموا بتكاليفه ، ولا ينحرفوا عنه ، ولا يلتوتوا به ، يقفوا تحت رايته صفاً ، وهي راية واحدة ، رفعها على التوالي نوح وإبراهيم وموسى وعيسى - صلوات الله عليهم - حتى انتهت إلى محمد - ﷺ - في العهد الأخير » (٥) .

(١) يأتي الحديث مفصلاً عن التقوى وأهميتها في الباب الثالث من هذه الرسالة ص ٢٧٣ .

(٢) سورة الشورى آية : ١٣ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وأذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها ﴾ [مريم ١٦] برقم ٣٤٤٣ ، فتح الباري ٦ / ٤٧٨ ، والإخوة لعلات هم الإخوة لأب . انظر : ابن حجر ، فتح الباري ٦ / ٤٨٩ .

(٤) سورة المائدة آية : ٣ .

(٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن الكريم ٥ / ٣١٤٨ .

وحمل الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليهم الوصية الربانية ، ونقلوها إلى من يليهم ، ومن ذلك ما حكى القرآن الكريم عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ، في قوله تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (١) ، والضمير في « بها » يعود - كما ذكر المفسرون - إلى قوله ﴿ أسلمت لرب العالمين ﴾ (٢) ، قال الطبري : « وهي - أي الكلمة - الإسلام الذي أمر به نبيه ﷺ ، وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله ، وخضوع القلب والجوارح له » (٣) ، والوصية تؤكد وتحث على لزوم الإسلام ، والتمسك به ، وعدم مفارقتة ، طيلة مراحل الحياة ، وفي هذا تنبيه لذوي النفوس المسوفة إلى خطر الابتعاد عن الدين أو التقصير فيه ، لأنه لا يدري متى يَفْجَأَه الموت ، وقد يأتيه على تلك الحال ، فيختم له بسخط الله تعالى وعذابه .

وقد بين القرآن الكريم أن من الأسباب الرئيسة للنجاة والفلاح التواصي بالحق والخير ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة ﴾ أولئك أصحاب الميمنة ﴿ (٤) ، فالذين تواصوا بالصبر : على طاعة الله ، وعن معاصيه ، وعلى ما أصابهم من البلاء والمصائب ، وبرحمة الخلق ، فرحموا اليتيم والمسكين ، هؤلاء يعطون كتبهم يوم تطاير الصحف بأيمانهم (٥) ، ويقتحمون العقبة وهي جبل في جهنم مصعدا سبعة آلاف سنة ومهبطها سبعة آلاف سنة (٦) ، قال الحسن :

(١) سورة البقرة آية : ١٣٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٣١ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩٣/٣ .

(٤) سورة البلد الآيتان : ١٧ ، ١٨ .

(٥) انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٧١/٢٠ .

(٦) انظر : المرجع السابق ٦٧/٢٠ - ٦٨ .

« هي عقبة شديدة في النار دون الجسر ، فاقتموها بطاعة الله » (١) .

أما سورة العصر فبينت أن جنس الإنسان واقع في دائرة الخسران ﴿ إن الإنسان لفي خسر ﴾ عدا ثلاثة أصناف ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

ثانياً : الوصايا في السنة النبوية :

وردت أحاديث نبوية ترغب في الوصية وتحث عليها ، ومن ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ماحق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » (٢) ، واستدل عدد من العلماء بهذا الحديث على وجوب الوصية ، وهو على كل حال يدل على ضرورة الأخذ بالحزم والاحتياط ، لأن الموت قد يفجأ المرء - وبخاصة من عليه حقوق لازمة - وهو على غير وصية ، ومن التفريط للمؤمن أن يغفل عن ذكر الموت والاستعداد له (٣) .

وكان النبي ﷺ يعدُّ الموت فُجْأَةً بلا وصية أخذة على أسف ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كنا عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله ، مات فلان .

(١) المرجع السابق : ٦٨/٢٠ .

(٢) رواه الإمام البخاري ، كتاب الوصايا ، باب الوصايا وقول النبي ﷺ : « وصية الرجل مكتوبة عنده » برقم ٢٧٢٨ . انظر : فتح الباري ٣٥٥/٥ . ومسلم ، كتاب الوصية ، برقم ١ (١٦٢٧) ، الصحيح ١٢٤٩/٣ . وأبوداود ، كتاب الوصايا ، باب ما جاء فيما يؤمر به من الوصية ، برقم ٢٨٦٢ ، السنن ٢٨٢/٣ - ٢٨٣ . والترمذي ، كتاب الوصايا ، باب ما جاء في الحث على الوصية ، برقم ٢٢٠١ . انظر : تحفة الأحوذى ٣٠٥/٦ . والنسائي ، كتاب الوصايا ، باب الكراهية في تأخير الوصية ، برقم ٣٦١٦ ، السنن ٩١٠ / ٢ و ٩٠٢ . ومالك ، كتاب الوصية ، باب الأمر بالوصية ، الموطأ ٧٦١/٢ . وأحمد في مسنده ٤/٢ .

(٣) انظر : ابن حجر ، فتح الباري ٣٥٨/٥ .

قال ﷺ : أليس كان معنا أنفاً ؟ قالوا : بلى . قال : يا سبحان الله كأنها أخذت على غضب ، المحروم من حُرْم الوصية « (١) ، فالوصية طاعة لله تعالى ، وأداء للحقوق إن وجدت ، وتبرئة للذمة . وإضافة إلى الحث والترغيب في الوصايا فقد عني النبي ﷺ بها في المجال العملي ، وفيما يلي نماذج صرح فيها النبي ﷺ بلفظ الوصية :

١ - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : خطبنا عُمَرُ بالجابية (٢) ، فقال : « يا أيها الناس ، إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال : أوصيكم بأصحابي ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف ، ويشهد الشاهد ولا يستشهد ، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان ، عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوة الجنة فليلزم الجماعة ، من سرته حسنته وساءت سيئته فذلكم المؤمن » (٣) .

فالوصية النبوية تناولت أموراً تهتم كل مسلم ، حيث أوصى النبي ﷺ بصحابته ثم التابعين وتابعيهم ، وهم أصحاب القرون الفاضلة ، الذين تحملوا أعباء الدعوة الإسلامية وبذلوا طاقتهم في المحافظة على الشعائر والتعاليم الإسلامية ، وتبليغها لمن بعدهم ، وتلك الخيرية لاتعني عصمتهم ، فهم كسائر البشر مجبولون على الخطأ ، لكن الخير والصلاح والتوفيق من الله تعالى لهم غالب .

(١) رواه أبو يعلى في مسنده برقم ٤١٠٨ ، ١٥٢/٤ - ١٥٣ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٩/٤ وقال : « رواه أبو يعلى وإسناده حسن » . وروى ابن ماجة آخره في كتاب الوصايا ، باب الحث على الوصية ، برقم ٢٧٠٠ . السنن ٩٠١/٢ .

(٢) الجابية : قرية قرب مرج الصفر شمالي حوران ، من أعمال دمشق . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ٩١/٢ .

(٣) رواه الترمذي ، كتاب الفتن ، باب في لزوم الجماعة ، برقم ٢٢٥٤ . تحفة الأحرادي ٢٨٣/٦ - ٢٨٥ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . ورواه الحاكم في كتاب العلم . انظر : المستدرک ١١٤/١ .

كما حذر النبي ﷺ في وصيته هذه من مقدمات المعاصي بذكره لأسوائها وهي الخلوة بالأجنبية لأنها طريق إلى الفاحشة فقال : « ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان » .

وأمر بلزوم الجماعة ، وعدم الفرقة ، فيد الله سبحانه وتعالى مع الجماعة ، وما يصدر عنها أقرب إلى الصواب ، وخطؤها قليل محتمل ، بينما الفرد عرضة لكثرة الخطأ وتجاذب الأهواء .

كما تنبه الوصية إلى ضرورة إحياء الوازع الذاتي ومراقبة النفس « من سرته حسنته وساءت سيئته فذلكم المؤمن » فهذه علامة الإيمان والإخلاص ، بخلاف المنافق إذ تستوي عنده الحسنة والسيئة .

٢ - وعن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى بل دمه الحصى ، فقلت : يا بن عباس ، وما يوم الخميس ؟ قال : اشتد برسول الله ﷺ وجعه ، قال : « انتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي ، فتنزعوا - وما ينبغي عند نبي تنازع - ، وقالوا : ما شأنه ؟ أهجر ؟ استفهموه . قال : دعوني فالذي أنا فيه خير ، أوصيكم بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » قال : وسكت عن الثالثة ، أو قالها فأنسيتها (١) .
ونقل النووي عن المهلب أن الثالثة هي تجهيز جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه ، وعن القاضي عياض قول النبي ﷺ : « لا تتخذوا قبوري وثناً يعبد » (٢) .

وهذا الحديث من جملة الأدلة التي استدل بها العلماء على أنه لا يجوز تمكين الكفار من السكنى في جزيرة العرب ، وذهبوا إلى أن الكافر لا يمنع من التردد إليها مسافراً ،

(١) انظر تخريج الحديث في باب وصايا العلماء المحضرين (الثاني) ص ١٤١ حاشية رقم (٣) .

(٢) انظر : النووي على مسلم ٩٤/١١ .

ولا يمكن من الإقامة أكثر من ثلاثة أيام ، ولا يجوز له بحال دخول مكة والمدينة (١) .
 وحدود الجزيرة العربية من أقصى عدن إلى ريف العراق ، ومن الأبلّة (٢) إلى
 جدّة ، وهي خمسة أقسام : تهامة ، والحجاز ، ونجد ، والعروض (٣) ، واليمن (٤) .
 وفائدة إجازة الوفد تطيب النفوس ، وترغيبهم في الإسلام إن لم يكونوا مسلمين
 وإعانتهم في أسفارهم .

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه : « أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت :
 صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، ونوم على وتر » (٥) .

قال ابن حجر : « الحكمة في الوصية على المحافظة على ذلك تمرين على جنس
 الصلاة والصيام ، ليدخل في الواجب منهما بانسراح ، ولينجبر ما لعله يقع فيه من
 نقص » (٦) ، ولعله اقتصر على الأمور الثلاثة المذكورة لأنها أشرف العبادات البدنية ،
 التي يقدر عليها أبوهريرة ومن كان في مثل حاله من المسلمين عامة ، ولم يوصه بالزكاة
 مثلاً لأنه ليس من أصحاب الأموال ، وفي هذا إشارة وتنبيه للداعية إلى أهمية مراعاة

(١) انظر : المرجع السابق ٩٣/١١ - ٩٤ .

(٢) هي بلد كانت على شاطئ دجلة إلى جوار البصرة وبها مسالح الأكاسرة ، ولعلها دخلت الآن ضمن مدينة
 البصرة بعد توسعها . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ٧٧/١ .

(٣) هي أرض اليمامة والبحرين وتعرف اليوم بالأحساء .

(٤) انظر : معجم البلدان ١٣٧/٢ - ١٣٨ .

(٥) رواه الإمام البخاري ، كتاب التهجد ، باب صلاة الضحى في الحضر ، برقم ١١٧٨ . انظر : فتح الباري
 ٥٦/٣ . والإمام مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان

وأكملها ثمان ركعات ، وأوسطها أربع ركعات أو ست ، والحث على المحافظة عليها برقم ٨٥

(٦) (٧٢١) و ٨٦ (٧٢٢) . الصحيح ٤٤٩/١ . والدارمي ، كتاب الصلاة ، باب صلاة الضحى ، برقم
 ١٤٦٢ . السنن ٢٧٩/١ .

(٦) فتح الباري ٥٧/٣ .

المخاطب ومعرفة مقدرته وطاقته ، ومن ثم توجيه الدعوة إليه بالقدر الذي يستطيعه ويستوعبه ، والله أعلم .

٤ - عن طلحة قال : « سألت عبد الله بن أبي أوفى ، أوصى النبي ﷺ ؟ فقال : لا فقلت : كيف كتبت على الناس الوصية ، أمروا بها ولم يوصي ؟ قال : أوصى بكتاب الله » (١) .

فالوصية بكتاب الله تعالى تعني حفظه حساً ومعنى ، فيكرم ويصان عن المواضع التي لا تليق به ، ويتبع ما فيه بالعمل بأوامره ، واجتناب نواهيه ، ومداومة تلاوته ، وتعلمه وتعليمه (٢) .

٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أوصني . قال : لاتغضب . فردد مراراً ، قال : لاتغضب » (٣) .

قال ابن حجر : « قال الخطابي : معنى قوله : لاتغضب ، اجتناب أسباب الغضب ، ولا تتعرض لما يجلبه » (٤) ، وذلك أن الغضب الذي هو من طبيعة الإنسان لا يمكن إزالته أو دفعه ، وقد يكون المعنى : « لاتفعل ما يأمرك به الغضب » (٥) .

(١) انظر تخريج الحديث في باب وصايا العلماء المحتضرين (الثاني) ص ١٤١ حاشية رقم (١) .

(٢) انظر : فتح الباري ٦٧/٩ .

(٣) رواه الإمام البخاري في كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ، ح ٦١١٦ . انظر : فتح الباري ٥١٩/١٠ .

(٤) فتح الباري ٥٢٠/١٠ .

(٥) المرجع السابق .

ثالثاً : حكم الوصية : *

إن النصوص القرآنية والنبوية التي عرضت آنفاً ، والتي نصّت على الوصية تبين مشروعية الوصايا ، وضرورتها ، وقد أجمع المسلمون على الأمر بالوصية .
أما حكم الوصية فقد انصب حديث العلماء عن حكم الوصايا المتعلقة بالحقوق والميراث ، وهم في ذلك فريقان :

أ - الفريق الأول ذهب إلى وجوب الوصية ومنهم : الزهري ، وأبو مجلز ، وعطاء ، وطلحة بن مصرف وغيرهم إلى وجوب الوصية ، واستدلوا بظاهر قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين ﴾ (١) ، ويقول النبي ﷺ : « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » (٢) .

وأكثر هؤلاء ذهبوا إلى وجوب الوصية بالجملة ، أما طائفة والحسن وجابر بن زيد فذهبوا إلى أنها تجب للقرابة الذين لا يرثون خاصة .

وذهب أبو ثور والباجي وغيرهما إلى أن المراد بوجوب الوصية في الآية والحديث يختص بمن عليه حق شرعي يخشى أن يضيع على صاحبه إن لم يوص به كوديعة ودين لله أو الآدمي ، واستدلوا لذلك بقوله ﷺ « له شيء يريد أن يوصي فيه » ، فمن ليس عنده شيء واجب الأداء فلا تجب عليه الوصية .

ب - وذهب الجمهور إلى أن الوصية مندوبة ، وأجابوا عن الآية بأنها منسوخة

* انظر حكم الوصية : الباجي ، المنتقى شرح لموطأ ١٤٥/٤ - ١٤٦ ، والبخاري الزاهد ، محاسن الإسلام وشرائع الإسلام ٩٩ ، والنووي على مسلم ٧٤/١١ - ٧٥ . وابن حجر ، فتح الباري ٣٥٨/٥ - ٣٥٩ ، والقنوجي ، وصايا الله ووصايا رسوله ووصايا صالحيه أمتة ٢٥ - ٢٨ .

(١) سورة البقرة آية : ١٨٠ .

(٢) انظر : تخريج الحديث ص ٦٢ ، حاشية رقم (٢) .

كما قال ابن عباس ، وعن الحديث بأن المراد منه - كما قال الشافعي - : « معنى الحديث : ما الحزم والاحتياط للمسلم إلا أن تكون وصيته مكتوبة عنده » (١) .

وقسم البخاري الزاهد (محمد بن عبد الرحمن) الوصية إلى : فريضة و سنة و نافلة ، فالفريضة : الإيصال بما عليه من الديون والكفارات ، والسنة : سنة الأنبياء والرسل والصالحين والوصية بوجوه القرب والخيرات ، والنافلة : أن يوصي في ماله لأصحاب المروءات والحاجات (٢) .

وبين ابن حجر أن الوصية تعتريها الأحكام الخمسة : الوجوب إذا تعلق بحقوق واجبة ، والنّدب إذا كانت من وجوه القرب ، والكراهة في عكس ذلك ، والإباحة إذا استوى الأمران ، والحُرمة إذا كان فيها إضرار (٣) .

أما الوصايا الدعوية ، فحكمها - والله أعلم - النّدب حيث نصّ ابن حجر والبخاري الزاهد رضي الله عنهما على أن الوصايا في وجوه القرب مندوبة والدعوة من جملة القرب إلى الله تعالى إن لم تكن من أفضلها .

(١) النووي على مسلم ٧٥/١١ .

(٢) انظر : محاسن الإسلام وشرائع الإسلام ٩٩ .

(٣) انظر : فتح الباري ، ٣٥٩/٥ .

المبحث الثاني

أنواع الوصايا

المطلب الأول

أنواع الوصايا من حيث مصدرها

أنواع الوصايا

للوصايا أنواع عدة يمكن تصنيفها إلى حيثيات خمس :
الأولى : من حيث المصدر ، وتنقسم فيه إلى وصايا قرآنية ،
ووصايا نبوية ، ووصايا بشرية .

الثانية : من حيث الموصى (المتلقي للوصية) ، وتتنوع الوصايا
فيه إلى : وصايا العلماء للخلفاء ، والوصايا لذوي الهيئات دون الخلافة ،
ولطلاب العلم ، وللأقارب ، ولعامّة الناس .

الثالثة : من حيث الوقت ، وهي قسمان : وصايا عامة ، ووصايا
المناسبات .

الرابعة : من حيث الموضوعات : وأقسامها : الوصايا العقديّة ،
والعبادية ، والأخلاقية ، والسياسية ، والوعظية .

الخامسة : من حيث الطبيعة ، وهي إما أن تكون وصايا مباشرة ،
ووصايا غير مباشرة ، أو وصايا جماعية ، ووصايا فردية .

ونظراً لأن الكلام في هذا المبحث يدور حول أنواع الوصايا على نحو
عام فقد قصرت الحديث فيه على حيثيات الثلاث الأولى ، وخصصت
الحديث عن الأنواع من حيث الموضوعات ، ومن حيث الطبيعة بوصايا
العلماء الدعوية عند احتضارهم في الفصل التالي لهذا المبحث إن شاء
الله تعالى .

أنواع الوصايا من حيث المصدر

تنقسم الوصايا من حيث مصدرها إلى ثلاثة أنواع : وصايا قرآنية (ربانية) ، ووصايا نبوية ، ووصايا بشرية ، والمقصود بالوصايا البشرية هي ما لم يصدر من النبي ﷺ ، وجرى التفريق بينها - مع أن النبي ﷺ بشر - لأن ما يصدر عن النبي ﷺ في جانب التشريع والدعوة مسدد بالوحي ، وهو أمر مفتقد في وصايا غيره من العلماء .

أولاً : الوصايا القرآنية (١) :

القرآن الكريم وصية رسول الله ﷺ لأمته (٢) ، فهو كتاب هداية وإرشاد ، أوحى به الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ وضمّنه أسس التربية والتقويم ، وسبل الإصلاح والتهذيب ، ومن جملة أساليبه المتنوعة والمتعددة التي استخدمها للوصول إلى ذلك الهدف السامي النبيل أسلوب « الوصايا » سواء صرح بلفظ الوصية أو لم يصرح ، فالإيحاء اللفظي والتوجيه الكلامي يشعر بأنها وصية من الله تعالى لعباده .

ومن الوصايا التي اشتملت عليها الآيات القرآنية ما يلي :

قال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقرّبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون ﴾ (٣) .
فآية الكريمة أوصت العباد بتشريعات وأحكام إلهية ، بدأت بالركيزة الأولى للإيمان ، وأعقبتها بأهم عناصر السلوك التي لاغنى للأفراد والأمم عنها .

(١) تعرضت في مبحث « مشروعية الوصايا وحكمها » لذكر نصوص قرآنية صرحت بلفظ الوصية ، ولا أجد ضرورة لإعادتها في هذا المبحث .

(٢) انظر الحديث الشريف وتخريجه ص ١٤١ حاشية رقم (١) من هذه الرسالة .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥١ .

وأولى المحرمات في الآية الكريمة ﴿ألا تشركوا به شيئاً﴾ ذلك أن الإيمان بالله تعالى أساس لقبول الأعمال وصحتها ، فإذا انتفى الإيمان ، وحل محله الشرك ، بطلت سائر الأعمال ، قال تعالى : ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ (١) ، وكل أمر دون الشرك أهون ، قال سبحانه : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (٢) ، فالأساس الأول الذي يجب توفره ليتمكن تحقق باقي الوصايا الإلهية : الإيمان بالله وعدم الإشراك به .

وأعقب أساس الإيمان ، بأساس الرابطة الأسرية فقال جلّ ذكره : ﴿وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ ، حيث أوصى الأبناء بالآباء أولاً ، فأمر ببرهم والإحسان إليهم لعظيم حقهم على الأبناء ، ثم أوصى الآباء بالأبناء ، وربط وصيته تلك بربوبيته ، فهو المتكفل برزق عباده ، فلا يضيق أحد بتبعات الإنفاق - أياً كان حاله - تجاه الآباء في كبرهما ، أو الأبناء حال ضعفهما ، قال تعالى : ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ (٣) .

ويعد الوصية بالترابط الأسري ، وصّى بما يحفظ ترابط المجتمع وطهارته ونقاءه ، فقال سبحانه : ﴿ولا تقرّبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ ، والفواحش - عند بعض المفسرين (٤) - المقصود بها الزنى ، ولعلها جاءت مجموعة لتشمل مقدماتها ، إذ كل ما يؤدي إلى الفاحشة فاحشة ، كالتبرج والاختلاط ، وما يدعو للإثارة ، كما وصّى بما يحفظ أمن المجتمع فحرم القتل حيث قال تعالى : ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ .

(١) سورة الفرقان آية : ٢٣ .

(٢) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٣) سورة النّازيات الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) انظر : الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢/٢١٨ - ٢٢٠ .

ومن هنا فإن تطبيق الوصايا التي احتوتها الآية القرآنية ، يحفظ كيان الفرد ، ويزوده بالقاعدة الإيمانية الصلبة ، ويحفظ كيان المجتمع ، فيسوده الأمن وتعمد الطهارة ، ويمتاز بالترابط ، والتآلف .

ومن الوصايا القرآنية غير المباشرة قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ (١) .

وفي هذه الآية توجيهات ربانية تخص المجتمع الإسلامي ، حيث إنها تدعو إلى السلوك الفاضل بين أفراد ، وتمنع دواعي الفرقة ، وبذور الشقاق ، فالآية تأمر بترك الظن السيء لأنه مبعث الشكوك والريب ، ولا يمكن للعلاقات الإنسانية أن تسود أو تستمر على هذا المبدأ ، لمخالفته الفطرة البشرية القائمة أولاً على البراءة .

ثم حرمت الآية ما يتبع ذلك الظن من تجسس وغيبة ، قال عزوجل : ﴿ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ ، فالتجسس يعني تتبع العورات وكشف السوءات ، والغيبة تزرع الضغائن في النفوس وكلها تكدر صفاء المجتمع المسلم ، وتطعن في سلامته ، بل تذهب الثقة به ، وهو ما لا يرغبه الإسلام من أهله ، بل يدعو إلى نقيضه .

ومن الوصايا في القرآن الكريم :

قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (٢) .

وقوله سبحانه : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتي

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

نقضت غزلهما من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أرى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴿ (١) .

وقوله عز وجل : (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴿ (٢) .

وقوله جل وعلا : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ﴿ (٣) .

وقتناز الوصايا القرآنية إجمالاً ، بشمولها ومعالجتها لأبرز المشكلات ، فقد تضمنت مناهج في الدعوة ، والتفكير ، وسلوك الفرد ، وسلوك الجماعة ، وسبل التربية المثالية للأفراد والمجتمعات .

ثانياً : الوصايا النبوية الشريفة :

الأحاديث النبوية بما اشتملت عليه من أوامر وتشريعات وتوجيهات وإرشادات هي وصايا للأمة الإسلامية ، تقودها إلى الخير والهدى ، وتسلك بها سبل الرشاد والتقوى . حيث إنها مكملة للقرآن الكريم تفسيراً وبياناً ، قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴿ (٤) ، وفيما يلي عرضٌ لبعض الوصايا النبوية في موضوعات مختلفة :

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا : « خطبنا رسول الله ﷺ يوماً

(١) سورة النحل آية : ٩٠ - ٩٢ .

(٢) سورة سبأ آية : ٤٦ .

(٣) سورة الأحقاف آية : ١٥ .

(٤) سورة النحل آية : ٤٤ .

فقال : والذي نفسي بيده - ثلاث مرات - ثم أكب ، فأكب كل رجل منا يبكي لا ندري على ماذا حلف ، ثم رفع رأسه في وجهه البشري ، فكانت أحب إلينا من حمر النعم ، ثم قال : ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ، ويصوم رمضان ، ويخرج الزكاة ، ويجتنب الكبائر السبع ، إلا فتحت له أبواب الجنة فقيل له : ادخل بسلام « (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » (٢) .

وعن أبي هارون العبيدي قال : كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدري قال : مرحباً بوصية رسول الله ﷺ ، إن رسول الله ﷺ قال لنا : « إن الناس لكم تبع ، وإنهم سيأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين ، فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيراً » (٣) .

وعن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال له : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك

(١) رواه النسائي ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، برقم ٢٤٣٨ ، السنن ٨/٥ - ٩ . والحاكم في المستدرک ، كتاب التفسير ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . المستدرک ٢٤٠/٢ .

(٢) رواه الإمام مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ، برقم ٤١ (٢٥١) . الصحيح ٢١٩/١ . والترمذي ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء في إسباغ الوضوء ، برقم ٥١ ، ٥٢ ، تحفة الأحوذی ١٧١/١ - ١٧٢ . والنسائي ، كتاب الطهارة ، باب الفضل في ذلك - أي الإسباغ - ، برقم ١٤٣ ، السنن ٨٩/١ - ٩٠ . وابن ماجه ، كتاب الطهارة وستنتها ، باب ما جاء في إسباغ الوضوء ، برقم ٤٢٧ ، السنن ١٤٧/١ - ١٤٨ . والدارمي ، كتاب الوضوء ، باب ما جاء في إسباغ الوضوء ، برقم ٧٠٤ ، السنن ١٤٣/١ .

(٣) رواه ابن ماجه ، المقدمة ، باب الوصية بطلب العلم ، برقم ٢٤٩ ، السنن ٩١/١ - ٩٢ .

- فإياك وكرائم أموالهم ، واتفق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب « (١) .
- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : « قلت : يا رسول الله ، أوصني .
- قال : أوصيك بتقوى الله فإنها رأس أمرك .
- قلتُ : يا رسول الله ، زدني .
- قال : عليك بتلاوة القرآن ، وذكر الله ، فإن ذلك لك نور في السموات ونور في الأرض .
- قلتُ : يا رسول الله ، زدني .
- قال : لا تكثر الضحك فإنه يميت القلب ، ويذهب نور الوجه .
- قلتُ : يا رسول الله ، زدني .
- قال : عليك بالجهاد ، فإنه رهبانية أمتي .
- قلتُ : يا رسول الله ، زدني .
- قال : عليك بالصمت إلا من خير ، فإنه مردّة للشيطان عنك ، وعون لك على أمر دينك .
- قلتُ : يا رسول الله ، زدني .
- قال : انظر إلى من هو دونك ، ولا تنظر إلى من هو فوقك ، فإنه أجدد أن لا تزدرى
- نعمة الله عندك .
- قلتُ : يا رسول الله ، زدني .
- قال : صلِّ قرابتك وإن قطعوك .
- قلتُ : يا رسول الله ، زدني .

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، ح ٢٩ (١٩) انظر : الصحيح ٥٠/١ . وابن خزيمة في أبواب قسمة المصدقات وذكر أهل سهمانها ، باب الأمر بقسمة الصدقة في أهل البلدة التي تؤخذ منهم الصدقة ، ح ٢٣٤٦ انظر : الصحيح ٥٨/٤ . وأبوداود في كتاب في زكاة السائمة ، ح ١٥٨٤ انظر : السنن ٢٤٢/٢ - ٢٤٣ . والترمذي في كتاب الزكاة ، باب ما جاء في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة ، ح ٦٢١ انظر : تحفة الأحوذى ٢٦٠/٣ . والنسائي في كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، ح ٢٤٣٥ انظر : السنن ٢/٥ . وأحمد في مسنده ٢٣٣/١ .

قال : تحب للناس ما تحب لنفسك .

ثم ضرب بيده على صدره فقال : يا أبا ذر ، لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق « (١) .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : « يا رسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت . قال : يا أبا بكر ، قل : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن أقترف على نفسي سوءاً ، أو أجره إلى مسلم » (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « عَفُوا عن نساء الناس تَعَفَا نساؤكم ، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، ومن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك محقاً كان أو مبطلاً ، فإن لم يفعل لم يرد على الحوض » (٣) .

وناهيك بهذه الوصايا وأمثالها جلالاً وعظيماً قدر ، فقد جمعت من الأحكام والحكم والمعارف ما يصعب حصره ، ولو طُبِّق بعضها لوقى .

ثالثاً : الوصايا البشرية :

من سنة الله تعالى في خلقه اختلاف طبقاتهم ، وأعرافهم ، واهتماماتهم ، فتجد في الأمة الواحدة فئات متباينة من الناس ، كل فئة تمتاز بمعارف وقضايا ليست عند الأخرى ، وبما أن الوصايا البشرية صادرة من البشر فلا بد أن تأخذ صفة أهلها وتضطبع

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٦٨/٢ ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالحسن ، انظر : فيض القدير ٧٧/٣ .

(٢) رواه الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب رقم ١٠١ ، حديث رقم ٣٥٨٩ ، وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، تحفة الأحرزي ٥١٤/٩ .

(٣) رواه الحاكم في المستدرک ، في كتاب البر والصلة ، ١٥٤/٤ ، والمراد بالتَّصَلُّ الاعْتِذَار . انظر : المصباح المنير ٦٠٩ .

بها ، وفيما يلي استعراض لنماذج من الوصايا البشرية :

وصايا حكماء الجاهلية :

برز في العهد الجاهلي عقلاء من الناس مارسوا الدنيا وعرفوا حلاها من قذاها فتكونت لديهم - مع ماورثوه عن آبائهم - معرفة واسعة بشؤونها وأحوالها ، وتسنى لبعض هؤلاء أن يقدم خلاصة معرفته وتجربته لأبنائه وعشيرته في حياته أو قبيل وفاته ، فقدمها وصية لهم أملاً منه في حفاظهم عليها وعملهم بها .

ومن أولئك الحكماء مالك بن المنذر البجلي^(١) ، جمع بنيه عند احتضاره وقال لهم : « يا بني ، قد أتت علي ستون ومائة سنة ما صافحت بيمينني يمين غادر ، ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ، ولا صبوت بابنة عم لي ولا كنة ، ولا طرحت عندي مومسة قناعها ، ولا بحث لصديقي بسري ، وإني لعلى دين شعيب النبي - عليه السلام - وما عليه أحد من العرب غيري ، وغير أسد بن خزيمه^(٢) ، وقيم بن مر^(٣) ، فاحفظوا وصيتي ، وموتوا على شريعتي : إلهكم فاتقوه يكفكم الهم من أموركم ، ويصلح لكم أعمالكم ، وإياكم ومعصيته ، لا يحل بكم الدمار ، وتوحش منكم الديار .

يا بني ، كونوا جميعاً ، ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً ، فإن موتاً في عز خير من حياة في ذل وعجز ، وكل ما هو كائن كائن ، وكل جمع إلى تباين ، الدهر صرفان ، فصرف رخاء ، وصرف بلاء ، واليوم يومان ، فيوم حبرة^(٤) ، ويوم عبرة ، والناس رجلان ، فرجل

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) هو أسد بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر ، جد جاهلي ينسب إليه بعض الأسديين . انظر : ابن حزم ، الجمهرة ١٩٠ و ٤٦٥ . والزركلي ، الأعلام ٢٩٧/١ .

(٣) تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، جد جاهلي ، خال بكر وتغلب ابني وائل ، وبنوه بطون كثيرة يمثلون قاعدة من أكبر قواعد العرب . انظر :

جمهرة ابن حزم ٢٠٧ . القلقشندي ، قلائد الجمان ١٣٠ . الأعلام ٨٨/٢ .

(٤) حبرة : من الجهور وهو السرور ، انظر : الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ٢/٢ ، مادة « حبر » .

معك ، ورجل عليك ، وزوجوا الأكفاء ، وليستعملن في طيبهن الماء ، وتجنبوا الحمقاء ، فإن ولدها إلى أفن^(١) ما يكون .

إنه لا راحة لقاطع ، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم ، وآفة العدد اختلاق الكلمة ، التفضل بالحسنة بقي السيئة ، والمكافأة بالسيئة الدخول فيها ، العمل بالسوء يزيل النعماء ، وقطيعة الرحم تورث إمام الهم ، وانتهاك الحرمه تزيل النعمة ، عقوق الوالدين يعقب النكد ، ويحق العدد ، ويخرب البلد .

النصيحة لا تهجم على الفضيحة ، احتمال الحقد يمنع الرد ، لزوم الخطية يعقب البلية ، سوء الرعة يقطع أسباب المنفعة ، الضغائن تدعو إلى التباين ، ثم قال :

أَكَلْتُ شَبَابِي فَأَقْسَيْتُهُ وَأَمْضَيْتُ بَعْدَ دُهُورِ دُهُورًا
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ صَاحِبَتْهُمْ فَبَادُوا وَأَصْبَحْتُ شَيْخًا كَبِيرًا
قَلِيلُ الطَّعَامِ قَصِيرُ الْقِيَا م ، قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ قَيْدِي قَصِيرًا
أَبَيْتُ أَرَاعِي نُجُومَ السَّمَاءِ ، أَقَلَّبْتُ أَمْرِي بَطُونًا ظُهُورًا^(٢)

وصايا العلماء المسلمين :

قد يكون الحكماء علماء ، لكنني فصلتُ بين حكماء الجاهلية وعلماء الإسلام لأن الوصايا الصادرة من العلماء المسلمين اصطبغت بالتوجيهات القرآنية والنبوية بل وغلبت عليها ، كما يتضح ذلك من وصاياهم فيما يأتي :

١- وصية معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال محمد بن سيرين : « أتى رجل معاذ ابن جبل ومعه أصحابه يسلمون عليه ويودعون ، فقال : إني موصيك بأمرين إن حفظتهما حفظت : إنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة

(١) يقال : أفتت الناقة إذا لم يُترك في ضرعها شيء ومن هنا قيل للأحمق مأفون ، كأنه نزع عنه عقله كله ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ١٣/١٩ ، مادة « أفن » .

(٢) أبو حاتم السجستاني ، المعرون والوصايا ١٢٣ - ١٢٥ .

أفقر فأثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا حتى تنتظمه لك انتظاماً ، فتزول به معك أينما زُلت « (١) .

٢- وصية أبي بن كعب رضي الله عنه (٢) ، قال أبو العالية الرياحي : « قال رجل لأبي ابن كعب : أوصني . قال : اتخذ كتاب الله إماماً ، وارض به قاضياً وحكماً ، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم ، شفيح مطاع ، وشاهد لا يُتهم ، فيه ذكر من قبلكم ، وحكم ما بينكم ، وخبركم وخبر ما بعدكم » (٣) .

٣- وصية قتادة السدوسي رحمه الله تعالى (٤) ، روى شيبان أن قتادة قرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٥) ، وقال : « كفى بالرهبة علماً ، اجتنبوا نقض الميثاق ، فإن الله قدم فيه وأوعد وذكره في أي من القرآن تقدمت نصيحة وحجة ، إياكم والتكلف ، والتنطع ، والغلو ، والإعجاب بالأنفس ، تواضعوا لله لعل الله يرفعكم » (٦) .

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٥٣٥/٢٠ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٣٤/١ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢١/٤ وقال : « ورجاله رجال الصحيح ، إلا أنني لم أجد لابن سيرين سماعاً من معاذ » .

(٢) أبي بن كعب بن قيس الأنصاري النجاري ، أبو المنذر ، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وأحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقرأ عليه القرآن ، وكان من فقهاء الصحابة وجلبتهم ، وفي سنة وفاته خلاف كبير ، انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤٩٨/٣ . وابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ١٢ . وابن الأثير ،

أسد الغابة ٤٩/١ . والمزي ، تهذيب الكمال ٢٦٢/٢ . وابن حجر ، الإصابة ١٩/١ .

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٥٣/١ .

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي الأكمه ، أبو الخطاب ، من حفاظ زمانه وعلمائهم بالقرآن والفقه ، وكان ثقة مأموناً حجة في الحديث ، توفي بواسط سنة ١١٧ هـ وهو ابن ست وخمسين سنة . انظر :

طبقات ابن سعد ٢٢٩/٧ . ومشاهير علماء الأمصار ٩٦ . وابن خلكان ، فتيات الأعيان ٨٥/٤ .

(٥) سورة فاطر آية : ٢٨ .

(٦) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٧٦/٥ .

٤ - وصية أبي العتاهية رحمه الله للرشيده ، ذكر ابن كثير أن هارون قال لأبي العتاهية : « عطني بأبيات من الشعر وأوجز . فقال :

لا تَأْمَنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ ولو تَمَنَّعْتَ بِالْحُجَابِ وَالْحَرَسِ
واعلَمَ بِأَنْ سِهَامَ الْمَوْتِ صَائِبَةٌ لِكُلِّ مُدْرِعٍ مِنْهَا وَمُتَرَسِ
تَرْجُو التُّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكِ مَسَالِكَهَا إِنَّ السُّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

فخر الرشيده مغشياً عليه « (١) .

وصايا الطفيليين : (٢)

يُعْنَى بِالطُّفَيْلِيِّينَ فِي السَّابِقِ الَّذِينَ يَأْتُونَ وَلَا تَمُّ الْأَعْرَاسِ وَلَمْ يَدْعُوا إِلَيْهَا ، واصطبغت حياتهم بذلك حتى استغرق فكرهم ، ومن ثم أخذوا يوصون به كما فعل طفيل العرائس نفسه .

قال التنوخي : قال أبو عبد الرحمن محمد بن عمر المرزباني : كان "طفيل العرائس" - الذي ينسب إليه الطفيليون - يوصي ابنه عبد الحميد بن طفيل في علقته فيقول :

« إذا دخلت عرساً فلا تتلفت تلتفت المريب ، وتخير المجالس ، فإن كان العرس كثير الزحام فمر وانته ، ولا تنظر في عيون أهل المرأة ولا في عيون أهل الرجل ، ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء ، ويظن هؤلاء أنك من هؤلاء ، فإن كان البواب غليظاً وقاحاً

(١) ابن كثير البداية والنهاية ٢٢٦/١٠ - ٢٢٧ . وأورد القيرواني الأبيات في كتابه " زهر الآداب " ٨٧١/٤ وزاد بعد البيت الثاني قوله :

ما بال دينك ترضى أن تدنسه وشريك الدهر مغسول من الدنس

(٢) الطفيليون نسبة إلى رجل يقال له "طفيل العرائس" ويقال إنه رجل كوفي من بني عبد الله بن غطفان ، وأنه مولى لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، كان يتتبع الأعراس ويأتيها من غير أن يدعى لها ، وكان يقول : « وددت أن الكوفة بركة مصهجة فلا يخفى علي من أعراسها شيء » . انظر :

صاحح الجوهري ١٧٥٢/٥ مادة (طفّل) . والشعالي ، ثمار القلوب ١٠٨ . والخطيب البغدادي ، التطفيل والمتطفلون ٦٨ .

فابدأ به ، ومره وانهم من غير أن تعنّفه وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال :

بب ولا من الرجل البعيد	لا تجزعن من القرب
بيديك مغرفة الشريد	وادخل كأنك طابح
م تدلّي البازي الصيد	متدلياً فوق الطعا
ند كلها لف الفهود	لتلف ما فوق الموا
وجه المطفل من حديد	واطرح حياءك إنما
ل ولا إلى غرف الشريد	لاتلتفت نحو البقو
م ضريت فيه بالشديد	حتى إذا جاء الطعا
ت فإنها عين القصيد	وعليك بالفالوذجا
ودعوتهم هل من مزيد	هذا إذا حررتهم
لموزينج الرطب العتيد	والعرس لا يخلو من الـ
ت محاسن الجام الجديد	فإذا أتيت به محو

ثم أغمي عليه ساعة عند ذكر اللوزينج^(١) ، فلما أفاق رفع رأسه وقال :

ند فعل شيطان مرید	وتنقلن على الموا
كعك المجفف والقديد	وإذا انتقلت عبثت بالـ
هذا على رغم الحسود	يارب أنت رزقتني
ت نعت يا عبد الحميد ^(٢)	واعلم بأنك إن قبلـ

وصايا العشاق :

بما أن الوصايا تصور حالة الموصي ، فقد جاء نمط من الوصايا مرتبط بالمشق لدى بعض من ابتلي به ، ومن تلك ما ذكره التنوخي أن إبراهيم بن عثمان العذري قال :

(١) اللوزينج : من الحلواء ، ذكر ابن منظور أنها تشبه القطائف وتؤدم بدهن اللوز . انظر : لسان العرب ٤٠٨/٥ ، مادة « لَوَزَّ » .

(٢) التنوخي ، نوار المحاضرة ١٤٧/٧ - ١٤٩ ، والخطيب البغدادي ، التطفيل والمتطفلون ٦٨ .

« رأيت عمر بن ميسرة ^(١) - وكان كهيئة الخيال ، وكأنه صيغ بالورس - لا يكاد يكلم أحداً ولا يجالسه ، وكانوا يرون أنه عاشق ، فكانوا يسألونه عن قصته فيقول :

يسائلني ذا اللبّ عن طول علتي وما أنا بالمبدي لذا الناس علتي
سأكتمها صبراً على حرّ جمرها وأكتمها إذا كان في السرّ راحتي
إذا كنت قد أبصرت موضع علتي وكان دوائي في مواضع لذّتي
صبرت على دائي احتساباً ورغبة ولم أك أحداثات أهلي وخلتي

قال : فما أظهر أمره ، ولا علم أحدُ بقصّته ، حتى كان عند الموت فإنه قال : إن العلة التي كانت بي من أجل فلانة ابنة عمي ، والله ما حجبني عنها وألزمني الضرّ إلا خوف الله عزوجل لا غير ، فمن بُلي في هذه الدنيا بشيء فلا يكن أحدٌ أوثق عنده بسرّه من نفسه ، ولولا أن الموت نازلٌ بي الساعة ما حدثتكم فأقرئوها مني السلام ، ومات « ^(٢) .

وفي هذه الوصية يظهر التدين والعفاف ، وحسن الالتزام .

وقد جاءت وصية أخرى لمدرّك بن عليّ الشيباني ^(٣) ، ذكرها ياقوت الحموي فقال : « قال حسّان بن محمد بن عيسى : حضرته - يعني مدرّكاً - عائداً مع جماعة من أصحابه فقال :

ألست صاحبكم القديم العشرة لكم ، أما منكم أحدٌ يسعدني بنظرة إلى وجه عمرو ؟ ^(٤) قال : فمضينا بأجمعنا إلى عمرو وقلنا له : إن كان قتل هذا الرجل ديناً ،

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) التنوخي ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ١٥٧/٥ .

(٣) هو مدرّك بن عليّ الشيباني ، أعرابي من بادية البصرة ، دخل بغداد صغيراً ونشأ بها ، فتفقه وحصل العربية والأدب ، وكان شاعراً أديباً فاضلاً . انظر : ياقوت ، معجم الأديباء ١٣٥/١٩ .

(٤) هو عمرو بن يوحنا ، غلام نصراني ، كان بدير الروم شرقي بغداد ، من أحسن الناس وجهاً ، وكان يحضر مجلساً لمدرّك يجتمع فيه الأحاديث ، فعشقه مدرّك وهام به ، فلما علم عمرو بذلك انتقطع عنه . انظر : معجم الأديباء ١٣٥/١٩ - ١٣٦ .

فإن إحياءه مروءة ، قال : وما فعل ؟ قلنا : قد صار إلى حال مانحسبك تلحقه ، قال : فلبس ثيابه ثم نهض معنا ، فلما دخلنا عليه سلم عليه عمرو وأخذ بيده فقال :

كيف تجردك يا سيدي ؟ فنظر إليه ثم أغمى عليه ثم أفاق وهو يقول :

أنا في عافية إلـ لا من الشوق إليكـ

أيها العائد مابي منك لا يخفى عليكـ

لا تعد جسمي وعد قد بآ رهيناً في يديكـ

كيف لا يهلك مرشو قُ بسهمي مقلتيكـ

ثم إنه شفق شهقة فارق فيها الدنيا ، فما برحنا حتى دفناه « (١) .

وتطالعنا كتب المواعظ والأدب ببعض الوصايا ذات الأنفاس الدعوية ، واللفتات الوعظية ، والتبيرات التنبيهية ، دون تحديد لقائلها ، بل تقتصر على تحديد صفاتهم فينسبونها إلى « حكماء » ، فهي وصايا بشرية لحكماء ولكنهم غير معروفين .

ونظراً لفائدتها ، وقوة موضوعاتها ، وعمق أثرها ، لا أجد ضيراً في ذكر نماذج من تلك الوصايا البشرية ذات المصدر الخفي عيناً والمعروف صفة ، وإليك بعضها :

أ - « لا تأنس بما استوحش منه أهله بعد أنسهم به ، ولا تأسف على ما قد فاتك منه ، فإني رأيت الملوك يتنازعون الدنيا بتعب أبدانهم وما امتد لهم العمر ، وكلما ظفروا منها على منزلة راموا التي تليها حتى يفنيهم الموت ، فلم أرهم - مع ما حُؤلوا - مستريحين ، هذا مع الذي يصحبهم من وزر المظالم وطول الوقوف للقصاص » (٢) .

ب - « لا راحة لحريص ، ولا غنى لذي طمع ، والمرء عند من رجا ، وبئس الشعار الحسد ، والافتقار يحق الأقدار ، والبطر يسلب النعمة ، والإنصاف يؤلف القلوب ، وأخوك من آسك ، والغدر من صغر القدر ، والوفاء من كرم السجية ، والاستطالة

(١) ياقوت الحموي ، معجم الأديباء ، ١٩/١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) ابن دريد ، المجتني ، ٦١ .

لسان الجهالة ، وكثرة الكلام تكسب الملال وإن كان حكماً ، والصبر جنة الأشراف ، وإظهار الفاقة من خمول الهمة ، والناس أشباه في الخلق ، وإنما يتفاضلون في الرخاء والشدة « (١) .

ج - « لا تدنس عرضك ، ولا تبذل وجهك ، ولا تخلقه بالطلب إلى من إن ردك كان رده عليك عيباً ، وإن قضى حاجتك عدّها عليك مناً ، واحتمل الفقر بالتنزه عمّا في أيدي الناس ، والنز القناعة بما كسب لك ، فإن سوء حمل الفقر يضع الشرف ، ويخمل الذكر ، ويوجب الحرمان » (٢) .

د - « لا تشعر قلبك الهمّ بما فات ، فيشتغل ذهنك عن الاستعداد لما تأتي به الأيام ، وكن بحسن الظنّ بما عند الله أوثق منك بما في يدك ، فإنك تغنّ بما في يدك ، وذلك على الله يسير ، وفي كلّ حركة وساعة أمر حادث ، وقدّر جارٍ ، بتبديل الأحوال وانتقال الدول » (٣) .

ويلاحظ على هذه الوصايا وأضرابها أن كلاً منها تعكس اهتمامات قائلها ، فالحسن البصري حملت وصاياهم سمة الزهد والتذكير بالآخرة مقترنة بالخزن ، وجاءت وصايا قتادة من خلال تفسيره للقرآن الكريم ... وهكذا ، كما تأثرت ببيئته التي عاصرها ونشأ فيها ، فمعظم وصايا الحكماء في الجاهلية ومن أدرك منهم صدر الإسلام تحدّثت عن الإبل والمال ، واتفاق العشيرة ، والأحساب (٤) ، وتأثرت - أيضاً - بالمشرب الثقافي والديني عند كلّ منهم ، كما يظهر في وصية مالك بن المنذر البجلي الأنفة الذكر ، والعلماء المسلمين استقوا أسس وصاياهم من القرآن الكريم والسنة النبوية وضمنوا ذلك وصاياهم وتوجيهاتهم .

(١) الصدر السابق ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ٨٣ .

(٣) المصدر السابق ٦٥ .

(٤) انظر وصية كلّ من : الحارث بن كعب لبنيه (المعمرون والوصايا ١٢٢) ، وسعد العشيرة (المرجع السابق) ، والأحوص الكلبي (المرجع السابق) ، وأكثم بن صيفي التميمي وصية رقم ٨٤ ، ٨٥ ص ٢٠٣ - ٢٠٥ من هذه الرسالة .

المطلب الثاني

أنواع الوصايا من حيث الموصى

أنواع الوصايا من حيث الموصى

يمكن تقسيم الوصايا من حيث الموصى - وهو الطرف الثاني المستقبل للوصية - إلى أنواع عدة هي : وصايا العلماء للخلفاء ، والوصايا لذي الهيئات دون الخلافة ، ولطلاب العلم ، ولأقارب ، ولعامة الناس ، وكل نوع من هذه الأنواع يحمل سمات تتناسب وحال الموصى ومكانته كما يظهر من الوصايا الآتية :

الوصايا للخلفاء :

الخلافة أعلى سلطة في الدولة الإسلامية ، ونظراً لمكانة السلطان وأثره في رعيته إذ الناس على دين ملوكهم ، والله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، من هذا المنطلق ، وللقيام بواجب الدعوة النصيح والتذكير لأئمة المسلمين الذي أمر به النبي ﷺ في قوله : « الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »^(١) ، قام العلماء بتوجيه الوصايا والمواعظ للخلفاء وكان منها :

أ - وصية أبي عبيدة ومعاذ لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، حيث أرسل إليه صحيفة فيها : « من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب : سلام من الله عليك ، أما بعد ، فإننا عهدناك وأمر نفسك لك مهم ، فأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ، يجلس بين يديك الشريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكل حصته من العدل ، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ، فإننا نحذرك يوماً تعنا فيه الوجوه^(٢) ، وتَجِفُ فيه القلوب ، وتنقطع فيه الحجج لحجة ملك قهرهم بجبروته ، فالخلق داخرون له يرجون رحمته^(٣) ، ويخافون عقابه .

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، ح ٩٥ (٥٥) انظر : الصحيح ٧٤/١ .

(٢) عَنَّا يعنو : أي خضع وذَلَّ ، ومنه قوله تعالى «وعنت الوجوه للحي القيوم» [سورة طه آية : ١١١] انظر صحاح الجوهري ٦/٢٤٤٠ . مادة (عَنَّا) .

(٣) داخرون : الدُّخُور : الصُّغار والذلل . انظر المرجع السابق ٦٥٥/٢ ، مادة (دَخَرَ) .

وإنا كنا نحدث أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلاتية ، أعداء السريرة ، وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا ، فإنما كتبنا به نصيحة لك . والسلام عليك « (١) .

وصية ابن السماك (٢) لهارون الرشيد ، قال عمرو بن خالد : « بعث أمير المؤمنين إلى محمد بن السماك في آخر شعبان فأحضره ، فقال له يحيى بن خالد (٣) : أتدري لم بعث إليك أمير المؤمنين ؟ قال : لأدري . قال له يحيى بن خالد : بعث لما بلغه عنك من حسن دعائك للخاصة والعامة ، فقال له ابن السماك : أما ما بلغ أمير المؤمنين من ذلك فبستر الله الذي ستره ، ولولا ستره لم يبق لنا ثناء ولا التقاء على مودة ، فالستر هو الذي أجلسني بين يديك يا أمير المؤمنين ، إني والله ما رأيت وجهاً أحسن من وجهك ، فلا تحرق وجهك بالنار .

قال : فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً ، ثم دعا بماء فاستسقى ، فأتي بقدر فيه ماء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أكلمك بكلمة قبل أن تشرب هذا الماء ؟ قال : قل ما أحببت . قال : يا أمير المؤمنين ، لو مُنِعَتْ هذه الشربة إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفتديها بالدنيا وما فيها حتى تصل إليك ؟ فقال : نعم . قال : اشرب ريثاً بارك الله فيك . فلماً فرغ من شربه قال له : يا أمير المؤمنين ، رأيت لو مُنِعَتْ إخراج هذه الشربة منك إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفتدي ذلك بالدنيا وما فيها ؟ قال : نعم . قال : يا أمير المؤمنين ،

(١) أبو نعيم ، حلية الأولياء ٢٣٨/١ .

(٢) محمد بن صبيح العجلي مولاهم ، المذكّر ، المعروف بابن السماك ، أبو العباس ، سمع هشام بن عروة وسفيان الثوري ، وكان عابداً زاهداً صاحب مواظ ، سكن الكوفة ثم قدم بغداد ثم رجع إلى الكوفة ومات بها سنة ١٨٢ هـ . انظر :

ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٠١/٤ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٨ .

(٣) يحيى بن خالد بن برمك ، أبو علي ، معلم الرشيد ، وكان يجله ويحترمه إلى أن حدثت نكبة البرامكة فأودعه السجن وقتل ابنه جعفر ، كان كاتباً بليغاً جواداً شجاعاً ، مات في سجن الرشيد بالرافقة سنة ١٩٠ هـ . انظر : الخطيب ، تاريخ بغداد ١٢٨/١٤ .

فما تصنع بشيءٍ شربة ماءٍ خيرٌ منه ؟ قال : فبكى هارون الرشيد واشتد بكاءه .
فقال يحيى بن خالد : يا ابن السماك ، قد آذيت أمير المؤمنين ، فقال له : وأنت
يا يحيى فلا يغرثك رفاهية العيش ولينه « (١) .

وعموم الوصايا والمواظب الموجهة إلى الحكام تركز على الحث على العدل ، وتجنب
الظلم والجور ، والحذر من الخوض في غمرات الدنيا ولهوها ، والتذكير بقصر الأمل ،
وزوال الدنيا ، وعظم مسؤولية الحاكم والتبعات الملقاة على عاتقه ... ونحو ذلك من
الأمور التي ينسونها ويغفلون عنها بسبب ما هم فيه من جاه وسلطان وقوة وتنعّم .

الوصايا لذوي الهيئات - دون الخلافة - :

يدخل في ذوي الهيئات الولاية ، والقضاة ، قواد الجيوش ، والعلماء ، والمؤدبون ،
... ونحوهم من أصحاب المسؤوليات ، وفيما يلي نماذج منها :

الوصايا للولاية ، منها ما روي عن زياد بن أبيه (٢) أنه كان يوصي من يوليه
عملاً فيقول له : « خذ عهدك ، وسر إلى عملك ، واعلم أنك مصروف رأس سنتك ،
وأنتك تصير إلى أربع خلال : فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك
لضعفك ، وسلمتكم من معرّتنا أمانتك ، وإن وجدناك قوياً خائناً استهنا بقوتك ، وأوجعنا
ظهورك ، وقللنا عزمك ، وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين ، وإن وجدناك
أميناً قوياً زدنا في عملك ، ورفعنا ذكرك ، وكثرتنا مالك ، وأوطأنا عقبك » (٣) .

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٣٧٣/٥ .

(٢) زياد بن أبيه ، يقال : ابن عبيد ، وهو زوج أمه سمية ، ولدته على فراشه بعد أن وقع عليها أبو سفيان ،
وأقر أنه منه ، كان من شيعة علي رضي الله عنه ، ثم استماله معاوية ونسبه إلى أبي سفيان فصار
إليه ، كان فصيحاً خطيباً ، سفاكاً للدماء ، معدوداً في الدهاة ، بقي أميراً على العراق حتى وفاته
سنة ٥٣ هـ . انظر :

ابن زبير ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ١٥٥/١ . والكتبي ، فوات الوفيات ٣١/٢ . وبدران ، تهذيب تاريخ دمشق ٤٠٩/٥ .
(٣) أمالي القالي ٨٢/٢ .

ووصية مروان بن الحكم^(١) لابنه عبدالعزيز عندما ولاه مصر ، قال له : « أي بني انظر إلى عمالك فإن كان لهم عندك حق غدوة فلا تؤخره إلى عشية ، وإن كان لهم عشية فلا تؤخره إلى غدوة ، وأعطهم حقوقهم عند محلها ، تستوجب بذلك الطاعة منهم ، وإياك أن يظهر لرعيك منك كذب ، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق ، واستشر جلساءك وأهل العلم ، فإن لم يستبن لك فاكتب إليّ يأتيك رأيي فيه إن شاء الله ، وإن كان بك غضب على أحد رعيك فلا تؤاخذ به عند سورة الغضب ، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك ، ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب منطفيء الجمرة ، فإن أول من جعل السجن كان حليماً ذا أناة ، ثم انظر إلى أهل الحسب والدين والمروءة فيكونوا أصحابك وجلساءك ، ثم اعرف منازلهم منك على غير استرسال ولا انقباض ، أقول هذا وأستخلف الله عليك »^(٢) .

ولعل من أشهر الوصايا للولادة وصية طاهر بن الحسين^(٣) لابنه عبدالله حين ولي خراسان (ديار ربيعة) ، إذ وجّه له كتاباً بدأه بقوله :

بسم الله الرحمن الرحيم

« عليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه ، وحفظ رعيك ، والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ومسؤول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجيك يوم القيامة من

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، كان يقال له « خيط باطل » لفرط طولهِ ودقته ، ولد في حياة النبي ﷺ ، وأقام مع والده في الطائف ثم استقدمه عثمان في خلافته واستكتبه ، وكان سبب مقتله ، وكان معاوية يراوح بينه وبين أبي هريرة في إمرة المدينة ، ووثب على الخلافة بعد معاوية بن يزيد ، واستمر في الخلافة تسعة أشهر ، وتوفي مسموماً مخنوقاً سنة ٦٥ هـ . انظر :
الثعالبي ، ثمار القلوب ٧٦ . ابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ١٥٥ . والكتبي ، فوات الوفيات ١٢٥/٤ . وابن حجر ، الإصابة ٤٧٧/٣ .

(٢) ابن عدي ، العقد الفريد ٤٢/١ .

(٣) طاهر بن الحسين بن زريق ، ذو البمينين ، كان جواداً شهماً ، عالماً ، زاهداً ، خطيباً ، توفي سنة ٢٠٧ هـ . انظر :

أبو بكر الخطيب ، تاريخ بغداد ٣٥٣/٩ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠٨/١٠ .

عذابه وأليم عقابه ، فإن الله أحسن إليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب عنهم ، والدفع عن حريمهم وبيضتهم ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم ، وإدخال الراحة في معاشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ومساثلك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، وفرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ، ولا يذهلك^(١) عنه ذاهل ، ولا يشغلك عنه شاغل ، فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوقفك الله به لرشدك^(٢) .

وهو كتاب طويل ، أوصى فيه ابنه بإصلاح نفسه أولاً ثم بين له صفات من يستعان بهم ، واستعرض كل ما يدخل في نطاق إمرته من جنود وقضاة وعمال ، وأرشده إلى كيفية سياسة الرعية عنده .

وهو كتاب نفيس تنازعه الناس وكتبوه ، ولما بلغ المأمون قال :

« ما بقى أبو الطيب شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيضة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه^(٣) ، ثم نسخه وأرسل به إلى جميع عماله في سائر ولايات الخلافة .

ومجمل الوصايا للولاية تتحدث عن أبرز الصفات التي يجب أن يتحلى بها الوالي وعن الحاشية المحيطة به ، وعن سلوكه في سياسة الأمور وإدارة قضايا الرعية الداخلين في نطاق عمله ، وباجتماعها في شخصية فرد معين يصبح جديراً بالولاية أهلاً لها .

والوصايا للقضاة ، وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه - وكان قاضيه على البصرة - ، حيث أرسل إليه كتاباً فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس : سلام عليك أما بعد ... فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فانهم إذا

(١) ذهل عن الأمر ذهولاً إذا تناساه عمداً أو شغل عنه ، انظر : الزمخشري ، أساس البلاغة ١٤٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٥٨٢/٨ - ٥٩١ . ابن الأثير الكامل في التاريخ ١٩٨/٥ - ٢٠٣ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٩١/٨ . والكامل في التاريخ ٢٠٣/٥ .

أدلي إليك ، وأنفذ إذا تبين لك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، أس بين الناس في مجلسك ، وفي وجهك وعدلك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً ، ولا يمنعك قضاء قضيت به اليوم فراجعت فيه نفسك وهُديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق ، فإن الحق قديم ، ولا يبطل الحق شيء ، وإن مراجعة الحق خير من التماذي في الباطل .

الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس في قرآن ، ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور عند ذلك ، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى ، واجعل لمن ادعى غائباً أو بينة أمدأ ينتهي إليه ، فإن أحضر بينته أخذ بحقه ، وإن عجز عنها استحلت عليه القضية ، فإنه أبلغ في العذر ، وأجلى للعمى .

المسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجلوداً في حد ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنياً في ولاء أو قرابة ، فإن الله تبارك وتعالى تولى منكم السرائر ، ودرء عنكم بالبينات والأيمان ، وإياك والغلق^(١) والغلظ والضجر ، والتأذي بالخصوم ، والتنكر للخصوم في مواطن الحق ، التي يوجب الله فيه الأجر ، ويحسن فيه الذخر ، فمن خلصت نيته ولو على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله أنه ليس في قلبه شأنه الله ، فإن الله لا يقبل من عبده إلا ما كان له خالصاً ، فما ظنك بشواب الله عز وجل ، وعاجل رزقه ، وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله »^(٢) .

وفي هذه الوصية أسس القضاء الإسلامي ، وصفات القاضي التي يجب توفرها فيه ، والتزامه بها حتى يصل إلى الحق ، ويقوم العدل ، وفيها إرشاد إلى استخدام القياس عند عدم النص فيما يرد من قضايا ومعضلات .

والوصايا لقواد الجيوش ، منها وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأمرائه حين وجههم لحرب أهل الردة . حيث كتب فيها كتباً فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا

(١) الغلق : الغضب وضيق الصدر ، انظر : الفيومي ، المصباح المنير ٤٥١ مادة (غلق) .

(٢) تاريخ المدينة لابن شبة ٧٧٥/٢ - ٧٧٦ . والجاحظ ، البيان والتبيين ٦٤/٢ - ٦٥ مع اختلاف يسير في العبارات .

عهدي من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لفلان حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام ، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلايته ، وأمره بالجد في أمر الله ، ومجاهدة من تولى عنه ، ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام فإن أجابوه أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقرؤا له ، ثم ينبتهم بالذي عليهم والذي لهم ، فيأخذ ما عليهم ، ويعطيهم الذي لهم ، لا ينظرهم ، ولا يرُدّ المسلمين عن قتال عدوهم فمن أجاب إلى أمر الله عزوجل وأقرّ له قبل ذلك منه وأعان عليه بالمعروف ، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله ، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل ، وكان الله حسيبه بعد فيما استسره به ، ومن لم يجب داعية الله قُتل وقوتل حيث كان ، وحيث بلغ مراغمه ، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام ، فمن أجابه وأقرّ قبل منه وعلمه ، ومن أبى قاتله ، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران ، ثم قسم ما أفاء الله عليه ، إلا الخمس فإنه يُبْلَغناه ، وأن يمنع أصحاب العجلة والفساد ، وألا يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم عليه ، لا يكونوا عيوناً ، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم ، وأن يقتصد بالمسلمين ، ويرفق بهم في السير والمنزل ، ويتفقدهم ، ولا يعجل بعضهم عن بعض ، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول « (١) .

وأوصى هارون الرشيد قائده علي بن موسى لما سيره إلى خراسان وقال له : « يا علي ، تَبَقِّظْ في أمورك ، واحترس من عدوك ، وشاور ذوي الأسنان والتجارب تفتح لك أبواب المطالب ، واتق الله يعظفني عليك ، ولا تعصه يسطنني عليك » (٢) .
ولعلّ معظم الوصايا الموجهة للقواد تشترك في حث القائد على الحزم ، والاحتياط ، والمشاورة ، والرفق بالجيش ، أما الوصية بتقوى الله تعالى فهي سمة عامة في الوصايا الإسلامية بمختلف أنواعها وموضوعاتها .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٢٥١/٣ - ٢٥٢ .

(٢) الوشاء ، الفاضل في صفة الأدب الكامل ١٧/٢ . وتأتي ترجمة هارون ص ٩٥ .

و الوصايا للعلماء وتتحفنا بعض المصادر بقطوف منها ، وبعضها منسوب إلى الحكماء دون تحديد اسم قائلها ، ومنها ما أورده ابن دريد عن أحد الحكماء قوله : « من انتشر له الصيت بفضل أدب ، ونظرت إليه العيون بالإجلال ، فليكن بما علم عند من يعاشره كمن لا يُنسب إلى علمه في الانبساط إليهم ، وترك الاستطالة عليهم ، فإنه قيل : فضيلة العالم يتواضعه تزيد رفعة في مقدار علمه » (١) .

ومن الوصايا المنسوبة إلى أصحابها والموجهة إلى العلماء ؛ وصية البويطي يوسف بن يعقوب رحمه الله (٢) ، فقد روى الخطيب البغدادي أن الربيع (٣) قال :

« كتب إليّ - يعني البويطي - من السّجن : إنه ليأتي عليّ أوقات ما أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي ، فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقتك ، واستوص بالغرباء خاصة خيراً ، فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي يتمثل بهذا البيت :

أهين لهم نفسي لكي يُكرّمونها ولن تُكرّم النفس التي لا تهينها » (٤)

(١) المجتنى ص ٦٦ .

(٢) هو يوسف بن يعقوب ، أبو يعقوب المصري ، أنجب تلاميذ الشافعي ، وصاحب حلقتة من بعده ، امتحن في فتنة القول بخلق القرآن فحمل إلى بغداد ورجلاه في القيد وبيده مغلولتان إلى عنقه ، وتوفي في سجنه على تلك الحال سنة إحدى وثلاثين ومائتين للهجرة . انظر :

الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٢٩٩/١٤ ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٦١/٧ ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥٨/١٢ ، والسبكي ، طبقات الشافعية ١٦٢/٢ .

(٣) هو الربيع بن سليمان المرادي ، صاحب الشافعي ورواية كتبه ، انظر ترجمته :

وفيات الأعيان ٢٩١/٢ . والمزي ، تهذيب الكمال ٨٧/٩ . وسير أعلام النبلاء ٥٨٧/١٢ ، وطبقات السبكي ١٣٢/٢ .

(٤) تاريخ بغداد ٣٠٢/١٤ ، ووفيات الأعيان ٦٣/٧ - ٦٤ . وسير أعلام النبلاء ٦٠/١٢ . وطبقات السبكي ١٦٥/٢ ، وديوان الشافعي ٨٨ - ٨٩ .

و الوصايا للمؤدبين ومنها وصية هارون الرشيد^(١) لمؤدب الأمين خلف الأحمر ، قال له : « يا أحمر ، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمره قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطه ، وطاعتك عليه واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرته القرآن ، وعرقه الآثار ، ورواه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره مواقع الكلام وبدآه ، وامنعه الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا إليه ، ورفع مجالس التوكاد إذا حضروا مجلسه ، ولا تترن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها ، من غير أن تخرق به فتميت ذهنه ، ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقوم ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدّة والغلظة »^(٢) .

فهذه الوصية تضمنت طريقة تربوية متكاملة تناسب شخصاً يُعدّ لولاية العهد ، فالبدء أولاً بالجانب التعليمي لأمر الدين ، والمعارف العامة ، والتمرين على الإلقاء ، ثم الجانب التربوي من حيث تصرفه الشخصي ، وسلوكه مع الآخرين ، مع بيان الطريقة المثلى للتقويم .

وقال عتبة بن أبي سفيان^(٣) لعبدالصمد مؤدب ولده : « ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينيك ، فالحسن عندهم ماستحسنست ، والقبیح عندهم ما استقبحت ، علمهم كتاب الله ، ولا تكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم

(١) هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ، تولى الخلافة بعد الهادي سنة ١٧٠ هـ ، كان من أنبل الخلفاء ، كثير الحج والغزو ، شجاعاً ، جواداً ، محباً للعلماء ، مات غازیاً بخراسان وقبره به « طوس » سنة ١٩٣ هـ ، وله ست وأربعون سنة . انظر :

الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٩ . والكتبي ، فوات الوفيات ٢٢٥/٥ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٣٦٢/٣ .

(٣) عتبة بن أبي سفيان بن حرب ، أبو الوليد ، ولد على عهد النبي ﷺ ، استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الطائف وصدقاتها ، وولاه معاوية مصر بعد عمرو بن العاص ، يقال : لم يكن في بني أمية أخطب منه ، مكث في ولايته حتى توفي بالإسكندرية سنة ٤٤ هـ . انظر :

الكندي ، تاريخ ولاية مصر وقضاتها ٣٤ . ابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ١٧٨ .

منه فيهبجروه ، ثم روهم من الشعر أعفئه ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكموه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم ، وعلمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء ، وجنبهم محادثة النساء ، وتهددهم بي ، وأدبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ، ولا تتكل على عذري ، فإني قد اتكلت على كفايتك ، وزد في تأديبهم أزدك في برِّي إن شاء الله « (١) .

الوصايا لطلاب العلم :

طلاب العلم هم صفوة الأمة وعمادها ، ومستقبلها مرتبط بهم ومتعلق بمدى اهتمامهم وحرصهم على تحصيل العلم النافع والضروري لها ، ولا بد أن يتحلى طلاب العلم بصفات وسمات تؤهلهم لتلك المسؤولية ، ولذا جاءت بعض الوصايا حاملة تلك الصفات ، ومذكرة بأهم الآداب التي يجب توفرها فيهم ، ومن تلك الوصايا وصية أحمد ابن أبي سليمان الصواف رحمه الله تعالى (٢) ، قال فيها :

« يا طالب العلم ، إذا طلبت العلم فاتخذ له قبل طلبه أدباً تستعين به على طلبه ، واتخذ له بعد طلبه أدباً تستعين به على حمله ، ومن أدب العلم الحلم ، والحلم كظم الغيظ ، وأن يغلب علمك وحلمك هواك إذا دعاك إلى ما يشينك ، وعليك بالوقار والتعفف والرزانة والصيانة والصمت والسمت الحسن ، والتودد إلى الناس ، ومجانبة من لا خير فيه ، والجلوس مع الفقهاء ، ومحبة الأخيار ، ومناجزة الأشرار ، والقول الحسن في إخوانك ، والكف عمّن ظلمك ، ولا تهمز أحداً بقول ولا تلمزه (٣) ،

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ٧٨/٢ - ٧٩ .

(٢) هو أبو جعفر ، أحمد بن أبي سليمان بن داود الصواف الفقيه ، توفي سنة ٢٩١ هـ . انظر : القاضي عياض ، ترتيب المدارك ٣٦٦/٤ ، وأبو بكر المالكي ، رياض النفوس ٥٠٥/١ . وعبد الرحمن الدبائغ ، معالم الإيمان ٢٠٧/٢ .

(٣) الهمز واللمز : العيب ، وأصله الإشارة بالعين ونحوها ، والرجل الهمّاز العيب . انظر : صحاح الجوهري ٨٤٩/٣ مادة « لَمَزَ » ، و ٩٠٢ مادة « هَمَزَ » .

ولا تقل فيه ولو كان عدوك ، فإن فعلت ذلك شرفت عند العقلاء ، وعرفت حقك الجلساء ، ولحقت بالعلماء ، وهابك السفهاء ، وحللت محل الأبرار ، وبرتت من الأشرار ، فافهم وتفهم ، واستعن بالله يعنك » (١) .

الوصايا للأقارب :

يدخل في وصايا الأقارب ، وصايا الآباء لأبنائهم التي يقدمون فيها خلاصة تجاربهم ممزوجة بعاطفة الأبوة ، ومن تلك الوصايا وصية عبد الله بن الحسن (٢) لابنه محمد ، قال له : « يا بُني ، إني مؤدٍ إليك حق الله في حسن تأديبك ، فأدِّ إليّ حق الله في حسن الاستماع ، أي بُني ، كُفَّ الأذى ، وارفض البذا (٣) ، واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام ، فإن للقول ساعات يَصُرُّ فيها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب ، واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشياً ، لأنه يرديك بمشورته ، واعلم يا بني أن رأيك إذا احتجت إليه وجدته نائماً ، ووجدت هواك يقظان ، فإياك أن تستبدَّ برأيك فإنه حينئذٍ هواك ، ولا تفعل فعلاً إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا ترديك ، وأن نتيجته لا تجني عليك » (٤) .

(١) عياض ، ترتيب المدارك ، ٣٦٩/٤ ، والمالكي ، رياض النفوس ٥٠٦/١ ، و الدباج ، معالم الإيمان ، ٢١٠/٢ .

(٢) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد ، كان من العباد ، له شرف وهيبة ولسان شديد ، ذا منزلة عند عمر بن عبد العزيز ، ووفد على أبي العباس السفاح فأكرمه ، مات في حبس المنصور سنة ١٤٥ هـ ، وعمره ٧٥ سنة . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى (ز) ٢٥٠ . والخطيب ، تاريخ بغداد ٤٣١/٩ . والمزي ، تهذيب الكمال ٤١٤/١٤ .

(٣) البذا : الفحش من القول . انظر : الفيومي ، المصباح المنير ٤١ .

(٤) القيرواني ، زهر الآداب ١٢٠/١ ، وذكرها الجاحظ في البيان والتبيين ١٤٣/٢ باختصار .

وصية وهب بن منبه^(١) لابنه التي قال فيها : « يا بني ، جالس الكبراء ، وسائل العلماء ، وخالل الحكماء ، فإن مجالستهم غنيمة ، وصحبتهم سليمة ، ومؤاخذتهم كريمة »^(٢) .

ولا يعني - والله أعلم - مجيء هذه الوصايا وغيرها موجهة للأبناء خصوصية الذكور بها دون الإناث ، لأن الوصايا تضمنت نخبة من الآداب والأخلاق الفاضلة ينبغي توفرها في البيئة المسلمة ذكوراً وإناثاً .

لكن تأخذ وصايا الأمهات لبناتهن - في الغالب - طابعاً آخر وفقاً لطبيعتهن واستعداداتهن كما يظهر ذلك من وصية « أمامة بنت الحارث » زوج عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان لابنتها يوم زفافها^(٣) ، إذ تحدث فيها عن واجب المرأة تجاه زوجها ، برعاية هيئتها ، وإراحته ، والحفاظ على ماله ، وطاعته ، وكتمان أسرار البيت ، وهذا أقصى ما يمكن أن تفعله المرأة في سبيل سعادة بيتها .

ومن الوصايا للأقارب ما قيل للإخوة على سبيل النصح والتذكير ، ومثاله ما يحكى أن أعرابياً أوصى أخاه فقال : « يا أخي ، يسار النفس أفضل من يسار المال ، فإن لم ترزق غنى فلا تحرم تقوى ، قرب شبعان من النعم غرثان^(٤) من الكرم ، واعلم أن المؤمن على خيرٍ ترحب به الأرض ، وتستبشر به السماء ، ولن يساء إليه في بطنها وقد أحسن على ظهرها »^(٥) .

(١) وهب بن منبه بن كامل الصنعاني الأبنوي - بفتح الهمزة - أبو عبد الله ، روى عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهما ، قال عنه أبو زرعة : « يمانى ثقة » توفي بصنعاء سنة ١١٠ هـ ، انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥/٥٤٣ . وابن أبي حاتم ، المرح والتعديل ٩/٢٤ . وابن حجر ، التقريب ٥٨٥ .

(٢) ابن دريد ، المجتنى ٧٩ .

(٣) انظر ص ١٠٨ من هذه الرسالة لتخريج الوصية ، وترجمة أمامة .

(٤) الغرث : الجوع . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٢/١٧٢ مادة « غرَثَ » .

(٥) المجتنى ٨٠ .

أنواع الوصايا

وتندرج الوصايا للعشيرة ضمن الوصايا للأقارب ، ومنها وصية هبيرة بن صخر الكلبي ، قال فيها : « يا بَنِيَّ ويا عشيرتاه ، أوصيكم بتقوى الله ، والصبر على المصن ، ففيه القُوْرُ ، لا فوز القسي ، حافظوا على الحُرْمِ ، فإن الهلاك في الغفلة عنها ، والفشل في التخاذل ، غَيِّظُوا العدوَّ بإظهار السرور ، وإبداع الأمور ، واذكروا الجامع والمواسم يأمن سِرْبِكُمْ ، فإن المحافظة أَمْنٌ ، وإنما المعسكر لمن صبر ، وليحييكم ربكم » (١) .

الوصايا للأصحاب والإخوان

من المبادئ الإسلامية التي زرعتها الدين الحنيف في نفوس المسلمين تبادل النصائح والمواظ ، فالمسلم مرآة أخيه ، يحذراه من العيوب والنقائص ، ويدلّه على سبل الخير ودروب الصلاح .

وانطلاقاً من تلك الأخوة المتبادلة ، وصلتنا عن السلف بعض الوصايا موجهة لبعضهم ، منها :

١ - وصية جُنْدَب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه (٢) :

قال يونس بن جبيرة الباهلي : « شيعنا جندب بن عبدالله فقلنا له : أوصنا . فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، وبالقرآن ، فإنه نور الليل المظلم ، وهدى النهار ، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقه ، فإن عَظْمَ بلاءٍ فقدم مالك دون نفسك ، فإن جاوز البلاء فقدم مالك ونفسك دون دينك ، واعلم أن المحروب من حُرْبٍ (٣) دينه ، والمسلوب من سلب

(١) ابو حاتم السجستاني ، المعرون والوصايا ١٢٨ . ولم أقف لهبيرة على ترجمة .

(٢) جُنْدَب بن عبدالله بن سفيان البجلي ، أبو عبدالله ، سكن الكوفة ثم البصرة قدمها مع مصعب بن الزبير ، وعاش إلى حدود سنة سبعين . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٥/٦ . والخطيب ، تاريخ بغداد ٢٤٩/٧ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٣٠٤/١ . والمزي ، تهذيب الكمال ١٣٧/٥ . وابن حجر ، الإصابة ٢٤٨/١ .

(٣) يقال : حُرِبَ ماله فهو محروب أي سُلِبَ . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٣٠٤/١ ، مادة « حَرَبَ » .

دينه ، واعلم أنه لاغنى بعد النار ، ولا فقر بعد الجنة ، وأن النار لا يُقك أسيرها ، ولا يستغني فقيرها « (١) .

٢ - وصية أبي خارجة الغافقي رحمه الله تعالى (٢) :

قال أبوخارجة يوصي بعض إخوانه : « يا عبدالله ، أوصيك بوصية ، وهي أن تكون ذاكراً غائماً ، أو ساكناً سالماً ، وإياك وكثرة الكلام ، إن العبد يسأل يوم القيامة عن فضول كلامه كما يسأل عن فضول ماله ، وإياك وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه ، ويورث الفقر » (٣) .

الوصايا لعامة الناس

وهناك وصايا عامة ، الموصى فيها غير محدّد ، وتأخذ جانب الوعظ والإرشاد العام ، الذي صار ظاهرة عامة في القرون الثلاثة الأولى ، منها قول الحسن البصري رحمه الله تعالى : « رحم الله امرءاً كسب طيباً وأنفق قصداً ، وقدم فضلاً ، وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله ، وضعوها حيث أمر الله ، فإن من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغتهم ، ويؤثرون بالفضل ، ألا إن هذا الموت قد أضرّ بالدنيا ففضحها ، فلا والله ما وجد ذولبٌ فيها فرحاً ، فأياكم وهذه السبل المتفرقة ، التي جماعها الضلالة ، وميعادها النار ، أدركت من صدر هذه الأمة قوماً كانوا إذا أجنّهم الليل فقيام على أطرافهم ، يفترشون وجوههم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يناجون مولاهم في فكاك رقابهم ، إذا عملوا الحسنة سرتهم ، وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، وإذا عملوا سيئة ساءت بهم وسألوا الله أن يغفرها لهم .

(١) المبرد ، التعازي والمراثي ١٣١ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٧٤/٣ .

(٢) هو عنيسة بن خارجة الغافقي ، ثقة مأمون ، سمع من مالك والثوري ، وكان يقيم في حصن على البحر يقال له : « يَنْقَة » على الغرب من صفاقس ، توفي سنة ٢١٠ هـ وهو ابن ست وثمانين . انظر :

القاضي عياض ، ترتيب المدارك ٣/٣١٧ . وأبو بكر المالكي ، رياض النفوس ١/٢٤١ . وابن حجر ، لسان الميزان ٤/٣٨١ .

(٣) رياض النفوس ١/٢٤٥ .

يا ابن آدم ، إن كان لا يغنيك ما يكفيك ؛ فليس هاهنا شيء يغنيك ، وإن كان يغنيك ما يكفيك ؛ فالقليل من الدنيا يغنيك .

يا ابن آدم ، لا تعمل شيئاً من الحق رياءً ، ولا تتركه حياءً « (١) .

ولم تقتصر الوصايا على الجانب النثري ، بل كثرت في الأشعار ، ومن ذلك قول إسماعيل القاضي (٢) :

فالدهر يرغم كل عاتب	لا تعتبن على النوائب
إن الأمور لها عواقب	واصبر على حدثانه
ولكل خالصة شوائب	ولكل صافية قذى
لك بين أثناء النوائب	كم فرجة مطوية
من حيث تنتظر النوائب (٣)	ومسرة قد أقبلت

إن كل ما سبق من الوصايا إنما قصد بها إبراز أنواع الوصايا من حيث الموصى الذي وجهت له الوصية ، مع الإشارة إلى أبرز السمات والموضوعات التي تشكل قاسماً مشتركاً بين كل نوع . والله أعلم .

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ١٢١/٣ .

(٢) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد ، أبو إسحاق ، بصري استوطن بغداد ، وكان عالماً فاضلاً فقيهاً على مذهب مالك بن أنس رحمه الله ، ولي قضاء بغداد ، ولم يزل يتقلده إلى أن توفي سنة ٢٨٢ هـ . انظر :

الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٨٤/٦ . والنباهي ، تاريخ قضاة الأندلس ٣٢ .

(٣) تاريخ قضاة الأندلس ٣٤ .

المطلب الثالث

أنواع الوصايا من حيث وقتها

أنواع الوصايا من حيث الوقت

تقسيم الوصايا حسب وقتها مبني على الأسباب والظروف التي دعت إلى الوصية ، فما كان لها سبب مباشر ، أو ظرف معين ، كحضور قتال ، أو قدوم وفد ، أو ظهور فتنة ، أو عند زفاف ، أو وقت احتضار ... ونحو ذلك فهي من وصايا المناسبات ، أما الوصايا العامة ، فهي ما ليس لها سبب مباشر ، ولم تُقَلَّ في ظرف محدد ، وإنما قيلت في حلق التعليم والذكر ، وفي مجالس الأئس والسمر على سبيل الوعظ والتذكير والإرشاد .

أ - نماذج من الوصايا العامة :

من أمثلة الوصايا العامة التي صدرت عن العلماء بغرض الوعظ والإرشاد دون سبب آخر :

١ - وصية النبي ﷺ :

روى البراء بن عازب رضي الله عنه أوصى رجلاً فقال : « إذا أردت مضجعك فقل : اللهم أسلمت نفسي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وجت وجهي إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا ملجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت » (١) .

٢ - علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

قال : « رحم الله عبداً سمع فوعى ، ودُعي إلى الرشد فدنا ، وأخذ بحجزة هادي فنجا ، وراقب ربه ، وخاف ذنبه ، وقدم خالصاً ، وعمل صالحاً ، واكتسب مذكوراً ، واجتنب محذوراً ، ورمى غرضاً ، وكابر هواه ، وكذب مناه ، وحذر أجلاً ، ودأب عملاً ، وجعل الصبر رغبة حياته ، والتقى عدة وفاته ، يظهر دونكم ما يكتتم ، ويكتفي بأقل »

(١) رواه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا نام ، برقم ٦٣١٣ . انظر : فتح الباري ١١/١١٣ .

كما يعلم ، لزم الطريقة الغراء ، والمحجة البيضاء ، واغتنم المهل ، وبادر الأجل وتزود من العمل « (١) .

وقال في وصية أخرى : « لا تكونن كمن يعجز عن شكر ما أوتي ، ويبتغي الزيادة فيما بقي ، وينهى ولا ينتهي ، ويأمر الناس بما لا يأتي ، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ، ويبغض المسيئين وهو منهم ، ويكره الموت لكثرة ذنوبه ، ولا يدعها في طول حياته » (٢) .

٣ - وصية الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى :

قال منذر الثوري : كان ربيع بن خثيم يقول : « يا عبدالله ، قل خيراً ، أو اعمل خيراً ، ودُم على صالحة ، لا يطولنّ عليك الأمد ، ولا يقسون قلبك ، ولا تكونن من الذين قالوا : سمعنا وهم لا يسمعون .

يا عبدالله ، إن كنت عملت خيراً فأتبع خيراً خيراً ، فإنه سيأتي عليك يوم تودّ لو ازددت ، وإن كان مضى منك لهم لهم لا محالة فاعمل خيراً فإنه سبحانه يقول : ﴿ إن الحسنات يذهب السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ (٣) .

يا عبدالله ، ما علمك الله في كتابه من علم فاحمد الله عليه ، وما استؤثر عليك فيه من علم فكله إلى عالمه ولا تكلف ، فإنه سبحانه يقول : ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾ إن هو إلا ذكر للعالمين * ولتعلمن نبأه بعد حين ﴿ (٤) .

يا عبدالله ، اعلم أن العبد إذا طالت غيبته ، وحانت جيئته فانتظره أهله كأن قد جاء ، فأكثروا ذكر هذا الموت الذي لم تذوقوا قبله مثله ، والسرائر السرائر ، اللاتي

(١) القيرواني ، زهر الآداب ٧٩/١ .

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ٩٦/٣ .

(٣) سورة هود آية : ١١٤ .

(٤) سورة ص آية : ٨٦ - ٨٨ .

يخفين من الناس ، وهن لله بوادٍ « (١) .

٤ - وصية ميمون بن مهران رحمه الله (٢) :

مما أثر عن ميمون بن مهران رحمه الله قوله : « ثلاث لا تبتلون نفسك بهن : لا تدخل على السلطان وإن قلت : أمره بطاعة الله ، ولا تصغين بسمعك إلى هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه ، ولا تدخل على امرأة وإن قلت : أعلمها كتاب الله » (٣) .

ب - وصايا المناسبات :

وهي - كما سبق - ما قيلت في ظرف معين أو كان لها سبب مباشر ، ومن ذلك ما يأتي :

١ - عند التوجه للقتال :

وذلك من الأمور التي دارم عليها رسول الله ﷺ ، وكان يركّز في وصاياه على الأمور التالية :

أ - الاعتماد على الله تعالى في قتالهم للعدو .

ب - التحذير من الأخلاق المذمومة في المعركة : الغلول ، والفرار ، والمثلة ، وقتل الأطفال والشيوخ والنساء الذين لا علاقة لهم بالقتال .

ج - بدء الكفار بدعوتهم إلى الإسلام أولاً ، ثم عرض الجزية - إن كان المحاربون أهل كتاب - ، ثم المنايذة بالقتال بعد ذلك .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) ميمون بن مهران ، أيوب الجزري الرقي مولى لامرأة من بني نصر بن معاوية ، نشأ بالكوفة ثم سكن الرقة ، وكان من المفتين بها ، لقي عدداً من الصحابة منهم عائشة أم المؤمنين وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم ، وليّ خراج الجزيرة لعمر بن عبدالعزيز ، وكان ينهى عن مجالسة أهل القدر ، وعن تعلم النجوم ، توفي سنة ١١٧ هـ . انظر :

طبقات ابن سعد ٤٧٧/٧ . ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ١١٧ . وأبونعيم ، حلية الأولياء ٨٢/٤ . وابن منجوية ، رجال صحيح مسلم ٢٧٦/٢ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٧١/٥ . وابن كثير ، البداية والنهاية ٣٢٦/٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٧٧/٥ .

د - إنزال المتحارين على ذمة القائد وجنده ، لا على ذمة الله تعالى ورسوله خشية أن تخفر (١) .

ب - عند حضور القتال :

من الوصايا عن حضور القتال قول خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم أجنادين : « اتقوا الله عباد الله ، وقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تنكصوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، ولا تهنوا ولا تجبنوا عن عدوكم ، ولكن إقداماً كإقدام الأسد الضارية ، فإنكم أحرار كرام ، وارفضوا عنكم هذه الدنيا ، واطلبوا ثواب الآخرة ، وأنتم الأعلون ، والله معكم ، وبعد فإنكم إن هزتم هؤلاء القوم كانت لكم هذه البلاد داراً للإسلام ما بقيتم أبداً مع رضوان الله والجنة » (٢) .

ج - عند قدوم الوفود أو توديعها :

ومن تلك الوصايا وصية النبي ﷺ لوفد الأزد حين قدموا عليه ، قال لهم : « لا تجمعوا مالا تأكلون ، ولا تبنا مالا تسكنون ، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه تزولون ، واتقوا الله الذي إليه ترجعون ، وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلصون » (٣) .

د - عند تقلد الخلافة :

جرت عادة العلماء في عصر السلف أن يتقدموا بالنصيحة لمن يتقلد الخلافة ، ومن الوصايا المعنية بهذا وصية سالم بن عبدالله بن عمر (٤) لعمر بن عبدالعزيز رحمهما

(١) انظر الحديث في « صحيح مسلم » ١٢٥٣/٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب تأمير الإمام على البعثات .

(٢) ابن أعمش ، الفتوح ١١٦/١ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٨٥/٥ ، وحاولت تخريجها من كتب الحديث فلم أقف عليها .

(٤) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي ، أبو عمير وقيل أبو عمر ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، ومن سادات التابعين ، لقي عبدالملك بن مروان ، وقد على عمر بن عبدالعزيز ، توفي سنة ست ومائة . انظر :

الله ، عندما دخل عليه بعد تقلده الخلافة وقال له : « يا أمير المؤمنين ، إن الدنيا عَطَنٌ (١) مهجور ، وأكل منزوع ، وعرض بلاءٍ ، ومتسقرّ آفةٍ ، يحوطها التنكيل ، ويطونها (٢) الذلّ ، وتحت كل سرورٍ منها غرور ، ومع كل فرحة منها ترحة ، من اطمأن إليها خاتته ، ومن آثرها آثرت عليه ، قد رغب عنها السعداء ، وقد انتزعت من أيدي الأشقياء ، فاجعل الدهر يوماً واحداً صمته عن شهوات الدنيا ، كان وطرك فيها الموت ، وكأن قد » (٣) .

هـ - عند السفر ومفارقة الأهل :

وهي من المناسبات التي يحسن فيها تقديم الوصايا وتوجيه النصائح الملائمة ، وما ورد في ذلك ما روى الأصمعي أن أعرابياً أراد سفراً فقالت له أمه : « قف علي كي أوصيك ، وع وصيتي ، فإنك إن وعيتها كنت محبباً محفوظاً .

عليك بحسن الخلق ولين الجانب ، ومرافقة السحباء المعطين ، ومجانبة البخلاء المكذّبين (٤) ، وعدّ عن الجزع واله عن النائم فإنها تزرع الضغائن ، وتزيل الوفاء ، وأطرح حلل العزير فإنها منغصّة ، والتخلق بها شين ، وأستودعك الله ، والسلام عليك » (٥) .

ولما عزم عقبة بن نافع (٦) على الخروج للجهاد قال يوصي أولاده :

- = الزبير ، نسب قريش ٢٥٧ . وابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٩٥/٥ . وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٤٩/٢ . والمزي ، تهذيب الكمال ١٤٥/١٠ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٥٧/٤ .
- (١) عَطَنٌ مفرد أعطان ، وهي مبارك الإبل ، ونقل ابن منظور عن الأزهري أنها لا تكون إلا على الماء . انظر : لسان العرب ٢٨٦/١٣ ، مادة « عَطَنٌ » .
- (٢) الطُّونَةُ كثرة الماء [لسان العرب ٢٧٠/١٣ مادة « طُونٌ »] وهي بهذا المعنى لا تناسب السياق ولعلّ الصواب « يصونها » كما نبّه إلى ذلك محقق كتاب الوصايا « الفاضل في صفة الأدب الكامل » ١٩٥/١ .
- (٣) الوصايا ، الفاضل في صفة الأدب الكامل ١٩٤/١ - ١٩٥ .
- (٤) أكدي الرجل إذا أمسك وقلّ خيره . انظر : الجوهري ، الصحاح ٢٤٧٢/٦ مادة « كَدَى » .
- (٥) الفاضل في صفة الأدب الكامل ٨٨/٢ .
- (٦) عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري ، من الصحابة الذين دخلوا أفريقيا ، وولي إمرتها مرتين ، بنى مدينة القيروان ، وكان مستجاب الدعوة ، استشهد سنة ثلاث وستين للهجرة . انظر :

« يا بنيّ ، أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيّعوها : إياكم أن تملؤوا صدوركم بالشّعْر وتتركوا القرآن ، فإن القرآن دليل على الله عزّوجل ، وخذوا من كلام العرب ما يهتدي به اللبيب ، ويدلكم على مكارم الأخلاق ، ثم انتهوا عمّا وراءه . وأوصيكم ألا تداينوا ولو لبستم العبادة ، فإن الدين ذلّ بالنهار ، وهمّ بالليل ، فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعرافكم ، وتبقّ لكم الحرمة في الناس ما بقيتم ، ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين ، فيجهلوكم دين الله ، ويفرقوا بينكم وبين الله تعالى ، ولا تأخذوا دينكم إلا من أهل الورع والاحتياط فهو أسلم لكم ، ومن احتاط سلم ونجا » (١) .

و - عند الزفاف :

وكما هو واضح من العنوان فإن الوصية هنا توجّه وقت العرس أو الإهداء لمن يراد تزويجه ذكراً كان أو أنثى ، وقد وقفت في هذا الصدد على وصايا اتحفت بها بعض الأمهات بناتهن ، منها وصية أمامة بنت الحارث (٢) لابنتها ، ومما جاء فيها : « أي بُنية ، إنك فارقت الجوّ الذي منه خرجت ، وخلفت العش الذي الذي فيه درجت ، إلى وكّر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً ، فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً » (٣) .

وحكى معمر بن المشنى التميمي أن أعرابية زوجت ابنتها ، فلما أرادت أن

= المالكي ، رياض النفوس ٩٧/١ . وابن حزم ، الجمهرة ١٧٨ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب

القرشيين ٤٤٤ . وابن الأثير ، أسد الغاية ٥٩/٤ . وابن حجر ، الإصابة ٨٠/٣ .

(١) المالكي ، رياض النفوس ٣٤/١ - ٣٥ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١٠٥/٤ .

(٢) أمامة بنت الحارث التغلبيّة ، زوج عوف بن محلم بن ذهل الشيباني ، فصيحة نبيلة جاهلية . انظر :

كحالة ، أعلام النساء ٧٤/١ .

(٣) ذكر وصيتها تامّة : الرشاء ، الفاضل في صفة الأدب الكامل ٩١/٢ - ٩٢ . والميداني ، مجمع الأمثال

٢٤١/٣ - ٢٤٢ . وسلام الإشبيلي ، الذخائر ١٧٧ - ١٧٨ .

تهديها قالت :

« أي بنية ، أوصيك فاحفظي وصيتي ، وأنصحك فاقبلي نصيحتي ، إياك والغيرة المفرطة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك وكثرة المعاتبة فإنها تؤدي إلى النفاق ، وعليك بالزينة ، وأزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء واستعمال الماء ، وأستودعك الله » (١) .

ز - عند الاحتضار :

وهي مناسبة تكون في نهاية الحياة وآخر العمر بالنسبة للموصي ، يقدم فيها من قدره الله على الكلام فيها خلاصة ما لديه من توجيهات ومواعظ وإرشادات .
وقد نقلت تلك الوصايا عن عدد من الجاهليين ممن عرف بالحكمة ، وقد لا يعرف بها ، كما رويت عن عدد آخر من العلماء المسلمين وعن غير العلماء أيضاً ، وكل واحد منهم يوصي بما اهتم به في حياته ، وغلب على ملكاته ، فأبوطالب (٢) - على سبيل المثال - أتبه في وصيته عشيرته إلى المحافظة على خصائص ومميزات قريش دون سائر القبائل ، وأبان أيضاً شعوره بصدق النبي ﷺ ، قال هشام بن محمد الكلبي : « لما حضرت أباطالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال : « يا معشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، وأنتم خزنة الله في أرضه وأهل الحرم ، منكم السيد المطاع ، الطويل الذراع ، وفيكم المقدم الشجاع ، الواسع الباع .
اعلموا أنكم لم تتركوا للعرب من المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلکم بذاك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم

(١) الوشاء ، الفاضل في صفة الأدب الكامل ٩٢/٢ .

(٢) أبوطالب عبدمناف بن عبدالمطلب شيبه بن هاشم بن عبدمناف ، عم النبي ﷺ وشقيق أبيه وكفيله بعد جدّه ، أزر النبي ﷺ ولم يكتب له الإسلام ، وتوفي عام الحزن في السنة العاشرة للبعثة . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١١٩/١ - ١٢٥ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٨٧ - ٩٠ .

حَرْبٌ ، وعلى حربكم أَلْبٌ^(١) ، وإني أوصيكم بوصية فاحفظوها ، وأقول لكم قولاً فعوا
عني قولي :

أوصيكم بتعظيم هذه البنية^(٢) ، فإن فيها مرضاة للرب ، وقواماً للمعاش ، وثباتاً
للوطأة ، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها ، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل ، وزيادة في
العدد ، واتركوا العقوق والبغي ، ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيبيوا الداعي ،
وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والممات ، عليكم بصدق الحديث ، وأداء
الأمانة فإن فيها نفياً لله ، وجلالة في الأعين ، أقلوا الخلاف على الناس ، تفضلوا
عليهم بالمعروف ، فإن فيها محبة في الخاصة ، ومحبة في العامة .

وإني أوصيكم بمحمد - ﷺ - خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، والصديق في
العرب ، وهو جامع لما أوصاكم الله ، وقد جاءكم بأمرٍ قبله الجنان ، وأنكره اللسان ،
مخافة السنان ، وأيم الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب من أهل العز في الأطراف
والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، فحاض
بهم غمرات الموت ، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذئاباً ، ودورها خراباً ،
وضعافها أرباباً ، وأعظمهم عليه حقاً أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد
محضته العرب ودادها ، وأصفت له صفاء بلادها ، وأعطته قيادها دون معاشر قريش .
يا معاشر قريش ، هو ابن أبيكم وأمكم ، كونوا له ولاةً ، ولحزبه حُماةً ، والله
لا يسلك أحدٌ سبيله إلا رشد ، ولا يأخذ أحدٌ بهديه إلا سعد ، ولو كان لنفسي مدة ،
وفي أجلي تأخير لكفيته الهزاهز^(٣) ، ولدفعت عنه الدواهي^(٤) .

(١) أَلْبٌ : مصدر أَلْب ، وهو الاجتماع على العداوة . انظر : الزمخشري ، أساس البلاغة ٨ مادة « أَلْب » .

(٢) يعني الكعبة ، انظر : لسان العرب ٩٥/١٤ مادة « بَنِي » .

(٣) الهزاهز : يعني الشدة والبلاء والفتن . انظر : المصدر السابق ٤٢٤/٥ مادة « هَزَزَ » .

(٤) الرشاء ، الفاضل في صفة الأدب الكامل ١٨٦/١ - ١٨٩ .

وسبق أوس بن حارثة بن ثعلبة (١) فأوصى عند وفاته بوصية لابنه مالك تضمنت الشرف ومكارم الأخلاق ، ويشر فيها بالنبي ﷺ مرغباً في اتباعه إذ قال في آخرها (٢) :

ألم يأت قومي أن لله دعوة يفوز بها أهل السعادة والبر
هناك أبشروا طراً بنصر بلادكم بني عامر إن السعادة في النصر
وجل وصايا المحتضرين تنطق بما استقر في نفوس قائلها مضمّنة أبرز اهتماماتهم في حياتهم وخلاصة تجاربهم فيها ، وتفاوتت وصاياهم تبعاً لتفاوت أحوالهم عند الوفاة فهناك من بدت علامت شقوته فأوصى بما لا يرضي الله تعالى كما يروي عن أحمد بن كليب النحوي (٣) وغيره ، وهناك من ظهرت علامات سعادته فأوصى بالخير والإيمان .

ولأن موضوع الأطروحة متعلق بالدعوة ، فإن البحث – بإذن الله – سيقصر على الوصايا الدعوية للعلماء المحتضرين ، وفي الفصل التالي حديث عن أنواعها وباللله التوفيق .

(١) أوس بن حارثة بن ثعلبة الفسائي ، من بني عمرو مزقبياء ، شقيق الخزرج ، وجد الأوس ، انظر :

ابن حزم ، الجمهرة ٣٣١ - ٣٣٢ . والزركلي ، الأعلام ٣١/٢ .

(٢) ذكر ابن سلام الأندلسي الوصية في كتابه الذخائر ١٧٧ . وذكر جملة منها ابن قتيبة في « عيون الأخبار » ٣٠/٣ .

(٣) انظر الحميدي ، جذوة المقتبس ١٤٥ - ١٤٦ .

الفصل الثاني

أنواع وصايا العلماء عند احتضارهم

المبحث الأول

الأنواع من حيث موضوعاتها

أنواع وصايا المحتضرين من حيث موضوعاتها

تنقسم الوصايا عند الاحتضار من حيث موضوعها إلى أنواع عدة هي : الوصايا العقدية ، والوصايا العبادية ، والوصايا الخلقية ، والوصايا السياسية ، وربما جاءت كل هذه الموضوعات في وصية واحدة من وصايا المحتضرين .
وهناك نوع آخر هو الوصايا الوعظية ، وأعني بها الوصايا التي يحث موضوعها بصورة إجمالية على التمسك بالتعاليم والمبادئ الإسلامية ، دون الخوض في جزئيات تفصيلية .

أولاً : الوصايا العقدية :

جاءت نصوص من الوصايا عند الاحتضار عن النبي ﷺ ، وعبادة بن الصامت رضي الله عنه تتحدث عن الجانب العقدي .
فوصية النبي ﷺ العقدية عند الاحتضار نهى فيها عن اتخاذ القبور مساجد ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزل برسول الله ﷺ فطنق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه ، قال - وهو كذلك - : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (١) .
وفي حديث عائشة عند مسلم أنها قالت في آخره « فلولا ذاك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً » (٢) .

(١) رواه النسائي ، كتاب المساجد ، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، برقم ٧٠٣ ، السنن ١/٤٠-٤١ والبيهقي في دلائل النبوة ٧/٢٠٤ بلفظ « قاتل الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لا يبقين دينان بأرض العرب » لكنه مرسل عن عمر بن عبدالعزيز . وانظر الوصية رقم ١ ص ١٣٩ من هذه الرسالة .

(٢) رواه الإمام مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ، برقم ١٩ (٥٢٩) . الصحيح ١/٣٧٦ .

فالنبي ﷺ علم - بإعلام من الله تعالى له - أن أمته ستحذوا حذو الأمم السابقة ، فشدد في التحذير آخر أيامه عن أسوأ ما وقعت فيه الأمم السابقة بعبادة قبور الأنبياء لأنه كابد مشاق الدعوة ثلاثاً وعشرين سنة ليترك الناس عبادة الأوثان ، ويتجهو إلى عبادة الله تعالى وحده ، فلعله خشي أن يدفع حبُّ الناس له إلى الإنحراف عن الهدف الذي سعى إليه بمجرد وفاته ، لذا كان يدعو : « اللهم لا تجعل قبري وثناً » (١) ، وفي رواية أبي نعيم وَجَّهَ النبي ﷺ خطابه لأُمَّته : « لا تجعلوا قبري وثناً » (٢) .

أما وصية عبادة بن الصامت رضي الله عنه فأكد فيها لابنه على الإيمان بالقضاء والقدر ، قال عطاء بن أبي رباح : سألت ابن عبادة بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت ؟ قال : جعل يقول : " يا بُنَيَّ ، اتق الله ، واعلم أنك لن تتقي الله - عز وجل - ولن تبلغ العلم حتى تعبد الله عز وجل وحده ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قلت : يا أبت ، كيف لي أن أومن بالقدر خيره وشره ؟ قال : تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطأك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فإن متَّ على غير هذا دخلت النار ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن أول ما خلق الله القلم ، فقال عز وجل له : اكتب ، فقال : ما أكتب ؟ فقال عز وجل : القدر ، فجرى من تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد » (٣) .

وتضمنت وصية معاذ بن جبل رضي الله عنه الحديث عن الإيمان بالله ، ورسالته ، وبالיום الآخر ، وهي ثلاثة أركان من مجموع أركان الإيمان الستة ، جاء في وصيته

(١) رواه الإمام مالك مرسلًا في الموطأ ١/١٧٢ ، كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة ، برقم ٨٥ ، والإمام أحمد موصولاً في مسنده ٢/٢٤٦ . وانظر الوصية رقم ٢ ص ١٣٩ من هذه الرسالة .

(٢) حلية الأولياء ٧/٣١٧ ، وقال غريب من حديث حمزة ، تفرد به سفيان .

(٣) رواه الترمذي ، كتاب القدر ، باب رقم ١٦ ، برقم ٢٢٤٤ ، تحفة الأحوذى ٦/٣٦٨ ، وابن عبادة هو الوليد ، انظر الوصية رقم ٥١ مع تخريجها ص ١٧٧ - ١٧٨ من هذه الرسالة .

رضي الله عنه أنه قال : « وما من أحد يؤمن بثلاث قبل الموت إلا دخل الجنة : يؤمن بالله عز وجل ويعلم أنه الحق من نفسه ، ويؤمن بالبعث ، ويؤمن بما جاءت به الرسل » (١) .

وألمح خالد بن الوليد رضي الله عنه في وصيته عند احتضاره إلى أن أرجى عمل له هو التوحيد ، قال أبو وائل : « لما حضرت خالداً الوفاة قال : لقد طلبت القتل مظانته ، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي ، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد التوحيد من ليلة بثها وأنا ممترس ، والسماء تهلني ، ننتظر الصبح حتى نغير على الكفار . ثم قال : إذا مت فانظروا سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله » (٢) .

فالتوحيد أساس الأعمال ، ومركز القبول ، ويدونه لا يقبل الله من أحد عملاً عمله ، قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (٣) .

ثانياً : الوصايا العبادية :

يقصد بالوصايا العبادية تلك الوصايا التي تحدثت عن علاقة العبد بخالقه سبحانه وتعالى فتحدث على طاعته وعبادته واجتناب معاصيه ، ومن تلك الوصايا ما تحدثت عن نوع معين من العبادات ومنها ما شمل عدداً منها ، ومن العبادات التي تحدثت عنها بعض الوصايا على نحوٍ محدد ما يأتي :

١ - الصلاة ، أوصى بها النبي ﷺ في لحظاته الأخيرة وهو يكيد بنفسه ، قالت أم سلمة رضي الله عنها : « كان من آخر وصية رسول الله ﷺ الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم حتى جعل نبي الله ﷺ يلجلجها في صدره وما يفيض بها لسانه » (٤) .

(١) انظر الوصية رقم ٧٠ ص ١٩٣ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ٤٣ ص ١٧١ من هذه الرسالة .

(٣) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٤) رواية ابن ماجه ، وانظر الوصية رقم ٦ ص ١٤١ من هذه الرسالة .

٢ - الجهاد في سبيل الله ، حث عليه - بأسلوب غير مباشر - خالد بن الوليد رضي الله عنه ، إذ قال - كما ذكر ابن حجر - لما حضرته الوفاة : « ما كان من ليلة أحب إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصيخُ العدو ، فعليكم بالجهاد » (١) .

وتحسّر يونس بن عبيد رحمه الله تعالى ألا يكون جاهد في سبيل الله تعالى ، فقد روى الذهبي أنه نظر إلى قدميه عند الموت وبكى فقبل : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ قال : « قدامي لم تغبر في سبيل الله » (٢) . ولعله يريد بذلك تحذير السامع له من ذلك التقصير حتى لا يقع فيه لا سيما وأن الفرصة قائمة .

٣ - التهجّد والصيام ، وهذه العبادة من أبرز سمات الأمة الإسلامية ، وكانت أقوى بروزاً في القرون الثلاثة الأولى ، فعبدالله بن عمر كان مما أسف عليه عند الموت التهجّد وصيام النافلة ، وقال : « ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : ظمأ الهواجر ، ومكابدة الليل ، وأني لم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت بنا » (٣) .

ومعاذ بن جبل رضي الله عنه بين عند موته أنه لم يحرص من الدنيا إلا على ثلاث : ظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات - يعني قيام الليل - ، وطلب العلم (٤) .

٤ - طلب العلم ، وهي عبادة شريفة حث عليها رسول الله ﷺ ، ووردت في وصية معاذ رضي الله عنه عند احتضاره ، فقد روى الذهبي أن « رجلاً بكى عند معاذ رضي الله عنه وهو يجود بنفسه ، فقال له معاذ : « ما يبكيك ؟ » قال : ما أبكي على دنيا كنت

(١) الإصابة ٢/٢٥٤ ، وانظر الصفحة السابقة ، حاشية رقم (٢) .

(٢) انظر الوصية رقم ١٦٨ ص ٢٥٩ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ٥٤ ص ١٧٩ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ٧١ ص ١٩٣ من هذه الرسالة .

أصبتها منك ، ولكن أبكي على العلم الذي كنت أصيبه منك . قال : « لا تبيكه ، فإن إبراهيم صلوات الله عليه كان في الأرض وليس بها علم ، فأتاه الله علماً ، فإن أنا مت فاطلب العلم عند أربعة : عبدالله بن مسعود ، وسلمان الفارسي ، وعبدالله بن سلام ، وعويمر أبي الدرداء » (١) ، وتقدم في الوصية المشار إليها أن طلب العلم أحد الأمور الثلاثة التي كان يحرص عليها في دنياه .

ويستفاد من وصيته هذه بالإضافة إلى الحث على طلب العلم : الإرشاد إلى أهله والدلالة عليهم ، وذلك فيه مساعدة لطلاب العلم للأخذ عن يوثق به .

٥ - الاستغفار ، وهي عبادة جعلها الله سبحانه وتعالى من أسباب دفع العذاب حيث قال : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » (٢) ، وجاء الحث عليه في وصية شقيق بن ثور رحمه الله ، حيث قال حين حضره الموت : « هذا دين لله في أعناقنا ، لا بد من أدائه على عسر أو يسر ، ثم قال لبنيه : إذا أنا مت فلا تبكين عليّ باكية ، ولا تنوح عليّ نائحة ، وأكثروا من الاستغفار » (٣) .

٦ - الخوف والرجاء ، وقد جاء التنبيه عليهما في وصية أبي بكر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فبعد أن أوصاه بأداء حقوق الله تعالى في أوقاتها قال له : « وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة ، فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت : إني أخاف أن لا ألق بهم ، وإن الله تعالى ذكر أهل النار ، فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، ورد عليهم أحسنه ، فإذا ذكرتهم قلت : إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء ، ليكون العبد راغباً راهباً ، لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمته » (٤) .

(١) انظر الوصية رقم ٦٨ ص ١٩١ من هذه الرسالة .

(٢) سورة الأنفال آية : ٣٣ .

(٣) انظر الوصية رقم ١١٨ ص ٢٢٢ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٠ ص ١٤٥ من هذه الرسالة .

٧ - الوفاء بالنذر ، وأشار إلى ضرورته صفوان بن سليم - رحمه الله تعالى - عند وفاته ، وكان حلف لا يضع جنبه على الأرض ، ومكث على ذلك ثلاثين سنة ، ولما حضرته الوفاة ، واشتد به النزاع وهو جالس قالت له ابنته : « يا أبتِ ، لو وضعت جنبك ؟ فقال : إذا ما وفيت لله بالنذر والحلف » (١) .

وقد اشتملت بعض الوصايا - ضمن ما حثت عليه - على بعض من العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة ، ذكر بها أبو عبيدة رضي الله عنه في وصيته عند وفاته (٢) ، وزادت عليها وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالحث على صلة الرحم ، وكفالة الأيتام (٣) .

وتشمل الوصايا العبادية ما جاء في بعضها من التحذير الشديد عن بعض المحرمات كشرب الخمر ، والعقوق ، والفرار من الزحف ، وأكل مال اليتيم ، وترك الصلاة كما في وصية معاذ بن جبل رضي الله عنه (٤) ، والتنفير من الزنى والكذب كما في وصية محمد بن سيرين رحمه الله (٥) ، وقطيعه الرحم كما في وصية المهلب (٦) ، وقد كثرت الوصايا الناهية عن النياحة وبدع الجنائز التي عرفت عند الجاهليين أو الأمم التي فتح المسلمون بلادهم .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٦٧/٥ . وقول صفوان هذا فيه وصية - غير مباشرة - بالوفاء بالنذر ، إلا أنه فيه كلفة على الإنسان ، وقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « عليكم ما تطيقونه من الأعمال » [رواه البخاري ، كتاب التهجد ، باب ما يكره من التشديد في العبادة ، برقم ١١٥١ ، فتح الباري ٣/٣٦] ، واحتمال صفوان لهذا الأمر لا يعني قدرة غيره عليه .

(٢) انظر وصيته رقم ٣٥ ص ١٦٤ - ١٦٥ من هذه الرسالة .

(٣) انظر وصيته رقم ٣٢ ص ١٦٢ - ١٦٣ من هذه الرسالة .

(٤) انظر وصيته رقم ٦٩ ص ١٩٢ من هذه الرسالة .

(٥) انظر وصيته رقم ١٥٤ ص ٢٥٠ من هذه الرسالة .

(٦) انظر وصيته رقم ١٦٠ ص ٢٥٣ من هذه الرسالة .

الوصايا الخلقية :

تطرق العلماء في وصاياهم عند احتضارهم إلى قضايا الأخلاق ، فجاء الحث فيها على الأخلاق الكريمة الفاضلة التي حبها الإسلام ودعا إليها ، ومما تعرض له العلماء حال وفاتهم ما يلي :

١ - الأناة والتؤدة : أوصى بها المهلب بن أبي صفرة رحمه الله ، حيث قال لبنيه عند احتضاره : « وإياكم والنزق والعجلة ، فإن المكيدة والحديعة أنفع من الشجاعة » (١) ، ويلاحظ أن الخلق الذي حث عليه جاء متأثراً باهتماماته الشخصية ، فهو من أبرز قواد بني أمية ، ولا يمنع ذلك من الاستفادة من وصيته بهذا الخلق في مجالات أخرى .

٢ - التواضع : وهو سمة عامة للمسلمين مع إخوانهم ، ومن أشار إليه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عند احتضاره حيث قال : « لقد عشت فيكم على ثلاث خلال : للفقير فيكم أحب إلي من الغنى ، وللضعف فيكم أحب إلي من الشرف ، وأن من حمدني فيكم ولامني في الحق سواء » (٢) .

٣ - الحلم : أوصى به المهلب رحمه الله بنيه ، فبعد وصيته لهم بإكرام قومهم قال : « وإن شتموكم فاحتملوا لهم » (٣) ، وهذا الخلق مع الأناة هما اللذان امتدح بهما النبي ﷺ أشج عبدالقيس عندما قال له : « إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة » (٤) .

(١) انظر وصيته رقم ١٦٠ ص ٢٥٤ من هذه الرسالة .

(٢) انظر وصيته رقم ٣٦ ص ١٦٧ من هذه الرسالة .

(٣) انظر وصيته رقم ١٦٠ ص ٢٥٤ من هذه الرسالة .

(٤) رواه الإمام مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين ، والدعاء إليه والسؤال عنه ، وحفظه وتبليغه من لم يبلغه ، برقم ٢٦ (١٨) ، الصحيح ٤٩/١ . وأبوداود ، كتاب الأدب ، باب في قبلة الرجل ، برقم ٥٢٥ ، السنن ٣٩٦/٥ . والترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في التأني والعجلة ، برقم ٢٠٨٠ ، تحفة الأحوذى ١٥٢/٦ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب الحلم ، بلفظ « الحلم والتؤدة » برقم ٤١٨٧ ، السنن ١٤٠٠/٢ - ١٤٠١ .

٤ - الرزانة مع زنة الكلام وقلته ، جاء في وصية المهلب لبنيه أنه قال : « يا بني اتقوا الجواب وزلة اللسان ، فإني رأيت الرجل تعثر قدمه فيقوم من زلته فينتعش منها سوياً ، ويزل لسانه فيويقه وتكون فيه هلكته ... وإياكم والخفة في مجالسكم وكثرة الكلام ، فإنه لا يسلم منه صاحبه » (١) ، وتحذيره مما يناقض الرزانة - كالخفة وكثرة الكلام - دعوة إليها .

وقال أكثم بن صيفي : « وكفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين لحييه » (٢) ، وفائدة الرزانة وقلة الكلام حصول المهابة ، والسلامة من عواقب زلات اللسان .

٥ - سلامة الصدر ، وهو يعني عذر الآخرين فيما صدر منهم وإضمار الخير لهم ، ومن تحدث عن ذلك خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي واجه من عمر رضي الله عنه بعض الشدة ، فلما تفكر فيما كان منه نحوه عذره ، كُنَّ له المحبة بل وجعل تنفيذ وصيته إليه (٣) ، كما أشار أبودجانة رضي الله عنه إلى هذا الخلق في مرض وفاته ، قال زيد بن أسلم : « دُخِلَ على أبي دجانة وهو مريض ، وكان وجهه يتهلل ، ف قيل له : « ما لوجهك يتهلل ؟ فقال : ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين : أما إحداهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني ، وأما الأخرى فكان قلبي للناس سليماً » (٤) .

٦ - الصبر : وهو من أهم الأخلاق للداعية بخاصة ، حثَّ عليه القرآن الكريم في أكثر من آية منها : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ﴾ (٥) ، ومن أوصى به عند احتضاره عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال لابنه عبد الله رضي الله عنه عند احتضاره : « يا بُني ، عليك بخصال الإيمان . قال : وما هن يا أباي ؟ قال :

(١) انظر وصيته رقم ١٦٠ ص ٢٥٤ من هذه الرسالة .

(٢) انظر وصيته رقم ٨٥ ص ٢٠٥ من هذه الرسالة .

(٣) انظر وصيته رقم ٤٢ ص ١٧١ من هذه الرسالة .

(٤) انظر وصيته رقم ٤٨ ص ١٧٦ من هذه الرسالة .

(٥) سورة الأحقاف آية : ٤٦ .

الصوم في شدة أيام الصيف ، وقتل الأعداء بالسيف ، والصبر على المصيبة ، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي ، وتعجيل الصلاة في يوم الغيم ، وترك ردة الخبال . قال : وما ردة الخبال ؟ قال : شرب الخمر « (١) . وعبد الله بن غانم الذي قال يُسمع عاتده عبد الملك بن قطن حين دعا له بالصحة والعافية : « هو الموت ، والغاية التي إليها نهاية الخلق ، فصبر جميل يؤجر صاحبه خير من جزع لا يغني عنه » (٢) . وقد كان الصدق من أبرز الأمور في الآيات التي أوصى بها هرم بن حيان رحمه الله (٣) .

٧ - الصدق : أوصى به الشافعي تلميذه المزني فقال : « ليكن الصدق لسانك ، والوفاء عمادك » (٤) ، ونهَى سفيان الثوري رحمه الله صاحبه « سيف » عن الكذب وصية له بالصدق والتمسك به أياً كان حاله (٥) .

٨ - عزة النفس : والمقصود به الترفع عن سفاسف الأمور ، وعمّا بأيدي الناس ، وعدم بذل ماء الوجه من أجل ذلك ، ومن أشار إلى هذا الخلق في وصيته عند الاحتضار قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه ، إذ جاء في وصيته : « وعليكم بإصلاح المال ، فإنه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللثيم » (٦) .

٩ - العفاف : أوصى به محمد بن سيرين رحمه الله تعالى ، وقد جاء في وصيته : « فإن العفاف والغنى خير وأبقى من الزنى والكذب » (٧) .

١٠ - الكرم : وهذا الخلق كان محلّ اهتمام أكثر من عالم عند احتضاره ، فممن أوصى به عند وفاته شبث بن ربعي رحمه الله تعالى ، قال : « هذا ما أوصى به شبث ابن ربعي ، أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجواد

(١) انظر وصيته رقم ٢٦ ص ١٥٧ من هذه الرسالة . وهناك شرحت الكلمات الغامضة .

(٢) انظر وصيته رقم ١٢٦ ص ٢٢٦ من هذه الرسالة .

(٣) انظر وصيته رقم ٩٦ ص ٢١١ من هذه الرسالة .

(٤) انظر وصيته رقم ١٥١ ص ٢٤٧ من هذه الرسالة .

(٥) انظر وصيته رقم ١١٤ ص ٢٢١ من هذه الرسالة .

(٦) انظر وصيته رقم ٦٤ ص ١٢١ من هذه الرسالة .

(٧) انظر وصيته رقم ١٥٤ ص ٢٥٠ من هذه الرسالة .

في الجنة ، وأن البخيل في النار « (١) ، وسعيد بن العاصي رضي الله عنه يدعو في مجمل وصيته إلى الكرم والسخاء ، وما جاء فيها : « يا بُنَيَّ ، إن فقد إخواني وجهي فلا يفقدوا معروفني » وقال : « يا بُنَيَّ ، أخزى الله المعروف إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة » (٢) .

إن الأخلاق المذكورة آنفاً – وإن كان لها أثر في التعامل مع الآخرين – إلا أنها تتعلق بذات الفرد ، ويمكن أن يوصف بها شخص لوحده ، وبناءً على ذلك فهناك أخلاق تمثل السلوك الجماعي للمجتمع المسلم تحدثت عنه بعض الوصايا عند الاحتضار ، منها :
١ – الترابط : بمعنى الاجتماع والتعاون ، وترك الفرقة والخلاف ، سواء كان على مستوى الأسرة ، أو المجتمع كله ومن أوصى بذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال لابنيه في وصيته بعد إصابته وشعوره بالوفاة : « عليكم يا بُنَيَّ بالبر والتواصل والتبار ، وإياكم والتقاطع ، والتدابير ، والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » (٣) .

كما أوصى بذلك عبدالملك بن مروان عند احتضاره ، وما جاء في وصيته : « وإياكم والاختلاف والفرقة ، فإن بها هلك الأولون قبلكم ، وذلّ ذوا العدد والكثرة » ، وأنشد في آخرها :

« انفوا الضغائن عنكم وعليكم	عند المغيب وفي حضور المشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم	إن مدّ في عمري وإن لم يمدد
ولمثل ريب الدهر ألف بينكم	بتراحم وتواصل وتودّد
حتى تلين قلوبكم وجلودكم	لمسوّد منكم وغير مسوّد

(١) انظر وصيته رقم ٩٠ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ من هذه الرسالة .

(٢) انظر وصيته رقم ٤٦ ص ١٧٤ من هذه الرسالة .

(٣) انظر وصيته رقم ٣٢ ص ١٦٣ من هذه الرسالة .

إن القдах إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو حنق ويطش أيّد
عزّت فلم تكسر وإن هي بدّدت فالوهن والتكسير للمتبدد « (١) »

٢ - المشاورة : وهي سمة من السمات التي تمثّل سلوك الجماعة المسلمة ، قال تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (٢) ، وكان ممن أشار إليها عند وفاته عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال : « وإن تولوا سعداً فأهله هو ، وإلا فليستعن به الوالي فإنني لم أعزله عن ضعف ولا خيانة ، ونعم ذو الرأي عبدالرحمن بن عوف ، مسدّد رشيد ، له من الله حافظ » (٣) ، كما أشار إليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصيته لابنه محمد بن الحنفية ، فبعد أن قدّم الوصيّة للحسن والحسين قال له : « أسمعت ما وصيتهما به ؟ قال : نعم . قال وأوصيك بمثله ، ويتزيين أمر أخويك ، ولا تقطع أمراً دونهما » (٤) .

٣ - النصيحة لجماعة المسلمين : وهي من معالم الشخصية الإسلامية للمجتمع الإسلامي ، حث عليها رسول الله ﷺ ، وعاهد عليها بعض أصحابه . وكان ممن أكّد عليها في وصيته عند احتضاره أبو عبيدة رضي الله عنه حيث قال : « وانصحو لأمرائكم ولا تبغضوهم » (٥) ، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال في وصيته : « وانصح لجماعة المسلمين » (٦) . والربيع بن خثيم رحمه الله تعالى ، جاء في وصيته : « وانصح لجماعة المسلمين » (٧) .

(١) المعمرون والوصايا ص ١٦٠ - ١٦١ ، وانظرها رقم ١٣٠ ص ٢٣٣ من هذه الرسالة .

(٢) سورة الشورى آية : ٣٨ .

(٣) انظر الوصيّه رقم ٢٢ ص ١٥٦ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصيّه رقم ٣١ ص ١٦٢ من هذه الرسالة .

(٥) انظر وصيته رقم ٣٥ ص ١٦٥ من هذه الرسالة .

(٦) انظر وصيته رقم ٦٩ ص ١٩٢ من هذه الرسالة .

(٧) انظر وصيته رقم ٨٧ ص ٢٠٦ من هذه الرسالة .

رابعاً : الوصايا السياسية :

جاء من ضمن الوصايا الدعوية عند الاحتضار وصايا سياسية وجهها الخلفاء إلى من يلي الأمر بعدهم ، وقد احتوت هذه الوصايا بجملتها على معظم سلوكيات الحاكم المسلم التي ينبغي أن يتحلى بها ويسير عليها . وفيما يأتي بيان لما وقفت عليه من تلك الوصايا السياسية :

١ - وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخليفة من بعده ، أوصاه في نفسه بالتقوى والعدل والحزم ومخافة الله تعالى ، وبين له أسس تعامله مع الرعية :

أ - فأوصاه خيراً بالمهاجرين والأنصار .

ب - وبين له كيفية التعامل مع أهل الأمصار ، وأهل البادية في جزيرة العرب ، وأهل الذمة .

ج - حسن معاملة المسلمين ، حيث قال : « وأنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين ، فأجللت كبيرهم ، ورحمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضربهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقروهم ، ولا تجمرهم في البعوث فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قلوبهم ضعيفهم » (١) .

٢ - وصية معاوية رضي الله عنه لابنه يزيد عند الذهبي ، أوصاه فيها بالرفق بالناس ، واحترام أهل الشرف وقبول شفاعاتهم ، وعدم جبههم ، أو التكبر عليهم (٢) .

٣ - وصية عمر بن عبدالعزيز لولي عهده يزيد بن عبد الملك ، حذره فيها من تضييع حقوق الناس ، والانشغال بأمر الدنيا عن الآخرة ، وكان مما قال في كتابه له : « أما بعد ، فإنني لما بي ، ولا أرى الأمر إلا سيفضي إليك ، والله الله في أمة محمد

(١) انظر وصيته رقم ١٩ ص ١٥٣ - ١٥٤ من هذه الرسالة .

(٢) انظر وصيته رقم ٧٤ ص ١٩٧ من هذه الرسالة .

النبي ﷺ ، فتدع الدنيا لمن لا يحمدك ، وتفضي إلى من لا يعذرك « (١) .

٤ - وصية المأمون التي وعظ فيها أخاه المعتصم ونهاه عن الاغترار بعز السلطان لأنه زائل عنه كما زال عمن قبله ، وأوصاه بالحزم والصرامة في مجابهة أعداء الدولة « الخرمية » ، كما أصاه بالعدل في الرعية ومراعاة صالح المسلمين فقال : « ولا تغفل أمر الرعية ، الرعية الرعية ! العوام العوام ! فإن الملك لهم ويتعهدك المسلمين والمنفعة لهم . الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين ! ولا ينهين إليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة لهم إلا قدمته وآثرته على غيره من هواك ، وخذ من أقربائهم لضعفائهم ، ولا تحمل عليهم في شيء ، وأنصف بعضهم من بعض بالحق بينهم » (٢) .

خامساً : الوصايا العامة « الوعظية » :

ويقصد بها الوصايا التي لم تتحدث عن موضوعات بعينها ، بل عنيت بجانب الوعظ والتذكير بالآخرة ، والزهد في الدنيا ، وأخذ العبرة من الآخرين ... ونحو ذلك . ومن موضوعات الوصايا العامة ما يأتي :

أ - الاستعداد للآخرة والتذكير بالموت ، وهو أمر كثرت فيه الوصايا عند الاحتضار ، ومن أوصى بها :

أبوالدرداء رضي الله عنه ، جاء في وصيته لأم الدرداء وابنه بلال قوله : « يا أم الدرداء اعلمي لمثل مصرعي هذا ، يا أم الدرداء اعلمي لمثل ساعتني هذه ... ويحك يا بلال ، اعمل لساعة الموت ، اعمل لمثل مصرع أبيك ، واذكر به صرعتك وساعتك فكأن قد » (٣) .

وعامر بن عبد الله الذي قال عندما نزل به الموت : « لمثل هذا المصرع فليعمل

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٠٥/٥ - ٤٠٦ ، وانظرها رقم ١٣٦ ص ٢٣٨ من هذه الرسالة .

(٢) انظر وصيته رقم ١٢٨ ص ٢٢٩ من هذه الرسالة .

(٣) انظر وصيته رقم ٦١ ص ١٨٥ من هذه الرسالة .

العاملون . اللهم إني استغفرك من تقصيري وتفريطي ، وأتوب إليك من ذنوبي ،
لا إله إلا أنت « (١) .

وزيد الرقاشي رحمه الله تعالى ، كان يردد عند احتضاره : « يا إخواني ،
لا تَغْتَرُّنَّ بشبابكم ، فكأن قد حلَّ بكم ما حلَّ بي من عظيم الأمر ، وشدة كرب الموت ،
النجاة النجاة ، الحذر الحذر ، يا إخواني ، المبادرة رحمكم الله » (٢) .

ب - الاتعاظ بالآخرين ، وهو من الأمور التي تطرق لها المأمون رحمه الله في
وصيته فقال : رحم الله امرأ اتعظ وفكر فيما حتمَّ الله على خلقه من الفناء ، وقضى
عليهم من الموت الذي لا بد منه ، فالحمد لله الذي توحد بالبقاء ، وقضى على جميع
خلقه الفناء ، ثم لينظر ما كنتُ فيه من عزِّ الخلافة ؛ هل أغنى ذلك عني شيئاً إذ جاء
أمر الله ! لا والله ، ولكن أضعف عليَّ به الحساب ، فيا ليت عبد الله بن هارون لم يكن
بشراً ، بل ليت له لم يكن خلقاً ! « (٣) .

فحاكم أقوى دولة في زمانه يصف حاله عند الموت ويدعو حاشيته ومن تبلغه الوصية
أن يعتبر بذلك ، وفي ذلك أبلغ الموعظة لمن نسي حقيقة أمره ، وغره الجاه والسلطان عنها .
وقد تمَّ فيما سبق تقسيم وصايا العلماء المحتضرين من حيث موضوعاتهم إلى
وصايا عقدية ، وعبادية ، وأخلاقية ، وسياسية ، ثمَّ وصايا عامة (وعظية) ، ولا
يعني ذلك أن الوصايا العبادية مثلاً لا تتضمن قضية أخلاقية ، أو عقدية ، بل
عقدية ، بل كثير من الوصايا تداخلت فيها هذه الموضوعات وبخاصة الوصايا العبادية
والأخلاقية والسياسية .

ولا أزمع أن جميع الوصايا تندرج تحت هذا التقسيم الموضوعي ، فربما وردت
وصايا خارجة عنها ، فلكل قاعدة شواذ .. والله أعلم .

(١) انظر وصيته رقم ١٢٣ ص ٢٢٥ من هذه الرسالة .

(٢) انظر وصيته رقم ١٦٥ ص ٢٥٨ من هذه الرسالة .

(٣) انظر وصيته رقم ١٢٨ ص ٢٢٩ من هذه الرسالة .

المبحث الثاني

الأنواع من حيث طبيعتها

أنواع وصايا المحتضرين من حيث طبيعتها

طبيعة الوصايا يراد بها الكيفية التي صدرت فيها الوصايا من العالم عند احتضاره ، ويتتبع وصايا العلماء الدعوية عند احتضارهم يُمكن تقسيمها من حيث طبيعتها إلى قسمين :

أولاً : وصايا مباشرة ، ووصايا غير مباشرة :

فالوصايا المباشرة ما كان الخطاب فيها موجهاً إلى الموصى توجيهاً يلحظ بوضوح من ألفاظ الوصية ، وهو الكثير الغالب على الوصايا عند الاحتضار ، ومن نماذجها ما يلي :

أ - في القرن الأول :

وصية سعد بن الربيع رضي الله عنه الذي جاهد مع رسول الله ﷺ حتى استشهد في أحد ، فلما لمس ثمرة إيمانه وهو في النزاع قال للأنصاري الذي بحث عنه بأمر من رسول الله ﷺ : « أبلغ رسول الله عني السلام - وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله خير ماجزى نبياً عن أمته . وأبلغ عني قومك السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ﷺ وفيكم عين تطرف » (١) .

فالخطاب في وصيته مباشر للأنصاري حين أمره بأداء الوصية ، وللرسول ﷺ وإن كان غائباً لكن عينه وأرسل له السلام والتجزية ، ولقومه الأنصار عندما حفزهم للدفاع عن صاحب الدعوة ﷺ والذود عنه .

ووصية العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ، لعثمان بن عفان رضي الله عنه حين

(١) انظر وصيته رقم ٤٥ ص ١٧٢ - ١٧٣ من هذه الرسالة .

عاده وطلب منه الوصية فقال له : « الزم خواصَّ تصب عواماً ، ودع مصانعة الناس ، وعليك بسلامة القلب وحفظ اللسان تصب بهما سروراً ، ومن آمنه الناس على أعراضهم استقاموا له بموادتهم » (١) .

ب - وفي القرن الثاني :

وصية الحسن البصري رحمه الله تعالى ، فقد روى أبو نعيم « أن الحسن لما حضره الموت دخل عليه رجال من أصحابه فقالوا له : يا أباسعيد ، زدنا منك كلمات تنفعنا بهن .

قال : إني مزودكم ثلاث كلمات ثم قوموا عني ودعوني ولما توجهت إليه : مانهيتم عنه فكونوا من أترك الناس له ، وما أمرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به ، واعلموا أن خطاكم خطوتان : خطوة لكم ، وخطوة عليكم ، فانظروا أين تغدون وأين تروحون » (٢) .

فالحسن البصري مكّنه علمه الواسع من حصر أهمّ المعاني المؤثرة في كلمات موجزة ، جمعت أهم ما يجب على المسلم مراعاته في حياته من أجل السلامة في الآخرة .

وصية عبيدالله بن أبي المهاجر رحمه الله ، قال ابنه إسماعيل : « لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه وقال : يا بني عليكم بتقوى الله ، وعليكم بالقرآن فتعاهدوه ، وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلاً ثم سئل عنه أقرب به ، والله ما كذبت كذبة منذ قرأت القرآن ، يا بني وعليكم بسلامة الصدور لعامة المسلمين فوالله لقد رأيتني وأنا لا أخرج من بيتي ما ألقى مسلماً إلا والذي في نفسي له كالذي في نفسي لنفسي ، أفترون أنني لا أحب لنفسي إلا خيراً ؟ » (٣) .

(١) انظر وصيته رقم ٥٢ ص ١٧٨ من هذه الرسالة .

(٢) انظر وصيته رقم ١٠٦ ص ٢١٦ - ٢١٧ من هذه الرسالة .

(٣) انظر وصيته رقم ١٣٣ ص ٢٣٥ من هذه الرسالة .

ج - وفي القرن الثالث :

وصية الإمام الشافعي رحمه الله تعالى لصاحبه المزني عندما عاده وطلب منه الوصية فقال له : « اتق الله ، ومثل الآخرة في قلبك ، واجعل الموت نصب عينيك ، ولا تنس موقفك بين يدي الله عزوجل ، وكن من الله عزوجل على وجل ، واجتنب محارمه ، وأد فرائضه ، وكن مع الحق حيث كان ، ولا تستصغرن نعم الله عليك وإن قلت وقابلها بالشكر ، وليكن صمتك تفكراً ، وكلامك ذكراً ، ونظرك عبرة ، اعف عمّن ظلمك ، وصل من قطعك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، واصبر على النائبات ، واستعد بالله من النار بالتقوى » (١) .

وهي وصية طويلة جمع فيها الشافعي رحمه الله من الأخلاق والآداب ما إن تمثل بها المرء أصبح مثال المسلم القويم .

ووصية السري بن المغلس السقطي رحمه الله ، قال ابن أبي الورد - أحد تلاميذه - : « كان السري يأمرنا بالعزلة والوحدة وترك مجالسة الناس ، فاعتلّ ، فعدته عيادة البيضة - يعني بين كل ثلاثة أيام - فنظرت في وجهه ، ورأيت على لسانه شيئاً ، فهملت عيناى ، وسقط من دموعي على وجهه ، ففتح عينيه ونظر إليّ فقلت له : رحمك الله تعالى ، أوصنى بشيء أحفظه عنك . فقال : احذر ثم احذر أن تعرف الأشرار ، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار .

وكان ذلك آخر كلامه » (٢) .

أما الوصايا غير المباشرة ، فما كانت التوجيهات والمواعظ ملحوظة فيها من ثنايا كلمات قائلها ، دون أن يوجه الخطاب إلى أحد معين ، أو يكون جواباً لاستفسار صدر من أحد زائريه .

(١) انظر وصيته رقم ١٥١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ من هذه الرسالة .

(٢) انظر وصيته رقم ١١٠ ص ٢١٨ - ٢١٩ من هذه الرسالة .

ومن أمثلة الوصايا غير المباشرة عند الاحتضار :

أ - وصية أبي هريرة رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ الذي أمضى عمره في طاعة الله وعبادته ، فلما حلَّ به الموت خشي من هول المطلق فبكى ثم قال : « أما إنِّي لا أبكي على دنياكم هذه ، إنما أبكي على بعد سفري وقلة زادي ، وأنِّي أُمسيت في صعود مهبطه على جنة أو نار ، فلا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي » (١) .

وكلماته هذه إنما هي وصية لمن هو دونه في العبادة وللمقصرين كي يحذروا ويجتهدوا قبل أن يصيروا إلى ما صار إليه .

ب - ووصية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، التي أوصى فيها بنافلة الصيام والتهجد ، ومقاومة الباغين أول ظهورهم وحتى لا يشتد عودهم ، ويستشري فسادهم ، ومن ثم تصعب مقاومة ضررهم فضلاً عن إزالته . فقد روى الذهبي أن ابن عمر قال عند احتضاره : « ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث : ظمأ الهواجر ، ومكابدة الليل ، وأنِّي لم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت بنا » (٢) .

ج - ووصية عامر بن عبد الله بن عبد القيس رحمه الله تعالى الذي استعبر فيها لفوات صيام نهار أيام الصيف ، وقيام ليالي الشتاء ، وأعاد إلى الأذهان التذكير بمآل الإنسان ، وحفَّز إلى الاستعانة بالله تعالى ، قال : « هذا الموت غاية الساعين ، وأنا لله وأنا إليه راجعون ، والله ما أبكي جزعاً من الموت ، ولكنِّي أبكي على حرّ النهار ويرد الليل ، وإنِّي أستعين بالله على مصرعي » (٣) .

د - ووصية خيشمة بن عبد الرحمن رحمه الله لزوجته حين بكت ساعة احتضاره فقال لها : « ما يبكيك ؟ الموت لا بد منه . فقالت له : الرجال بعدك حرام .

(١) انظر وصيته رقم ٨٠ ص ٢٠١ من هذه الرسالة .

(٢) انظر وصيته رقم ٥٤ ص ١٧٩ من هذه الرسالة .

(٣) انظر وصيته رقم ١٢٢ ص ٢٢٥ من هذه الرسالة .

فقال خيشمة : ما كلّ هذا أردت منك . إنما أخاف رجلاً واحداً وهو أخي محمد ابن عبدالرحمن^(٣) ، وهو رجل فاسق يتناول الشراب ، فكرهت أن يشرب في بيتي الشراب بعد إذ القرآن يُتلى فيه في كل ثلاث^(١) .

وخيشمة حين أوصى زوجته بالابتعاد عن أخيه لأنه فاسق يشرب الخمر ، فإنه يوصيها وغيرها بعدم المحاباة والمداراة في أمر الله وإن كان قريباً ، ويتجنب الفساق ومجافاتهم .

هـ - ووصية ووصية عمرو بن عتبة رحمه الله ، أشار فيها إلى ضرورة تقديم حكم الشرع ومقتضياته على رغبات النفس وأهوائها ، فعندما حضرته الوفاة قال لرفيقه : « نزل بي الموت ولم أتأهب له .

اللهم إنك تعلم أنه ما سنح لي أمران لك في أحدهما رضاً ولي في الآخر هوى إلا آثرت رضاك على هواي »^(٢) .

و - ووصية عنبسة بن أبي سفيان رحمه الله التي وجّل فيها من القдом على الله تعالى مع ما عرف عنه من الخير والصلاح ، وقال : « ما يمنعني ألا أبكي وأن لا يشتد حزني من هول المطلق ، وما يدريني ما أشرف عليه غداً ؟ وما قدمت من كثير عملٍ تثق به نفسي ، مع أنني سمعت أم حبيبة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« مَنْ حَافِظٌ عَلَى أَرْبَعٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرَمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ »^(٣) .

وهو بهذا يبلغ حديثاً حفظه عن رسول الله ﷺ ، ويوصي - إلحاحاً - بما فيه .

ز - ووصية سيبويه النحوي رحمه الله الذي رحل من بغداد إلى خراسان ساعياً خلف رزقه ، فأدركه الموت وهو في الطريق فقال - متمثلاً بأبيات حفظها - :

(١) انظر وصيته رقم ١٠٩ ص ٢١٨ من هذه الرسالة .

(٢) انظر وصيته رقم ١٤٤ ص ٢٤١ من هذه الرسالة .

(٣) انظر وصيته رقم ١٤٥ ص ٢٤٢ من هذه الرسالة .

« يؤمل دنيا لتبقى له فوافى المنية دون الأمل
 حشياً يروى أصول الفسيب ل فعاش الفسيل ومات الرجل » (١)
 وهي توحى بحب الناس للدنيا وطول البقاء فيها ، وإنما هم كزارع الفسيل يعتنى
 بها خشية أن تموت ليستفيد من ثمرها ، فيموت وتبقى بعده .

ح - ووصية خلف الأحمر رحمه الله ، قال صاحبه محمد الشقفي : « دخلتُ على
 خلف الأحمر أعوده في مرضه الذي توفي فيه ، وجنته معي بطبيب ، فقال لي : مرحباً
 بك ، لقد كنت مشتاقاً إليك . فوصفت له الطبيب الذي جئت به وحذّقه فلم يلتفت إليه
 وقال : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا » (٢) .

ط - وصية أحمد بن خضروية رحمه الله ، والتي أوصى فيها بأسلوب غير
 مباشر بملاحظة حال المريض ومراعاة ذلك وعدم الإثقال عليه وإن كان في مجال العلم ،
 قال محمد بن حامد : « كنت جالساً عند أحمد بن خضروية وهو في النزاع ، وكان قد أتى
 عليه خمس وتسعون سنة ، فسأله بعض أصحابه مسألة ، فدمعت عيناه وقال : يا بُني
 باب كنت أدقّه منذ خمس وتسعين سنة هو ذا يفتح لي الساعة ، لا أدري بالسعادة أم
 بالشقاوة ، وأنى لي أو ان الجواب » (٣) .

وبملاحظة الوصايا المباشرة والوصايا غير المباشرة ، يمكن التوصل إلى تحديد
 الفارق بينهما في أمرين هما :

الأول : يكمن في توجيه الخطاب ، ففي الوصايا المباشرة يدرك السامع بوضوح
 أنه معني بالكلام ، أما الوصايا غير المباشرة فالمحديث فيها غير موجّه لشخص بعينه
 على سبيل النصح أو التكليف .

الثاني : أن موضوع الوصايا المباشرة محدد من ألفاظ الوصية ، لكنه في
 الوصايا غير المباشرة يُلْمح ويستشف من ثنايا الكلمات .

(١) انظر وصيته رقم ١٤٥ ص ٢٤٢ من هذه الرسالة ، والفسيل : صغار النخل . انظر : صحاح الجوهري
 ١٧٩٠/٥ ، مادة « فَسَلَّ » .

(٢) انظر وصيته رقم ١٠٨ ص ٢١٧ - ٢١٨ من هذه الرسالة . والآية في سورة التوبة رقم ٥١ .

(٣) انظر وصيته رقم ٢٤٠ ص ٢١٣ من هذه الرسالة .

ثانياً : وصايا فردية ، ووصايا جماعية :

إن تقسيم الوصايا من حيث طبيعتها إلى فردية وجماعية إنما يركز على مستقبل الوصية (الموصى) ، فإذا كان شخصاً واحداً والحديث موجه إليه تلقائياً كانت الوصية فردية ، وإن كان المستقبل لها جماعة ، أو وردت بلفظ الجمع كانت الوصية جماعية .
وفيما يلي نماذج من الوصايا لكلا القسمين :

١ - نماذج الوصايا الفردية :

أ - وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فبعد أن عهد إليه بالخلافة قدم له وصية يحثه فيها على التقوى ، واتباع الحق ، وأوصاه بالحدز في معاملة الناس والتثبت قبل تنفيذ الأحكام عليهم فقال : **إني أدعوك إلى أمرٍ متعب لمن وليه ، فاتق الله يا عمر بطاعته ، وأطعه بتقواه ، فإن المتقي امرؤ محفوظ ، ثم إن الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل ، فمن أمر بالحق وعمل بالباطل ، وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر ؛ يوشك أن تنقطع أمنيته ، وأن يحبط عمله ، فإن أنت وليت عليهم أمرهم فإن استطعت أن تحجب يدك من دمائهم ، وأن يضمرَ بطنك من أموالهم ، وأن يخف لسانك عن أعراضهم ، فافعل ، ولا قوة إلا بالله » (١) .**

ب - وصية علي بن أبي طالب لابنه الحسن رضي الله عنهما التي قال فيها :
**« يا بني ، احفظ أربعاً وأربعاً لا يضرك ما عملت معهن . قال : وما هن يا أبت ؟
قال : إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجبُ ،
وأكرم الحسب حسن الخلق .**

قال : يا أبت ، هذه الأربع فأعطني الأربع الأخر .

قال : إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب إليك البعيد ويبعد عليك القريب ، وإياك ومصادقة البخيل فإنه

(١) انظر وصيته رقم ١٤ ص ١٤٩ من هذه الرسالة .

يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعهك بالتافه « (١) .

ج - وصية الحسن بن علي لأخيه الحسين رضي الله عنهم ، أوصاه فيها ألا يفتر بأهل الكوفة وشدد عليه في ذلك ، خشيةً عليه ومخافة سفك الدماء ، ولعله كان يلحظ في أخيه صلابة وطموحاً للخلافة فقال له في وصيته : « يا أخي إن أباك رحمه الله لما قبض رسول الله ﷺ استشراف لهذا الأمر ورجا أن يكون صاحبه ، فصرفها الله عنه ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشرف لها أيضاً ، فصرفت عنه إلى عمر ، فلما احتضر عمر وجعلها شورى بين ستة هو أحدهم ، فلم يشك أنها لاتعدوه فصرفت عنه إلى عثمان ، فلما هلك عثمان ببيع ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها ، فما صفي له شئ منها ، وإنني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ، ولا أعرفن ما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك » (٢) .

د - وصية عبدالله بن المبارك رحمه الله لرجل لقنه لا إله إلا الله ، فأكثر عليه وآذاه ، فعلمه فيها حسن التلقين ، روى الذهبي أنه « لما احتضر ابن المبارك جعل رجلاً يلقنه ، قل : لا إله إلا الله ، فأكثر عليه .

فقال له : لست تحسن ، وأخاف أن تؤذي مسلماً بعدي ، إذا لقتني فقلت : لا إله إلا الله ، ثم لم أحدث كلاماً بعدها فدعني . فإذا أحدثت كلاماً فلقني حتى تكون آخر كلامي » (٣) .

ه - وصية أبي هارون الأندلسي رحمه الله لرفيقه الذي جاور معه بالمدينة المنورة حين رآه يبكي حزناً على فراقه فقال له : « يا أبا عقال ، لم تمر أعمال القوم باطلاً ، نزل كل واحدٍ على ما عمل ، ثم فاضت نفسه » (٤) .

(١) انظر وصيته رقم ٣٠ ص ١٦١ من هذه الرسالة .

(٢) انظر وصيته رقم ٤٠ ص ١٦٩ من هذه الرسالة .

(٣) انظر وصيته رقم ١٢٧ ص ٢٢٧ من هذه الرسالة .

(٤) انظر وصيته رقم ١٦٨ ص ٢٦٠ من هذه الرسالة .

٢ - نماذج من الوصايا الجماعية :

أ - وصية قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه لأبنائه عند احتضاره ، أوصاهم فيها بالتقوى ، والتألف ، والمحافظة على الكرامة ، وتجنب الفتن ، حيث قال فيها : « أوصيكم بتقوى الله عزوجل ، وسودوا أكبركم ، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم لم يفتقدوا أباهم ، وضعوا كرائمكم في أعقابكم ، وتزوجوا في مثل ذلك ، فإنكم إذا فعلتم مثل ذلك خلقتم أباكم .

وعليكم بطلب المال واصطناعه ، فإن المال منبهة للكريم ، وستغنى به عن اللثيم ، وإياكم ومسألة الرجال فإنها آخر كسب المرء .

ولا يعلمن بمدفني بني بكر بن وائل فإنني كنت أغاورهم^(١) في الجاهلية ، وكانت بيني وبينهم خُمَاشات^(٢) ، فأخاف أن يفتنوكم في دينكم ، أو يدخلوا عليكم غضاضة . ولا تنوحوا علي فإن رسول الله ﷺ لم يُنح عليه^(٣) .

ب - ووصية أبوحازم الأرج رحمه الله تعالى عند وفاته لعدد من أصحابه ، قال محمد بن مطرف : « دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت فقلنا : يا أباحازم ، كيف تجحدك ؟

قال : أجدني بخير . أو قال : أجدني راجياً لله حسن الظن به .

ب - ووصية أبي مالك الأشعري رضي الله عنه لقومه ، فعندما أحس بالموت قال : « يامعشر الأشعريين ، ليبلغ الشاهد منكم الغائب أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « حلوة الدنيا مرة الآخرة ، ومرة الدنيا حلوة الآخرة »^(٤) .

ج - ووصية عبد الملك بن مروان رحمه الله للذين جاءوا لعيادته من وجهاء القوم

(١) من الإغارة ، أي أغبر عليهم وبغروا علي . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٣/٣٦ مادة « غَيْرَ » .

(٢) الخُمَاشة : جراحة بسيطة ليس لها أثر . انظر : الجوهري ، الصحاح ٣/١٠٠٥ مادة « خَش » .

(٣) أبو حاتم السجستاني ، المعرون والوصايا ١٣٥ ، وانظر الوصية رقم ٦٤ ص ١٨٧ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ٧٧ ص ١٩٩ من هذه الرسالة .

فقال لهم : « إنكم دخلتم عليّ في حال إقبال آخرتي وإدبار دنياي ، وإني تذكرت أرجى علمي فوجدته ، غزوة في سبيل الله وأنا خلّو من هذه الأشياء ، فأياكم ورّياً أبوابنا هذه الخبيثة أن تطيفوا بها » (١) .

د - ووصية عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى التي زهد فيها بالدنيا وذكر - عملياً - بزوال الإنسان عنها ، فعن عمرو بن قيس قال : « قالوا لعمر بن عبدالعزيز لما حضره الموت : اعهد يا أمير المؤمنين . قال : أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بدّ لكم منه . وإذا وضعتوني في قبري فانزعوا عني لبنة ثم انظروا ما لحقني من دنياكم هذه » (٢) .

هـ - ووصية داود بن دينار - أبي هند - رحمه الله تعالى - ، قال فيها : « هذا ما أوصى به داود بن أبي هند ، أوصى بتقوى الله عزّوجلّ ولزوم طاعته وطاعة رسوله ، والرضى بقضائه ، والتسليم لأمره .

وأوصاهم بما أوصى به يعقوب بنيه : « يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » (٣) .

و داود يشهد بما شهد الله عزّوجلّ عليه وملائكته : أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، وبالجنة والنار ، وبالقدر كله ، على ذلك يحيا ، وعلى ذلك يموت إن شاء الله » (٤) .

و - ووصية كثير بن زياد البرساني البصري رحمه الله ، وهي على غرار وصية أبي حازم رحمه الله تعالى ، حتّى فيها على التزود للآخرة خشية خسارة الأمرين جميعاً فقال : « تبيعون دينكم بأخرتكم تريحونهما والله جميعاً ، ولا تبيعون آخرتكم بدنياكم فتخسرونهما والله جميعاً » (٥) .

(١) انظر الوصية رقم ١٣١ ص ٢٣٣ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٤٢ ص ٢٤٠ من هذه الرسالة .

(٣) سورة البقرة آية : ١٣٢ .

(٤) انظر الوصية رقم ١٦٩ ص ٢٦٢ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ١٤٨ ص ٢٤٤ من هذه الرسالة .

الكتاب الثاني

جمع وتوثيق

الوصايا الدعوية للعلماء المحتضرين
في القرون الثلاثة الأولى

الْوَصِيَّةُ الْاَلْتَّوْبِيَّةُ

وصايا النبي ﷺ

١ - عن عبد الله بن عباس وعائشة رضي الله عنهم قالا : « لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ ، فَقَالَ - وَهُوَ كَذَلِكَ - : لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ . يَحْذَرُ مَا صَنَعُوا » (١) .
وعن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ يَقُولُ : « إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا . وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتَ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، أَلَا وَإِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ » (٢) .

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنًا ، اسْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » (٣) .

٣ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « لَمَّا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَكَرْتُ بَعْضَ

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ح ٣٤٥٥ ، انظر : فتح الباري ٤٩٥/٦ . والإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ، ح (٥٢٩)١٩ وفي آخره أن عائشة رضي الله عنها قالت : « فلولا ذاك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً » انظر : صحيح مسلم ٣٧٦/١ . والخميسة قال ابن الأثير : « هي ثوب خز ، أو صوف معلّم ، وقيل : لا تسمى خميسة إلا أن تكون سوداء معلّمة » النهاية ٨١/٢ .

(٢) رواه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ، ح (٥٣٢)٢٣ ، انظر الصحيح ٣٧٧/١ - ٣٧٨ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤٦٢/٢ . ومالك مراسلاً في كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة ، ح ٨٥ ، انظر الموطأ ١٧٢/١ . وابن سعد في الطبقات ٢٤٢/٢ وإسناده حسن . وأبو نعيم في الحلية ٣١٧/٧ بلفظ : « لا تجعلوا قبوري وثناً » ، وقال غريب من حديث حمزة (بن المغيرة بن نشيط) عن سفيان (بن عيينة) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٤ - ٣ بنحو لفظ أبي نعيم ، وقال : رواه أبو يعلى ، وفيه إسحاق بن أبي إسرائيل ، وفيه كلام لوقفه في القرآن ، وبقية رجاله ثقات .

نسائه كنيسةً رأينها بأرض الحبشة يقال لها " مارية " ، وكانت أم سلمة (١) وأم حبيبة (٢) رضي الله عنهما أتتا الحبشة ، فذكرتا من حسنهما وتصاوير فيها ، فرفع رأسه فقال : أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، ثم صوروا فيه تلك الصورة ، أولئك شرار الخلق عند الله « (٣) .

٤ - وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : « دخلنا على رسول الله ﷺ نعوذه ، فوجدناه نائماً قد غطى وجهه ببرد عدني ، فكشف عن وجهه فقال : لعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها « (٤) .

(١) أم سلمة هند بنت أبي أمية - سهيل - بن المغيرة المخزومية ، من أفاضل أزواج النبي ﷺ ، كانت قبله عند عبد الله بن عبد الأسد المخزومي الذي مات سنة أربع من أثر جراحة أصابته يوم أحد ، عاشت أربعاً وثمانين سنة وتوفيت سنة ٦٢ هـ وقيل غير ذلك . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٨/٨٦ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٥٦ . وابن حجر ، التقريب ٧٥٤ .

(٢) أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية رضي الله عنها ، تزوجها النبي ﷺ بعد عبادة الله بن جحش الذي هاجر بها إلى الحبشة فتنصر ومات هناك ، وأصدقها النجاشي عن النبي ﷺ أربعمائة دينار ، توفيت سنة ٤٤ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٨/٩٦ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٦١ . وابن حجر ، التقريب ٧٤٧ .

(٣) رواه الإمام البخاري في كتاب الجنائز باب بناء المسجد على القبر ، ح ١٣٤١ ، انظر : فتح الباري ٢/٢٠٨ . ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور وأخذ الصور فيها والنهي عن أخذ القبور مساجد ، ح ١٦ (٥٢٨) ، انظر : الصحيح ١/٣٧٥ . والنسائي في كتاب المساجد باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، ح ٧٠٤ ، انظر : السنن ١/٤١ - ٤٢ .

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات ٢/٢٤١ بلفظ : « لعن الله اليهود ، يحرمون الشحوم ويأكلون ثمنها » ورجال سنده موثقون عند ابن حجر . ورواه أبو نعيم - واللفظ له - في معرفة الصحابة (خ) ١/١٥٦ أ . وجاء الحديث عند البخاري من طريق أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البيوع ، باب لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكّه ، ح ٢٢٢٤ ، وليس فيه ما يشعر بأنه في مرض الوفاة ، انظر : فتح الباري ٤/٤١٤ . وكذا الإمام مسلم في كتاب المساقاة ، باب في تحريم الخمر والميتة والخنزير والأصنام ، ح ٧٣ (١٥٨٣) و٧٤ (...) ، انظر : الصحيح ٣/١٢٠٨ .

٥ - وعن طلحة بن مُصَرِّف قال : « سألت عبد الله بن أبي أوفى : هل أوصى رسول الله ﷺ ؟ فقال : لا . قلت : فلم كُتِبَ على المسلمين الوصية - أو : فلم أمروا بالوصية ؟ قال : أوصى بكتاب الله عزوجل » (١) .

٦ - وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنه كانت عامة وصية نبي الله ﷺ عند موته : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم ، حتى جعل نبي الله ﷺ يلجلجها في صدره وما يفيض بها لسانه » (٢) .

٧ - عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس : « يوم الخميس وما أدراك ما يوم الخميس ، ثم بكى حتى بل دمه الحصى ، فقلت : يا ابن عباس ، وما يوم الخميس ؟ قال : اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال : ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي . فتنازعوا ، وما ينبغي عند نبي تنازع . وقالوا : ما شأنه ؟ أهجر ؟ استفهموه . قال : دعوني فالذي أنا فيه خير ، أوصيكم بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزه . قال : فسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها » (٣) .

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب الوصاة بكتاب الله عزوجل ، ح ٥٠٢٢ ، انظر فتح الباري ٦٧/٩ . ومسلم - واللفظ له - في كتاب الوصية ، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ، ح ١٦ (١٦٣٤) انظر : الصحيح ١٢٥٦/٣ .

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الجنائز ، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ ، ح ١٦٢٥ ، انظر : السنن ٥١٩/١ . وأحمد - واللفظ له - ، انظر المسند ٣١٥/٦ . والبيهقي في « دلائل النبوة » ٢٠٥/٧ . ومن طريق أنس بن مالك رضي الله عنه : رواه ابن ماجه في كتاب الوصايا ، باب هل أوصى رسول الله ﷺ ، ح ٢٦٩٧ ، انظر : السنن ٩٠٠/٢ . وأحمد في مسنده ١١٧/٣ . وأبو يعلى في مسنده ٢٣١/٣ ح ٢٩٢٦ و ٢٤٧ ح ٢٩٨١ . والخطيب في تاريخ بغداد ٢٤٠/٤ . والحاكم في المستدرک ٥٧/٣ . والبيهقي في دلائل النبوة ٢١٥/٧ .

ومن طريق علي رضي الله عنه : رواه الإمام أحمد بلفظ : « أمرني النبي ﷺ أن آتبه بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته من بعده ، قال : فخشيت أن تفوتني نفسه ، قال : قلت : إني أحفظ وأعي . قال أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم » انظر المسند ٩٠/١ .

(٣) رواه الإمام البخاري في كتاب الجزية والموادعة ، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ، ح ٣١٦٨ ، انظر : فتح الباري ٢٧٠/٦ - ٢٧١ . ومسلم - واللفظ له - باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ، =

٧ - قال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه « لَمَّا حضر النبي ﷺ الوفاة قالوا : يارسول الله ، أوصنا . قال : أوصيكم بالسابقين الأولين ، وبأبنائهم من بعدهم ، وبأبنائهم من بعدهم ، وبأبنائهم من بعدهم ، إلا تفعلوا لا يقبل الله منكم صَرْفٌ ولا عَدْلٌ » (١) .

٩ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « إنا كنا أزواج النبي ﷺ عنده جميعا ، لم تغادر منا واحدة ، فأقبلت فاطمة عليها السلام (٢) تمشي ، ولا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله ﷺ ، فلما رآها رَحَبَ قال : مرحبا بابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه - أو عن شماله - ثم سارها ، فبكت بكاءً شديداً ، فلما رأى حزنها سارها الثانية ، فإذا هي تضحك .

فقلت لها أنا من بين نسائه : خصك رسول الله ﷺ بالسر من بين نسائه ثم أنت تبكين ؟! فلما قام رسول الله ﷺ سألتها : عما سارك ؟ قالت : ماكنت لأقشي على رسول الله ﷺ سره .

فلما توفي قلت لها : عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما أخبرتني . فأخبرتني قالت : أما الآن فتعم ، أما حين سارني في الأمر الأول فإنه أخبرني أن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة ، وإنه قد عارضني به العام مرتين ، ولا أرى

= ح ٢٠ (١٧٣٦) انظر : الصحيح ٣/١٢٥٧ - ١٢٥٨ . والساكت ابن عباس ، والناسي ابن جبير ، ونقل عن المهلب أن الثالثة تجهيز جيش أسامة ، انظر : النووي على مسلم ٩٤/١١ . (١) رواه البزار في مسنده "البحر الزخار" ٣/٢٣٣ ح ١٠٢٢ . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧/١٠ ، ولم يكرر « وبأبنائهم من بعدهم » وقال : « رواه الطبراني في الأوسط ، والبزار ، ورجاله ثقات » ، والصرف : التوبة ، وقيل النافلة ، والعدل : الفدية ، وقيل الغريضة . انظر : ابن الأثير ، النهاية ١٩٠/٣ .

(٢) فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، أم الحسن ، سيدة نساء هذه الأمة ، أصغر بنات النبي ﷺ سناً وأكبرهن قدراً ، تزوجها علي رضي الله عنه بعد أخذ ولها خمس عشرة سنة ، كانت شديدة الشبه برسول الله ﷺ في كلامها ومشيتها ، توفيت بعد النبي ﷺ بستة أشهر سنة ١١ هـ . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٨/١٩ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٧١ . وابن حجر ، التقريب ٧٥١ .

الأجل إلا قد اقترب ، فاتقي الله واصبري فإنني نعم السلف أنا لك . قالت : فبكيت بكائي الذي رأيت ، فلما رأى جزعي سارني الثانية قال : يا فاطمة ، ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين - أو نساء هذه الأمة « (١) .

(١) رواه الإمام البخاري - واللفظ له - في كتاب الاستئذان ، باب من ناجى بين يدي الناس ولم يخبر بسر صاحبه فإذا مات أخبر به ، ٦٢٨٥ ، ٦٢٨٦ ، انظر : فتح الباري ٧٩/١١ - ٨٠ . ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل فاطمة بنت النبي ﷺ ، ح ٩٨ (٠٠٠) وزاد في آخره : « قالت : فضحكتُ ضحكِي الذي رأيت » انظر الصحيح ٤/٤ - ١٩٠٤ - ١٩٠٥ . وابن ماجه في كتاب الجنائز ، باب في ذكر مرض رسول الله ﷺ ، ح ١٦٢١ ، انظر السنن ١/١ - ٥١٨ . وأبو نعيم في كتابه " معرفة الصحابة " ق ٢ ل ٣١٩ ب ، وفي حلية الأولياء ٤٠/٢ . والبيهقي في دلائل النبوة ٧/٧ - ١٦٥ .

ملاحظة :

روى ابن سعد في الطبقات وصايا للنبي ﷺ يوصي فيها بأسامة بن زيد ، وإنفاذ جيشه ، والأمنار ، وملك اليمين ، رواها من طريق الواقدي وهو - كما قال ابن حجر - متروك رغم سعة علمه ، وهناك وصايا أخرى ذكرها البيهقي في دلائل النبوة ، وابن قدامة في الرقة والبكاء ، حكم عليها البيهقي بالضعف . ولم أذكر تلك الوصايا لأنني اشترطت فيما نسب إلى النبي ﷺ أن يكون محتجا به .

الوصايا الدعوية
للعلماء المحتضرين من

العشرة المبشرين بالجنة

وصايا أبوبكر الصديق رضي الله عنه ^(١)

١٠ - عن عبدالرحمن بن سابط القرشي قال : « لَمَّا حضر أبا بكر الموت ذكر أن يستخلف على الناس ، فأتا ناس من الناس فقالوا له : يا أبا بكر ، ما تقول لربك غداً إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر ، وقد عرفت شدته وغلظته وفضاظته ؟ فقال : أبالله تخوفوني ؟! أقول : يارب ، استخلفت عليهم خير أهلك . قال : ثم دعا عمر فقال له : اتق الله يا عمر إن وليت على الناس غداً ، واعلم أن لله عزوجل عملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة .

وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع في الحق غداً أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفت عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً .

وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة ، فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت : إنني لأخاف أن لا ألحق بهم ، وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه ، فإذا ذكرتهم قلت : إنني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء . ليكون العبد راغباً راهباً ، لا يتمنى على الله ، ولا يقنط من رحمته .

(١) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عتيق التيمي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ووزير النبي ﷺ وصهره ورفيقه في الغار ، غلب عليه اسم عتيق لجماله ، وقيل : لعتقه من النار ، وسُمي الصديق لتصديقه النبي ﷺ في حادثة الإسراء ، أول من أسلم من الرجال ، وكِد بعد عام الفيل بسنتين ، وتوفي سنة ١٣ هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٦٩/٣ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٢٦٩ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٢١٥/٣ . والمزني ، تهذيب الكمال ٢٨٢/١٥ . والتلمساني ، الجوهرة ١٠٥/٢ . وابن حجر ، الإصابة ٣٤١/٢ .

فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائبٌ أحبُّ إليك من الموت ، وهو آتيك ، وإن أنت ضيَّعت وصيتي فلا يك غائبٌ أبغضُ إليك من الموت ، ولست بمعجزه « (١) .

١١ - قال يوسف بن محمد : « بلغني أن أبا بكر الصديق أوصى في مرضه فقال لعثمان : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، حين يصدق الكاذب ، ويؤذي الخائن ، ويؤمن الكافر ، إنني استخلفت بعدي عمر بن الخطاب ، فإن عدل فذلك ظنِّي به ، ورجائي فيه ، وإن بدّل وجار فلا أعلم الغيب ، ولكلِّ امرئٍ ما اكتسب ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ « (٢) .

١٢ - قالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها : « دخل عمر بن الخطاب على أبي بكر رضي الله عنهما في اليوم الذي قبضَ فيه فقال : يا عمر ، صحبتَ رسول الله ﷺ فرأيتَ أثرَته إيانا على أهلِهِ ، ووالله إن كنا لنرسل إليهم من فضل ما يأتينا منه ، وصحبتني ورأيتني فوالله ما نمتُ فحلمتُ ، ولا توهمتُ فشبه لي ، وإنني لعلی بصيرة من رأيي .
يا عمر ، إن أول ما أحذرك به نفسك ، فإن لكل نفس شهوة ، فإذا أجابتها إليها دعيتها إلى ما هو أعظم منها ، وأحذرك هؤلاء الرهط من المهاجرين ، فإنني قد رأيتهم طمحت أبصارهم ، ونفخت أجوافهم ، وقتني كل امرئٍ لنفسه ، فاحملهم على الطريق الواضح يكفوك أنفسهم ، واعلم أنهم لن يزالوا لك هائبين ما هبت الله عزوجل ، فرقين منك ما فرقت منه « (٣) .

(١) أبو حاتم السجستاني ، المعمرون والوصايا ١٤٨ . وابن شبة ، تاريخ المدينة المنورة ٦٧٠/٢ . والميرد ، التعازي والمراثي ١١٦ - ١١٧ . وابن زبَر ، وصايا العلماء عند حضور الموت ٣٥ . وأبو نعيم - واللفظ له - ، معرفة الصحابة (خ) ١ ق ٩ ل ٩ ب ، وحلية الأولياء ٣٦/١ . وابن عدي ، العقد الفريد ١٤٨/٣ .
(٢) تاريخ المدينة المنورة ٦٧٢/٢ . والتعازي والمراثي ٢٢٠ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٨٢/١٣ .
والعقد الفريد ٢٦٧/٤ . والآية في سورة الشعراء رقم ٢٢٧ .

(٣) المعمرون والوصايا ١٤٨ - ١٤٩ . ولعل بعض الصحابة رضوان الله عليهم رغبوا في الخلافة لعلمهم بفضل الإمام العادل - وهم أهل للعدل - وعظيم منزلته عند الله تعالى وإخبار النبي ﷺ أنه تليه =

١٣ - دخل عبدالرحمن بن عوف (١) على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مُفِيقاً ، فقال : « أصبحت بحمد الله بارئاً . قال أبو بكر : أترأه ؟ قال : نعم . قال : أما إنني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي ، إنني ولّيت أمركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورم من ذلك أنفه ، يريد أن يكون له الأمر من دونه ، ورأيتم الدنيا مقبلة ، ولن تُقبَل - وهي مقبلة - حتّى تتخذوا ستور الحرير ، ونضائد الديباج ، وتألّموا الاضطجاع على الصوف الأذري (٢) كما يألم أحدكم الاضطجاع على شوك السعدان ، والله لأنّ يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خير له من يخوض في غمرة الدنيا ، ألا وإنكم أول ضالّ بالناس غداً ، فتصدّوهم عن الطريق يميناً وشمالاً . يا هادي الطريق أقبل ، إنما هو الفجر أو البجر (٣) .

قال : فقلتُ له : خفّض عليك يرحمك الله فإنّ هذا يهيضك على ما بك ، إنا الناس في أمرك بين رجلين : إمّا رجلٌ رأى ما رأيت فهو معك ؛ وإمّا رجلٌ خالفك فهو يشير عليك برأيه وصاحبك كما تُحبُّ ، ولا نعلمك أردتَ إلا الخير ، ولم تزل صالحاً مصلحاً ، مع أنّك لا تأسى على شيء من الدنيا .

= خلافة راشدة أمدها ثلاثون سنة ، وهم لا يزالون في أولها ، فأمل كل واحدٍ منهم أن يحصل له الشرف بذلك ، ثم إنهم على كلّ حال بشر ، وليسوا بمعصومين ، يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم ، فلا ينقص من قدرهم ، أو يفض من شأنهم حصول التنافس بينهم ، والله أعلم .

(١) عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه ، أبو محمد ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، والستة أصحاب الشورى ، وأمين رسول الله ﷺ على نسائه ، شهد سائر المشاهد معه ، وصلى النبي ﷺ خلفه يوم تبوك ، كان اسمه عبد عمرو فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن ، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٣٢ هـ . انظر : الزبير ، نسب قريش ٢٦٥ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٢٥٩ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٣/٣١٣ . وابن حجر ، الإصابة ٤١٦/٢ .

(٢) الأذري : نسبة إلى أذريجان على غير القياس ، والقياس أن يقال : أذري ، انظر : ابن منظر : لسان العرب ٣٨٧/١ مادة « ذَرَبَ » .

(٣) الفجر : المراد به هنا الخير الكثير . انظر : لسان العرب ٤٦/٥ مادة « فَجَرَ » . والبجر : الشر والأمر العظيم . انظر : المرجع السابق ٤٠/٤ مادة « بَجَرَ » .

فقال : أجل ، إنّي لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتھن ووددتُ أنّي تركتھن ، وثلاث تركتھن ووددتُ أنّي فعلتھن ، وثلاث وددتُ أنّي سألت رسول الله ﷺ عنھن .

فأمّا الثلاث التي فعلتھن ووددتُ أنّي تركتھن : فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا أغلقوه على الحرب^(١) ، ووددت أنّي لم أكن حرقتُ الفُجاءة السلمي^(٢) ، وأنّي قتلته سريحاً أو تركته نجيحاً ، ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة قد رميت الأمر في عنق أحد الرّجلين فكان أحدهما أميراً وكنت له وزيراً - يعني بالرجلين عمر بن الخطاب وأباعبيدة بن الجراح - .

وأما الثلاث التي تركتھن ووددتُ أنّي فعلتھن : فوددت أنّي يوم أتيتُ بالأشعث^(٣)

(١) تدعم هذه الفقرة رأي من قال برفض علي رضي الله عنه البيعة وتأخره عنها ستة أشهر حتى وفاة فاطمة رضي الله عنها [انظر : ابن أعثم ، الفتح ١٣/١ - ١٤ . والمسعودي ، مروج الذهب ٣٠٨/٢ - ٣٠٩ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٢٤/٢] أمّا الطبري فذكر إلى جانب هذا الرأي رواية تدلّ على مسارعة علي رضي الله عنه إلى البيعة [تاريخ الطبري ٢٠٧/٣ - ٢٠٨] وهو ما يرجحه ابن كثير مستدلاً بشهود علي الصلوات مع أبي بكر ، وخروجه بصحبته إلى ذي القُصة ، ووضع أبي بكر له على أحد أنقاب المدينة . أمّا ما روي عن البيعة بعد ستة أشهر فلعلها كانت ثانية لإزالة ما وقع من الوحشة بينهما لموقف أبي بكر من ميراث النبي ﷺ في فداك وخيبر [انظر : البداية ٣٠٦/٦ - ٣٠٧] .

(٢) اسمه إياس بن عبد الله بن عبد ياليل ، قدم على أبي بكر رضي الله عنه وزعم أنه مسلم ، وطلب منه العون لقتال المرتدين ، ففعل ، فخرج يتعرض للناس المسلم والمُرتدّ وأخذ أموالهم ، ومن خالفه قتله ، فبعث إليه الصديق طرّيقة بن حاجز ، فجاءه به أسيراً ، فأمر به فحرق بالقيح . انظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٢٦٤/٣ - ٢٦٥ .

(٣) الأشعث بن قيس بن معدّي كرب ، أبو محمد ، أمير كِنْدَةَ في الجاهلية والإسلام ، له صحبة ، امتنع بعد وفاة النبي ﷺ عن أداء الزكاة وتنحى إلى حضرموت ، فأرسل إليه الصديق من جاء به إلى المدينة أسيراً ، فأطلقه وزوجه أخته أم فروة ، كان من أنصار علي رضي الله عنه ، وكان بعد ذلك يحذر من الفتن ، توفي سنة ٤٠ هـ . انظر :

الثعالبي ، شمار القلوب ٨٨ . وابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ٤٥ . والمزي ، تهذيب الكمال ٢٨٦/٣ . والزركلي ، الأعلام ٢٣٢/١ .

ابن قيس أسيراً ضربت عنقه فإنه يخيل إلي أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه ، ووددت أنني يوم سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة قمت بذئ القصة^(١) ، فإن ظفر المسلمون ظفروا . وإن انهزموا كنت بصدده لقاء أو مدد ، ووددت أنني وجهت خالد بن الوليد إلى الشام ووجهت عمر بن الخطاب إلى العراق ، فأكون قد بسطت يدي كليهما في سبيل الله . وأما الثلاث التي وددت أنني أسأل رسول الله ﷺ عنهن : فإني وددت أنني سألته لمن هذا الأمر من بعده ، فلا ينازعه فيه أحد ، وأني سألته هل للأتصار في هذا الأمر نصيب ، فلا يظلموا نصيبهم منه ، ووددت أنني سألته عن بنت الأخ والعمة ، فإن في نفسي منهما شيئاً^(٢) .

١٤ - قال الأغر أبو مالك : « لما أراد أبو بكر أن يستخلف عمر بعث إليه فدعاه فقال : إني أدعوك إلى أمر متعب لمن وليه ، فاتق الله يا عمر بطاعته ، وأطعه بتقواه ، فإن المتقي امرؤ محفوظ ، ثم إن الأمر معروض لا يستوجهه إلا من عمل ، فمن أمر بالحق وعمل بالباطل ، وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر ؛ يوشك أن تنقطع أمنيته ، وأن يحبط عمله ، فإن أنت وليت عليهم أمرهم فإن استطعت أن تحجف يدك من دمانهم ، وأن يضمّر^(٣) بطنك من أموالهم ، وأن يخف لسانك عن أعراضهم ، فافعل ، ولا قوة إلا بالله^(٤) .

١٥ - دخلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على أبيها في مرضه الذي مات فيه فقالت له : « يا أبت ، اعهد إلي خاصتك ، وأنفذ رأيك في عامتك ، وانقل من

(١) ذي القصة : موضع بينه وبين المدينة أربعة عشر ميلاً على طريق الريدة . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ٤/٣٦٦ .

(٢) الميرد ، الكامل ٥/١ . والطبراني في المعجم الكبير ١٥/١ - ١٦ ح ٤٣ . وأبونعيم ، معرفة الصحابة

(خ) ق ١ ل ٨ ب . وابن عساکر ، تاريخ دمشق ٩/٧٤٥ - ٧٤٦ . وابن عديريه - واللفظ له - ،

العقد الفريد ٤/٣٦٧ - ٣٦٩ . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/٢٠٣ - ٢٠٤ وقال : « رواه

الطبراني وفيه علوان بن داود البجلي وهو ضعيف ، وهذا الأثر مما أنكر عليه » .

(٣) ضمور البطن : لطافته وقلته ما فيه ، وأصل الضمور الهزال وخفة اللحم . انظر الجوهري ، الصحاح

٢/٧٢٢ مادة « ضمّر » .

(٤) الطبراني ، المعجم الكبير ١٣/١ ح ٣٧ . وتاريخ دمشق - واللفظ منه - ٩/٧٤٢ . وأورده الهيثمي

في مجمع الزوائد ٤/٢٢٠ .

دار جهازك ، إلى دار مقامك ، وإنك محضور ، ومتصل بقلبي لوعتك ، وأرى تخاذل أطرافك ، وانتقاع لونك ، فإلى الله تعزيتي عنك ، ولديه ثواب صبري عليك ، أرقاً فلا أرقاً ، وأشكوا فلا أشكى .

فرفع رأسه فقال : يَا بُنَيَّةُ ، هذا يوم يحل فيه غطائي ، وأعين جزائي ، إن فرحاً فدائم ، وإن ترحاً فمقيم ، وإني اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم حين كان النكوص^(١) إضاعة ، والحذر تفريطاً ، فشهيدي الله ما مان بقلبي إلا إياه ، فتبلفت بصحفتهم ، وتعللت بدرة لثقتهم^(٢) ، وأقمت صلاي معهم^(٣) ، لا مختالاً أشراً ، ولا مكابراً بطراً ، لم أعد سداً للجوعنة ، وتورية العورة ، طوى ممعص^(٤) تهفو له الأحشاء ، وتجب له الأمعاء ، واضطرت إلى ذلك اضطرار الجرض^(٥) إلى الماء المعيف الآجن^(٦) ، فإذا أنا مت فردي إليهم صحفتهم ، ولثقتهم ، وعبدتهم ، وزحاهم . ودثارة ما فوقني اتقيت بها أذى البرد ، ووثارة^(٧) ما تحتي اتقيت بها أذى الأرض ، كان حشوها قطع السعف^(٨) .

١٦ - روى ابن سعد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما احتضر قال لعائشة رضي الله عنها : « أَيُّ بُنَيَّةٍ ، قد علمت أنك كنت أحب الناس إلي وأعزهم ، وإني كنت نحلتيك أرضي التي تعلمين بمكان كذا وكذا ، وأنا أحب أن ترديها علي ، فيكون ذلك قسمة بين ولدي على كتاب الله ، فألقى ربي حين ألقاه ولم أفضل بعض ولدي على بعض^(٩) .

(١) النكوص : الإحجام عن الشيء . انظر الفيومي ، المصباح المنير ٦٢٥/٢ .

(٢) اللقحة : الناقة الحلوب . انظر الجوهري ، الصحاح ٤٠١/١ مادة « لثح » .

(٣) الصلا : وسط الظهر من الإنسان . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٤٦٦/١٤ مادة « صلا » .

(٤) ممعص : أي مجهد ، قال ابن فارس : « مَعِصَ من الأمر : شق عليه وأوجعه » انظر : معجم مقاييس اللغة ٣٣٧/٥ مادة « مَعِصَ » .

(٥) الجرض : المجهود الذي كاد يقضي . انظر : لسان العرب ١٣٠/٧ مادة « جَرَضَ » .

(٦) يعني المتغير الطعم واللون . انظر : الرجع السابق ٨/١٣ مادة « أجن » .

(٧) الوثارة : الفراش وما يجلس عليه . انظر : الأزهرى ، تهذيب اللغة ١١٦/١٥ .

(٨) ابن عبدربه ، العقد الفريد ٢٣١/٣ - ٢٣٢ .

(٩) الطبقات الكبرى ١٩٥/٣ . وذكر ابن عساكر نحوها في " تاريخ دمشق " ٧٤٩/٩ .

١٧ - قال عبد الله بن عبيد بن عمير : « أتت عائشة^(١) أبا بكر رضي الله عنهما وهو يجود بنفسه ، قال : فقالت : يا أبتاه هذا كما قال حاتم^(٢) :
إذا حَشْرَجْتَ يوماً وضاقَ بها الصُّدرُ
قال : يا بُنيَّةُ ، لا . بل قول الله أُصدق : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾^(٣) ، إذا أنا مت فاعسلي أخلاقي هذه التي علي فاجعليها في أكفاني .
قالت : قد رزق الله وأحسن ، نكفئك في جُدُد .
قال : إنَّ الحَيَّ أحوج إلى أن يصون نفسه ويصنعها من الميت ، إنما يصير إلى البِلا والصديد^(٤) .

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، زوج النبي ﷺ وأفضل نسائه إلا خديجة ففيهما خلاف ، وأفقها النساء ، عقد عليها النبي ﷺ وهي بنت ست سنين ، ودخل بها وهي بنت تسع سنين ، وتوفي عنها وهي ابنة ثمان عشرة ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غيرها ، توفيت سنة ٥٧ هـ . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥٨/٨ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٥٣ . وابن حجر ، التقريب ٧٥٠ .

(٢) حاتم بن عبد الله الطائي ، أبو عدي ، كان شاعراً ، فارساً ، من أجواد الجاهلية ، توفي بعد مولد النبي ﷺ بثمان سنوات . انظر :

ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ١٦٤ ، وعيون الأخبار ٣٣٦/١ . ويدران ، تهذيب تاريخ دمشق ٤٢٤/٣ . والزركلي ، الأعلام ١٥١/٢ .

وما مثلت به عائشة رضي الله عنها هو عجز بيت ، صدره - كما في رواية الوصية عند ابن عدي - :

لعمرك ما يفتني الثراء عن الفتى

[العقد الفريد ٢٣٢/٣] ، والبيت في ديوان حاتم ص ٥٠ بلفظ :

أماوي ما يفتني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

(٣) سورة ق آية ١٩ . وذكر المبرد أن قراءة أبي بكر رضي الله عنه كانت : ﴿ وجاءت سكرة الحق بالموت ﴾ انظر : التعازي والمراثي ١٤٧ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٩٧/٣ . وابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ١٠ . وأبو نعيم - واللفظ له - ، معرفة الصحابة (خ) ق ١ ل ٩ أ . وابن عدي ، العقد الفريد ٢٣٢/٣ وزاد في أول الوصية :
« قالت عائشة رضي الله عنها وأبوها يُعْمَضُ :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قالت عائشة : فنظر إلي كالفضبان وقال : ذلك رسول الله ﷺ ... » .

١٨ - قال سلمان الفارسي رضي الله عنه : « دخلت على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه فقلتُ : يا خليفة رسول الله ، اعهد إليّ عهداً فإنني لا أراك تعهد إليّ بعد يومك هذا .

قال : أجل يا سلمان ، إنها ستكون فتوح ، فلا أعرفنّ ما كان حظك ما جعلته في بطنك وألقيته على ظهرك . واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمّة الله ، فلا تقتلنّ أحداً من ذمّة الله فيطلبك الله بذمته فيكبحك على وجهك في النار » (١) .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٩٣/٣ - ١٩٤ . وابن أبي الدنيا - واللفظ له - ، المحتضرون (خ) ل . ١٠ ب - ١١١ . وذكر الغزالي بعضها في " إحياء علوم الدين " ٤٦٧/٤ .

وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١)

١٩ - أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة من بعده فقال : « أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ؛ أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً : فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئتهم ، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً : فإنهم رداء العدو ، وجُباة الأموال والفيء ، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم . وأوصيك بأهل البادية خيراً : فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام ، أن تأخذ من حواشي أموال أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً : أن تقاتل من ورائهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً أو عن يد وهم صاغرون .

وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ، ومخافة مقته ، أن يطلع منك على ريبة ، وأوصيك أن تخشى الله في الناس ، ولا تخشى الناس في الله .

وأوصيك بالعدل في الرعية ، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم ، فإن ذلك - بإذن الله - سلامةٌ لقلبك ، وخطٌ لوزرك ، وخيرٌ في عاقبة أمرك ، حتى تفضي من ذلك إلى من يعلم سريرتك ، ويحول بينك وبين قلبك . وأمرك أن تشتد في أمر الله ، وفي حدوده ومعاصيه ، على قريب الناس ويعيدهم ، ثم لا تأخذك في أحد الرأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حُرْمِهِ ، واجعل الناس سواء عندك ،

(١) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي ، أعز الله به الإسلام ، وفرق به بين الحق والباطل ، وأحد الذين كانوا يفتون في عهد رسول الله ﷺ ، قال سهل بن أبي خيشمة : « كان الذين يفتون على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة من المهاجرين وثلاثة من الأنصار : عمر وعثمان وعلي وأبي بن كعب ومعاذ ابن جبل وزيد بن ثابت . أسلم في السنة السادسة للبعثة ، وتوفي سنة ثلاث وعشرين للهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣ / ٢٦٥ . والزييري ، نسب قريش ٣٤٧ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٣٥٩ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٤ / ٥٢ . وابن حجر ، الإصابة ٢ / ٥١٨ .

لا تبالي على من وجب الحق ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك .

وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعفة عما بسط الله لك اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك عليه الهوى ، ومالت بك شهوة ، اقترفت به سخط الله ومعاصيه .

وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة .
 وقد أوصيتك وحضضتك ونصحت لك ، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة ، واخترت من دلائلك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي ، فإن عملت بالذي وعظمتك ، وانتهيت إلى الذي أمرتك ، أخذت به نصيباً وافياً ، وحظاً وافراً ، وإن لم تقبل ذلك وبهمك ، ولم تنزل معاصم الأمور عند الذي يرضى الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، لأن الأهواء مشتركة ، ورأس كل خطيئة والداعي إلى كل هلكة إبليس ، وقد أضلّ القرون السالفة قبلك فأوردتهم النار ، ولبنس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة لعدو الله ، والداعي إلى معاصيه .

ثم اركب الحق وخض إليه الغمرات ، وكن واعظاً لنفسك ، وأنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين ، فأجللت كبيرهم ، ورحمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضربهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ، ولا تجمرهم^(١) في البعوث فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قلوبهم ضعيفهم .

هذه وصيتي إياك ، وأشهد الله عليك واقرأ عليك السلام « (٢) » .

(١) تجبير الجند إطالة حيسهم في الشغور وعدم الإذن لهم في القبول إلى أهلهم . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ١٤٦/٤ مادة « جَمَرَ » .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣/٣٣٩ . والمجاظ - واللفظ له - ، البيان والتبيين ٢/٤٧ - ٤٨ . وأبو حاتم السجستاني ، المعمرين والوصايا ١٤٩ . والمبرد ، التعازي والمراسي ١١٧ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ١٣/١٦٨ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣/٢٧ .

٢٠ - عن عبد الله بن عامر بن الزبير قال : « نظر عمر إلى علي فقال : اتق الله ، وإن وليت شيئاً من أمر الناس فلا تحملن بني هاشم على رقاب الناس ، ثم نظر إلى عثمان^(١) فقال : اتق الله ، إن وليت شيئاً من أمور المسلمين فلا تحملن بني أمية - أو قال بني أبي معيط - على رقاب المسلمين ، ثم نظر إلى سعد والزبير^(٢) فقال : وأنتما فاتقيا الله إن وليتما شيئاً من أمور المسلمين »^(٣) .

٢١ - عن المسور بن مخرمة قال : « قال كعب لعمر : يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام . فقال عمر : آله إنك لتجد عمري في التوراة ؟ قال : اللهم لا . ولكن صفتك وحليتك .

قال : وعمر لا يحس أجلاً ولا وجعاً ، فلما مضى ثلاثة أيام طعنه أبولؤلؤة ، فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه . قال : « ودخل في الناس كعب ، فلما نظر إليه عمر قال :

فأوعدني كعب ثلاثاً بعدها ولاشك أن القول ما قال لي كعب
وما بي حذار الموت إني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب »^(٤)

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص رضي الله عنه ، ذو النورين ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وثالث الخلفاء الراشدين ، ورفيق النبي ﷺ في الجنة ، هاجر الهجرتين ولم يتخلف من المشاهد إلا عن بدر لأنه كان يمرض زوجته رقية رضي الله عنها ، جهز جيش العسرة ، وسقى المسلمين بئر معونة ، ووسع المسجد ، ولما قامت الفتنة صبر نفسه لله تعالى حتى قتل ظلماً سنة ٣٥ هـ . انظر :

الزبير ، نسب قريش ١٠١ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ١٥٠ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٣/٣٧٦ . وابن حجر ، الإصابة ٢/٤٦٢ .

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد رضي الله عنه ، أبو عبد الله ، حواري رسول الله ﷺ وابن عمته « صفيّة » شهد كافة المشاهد مع النبي ﷺ ، وأول من أشهر سيفاً في الإسلام ، كان بطلاً شجاعاً يعدّ بألف ، نزلت الملائكة على سيمانه يوم بدر ، خرج يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنها ثم انصرف ولم يقاتل علياً رضي الله عنه ، قتلته ابن جرموز غدراً بوادي السباع سنة ٣٦ هـ . انظر :

نسب قريش ٢٣٥ . والتبيين في أنساب القرشيين ٢٢٣ . وأسد الغابة ٢/١٩٦ . والإصابة ١/٥٤٥ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ١٣/١٦٨ . وابن الأثير بنحوه ، الكامل في التاريخ ٣/٢٧ .

(٤) المبرد ، التعازي والمراسي ٢٢١ . ابن أبي الدنيا - واللفظ له - المحتضرون (خ) ل ١١ أ - ب . وتاريخ دمشق ١٣/١٦٢ . والكامل في التاريخ ٣/٢٧ .

٢٢ - عن عمرو بن ميمون أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : « أوص يا أمير المؤمنين ، استخلف . قال : ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، سمي علياً وطلحة (١) وعثمان والزبير وعبدالرحمن ابن عوف ، قال ويشهد عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء - كهينة التعزية له - فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك ، وإلا فليستعن به ولي أمركم فإني لم أعزله من عجز ولا من خيانة » (٢) .

وفي الكامل لابن الأثير : « وإن تولوا سعداً فأهله هو ، وإلا فليستعن به الوالي ، فإني لم أعزله عن ضعف ولا خيانة ، ونعم ذو الرأي عبدالرحمن بن عوف ، مسدد رشيد ، له من الله حافظ ، فاسمعوا منه وأطيعوا » (٣) .

٢٣ - عن عمرو بن ميمون أنه لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « جاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله ، قد كان لك من صحبة رسول الله ﷺ ، وقدم في الإسلام ما قد علمت ، ثم استخلفت فعدلت ، ثم شهادة ، فقال : يا بن أخي ، وددت أن ذلك كفافاً لا علي ولا لي . فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض فقال : ردوا على الغلام : يا بن أخي ، ارفع ثوبك فإنه أتقى لثوبك وأتقى لريك » (٤) .

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي رضي الله عنه ، أبو محمد ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، يسمى طلحة الحخير وطلحة الفياض من جوده وسخائه ، شهد جميع المشاهد مع النبي ﷺ عدا بديراً إذ كان يتحسس أخبار العير فضرب له النبي ﷺ بسهم ، قتل يوم الجمل بسهم رماه به مروان بن الحكم سنة ٣٦ هـ . انظر :

ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ٧ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٢٨٤ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٥٩/٣ . وابن حجر ، الإصابة ٢٢٩/٢ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ١٦٧/١٣ - ١٦٨ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٧/٣ .

(٤) تاريخ دمشق ١٦٧/١٣ . وأبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ٤٧٧/٤ .

- ٢٤ - عن المقدام بن معدي كرب قال : « لما أصيب عمر دخلتُ عليه حفصة (١) فقالت : يا صاحب رسول الله ﷺ ، ويا صهر رسول الله ، ويا أمير المؤمنين . فقال عمر لابن عمر : يا عبد الله ، أجلسني فلا صبر لي على ما أسمع ، فأسنده إلى صدره فقال لها : إني أخرج عليك بمالي عليك من الحق أن تندبيني بعد مجلسك هذا ، فأما عينك فلن أملكها ، إنه ليس من ميت يُندب بما ليس فيه إلا الملائكة تمقته » (٢) .
- ٢٥ - عن المسور بن مخرمة قال : « لما طعن عمر دخلتُ فأخذتُ بعضادتي الباب ، قلت : كيف ترونه ؟ قالوا : كما ترى . قلت : فأيقظوه بالصلاة ، فإنكم لن توقظوه بشيءٍ أفزع له من الصلاة . فقلت : الصلاة يا أمير المؤمنين . فقال : ها الله إذا ، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة . ثم قام فصلى وجرحه يثعبُ دماً » (٣) .
- ٢٦ - روى ابن سعد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوصى ابنه عبد الله رضي الله عنه عند الموت فقال : « يا بني ، عليك بخصال الإيمان . قال : وما هن يا أباي . قال : الصوم في شدة أيام الصيف ، وقتل الأعداء بالسيف ، والصبر على المصيبة ، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي ، وتعجيل الصلاة في يوم الغيم ، وترك
-
- (١) حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، شقيقة عبد الله بن عمر ، كانت قبل رسول الله ﷺ عند خنيس بن حذافة فمات عنها وتزوجها رسول الله ﷺ وطلقها ثم راجعها بأمر من الله تعالى ، توفيت سنة ٤٥ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٨/٨١ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٥٥ . وابن حجر ، التقريب ٧٤٥ .
- (٢) طبقات ابن سعد ٣/٣٦١ . ابن شبة ، تاريخ المدينة المنورة ٣/٩٠٦ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ١٣/١٨٥ .
- (٣) أبو نعيم ، معرفة الصحابة (خ) ق ١ ل ١٣ أ . وطبقات ابن سعد ٣/٣٥١ . والهيثمي ، مجمع الزوائد ١/٢٩٥ . ومعنى يثعبُ : أي يجري . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ١/٢٣٦ مادة (ثَعَبَ) .

ردغة^(١) الخبال . قال : فقال : وما ردغة الخبال ؟ قال : شرب الخمر « (٢) » .

٢٧ - عن يحيى بن أبي راشد النصري « أن عمر بن الخطاب لما حضرته الوفاة قال لابنه : يا بني ، إذا حضرتني الوفاة فاحرفني ، واجعل ركبتك في صليبي ، وضَعْ يدك اليمنى على جبيني ، ويدك اليسرى على ذقني ، فإذا قُبِضْتُ فأغمضني ، واقصدوا في كفني ، فإنه إن يكن لي عند الله خير أهدلني خيراً منه ، وإن كنت على غير ذلك سلبني فأسرع سلمي ، واقصدوا في حفرتي فإنه إن يكن لي عند الله خير وسع لي فيها مدّ بصري ، وإن كنت على غير ذلك ضيقها علي حتى تختلف أضلاعي ، ولا تخرجن معي امرأة ، ولا تزكوني بما ليس في فإن الله هو أعلم بي ، وإذا خرجتم بي فأسرعوا في المشي ، فإنه إن يكن لي عند الله خير قدمتوني إلى ما هو خير لي ، وإن كنت على غير ذلك كنتم ألقبتم عن رقابكم شراً تحملونه « (٣) » .

(١) الردغة : الماء والطين والوحل الشديد ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٤٢٦/٨ مادة (رَدَغَ) .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣/٣٥٩ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/٣٥٩ . وابن عساکر ، تاريخ دمشق ١٣/١٨٤ .

وصايا علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١)

٢٨ - قال عوانة بن الحكم : « لما ضرب عبد الرحمن بن ملجم علياً وحمل إلى منزله أتاه العواد ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ثم قال :
« كل امرئ ملاق ما يفر منه في فراره ، والأجل مساق النفس ، والهرب من آفاته ، كم اطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلا أخفاه ، هيهات ، علم مخزون .

أما وصيتي إياكم فالله عزوجل لا تشركوا به شيئاً ، ومحمداً ﷺ لا تضيعوا سنته ، أقيموا هذين العمودين وخالكم ذم مالم تشردوا ، حمل كل امرئ مجهوده ، وخفف عن الجهلة برب رحيم ، ودين قويم ، وإمام عليم .

كنا في رياح ، وذرى أغصان ، وتحت ظل غمامة ، اضمحل (٢) مركدها (٣) فمحلها عاف (٤) .

جاوركم بدني أياماً تباعاً ثم هوى ، فمستعقبون من بعده جثة خواء ، ساكنة من بعد حركة ، كاظمة بعد نطوق ، إنه أوعظ للمعتبر من نطق البليغ ، وداعيكم داعي

(١) أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب (عبدمناف) بن عبدالمطلب (شيبه) بن هاشم القرشي الهاشمي ، ولد قبل البعثة بعشر سنوات ، وترى في حجر النبي ﷺ ، وأسلم وعمر عشر سنين ، استقضاه النبي ﷺ على اليمن ، وكان من مجتهدي الصحابة وشجعانهم ، وهو صاحب اللواء يوم خيبر ، قتله ابن ملجم سنة ٤٠ هـ وله من العمر ٦٣ سنة . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٩/٣ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ١١١/١٢ - ٤٣٤ . محمد بن أبي بكر التلمساني ، الجوهرة ١٩١/٢ . ابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٩٩ . ابن حجر ، الإصابة ٥٠٧/٢ .

(٢) الاضمحلال : الذهاب والزوال ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٣٩٦/١١ مادة « ضمحل » .

(٣) أصل الركود : الهدوء والسكون ، ويطلق المركد على المنخفض من الأرض ، وعلى المكان الذي يركد فيه الإنسان ، انظر : لسان العرب ١٨٤/٣ مادة « ركذ » . والفقرة بجملها غامضة المعنى .

(٤) عاف : أي مكروه متقدّر لتغييره ، انظر لسان العرب ٢٦٠/٩ مادة « عَيْفَ » .

مرصد للتلاق ، غداً ترون أيامي ، ويكشف عن سرائري .

لن يحابيني الله إلا أن أتزلفه بتقوى فيعفو عني ، فرط موعود .

عليكم السلام إلى يوم اللزام ، إن أبق فأنا ولي دمي ، وإن أفن فالقيامه ميعادي ،
العفو لي قريباً ، ولكم حسنة ، فاعفوا عفا الله عنا وعنكم ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم
والله غفور رحيم ﴾^(١) ثم قال :

عش ما بدا لك قصرك الموت ... لا مرحلٌ عنه ولا فوت
بيننا غني بين بهجته ... زال الغنى وتقوُّض البيت
باليث شعري ما يراد بنا ... ولقل ما تجدي لنا لث^(٢)

٢٩ - قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : « دخل علينا ابن ملجم الحمام^(٣) ،
وأنا وحسن وحسين^(٤) جلوس في الحمام فلما دخل كأنهما اشماًزا منه وقالا : ما جرأك

(١) سورة النور ، آية ٢٢ .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٥٤/١ ح ١٦٧ ، وابن عساكر - واللفظ له - تاريخ دمشق
٤١٩/١٢ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٩/٩ وقال : « فيه هشام الكلبي وهو متروك » ،
ويلحظ على الوصية فيما يتعلق بابن ملجم أنها تعارض سائر الروايات الأخرى التي أوصى فيها بقتله
أوخبرهم ، كما في رواية محمد بن الحنفية المذكورة آنفاً برقم (٢٩) ، وانظر : تاريخ دمشق
٤١٧/١٢ - ٤١٨ . والقفطي ، إنباء الرواة ٤٧/١ ، والتلمساني ، الجوهرة ٢٧٤/٢ . وابن زبر ،
وصايا العلماء عند حضور الموت ٤١ .

(٣) عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، من بني مدرك ، شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص وكان يقره لأنه كان
من فرسان قومه المعدودين ومن قراء القرآن ، مع كثرة عبادته ، كان من شيعة علي رضي الله عنه ثم
مال إلى الخوارج وقتل علياً رضي الله عنه ، فختم له بشر والعياذ بالله وقتل به سنة ٤٠ هـ . انظر :
ابن حجر ، لسان الميزان ٤٣٩/٣ .

(٤) الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، أبو عبد الله ، سبط رسول الله ﷺ ، ولد سنة أربع من
الهجرة ، ورضع من أم الفضل رضي الله عنها امرأة العباس رضي الله عنه ، حج خمساً وعشرين حجة
ماشياً ، وكان جواداً ورعاً ، كاتبه أهل الكوفة من أجل الخلافة حتى إذا خرج خذلوله ولماً يصلهم ،
فقتل بكر بلاء سنة ٦١ هـ . انظر :

الزبير ، نسب قريش ٢٤ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ١٠٧ . وابن الأثير ، أسد الغابة
١٨/٢ . وابن حجر ، الإصابة ٣٣٢/١ .

أن تدخل علينا؟ قال : فقلت لهما : دعاه عنكما فلعمري ما يريد بكما أجسم من هذا .
فلما كان يوم أتى به أسيراً ، قال محمد بن الحنفية ^(١) : ما أنا اليوم بأعرف به
مني يوم دخل علينا الحَمَام ، فقال علي - رضي الله عنه - : إنه أسيرنا ، فأحسنوا نزله ،
وأكرموا مثواه ، فإن بقيت قتلتُ أو عفوتُ ، وإن مت فاقتلوه قَتَلْتِي ، ﴿ ولا تعتدوا إن
الله لا يحب المعتدين ﴾ ^(٢) .

٣٠ - قال عقبة بن أبي الصهبا : « لما ضَرَبَ ابن ملجم علياً دخل عليه الحسن
وهو باكٍ . فقال له : ما يبكيك يا بني ؟ قال : ومالي لا أبكي وأنت في أول يوم من
الآخرة ، وآخر يوم من الدنيا ، فقال يا بني ، احفظ أربعاً وأربعاً لا يضرک ما عملت
معهن .

قال : وما هن يا أبت ؟

قال : إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العُجْبُ ،
وأكرم الحسب حسن الخلق .

قال : قلتُ يا أبت ، هذه الأربع فأعطني الأربع الآخر .

قال : إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن يتفكك فيضرك ، وإياك ومصادقة
الكذاب فإنه يقرب إليك البعيد ويبعد عليك القريب ، وإياك ومصادقة البخيل فإنه
يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعه بالتافه ^(٣) .

(١) محمد بن علي بن أبي طالب ، أبو القاسم ، ينسب إلى أمه الحنفية خولة بنت جعفر ، ولد في العام الذي
مات فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، كان فاضلاً عالماً حكيماً ذا قوة وعبادة ، توفي سنة ثلاث
وتسعين ، والشيعه يسمونه المهدي ، ويرون أنه في شعب رضوى لم يمِت . انظر :
الزبير ، نسب قريش ٤١ . وابن سعد ، الطبقات ، ٩١/٥ . وابن قدامة ، التبيين في أسماء القرشيين
١١٣ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤/١١٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/٣٥ . وابن عساكر - واللفظ له - ، تاريخ دمشق ١٢/٤١٦ - ٤١٧ . والآية في
سورة البقرة ورقمها ١٩٠ .

(٣) ابن دريد ، المجتنى ٤١ وتاريخ دمشق - واللفظ منه - ١٢/٤١٩ .

٣١ - عن عبدالرحمن بن جُنْدُب عن أبيه قال : « دخلت على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه حين ضربه ابن ملجم أسأل به ، فلم أجلس عنده ، لأنه دخلت عليه بنت له مستترة ، فدعا الحسن والحسين رضوان الله عليهما ثم قال لهما : أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا للدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما منها ، قولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعيننا الصانع ، واصنعا للأخرق ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم . ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال : أسمعت ما وصيتهما به ؟ قال : نعم . قال : وأوصيك بمثله ، وبتزيين أمر أخويك ، ولا تقطع أمراً دونهما .

ثم قال لهما : وأوصيكما به ، فإنه شقيقكما وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباه كان يحبه فأحباه » ^(١) .

٣٢ - روى أبو حاتم السجستاني أن علياً رضي الله عنه أوصى بنيه فقال : « هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب ، وأوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، ثم ﴿ إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ » ^(٢) .

(١) الزجاجي ، الأمالي ١١٢ - ١١٣ وأبو حاتم السجستاني ، المعمرن والوصايا ١٤٩ - ١٥٠ . والمبرد ، التعازي والمرائي ١١٨ ، والكامل في اللغة والأدب - باختصار - ١٧٨/٢ - ١٧٩ ، والتلمساني ، الجوهرة ٢٧٣/٢ - ٢٧٤ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١٩٦/٣ . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٢/٩ وجاء صدرها الأول بلفظ :

« أي بني أوصيكما بتقوى الله والصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء ، فإنه لا تقبل صلاة إلا بطهور ، وأوصيكم بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم ، والحلم عن الجاهل ، والتفقه في الدين ، والتثبت في الأمر ، وتعاهد القرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش .

قال : ثم نظر إلى محمد ... الخ .

(٢) سورة الأتعام آية ١٦٣ .

وإني أوصيك يا حسن وجميع ولدي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله ربكم ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ ^(١) ، فإني سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول : « صلاح ذات البين أفضل من عام الصلاة والزكاة » ^(٢) ، وانظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب ، والله الله في الأيتام ، فلا تغيرن أفواههم بحضرتكم ، والله الله في الضعيفين ، فإن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال : « أوصيكم بالضعيفين خيراً » ^(٣) ، والله الله في القرآن فلا يسبقكم بالعمل به غيركم ، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم ، والله الله في الزكاة فإنها تطفى غضب ربكم عنكم ، والله الله في صيام رمضان ، فإن صيامه جنة لكم من النار ، والله الله في الحج فإن بيت الله إذا خلا لم تناظروا ، والله الله في الفقراء والمساكين ، فشاركوهم في معاشكم وأموالكم .

عليكم يا بني بالبر ، والتواصل ، والتبار ، وإياكم والتقاطع ، والتدابير ، والتفرق ، ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ ^(٤) .
حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيكم ﷺ « ^(٥) .

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

(٢) لم أقف على تخريج لهذا الحديث بنصه ، وهناك أحاديث تأمر بإصلاح ذات البين عند أبي داود والترمذي ومالك وأحمد بغير هذا اللفظ . .

(٣) لم أقف على تخريج لهذا الحديث بالنص نفسه ، والمقصود بالضعيفين : النساء ، وملك اليمين ، وسبق في وصايا النبي ﷺ ذكر وصيته بملك اليمين [انظر الوصية رقم « ٦ »] أما الوصية بالنساء فقوله ﷺ : « واستوصوا بالنساء خيراً » رواه البخاري في كتاب النكاح ، باب الوصاة بالنساء ، ح ١٥٨٥ . [انظر فتح الباري ٢٥٢/٩ - ٢٥٣] .

(٤) سورة المائدة آية : ٢ .

(٥) أبوحاتم السجستاني ، المعمرون والوصايا ١٥٠ - ١٥١ . وذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٣/٩ وبها شيء من الاختلاف عن رواية السجستاني .

وصايا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (١)

٣٣ - عن مصعب بن سعد قال : « كان رأس أبي في حجري وهو يقضي ، قال : فدمعت عيناي . فنظر إليّ فقال : ما يبكيك أي بُنيّ ؟ فقلت : لمكانك وما أرى بك . قال : فلا تبك عليّ فإن الله لا يعذبني أبداً وإني من أهل الجنة ، إن الله يدين المؤمنين بحسناتهم ما عملوا لله . قال : وأما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم ، فإذا نفذت قال : لِيَطْلُبَ كل عامل ثواب عمله ممن عمل له » (٢) .

٣٤ - عن عكرمة بن خالد أن سعداً قال لابنه حين حضره الموت : « يا بني ، إنك لن تلقى أحداً هو أنصح لك مني ، إذا أردت أن تصلي فأحسن وضوءك ثم صل صلاة لا ترى أنك تصلي بعدها ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر ، وعليك باليأس فإنه الغناء ، وإياك وما يعتذر منه من العمل والقول ، واعمل ما بدالك » (٣) .

وصية أبي عبيدة رضي الله عنه (٤)

٣٥ - عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال : « لما طعن (٥) أبو عبيدة بالأردن - وبها قبره - دعا من حضره من المسلمين فقال : إني أوصيكم بوصية إن قبلتموها لن

(١) هو سعد بن مالك بن أهيب - وقيل وهيب - الزهري القرشي ، خال رسول الله ﷺ ، أحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتاً ، كان ثالث من أسلم ، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وكان مجاب الدعوة ، ولم يدخل في شيء من الفتن بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، مات سنة ٥٨ هـ .
انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٣٧/٣ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٢٩٠/٢ . ومحمد التلمساني ، الجوهرة ٢٣٩/٢ . وابن حجر ، الإصابة ٢٣/٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٤٧/٣ .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٠٤/١ ح ٣١٢ . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢١/٤ .

(٤) هو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال الفهري ، من المطيبين ، أمين هذه الأمة ، أسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم ، مات بطاعون عمواس سنة ١٨ هـ ودفن بالأردن .

انظر : طبقات ابن سعد ٤٠٩/٣ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٧٣٣/٨ . أسد الغابة ٨٤/٣ .
والإصابة ٢٥٢/٢ .

(٥) طعن : أي أصابه مرض الطاعون .

تزالوا بخير ، وبعدها تهلكوا : أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا شهر رمضان ، وحُجُّوا ، واعتَمروا ، وتواصلوا ، وانصَحوا لأمرائكم ، ولا تبغضوهم ، ولا تلهكم الدنيا ، فإن امرءاً لو عمر ألف حولٍ ما كان له بد من أن يصير إلى مثل مصرعي هذا الذي ترون ، إن الله قد كتب الموت على بني آدم فهم ميّتون ، وأكيسهم أطوعهم لربه ، وأعملهم ليوم معاده ، والسلام عليكم « (١) .

(١) أبوحاتم السجستاني ، المعمرين والوصايا ١٦٢ . والمبرد ، التمازي والمراثي ١٢١ - ١٢٢ . وابن أعثم ، الفتوح ٢٣٨/١م . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٧٦٠/٨ - ٧٦١ .

الوصايا الدعوية
للعلماء المحتضرين من

بِقَدْرِ الصَّوَابِ

وصايا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (١)

٣٦ - عن أسامة بن وداعة قال : « لما مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه قيل له : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي الجنة .

قالوا : فما تشكي ؟ قال : الذنوب .

قالوا : أفلا ندعوا لك الطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني ، لقد عشت فيكم على ثلاث خلال : للفقر فيكم أحب إليّ من الغنى ، وللضعة فيكم أحب إليّ من الشرف ، وأن من حمدني فيكم ولامني في الحق سواء .

قال : أصبحنا ؟ أصبحنا ؟ قالوا : نعم .

قال : اللهم إني أعوذ بك من صباح النار ، حبيبٌ جاء على فاقة ، لا أفلح من ندم « (٢) .

٣٧ - عن رعي بن حراش قال : « قال حذيفة عند الموت : ربّ يوم أتاني الموت لم أشك فأما اليوم فقد خالطت أشياء لا أدري على ما أنا فيها .

وأوصى - يعني حذيفة - أبا مسعود (٣) فقال : عليك بما تعرف ، وإياك والتلون في دين الله « (٤) .

(١) هو حذيفة بن حِسل - وقيل حُسيل - بن جابر بن عمرو ، أبو عبد الله العبسي ، واليمان لقب حِسل ، صاحب سرّ النبي ﷺ ، خيره النبي ﷺ بين الهجرة والنصرة فاختر النصر ، وذلك أن أباه أصاب دماً في قومه فهرب إلى المدينة وحالف بني عبد الأشهل فكان مهاجراً أنصارياً . انظر : ابن عساکر ، تاريخ دمشق ٤/٢٨٨ . وابن قدامة ، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ٢٣٣ . وابن الأثير ، أسد الغابة ١/٣٩٠ . والذهبي ، تجريد أسماء الصحابة ١٢٥ . وابن حجر ، الإصابة ٣١٧/١ .

(٢) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٣١ أ . وتاريخ دمشق ٤/٣١١ . وانظر : المزي ، تهذيب الكمال ٥٠٩/٥ .

(٣) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، أبو مسعود الأنصاري ، مشهور بكنيته ، من أصحاب علي رضي الله عنه ، مات بعد الأربعين ، انظر : ابن حجر ، الإصابة ٢/٤٩٠ - ٤٩١ .

(٤) ابن أبي شيبة ، المصنف ١٣/٣٨١ . وأبو نعيم الأصفهاني ، الحلية ١/٢٧٨ . وتاريخ دمشق ٤/٣١٠ .

٣٨ - قال ليث بن أبي سليم : لما نزل بحذيفة الموت جزع جزعاً شديداً وبكى بكاء كثيراً ، فقيل : ما يبكيك ؟ فقال : ما أبكي أسفاً على الدنيا ، بل الموت أحب إليّ ، ولكنني لا أدري علام أقدم ، على رضى أم على سخط « (١) .

٣٩ - عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : « قال حذيفة حين حضره الموت : مرحباً بالموت وافداً ، مرحباً بحبيب جاء على فاقةٍ ، لا أفلح من ندم ، اللهم إني لم أحب الدنيا لحفر الآبار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لسهر الليل ، وظمأ الهواجر ، وكثرة الركوع والسجود ، والذكر ، والجهاد في سبيلك ، ومزاحمة العلماء بالركب « (٢) .

(١) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ٤/٣١٠ . وابن الأثير ، أسد الغابة ١/٣٩٢ .

(٢) تاريخ دمشق ٤/٣١١ .

وصية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (١)

٤ - قال ابن قدامة : « روي أن الحسن بن علي رضي الله عنه لما حضره الموت قال للحسين : يا أخي إن أباك رحمه الله لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر ورجا أن يكون صاحبه ، فصرفها الله عنه ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشرف لها أيضاً ، فصرفت عنه إلى عمر ، فلما احتضر عمر وجعلها شورى بين ستة هو أحدهم ، فلم يشك أنها لاتعدوه فصرفت عنه إلى عثمان ، فلما هلك عثمان ببيع ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها ، فما صفي له شيء منها ، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ، ولا أعرفن ما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك . وروي أنه قال : فإنهم قتلوا أباك ، وخذلوا أخاك » (٢) .

وأورد الذهبي عن الحسن بن محمد بن الحنفية قال : « جعل الحسن يوعز للحسين : يا أخي إياك أن تسفك في دماً فإن الناس سراع إلى الفتنة » (٣) .

(١) هو الحسن بن علي بن أبي طالب (عبدمناف) بن عبدالمطلب (شيبه) القرشي الهاشمي ، أبو محمد ، سبط النبي ﷺ ، وأبن سيدة نساء العالمين فاطمة رضي الله عنها ، وخامس أهل الكساء ، وسيد شباب أهل الجنة ، ذكر ابن الأثير عن المنفل بن فضالة أن الله تعالى حجب اسم الحسن والحسين حتى سمي بهما النبي ﷺ ابنيه ، توفي مسموماً سنة ٥١ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر :

أبرالفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ٤٦ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤٨٥/٤ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ١٠٣ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٩/٢ . وابن حجر ، الإصابة ٣٢٨/١ .

(٢) التبيين في أنساب القرشيين ١٠٨ . وذكر ابن الأثير آخرها في : أسد الغابة ١٥/٢

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣/٢٧٥ - ٢٧٦ . وانظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ٥٤٩/٤ .

وصية أبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه (١)

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه « أنه غزا في زمن معاوية ، فمرض ، فلما ثَقَلَ قال لأصحابه : إن مت فاحملوني ، فإذا صافقتم العدو فادفنونني تحت أقدامكم ، وسأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لولا ما حضرنني لم أحدثكم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » (٢) .

وصايا خالد بن الوليد رضي الله عنه (٣)

٤٢ - قال محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان : « لم يزل خالد بن الوليد مع أبي عبيدة حتى توفي أبو عبيدة ، واستخلف عياض بن غنم الفهري (٤) ، فلم يزل خالد معه حتى مات عياض ، فاعتزل خالد إلى ثغر حمص ، حتى نُزِلَ به ، فدخل عليه أبو الدرداء

(١) هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة النجاري ، مضيف النبي ﷺ أول هجرته ، شهد العقبة ، وسائر المشاهد مع النبي ﷺ ، خرج غازياً إلى القسطنطينية (استانبول) فمات ودفن تحت أسوارها ، وكان النصارى يتهركون به ، ثم بنى عليها العثمانيون مسجداً وصار سلاطينهم ينصبون فيه . انظر : خليفة بن خياط ، الطبقات ٣٠٣ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤٢٧/٥ . وابن قدامة ، الاستبصار ٦٩ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٨٠/٢ . والذهبي ، تجريد أسماء الصحابة ١٥٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤٨٤/٣ - ٤٨٥ . وتاريخ دمشق ٤٤٢/٥ . والحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ح ١٥٠ (٩٢) ، ١٥٠ (٩٣) . الصحيح ٩٤/١ .

(٣) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي رضي الله عنه ، أبو سليمان ، سيف الله ، كان من أشرف قريش في الجاهلية ، أسلم بعد غزوة الخندق ، وأول مشاهدته مع المسلمين مؤتة ، كتب الله على يديه هزيمة الردة في اليمامة ، وفتحاً جليله في العراق والشام ، توفي بحمص - على الأشهر - في خلافة عمر رضي الله عنه سنة ٢١ هـ . انظر :

تاريخ دمشق ٥٣١/٥ . وأسد الغابة ٩٣/٢ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٣٠٧ . تجريد أسماء الصحابة ١٥٤ . وابن حجر ، الإصابة ٤١٣/١ .

(٤) عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد رضي الله عنه ، أسلم بعد الحديبية ، وشهد بيعة الرضوان ، وكان صالحاً فاضلاً سمحاً يسمى زاد الراكب ، افتتح الجزيرة صلحاً ، استخلفه أبو عبيدة رضي الله عنه على =

عائداً له ، فقال خالد بن الوليد :

إن خيلي هذه التي حبست في الشجر وسلاحي هو على ماجعلته عليه عدة في سبيل الله ، وقوة يغزا عليها ، وتعلم من مالي ، وداري بالمدينة صدقة حبس لا تباع ولا تورث ، وقد كنت أشهدت عليها عمر بن الخطاب ليالي قدم الجابية ، وهو كان أمرني بها ، ونعم العون هو على الإسلام . والله يا أبا الدرداء لئن مات عمر لثرتين أموراً تنكرها .

قال : قال أبو الدرداء : وأنا والله أرى ذلك .

قال خالد : قد كنت وجدت عليه في نفسي في أمور . لما تدبرتها في مرضي هذا وحضرتني من الله حاضر عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل ، كنت وجدت في نفسي حين بعث إليّ من يقاسمني مالي حتى أخذ فرْدَ نَعْلٍ ، فرأيتُه فعل ذلك مع غيري من أهل السالفة ومن شهد بدرأ ، وكان يُغْلِظُ عليّ ، وكان غلِظته عليّ وكنت أدلُّ عليه بقرابة ، فرأيتُه لا يبالي قريباً ولا لوم لائم في غير الله ، فذلك الذي أذهب ما كنت أجد عليه ، وكان يُكثِرُ عليّ عنده ، وما كان ذلك مني إلا على النظر ، كنت في حربٍ ومكابدة ، وكنت شاهداً ، وكان غائباً ، فكنت أعطي على ذلك ، فخالفه ذلك من أمري ، وقد جعلت وصيتي ، وتركتي ، وإنفاذ عهدي إلى عمر بن الخطاب « (١) .

٤٣ - عن أبي وائل قال : « لما حضرت خالداً الوفاة قال : لقد طلبت القتل مظانته فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي ، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد التوحيد من ليلة بئها وأنا متترس والسما تهلني ننتظر الصبح حتى نغير على الكفار .

= الشام وأقره عمر رضي الله عنه عليها ، توفي سنة ٢٠ هـ . انظر :

ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ٥١ . وابن الأثير ، أسد الغابة ١٦٤/٤ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٥٤/٢ .

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ٥٦٣/٥ .

ثم قال : إذا متُ فانظروا إلى سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله « (١) .

وصية خبّاب بن الأرت رضي الله عنه (٢)

٤٤ - قال قيس بن أبي حازم : « عدنا خبّاباً وقد اكتوى في بطنه سبعا ، وقال : لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به . ثم قال : إنه قد مضى قبلنا أقوام لم ينالوا من الدنيا شيئاً ، وأنا بقينا بعدهم حتى نلنا من الدنيا ما لا يدري أحدنا في أي شيء يضعه إلا التراب . وإن المؤمن يؤجر في كل شيء أنفقه إلا فيما أنفقه في التراب » (٣) .

وصية سعد بن الربيع رضي الله عنه (٤)

٤٥ - روى الطبراني أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد : « من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع - وسعد أخو بني الحارث بن الخزرج - أفي الأحياء هو

(١) الطبراني ، المعجم الكبير ١٢٤/٤ برقم ٢٨١٢ ، وأبو نعيم الأصبهاني ، معرفة الصحابة ق ١ ل ٢٠٤ أ . الذهبي - واللفظ له - ، سير أعلام النبلاء ١/٣٨١ . وابن حجر في الإصابة ٢/٢٥٤ بلفظ : « ما كان في الأرض من ليلة أحب إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصحّ العدو ، فعليكم بالجهاد » .

(٢) هو خبّاب بن الأرت بن جندلة ، أبو عبد الله ، حليف بني زهرة ، عربي لحقه سبي في الجاهلية ، سادس من أسلم ، وشهد جميع المشاهد مع النبي ﷺ ، ثم سكن الكوفة وتوفي بها سنة ٣٧ هـ ودفن بظاهرها . انظر : خليفة بن خياط ، الطبقات ١٢٦ . محمد بن حبان البستي ، تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار ٨٨ . وأبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ١/١٤١ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٢/١٠٦ . والإصابة ١/٤١٦ .

(٣) حلية الأولياء ١/١٤٦ .

(٤) سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري الخزرجي ، أحد النقباء ، أخى النبي ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وكان يكتب في الجاهلية ، وشهد مع النبي ﷺ بدرًا واستشهد يوم أحد فدفن مع خارجة بن زيد رضي الله عنه في قبر واحد . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣/٥٢٢ . وأسد الغابة ٢/٢٧٧ . وسير أعلام النبلاء ١/٣١٨ ،

أم في الأموات ؟

فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل . فنظر فوجده جريحاً في القتلى به رمق .

قال : فقلت له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر له : أفي الأحياء أنت أم في

الأموات ؟

قال : فأنا في الأموات ، أبلغ رسول الله ﷺ عني السلام - وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله خير ماجزى نبياً عن أمته . وأبلغ عني قومك السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ﷺ وفيكم عين تطرف .

ثم لم أبرح حتى مات ، فجنث رسول الله ﷺ فأخبرته خبره « (١) .

وصية سعيد بن العاصي رضي الله عنه (٢)

نقل عبدالرحمن بن إسرائيل عن بعض أشياخه قال : لما حضرت الوفاة سعيد بن

العاصي قال :

« يا بني ، أيكم يكفل عني ديني ؟

قال عمرو بن سعيد (٣) : عليّ دينك يا أبة ، كم هو ؟

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥٢٣/٣ . والطبري - واللفظ له - تاريخ الرسل والملوك ٥٢٨/٢ . والبيهقي ، دلائل النبوة ٢٨٥/٣ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣١٨/١ - ٣١٩ . وابن حجر ، الإصابة ٢٦/٢ .

(٢) سعيد بن العاص بن هشام بن المغيرة الأموي ، صحابي ، كان جواداً حليماً حازماً ، اعتزل الفتنة ، وولي إمرة المدينة لمعاوية غير مرة ، وهو أحد من نديهم لجمع المصحف لفصاحته وشبه لهجته من لهجة رسول الله ﷺ ، توفي سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك . انظر :

طبقات ابن سعد ٣٠/٥ . والزبير ، نسب قريش ١٧٦ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٣٠٩/٢ . والمزي ، تهذيب الكمال ٥٠١/١٠ . وسير أعلام النبلاء ٤٤٤/٣ . والإصابة ٤٨/٢ .

(٣) عمرو بن سعيد بن العاصي (الأشدق) من أشرف الأمويين ، كان مائل الذقن حتى سُمي « لطيم =

قال : ثمانون ألف دينار .

قال : وفيما استدنتها ؟

قال : في كريم سددتُ خلله ، أو لثيم اشترت عرضي منه .

ثم قال سعيد : هذه خصلة ، وبقيت خصلتان .

قال : ما هما يا أبة ؟

قال : يا بني لا تزوجن بناتي إلا من الأكفاء ولو بفلق خبز الشعير . قال : أفعلُ .

قال : يا بني ، ذهبت خصلتان وبقيت خصلة .

قال : وما هي يا أبة ؟

قال : يا بني ، إن فقد إخواني وجهي فلا يفقدوا معروفني . قال : أفعلُ يا أبة .

قال : يا بني ، ما زلت أعرف الكرم في حماليق عينيك وأنت يُحرّك بك في مهدك

حتى بلغت ما أرى .

يا بني ما شامت رجلاً مذ كنت رجلاً ، ولا زاحمت ركبتاي ركبته ، ولا كلفت من

يرتجيني أن يسألني ، فيذلل وجهه ، ويرشح جبينه رشح السماء ، إذاً والله فما وصلته .

يا بني ، أخزى الله المعروف إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة ، فأما إذا أتاك ترى

دمه في وجهه ، مخاطراً لا يدري أتعطيه أم تمنعه ؟ فوالله لو خرجت له من جميع ما

تملكه ما كافأته ، ولا الذي بات يتململ على فراشه يُعقَّب بين شفتيه : أيجدني موضعاً

لحاجته أم لا ؟ لهو أعظم عليّ منة مني عليه إذا قضيتها له « (١) .

= الشيطان » ، ولي المدينة لمعاوية وليزيد بعده ، وزعم أن مروان بن الحكم جعل إليه الخلافة بعد

عبد الملك ثم إلى عبد العزيز ، ولما شخص عبد الملك لحرب مصعب بن الزبير وثب على دمشق واعتصم

بها فرجع إليه عبد الملك وأمنه ثم غدر به وقتله سنة ٧٠ هـ . انظر :

الزبير ، نسب قریش ١٧٩ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ١٦٧ . والكتبي ، فوات

الوفيات ١٦١/٣ .

(١) الميرد ، التعازي والمرائى ١٢٧ - ١٢٨ . وذكر المزي بعضها في كتابه « تهذيب الكمال » ٥٠٧/١٠ .

وصية سلمان الفارسي رضي الله عنه (١)

٤٧ - دخل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على سلمان يعوده ، قال : « فبكي سلمان ، فقال له سعد : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ ، وتلقى أصحابك ، وترد عليه الحوض .

قال سلمان : والله ما أبكي جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً فقال : « لتكن بلغة أحدكم مثل زاد الراكب » ، وحولي هذه الأساود .

قال : وإنما حوله جفنة أو مطهرة أو إجانة (٢) .

قال : فقال له سعد : يا أبا عبد الله ، اعهد إلينا عهداً نأخذ به بعدك .

فقال : يا سعد ، اذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند حكمك إذا حكمت ،

وعند يدك إذا قسمت (٣) .

وصية أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه (٤)

٤٨ - عن زيد بن أسلم قال : « دُخِلَ على أبي دجانة وهو مريض ، وكان وجهه

(١) سلمان الفارسي ، أبو عبد الله . اسمه قبل الإسلام مابه بن بوذخشان ، أصله من أصبهان ، كان والده سادن النار ببلدته ، من علماء الصحابة وزهادهم ، ولي المدائن ، ثم سكن الكوفة ، وتوفي بها سنة ٣٦ هـ ، وقيل إنه جاوز من العمر ٢٥٠ عاماً ، والله أعلم . انظر :

ابن حبان ، تاريخ الصحابة ١١٦ . وابن عساکر ، تاريخ دمشق ٣٨٩/٧ . وابن الأثير ، أسد الغابة

٣٢٨/٢ . وابن عبد البر ، الاستيعاب - بحاشية الإصابة - ٥٦/٢ . وابن حجر ، الإصابة ٦٢/٢ .

(٢) إجانة : مرکن تُغسل فيه الشباب . انظر : ابن منظور ، لسان ٨/١٣ مادة « أَجَنَ » .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٩٠/٤ - ٩١ . وابن أبي شيبه ، المصنف ٢٢٠/١٣ . وأبو نعيم ، حلية

الأولياء ١٩٦/١ . والإمام أحمد في مسنده ٤٣٨/٥ . والحاكم في المستدرک ٣٢٧/٤ . والذهبي ،

سير أعلام النبلاء ٥٥٢/١ .

(٤) أبو دجانة سماك بن خرشة ، وقيل ابن أوس بن خرشة بن لوزان الأنصاري الساعدي رضي الله عنه ، =

يتهلل . فقيل له : ما لوجهك يتهلل ! فقال : مامن عملي شيء أوثق عندي من اثنتين : أما إحداهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني ، وأما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً « (١) .

وصية شداد بن أوس رضي الله عنه (٢)

٤٩ - روى محمود بن الربيع عن سداد بن أوس أنه قال لما حضرته الوفاة : « إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » (٣) .

وصايا عبادة بن الصامت رضي الله عنه (٣)

٥٠ - عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال : « لما حضرت عبادة الوفاة قال : أخرجوا فراشي إلى الصحن - يعني الدار - ثم قال : اجمعوا لي مواليّ وخدمي وجيراني ومن كان يدخل علي . فجمعوا له ، فقال :

- = من أبطال الصحابة ، شهد جميع المشاهد مع النبي ﷺ ، وشارك في قتل مسيلمة ، واستشهد رضي الله عنه يوم اليمامة . انظر :
- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥٥٦/٣ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٣٥٢/٢ . وابن عبد البر ، الاستيعاب - بحاشية الإصابة - ٥٨/٤ . وابن حجر ، الإصابة ٥٨/٤ .
- (١) طبقات ابن سعد ٥٥٧/٣ .
- (٢) شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري الخزرجي ، أبو يعلى ، ابن أخي حسّان بن ثابت ، سكن الشام ، قال عبادة بن الصامت : كان شداداً ممن أوتي العلم والحلم . وكان كثير الاجتهاد في العبادة ، سكن بيت المقدس ومات بها سنة ٥٨ هـ . انظر :
- خليفة بن خياط ، الطبقات ٣٠٣ . وابن حبان ، تاريخ الصحابة ١٣١ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ١/٨ . وأسد الغابة ٣٨٧/٢ . والإصابة ١٤٠/٢ .
- (٣) ابن زبُر الربيعي ، وصايا العلماء عند حضور الموت ٧٣ . وأبرنعيم - واللفظ له - ، حلية الأولياء ٢٦٨/١ .
- (٣) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي الساعدي رضي الله عنه ، أبو الوليد ، ولي القضاء لعثمان رضي الله عنه على فلسطين ، سكن بيت المقدس وتوفي بها سنة ٣٤ . انظر :
- طبقات خليفة ٣٠٢ - ٣٠٣ . وتاريخ الصحابة ١٩٠ . وتاريخ دمشق ٨٥٣/٨ . وأسد الغابة ١٠٦/٣ . والإصابة ٢٦٨/٢ .

إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي عليّ من الدنيا ، وأول ليلة من الآخرة ،
واني لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء ، وهو والذي نفس عبادة
بيده القصاص يوم القيامة ، وأحرج على أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتصر
مني قبل أن تخرج نفسي .

قال : قالوا : بل كنت والدأ وكنت مؤدباً . قال : وما قال لخادم سوء أقط . فقال :
أغفرتم لي ما كان من ذلك ؟ قالوا نعم . قال : اللهم اشهد .

ثم قال : أما لا ، فاحفظوا وصيتي : أخرج على إنسان منكم يبكي عليّ ، فإذا
خرجت نفسي فتوضئوا فأحسنوا الوضوء ، ثم ليدخل كما إنسان منكم مسجداً فيصلني ثم
يستغفر لعبادة ولنفسه ، فإن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ (١) ،
ثم أسرعوا بي إلى حفرتي ، ولا تتبعني نار ، ولا تضعوا تحتي أرجواناً (٢) .

٥١ - قال عطاء بن أبي رباح : « سألت ابن عبادة بن الصامت (٣) كيف كانت
وصية أبيك حين حضره الموت : قال : جعل يقول : يا بني ، اتق الله ، واعلم أنك لن
تتقي الله عزوجل ولن تبلغ العلم حتى تعبد الله عزوجل وحده ، وتؤمن بالقدر خيره وشره .
قلت : يا أبة ، كيف لي أن أؤمن بالقدر خيره وشره ؟

قال : تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فإن
ميتاً على غير هذا دخلت النار . سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن أول ما خلق الله القلم ، فقال عزوجل له : اكتب . فقال : ما أكتب ؟

(١) سورة البقرة آية ٤٥ .

(٢) ابن زبر الرعي ، وصايا العلماء عند حضور الموت ٤٨ - ٤٩ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٨/٨٦٩ .
والأرجوان لعله ضرب من الطيب كان مستخدماً في زمانهم .

(٣) الوليد بن عبادة بن الصامت رضي الله عنهما ، ولد في آخر عهد النبي ﷺ ، معدود في كبار التابعين ،
كان ثقة قليل الحديث ، توفي في ولاية عبد الملك بن مروان بالشام . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥/٨٠ . وابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ٧٤ . وابن حجر ، الإصابة
٦٤٤/٣ ، والتقريب ٥٨٢ .

فقال عزوجل: القدر . فجرى من تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد « (١) .

وصايا العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه (٢)

٥٢ - دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه على العباس بن عبدالمطلب يعوده ، فقال - أي عثمان - : « أوصني وزودني » . فقال له - أي العباس - : « الزم خواصّ تصب عوامّ ، ودع مصانعة الناس ، وعليك بسلامة القلب ، وحفظ اللسان تصب بهما سروراً ، ومن أمنه الناس على أعراضهم استقاموا له بموادّتهم » (٣) .

٥٣ - قال عبدالله بن إبراهيم القرشي : « لما نزل بالعباس بن عبدالمطلب الموتُ قال لابنه : يا عبد الله (٤) ، إني والله ما متّ موتاً ولكنني فنيت فناءً ، وإني موصيك بحب الله وحبّ طاعته ، وخوف الله وخوف معصيته ، فإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى

(١) روى الوصية مع الحديث : الترمذي في كتاب القدر ، باب رقم ١٦ ، برقم ٢٢٤٤ . انظر : محفة الأحوذى ٣٦٨/٦ . والإمام أحمد في مسنده ٣١٧/٥ . وابن زبير الرعي في وصايا العلماء عند حضور الموت ٥٠ .

(٢) العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الفضل ، عمّ النبي ﷺ ، ولد قبل عام الفيل بثلاث سنوات ، وكان من أشرف قريش وكرمائها وفضلاتها ، قيل أسلم بعد بدر وكان يخفي إسلامه ، ثم هاجر قبيل فتح مكة ، استسقى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة فسقاهم الله تعالى ، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه وله من العمر ٨٨ عاماً . انظر :

خليفة بن خياط ، الطبقات ٤ . وابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥/٤ . وابن حبان ، تاريخ الصحابة ١٨٣ . وابن عساکر ، تاريخ دمشق ٩٠٢/٨ . وابن الأثير ، أسد الغابة ١٠٩/٣ . وابن حجر ، الإصابة ٢٧١/٢ .

(٣) ابن دريد ، المجتني ٤٠ .

(٤) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما ، أبو العباس ، حبر الأمة وترجمان القرآن ، ولد في شعب أبي طالب قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدخله مع شيوخ المهاجرين ويسأله ، كان جميلاً مديد القامة ، عظيم الجفنة ، واسع العلم ، ذهب بصره آخر عمره ، وتوفي بالطائف سنة ٦٨ هـ وله إحدى وسبعون سنة . انظر :

الزبير ، نسب قريش ٢٦ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ١٣٠ . وأسد الغابة ١٩٢/٣ . والإصابة ٣٣٠/٢ .

أتاك . واني أستودعك الله يا بني .

ثم استقبل القبلة فقال : لا إله إلا الله ، ثم شخص ببصره فمات « (١) .

وصية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (٢)

٥٤ - عن سعيد بن جبير قال : « لما أصاب ابن عمر الحَبْلُ (٣) الذي أصابه بمكة ، فرمي حتى أصاب الأرض ، فخاف أن يمنعه الألم ، فقال : يا ابن أم الدهماء (٤) ، اقضِ بي المناسك . فلما اشتد وجعه بلغ الحجاج فأناه يعود فجعل يقول : لو أعلم من أصابك لفعلت وفعلت ، فلما أكثر عليه قال : أنت أصبتني ، حملت السلاح في يوم لا يحمل فيه السلاح .

فلما خرج الحجاج قال ابن عمر : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : ظمأ الهواجر ، ومكابدة الليل ، وألا أكون قاتلت هذه الفئة الباغية التي حلت بنا « (٥) .
زاد ابن أبي الدنيا والذهبي : « يعني الحجاج » (٦) .

(١) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٦٥ ب . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٩٥٨/٨ .

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي ، أبو عبد الرحمن ، هاجر مع والده إلى المدينة المنورة ، واستصغره النبي ﷺ يوم أحد وأجازه يوم الخندق ، اعتزل الفتن فلم يدخل في شيء منها ثم ندم ألا يكون قاتل مع علي رضي الله عنه ، ذهب إلى مكة حاجاً سنة ثلاث وسبعين فمرض بها إثر نخسة حربة أصابته بإيعاز من الحجاج وتوفي بها وهو ابن سبع وثمانين سنة . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٤٢/٤ . وخليفة بن خياط ، الطبقات ٢٢ . وابن حبان ، تاريخ الصحابة ١٤٩ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٢٢٧/٣ .

(٣) الحَبْلُ : فساد الأعضاء حتى لا يدري المرء كيف يمشي . انظر لسان العرب ١٩٧/١١ ، مادة « حَبْل » .
(٤) سعيد بن جبير بن هشام ، أبو عبد الله ، مولى بني أسد ، أكثر عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ، من عباد المكيبين وفقهائهم ، كان يختم القرآن في كل ليلتين ، خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج صبراً سنة ٩٥ هـ . انظر :

طبقات ابن سعد ٢٥٦/٦ . وابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ٨٢ .

(٥) طبقات ابن سعد ١٨٥/٤ .

(٦) المحتضرون (خ) ل ٤٦ أ - ب . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٣٢/٣ .

وصايا أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس رضي الله عنه (١)

٥٥ - عن أبي بردة قال : « لما حضرت أبا موسى الوفاة قال : يا بني اذكروا صاحب الرغيف .

قال : كان رجل يتعبد في صومعته - أراه قال : سبعين سنة - لا ينزل إلا في يوم واحد .

قال : فشبّه - أو فشبب - الشيطان في عينه امرأة - فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال .

قال : ثم كشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائباً ، فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد ، فأواه الليل إلى دكان (٢) كان عليه اثني عشر مسكيناً ، فأدركه العياء فرمى بنفسه بين رجلين منهم ، وكان ثمّ راهب يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة فيعطي كل إنسان رغيفاً ، فجاء صاحب الرغيف فأعطى كل إنسان رغيفاً ، ومرّ على ذلك الرجل الذي خرج تائباً فظن أنه مسكين فأعطاه رغيفاً .

فقال المتروك : مالك لم تعطني رغيفي ، ما كان بك عنه غنى ؟

فقال : أتراني أمسكتك عنك ؟ والله لا أعطيك الليلة شيئاً .

فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه فدفعه إلى الرجل الذي ترك . فأصبح

(١) عبد الله بن قيس بن سليم بن حصار بن حرب رضي الله عنه ، أبو موسى الأشعري ، قدم مكة قبل الإسلام وحالف أبا حنيفة سعيد بن العاص ، ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة ، ولي البصرة لعمر وعثمان رضي الله عنهما ، كما ولي الكوفة ومات بها سنة خمسين ، وقيل إحدى وخمسين . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٠٥/٤ . وخليفة بن خياط ، الطبقات ٦٨ . وابن حبان ، تاريخ الصحابة ١٥٤ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٢٤٥/٣ .

(٢) المراد به : الدُّكَّةُ المبنية للجلوس عليها ، مشتقة من الدُّكَّاء وهي الأرض المنبسطة ، وليس الحانوت . انظر : الزبيدي ، تاج العروس ٢٠١/٩ مادة « دَكَنَ » .

التائب ميتاً .

قال : فوزنت السبعون سنة بالسبع الليالي فرجحت السبع الليالي ، ثم وزنت السبع الليالي بالرغيف فرجع الرغيف .

فقال أبو موسى : يا بني اذكروا صاحب الرغيف « (١) .

٥٦ - عن صفوان بن محرز قال : « أغمي على أبي موسى ، فبكوا عليه ، فأفاق وقال :

إني أبرأ إليكم مما برئ منه رسول الله ﷺ من حلق ، وخرق ، وسلق « (٢) .

٥٧ - عن سيار بن سلامة قال : « لما حضر أبا موسى الأشعري الموت دعا بنييه

فقال : انظروا إذا مت فلا تؤذّننّ بي أحداً ، ولا يتبعني صوت ولا نار ، وليكن ممشى أحدكم بحذاء ركبتني من السرير « (٣) .

وروى ابن ماجه من طريق أبي بردة قال : أوصى أبو موسى الأشعري حين حضره

الموت فقال : « لا تُتبعوني بمجمر » قالوا له : أو سمعت فيه شيئاً قال : نعم ، من النبي ﷺ « (٤) .

(١) أبونعيم ، حلية الأولياء ٢٦٣/١ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١١٥/٤ ، والمراد بالحلق : حلق الشعر ، والخرق : شق الثياب . والسلق : رفع الصوت بشدة عند المصيبة . انظر : ابن الأثير ، النهاية ٣٩١/٢ .

(٣) ابن سعد ، المرجع السابق .

(٤) رواه ابن ماجه في كتاب الجنائز ، باب ماجاء في الجنائز لا تؤخر إذا حضرت ولا تتبع بنار « ح ١٤٨٧ . السنن ٤٧٧/١ . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : إسناده حسن لأن « عبد الله بن حسين » أحد رواة الحديث مختلف فيه . [نقله فؤاد عبد الباقي في هذا الموضوع ولم استطع الوقوف عليه في المجمع] .

وصية عمران بن حصين رضي الله عنه (١)

٥٨ - عن الحسن البصري قال : « أوصى عمران بن حصين فقال : إذا مت فخرجتم بي فأسرعوا المشي ، ولا تهودوا بي كما تهود اليهود والنصارى ، ولا تُتبعوني ناراً ولا صوتاً . قال : وكان أوصى لأمهات أولاده بوصايا ، فقال : أيما امرأة منهن صرخت عليّ فلا وصية لها » (٢) .

وصية عمرو بن العاص رضي الله عنه (٣)

٥٩ - قال ثابت البناني : « كان عمرو بن العاص على مصر ، فاشتكى وثقل ، فقال لصاحب شرطته : أدخل عليّ ناساً من وجوه أصحابك أمرهم بأمر . فلما دخلوا عليه نظر إليهم ثم قال : إنها قد بلغت هذه ، اردعوها عني . قالوا : ومثلك أيها الأمير يقول هذا ؟ هذا أمر الله الذي لا مرد له .

(١) عمران بن حصين بن عبد مناف بن عبدنهم الخزاعي الكعبي ، أبو نجيد ، أسلم قديماً ، وكان مجاب الدعوة وروي عنه أن الملائكة الحفظة كانت تسلم عليه يسمع تسليمهم من قبّل رأسه ، فلما اكتوى لمرض أصابه انقطع عنه التسليم ، ثم عاد إليه قبل وفاته ببسبر . سكن البصرة وتوفي بها سنة اثنتين وخسين من الهجرة . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٩/٧ . وخليفة الخياط ، الطبقات ١٠٦ . وابن الأثير ، أسد الغابة ١٣٧/٢ . وابن حجر ، الإصابة ٢٦/٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ١١/٧ .

(٣) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم السهمي ، أبو عبدالله ، وقيل أبو محمد ، من دهاة العرب الأربعة ، أسلم قبل الفتح ، واستعمله النبي ﷺ على غزوة ذات السلاسل ، ثم أرسله إلى عُمان ، ووكله لعمر بن الخطاب مصر وهو الذي افتتحها ، وقف إلى جانب معاوية يوم صفين وكان اشترط عليه ولاية مصر فوفى له بذلك ، فبقي والياً عليها حتى توفي يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين على الأشهر وله من العمر تسعة وتسعين عاماً . انظر :

طبقات ابن سعد ٤٩٣/٧ . وطبقات خليفة ٢٥ . وابن حبان ، تاريخ الصحابة ١٧٣ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤٨٨/١٣ . وأسد الغابة ١١٥/٤ . والإصابة ٢/٣ .

قال : والله إنني عرفت أنه كذا ، ولكنني أحببت أن تتعظوا ، لا إله إلا الله . فلم يزل يقولها حتى مات « (١) .

(١) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٦٤ أ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٥٣٦/١٣ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٧٦/٣ .

وصايا أبي الدرداء عويم رضي الله عنه (١)

- ٦٠ - قالت أم الدرداء رضي الله عنها « أغمي على أبي الدرداء وبلال ابنه (٢) عنده فقال : اخرج عني ، ثم قال : من يعمل مثل مضجعي هذا ؟ من يعمل مثل ساعتني هذه ؟ » ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون » (٣) ثم يغمى عليه ، ثم يفيق فيقولها حتى قبض « (٤) .
- ٦١ - عن أبي عمران الجوني « أن أبا للدرداء لما نزل به الموت دعا أم الدرداء (٥) فضمها إليه وبكى وقال : يا أم الدرداء ، قد ترين ما قد نزل بي من الموت ، وإنه والله قد نزل بي أمر لم ينزل بي قط أمر أشد منه ، وإن كان لي عند الله خير فهو أهون

(١) عويم بن عامر بن زيد بن قيس ، كذا نسبه خليفة وابن حبان ، وعند ابن سعد : عويم بن زيد بن قيس ابن عائشة الأنصاري الخزرجي ، مشهور بكنيته ، أحد فقهاء الصحابة وعلمائهم ، قال عنه النبي ﷺ : « عويم حكيم أمتي » تأخر إسلامه فشهد الخندق وما بعدها ، ثم سكن دمشق ، وولي قضاءها ، وتوفي بها سنة اثنتين وثلاثين . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٩١/٧ . وخليفة بن خياط ، الطبقات ٩٥ . وابن حبان ، تاريخ الصحابة ١٨٢ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٧٣٠/١٣ ، وابن قدامة ، الاستبصار ١٢٥ . وابن الأثير ، أسد الغابة ١٨٥/٥ . وابن حجر ، الإصابة ٤٥/٣ .

(٢) بلال بن أبي الدرداء الأنصاري ، أبو محمد ، كان قاضياً على دمشق أيام يزيد بن معاوية وبقي حتى عزله عبد الملك ، وثقه ابن حجر ، توفي سنة ٩٣ هـ . انظر : ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ١١٥ . وابن حجر ، التقريب ١٢٩ . ويدران ، تهذيب تاريخ دمشق ٣٢٥/٣ .

(٣) سورة الأنعام آية ١١٠ .

(٤) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٣٠ ب - ٣١ أ . وابن أبي شيبة ، المصنف ٣١٤/١٣ . وأبو بعيم ، حلية الأولياء ٢١٧/٨ . وتاريخ دمشق ٧٨١/١٣ - ٧٨٢ .

(٥) أم الدرداء الصغرى : هُجَيْمَةُ بنت حَبِي الأوصابية ، كانت يتيمة في حجر أبي الدرداء فتزوجها ، ثقة فقيهة زاهدة ، كان عبد الملك بن مروان يجلسها ويجلس في حلقتها وهو خليفة ، توفيت سنة ٨١ هـ ، أما أم الدرداء الكبرى في « خيرة بنت أبي حدرد رضي الله عنها » انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٧٧/٤ . وابن كثير ، البداية والنهاية ٥٠/٩ . والتقريب ٧٤٥ .

ما بعده ، وإن تكن الأخرى فوالله ما هو فيما بعدها إلا كحلاب ناقة ، ثم بكى ، ثم قال :
يا أم الدرداء : اعلمي لمثل مصرعي هذا ، يا أم الدرداء ، اعلمي لمثل ساعتني هذه . ثم
دعا ابنه بلالاً فقال : ويحك يا بلال ، اعمل لساعة الموت ، اعمل لمثل مصرع أبيك
واذكر به سرعتك وساعتك فكان قد . ثم قبض « (١) .

٦٢ - عن محمد بن كعب قال : « دخل حبيب بن مسلمة (٢) على أبي الدرداء وهو في
في الموت فقال : ما أراه إلا الفراق ، فجزاك الله من معلم خيراً ، عطني بشيء ينفعني
الله به .

قال : يا حبيب بن مسلمة ، عد نفسك من أصحاب الأجداث (٣) ، يا حبيب بن
مسلمة اتق دعوة المظلوم « (٤) .

٦٣ - قال تميم بن غيلان بن سلمة : « جاء رجل إلى أبي الدرداء وهو مريض
فقال : يا أبا الدرداء ، إنك قد أصبحت على جناح فراق الدنيا ، فمرني بأمر ينفعني الله
به ، وأذكرك به ، فقال : إنك من أمة معافاة ، فأقم الصلاة ، وأد الزكاة إن كان لك
مال ، وصم رمضان ، واجتنب الفواحش ، ثم أبشر .

فأعاد الرجل على أبي الدرداء ، فقال له أبو الدرداء مثل ذلك . فنفض الرجل
رداءه ثم قال : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّنناه

(١) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٣٩ أ - ب . وأبو نعيم ، حلية الأولياء ٢١٧/١ . وابن عساكر ،
تاريخ دمشق ٧٨١/١٣ .

(٢) حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري رضي الله عنه ، أبو عبد الرحمن ، كان شريفاً مجاب الدعوة ، كان
يقال له حبيب الروم لكثرة دخوله بلادهم ونياله منهم ، فتح أرمينية في أربعة آلاف ، ووجهه معاوية
لنصرة عثمان رضي الله عنه فأنه خبر مقتله وهو بوادي القرى فرجع ، ثم ولاه معاوية أرمينية فمات
بها سنة ٤٦ هـ . انظر :

الزبير ، نسب قريش ٤٤٧ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٤٤٧ . وابن الأثير ، أسد
الغابة ٣٧٤/١ . وابن حجر ، الإصابة ٣٠٩/١ .

(٣) الأجداث : القبور . انظر : الزمخشري ، أساس البلاغة ٥٢ .

(٤) المحتضرون (خ) ل ٦٠ أ . وتاريخ دمشق ٧٨٠/١٣ .

للناس ﴿ إلى قوله ﴾ ويلعنهم اللاعنون ﴿ (١) .

فقال أبو الدرداء : عليّ بالرجل . فجاء ، فقال أبو الدرداء : ما قلت ؟ قال : كنت رجلاً معلماً عندك من العلم ما ليس عندي ، فأردت أن تحدثني بما ينفعني الله به ، فلم تردّ عليّ إلا قولاً واحداً .

فقال له أبو الدرداء : اجلس ثم اعقل ما أقول لك ، أين أنت من يوم ليس لك من الأرض إلا عرض ذراعين في طول أربع أذرع ، أقبل بك أهلك الذين كانوا لا يحبون فراقك وجلساؤك وإخوانك ، فأتقنوا عليك البنيان ، وأكثروا عليك التراب ، وتركوك لمثل ذلك ، وجاءك ملكان أسودان أزرقان جعدان اسماهما منكر ونكير فأجلساك ثم سألاك : ما أنت ؟ وعلى ماذا كنت ؟ وما تقول في هذا الرجل ؟ فإن قلت : والله ما أدري ، سمعت الناس قالوا قولاً فقلت قول الناس ، فقد والله رديت وهويت ، وإن قلت : محمد رسول الله ، أنزل الله عليه كتابه ، فأمنت به وبما جاء به ، فقد والله نجوت وهديت . ولن تستطيع ذلك إلا بتثبيت من الله مع ما ترى من الشدة والتخويف .

ثم أين أنت من يوم ليس لك من الأرض إلا موضع قدميك ، ويوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، الناس فيه قيام لرب العالمين ، ولا ظل إلا ظل عرش رب العالمين ، وأدنى الشمس ، فإن كنت من أهل الظل فقد والله نجوت وهديت ، وإن كنت من أهل الشمس فقد والله رديت وهويت .

ثم أين أنت من يوم جيء بجهنم قد سدّت ما بين الخافقين وقيل : لن تدخل الجنة حتى تخوض النار ، فإن كان معك نور استقام بك الصراط فقد والله نجوت وهديت ، وإن لم يكن معك نور تشبثت بك بعض خطاطيف جهنم أو كلاليبها أو شبابيشها فقد والله رديت وهويت . فوربّ أبي الدرداء إن ما أقول حق فاعقل ما أقول ﴿ (٢) .

(١) سورة البقرة آية : ١٥٩ والآية بتمامها : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ .

(٢) ابن أبي شيبه ، المصنّف ٣١٤/١٣ - ٣١٦ .

وصية قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه (١)

٦٤ - قال عبدالله بن أبي سويد المنقري : « شهدتُ قيس بن عاصم وهو يوصي ، فجمع بنيه وهم اثنان وثلاثون ذكراً فقال : « يا بني إذا مت فسودوا أكبركم تخلفوا أباكم ، ولا تسودوا أصغركم فيزري بكم ذلك عند أكفائكم ، ولا تقيموا عليّ نائحة ، فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النباحة ، وعليكم بالمال فإنه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللثيم ، ولا تعطوا رقاب الإبل إلا في حقها ، ولا تمنعوها من حقها ، وإياكم وكل عرق سوء فمهما يسركم يوماً يسؤكم أكثر ، واحذروا أبناء أعدائكم فإنهم لكم أعداء على منهاج آبائهم ، وإذا أنا مت فادفنوني في موضع لا يطلع عليه هذا الحي من بكر بن وائل ، فإنها كانت بيني وبينهم حُمَاشات (٢) في الجاهلية ، فأخاف أن ينبتوني فيفسدوا عليهم دنياهم ، ويفسدوا عليكم آخرتكم .

ثم دعا بكنائته ودعا ابنه الأكبر وكان يدعى علياً (٣) فقال : أخرج سهماً من كنانتي ، فأخرجه ، فقال : اكسره ، فكسره ، فقال : أخرج سهمين ، فأخرجهما ، فقال : اكسرهما ، فكسرهما ، ثم قال : أخرج ثلاثين سهماً ، فأخرجها ، فقال : اعصبتها بوتر ، فَعَصَبَهَا ، ثم قال : اكسرها ، فلم يستطع كسرها ، فقال : يا بني ، هكذا أنتم في الاجتماع ، وكذلك أنتم بالفرقة ، ثم أنشأ يقول :

إنما المجد ما بيني والد الصدق وأحيا فعاله المولودُ

(١) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر ، التميمي المنقري ، أبو علي ، كان عاقلاً حليماً ، حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية ، قدم إلى النبي ﷺ في وفد قومه بني تميم سنة تسع فأسلم ، ولما رآه النبي ﷺ قال : هذا سيد أهل الوتر . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٥/٧ . وخليفة ، الطبقات ٤٤ . وابن قتيبة ، المعارف ٣٠١ . وابن حبان ، تاريخ الصحابة ٢١٢ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٢١٩/٤ . وابن حجر ، الإصابة ٢٥٢/٣ .

(٢) الحُمَاشات : جروح لادية لها ولا أورش . انظر : صحاح الجوهري ١٠٠٥/٣ مادة «حَمَشٌ» .

(٣) لم أقف له على ترجمة .

وكفى بالمجد والشجاعة والحد ... م إذا زانها فعال وجودُ
 وثلاثون يابني إذا ما ... عقدتهم للبيانيات العهودُ
 كثلثين للقداح إذا ما ... شدّها للمراد عقد شديدُ
 لم تكسر وإن تبددت الأس ... هم أودى بجمعها التبيدُ
 وذوو السن والمروءة أولى ... أن يكن منكم لهم تسويدُ
 وعليكم حفظ الأصاغر حتى ... يبلغ الحنث الأصغر المجهودُ (١)

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٦/٧ . وأبرحتم السجستاني ، المعمرون والوصايا ١٣٥ . والمجاهظ ، البيان والتبيين ٨٠/٢ . والزجاجي ، الأمالي ٢١ وابن شبة ، تاريخ المدينة ٥٣٣/٢ . والمبرد ، الكامل في اللغة والأدب ١٢٣/١ . وأبونعيم ، معرفة الصحابة ٢ ل ١٤٦ ب . والهيشمي - واللفظ له - ، مجمع الزوائد ٢٢١/٤ - ٢٢٢ .

وصايا معاذ بن جبل رضي الله عنه (١)

٦٥ - ذكر ابن أعثم أن معاذ بن جبل « لما انصرف من دفن ابنه عبدالرحمن (٢) ورجع إلى منزله ، نزل به الطاعون فسقط على فراشه ، فجعل المسلمون يختلفون إليه ويدعون له بالسلامة والعافية ، ويخافون عليه من الموت ، فكان لا يدخل عليه قوم إلا وعظهم وقال : أيها الناس اعملوا وأنتم تستطيعون العمل من قبل أن تتمنوا العلم فلا تجدون إلى ذلك سبيلاً ، أيها الناس أنفقوا مما عندكم ليوم معادكم من قبل أن تهلكوا وتذروا ذلك كله ميراثاً ، واعلموا أن ليس من أموالكم إلا ما أكلتم فأقنيتم ، وليستم فأبليتكم ، وأنفقتم وأعطيتم فأمضيتم ، وما سوى ذلك فللوارثين » (٣) .

٦٦ - « وقال له رجل من الصحابة : يا أبا عبدالرحمن ، زدنا رحمك الله ، زدنا من مواعظك وأوصنا بوصية نأخذها عنك ، فإننا لا نلتقي في هذه الدنيا .

فقال معاذ : حدثني رسول الله ﷺ أنها ليست ساعة الكذب هذه ، إنه لا يموت عبدٌ من عبيد الله وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وأن الساعة

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، أبو عبدالرحمن ، كان شاباً جميلاً سمحاً ، من خيرة شباب قومه ، أعلم الصحابة بالحلال والحرام ، أرسله النبي ﷺ على قضاء اليمن ، ثم عاد إلى المدينة بعد وفاته ﷺ ، ولحق بالشام أيام الفتح ، فأصيب بطاعون عمواس فتوفي سنة ١٨ هـ ، وعمره ٣٣ عاماً . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى . وابن حبان ، تاريخ الصحابة ٢٢٩ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٦٠٥/١٦ . وابن قدامة ، الاستبصار ١٣٦ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٣٧٦/٤ . وابن حجر ، الإصابة ٤٢٦/٣ .

(٢) عبد الرحمن بن معاذ بن جبل رضي الله عنهما ، أدرك النبي ﷺ ، وكان فاضلاً ، توفي قبل والده ببسير في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ . انظر :

أسد الغابة ٣٢٣/٣ . والإصابة ٧٣/٣ .

(٣) الفتح م ١ ص ٢٤١ .

آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، إلا وأدخله عزوجل الجنة وحرّم عليه النار» (١) .

٦٧ - وطلب منه عبدالرحمن بن غنم الشمالي وعددٌ من عواده الوصية ، فقال :
 « عليكم بطلب العلم ، فاطلبوه وتعلموه ، فإن طلبه عبادة ، وتعلمه لله خشية ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قرية ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل الجنة ، والأنس في الوحشة ، والمحدث في الخلوة ، والصاحب في القرية ، والسلاح على الأعداء ، والتزين عند الأخلاء ، والتقرب... (٢) ، والدليل على السراء والضراء ، يرفع الله عزوجل [به] أقواماً فيجعلهم في الخير قادة يُقتدى بهم ، وأئمة في الخير تُقتصُّ آثارهم ويُهتدى بهدايتهم وأفعالهم ، وينتهي إلى رأيهم ، ترغب الملائكة في خلتهم ، وبأجنتها تمسحهم ، وفي صلاتها... (٣) ، يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه ، لأن العلم حياة القلب من العمى ، ونور الأبصار من الظلمة ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ العبد بالعلم منار الأبرار ، ومنازل الملوك ، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، الفكرة فيه تُعدل بالصيام ، ومدارسته تُعدل بالقيام ، به يطاع ربنا ويعبد ، وبه يعمل له ويحقد (٤) ، وبه توصل الأرحام ، ويعرف الحلال من الحرام ، يرزقه الله عزوجل السعداء ، ويحرمه الأشقياء ، ألا وإن المتقين سادة ، والفقهاء قادة ، والنظر إليهم عبادة ، والجلوس إليهم بركة وزيادة » (٥) .

(١) المرجع السابق م ١ ص ٢٤٢ .

(٢) (٣ ، ٢) يبدو لي أنه تمت كلام ساقط خطأ أو لم يظن له محقق الفتوح لابن أعمش .

(٤) يقال في اللغة : رجل محفود ، أي مخدوم ، ولعل المراد بها الإسراع في العبادة لله تعالى . انظر : الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ٢٨٨/١ مادة « حَفَدَ » .

(٥) أحمد بن أعمش ، الفتوح م ٢٤٢/١ - ٢٤٣ ، والأسلوب الذي صيغت به الوصية يجعل في النفس شيئاً من صحة نسبتها إلى معاذ ، وقد تكون مروية بالمعنى فالله أعلم .

آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، إلا وأدخله عزوجل الجنة وحرّم عليه النار» (١) .

٦٧ - وطلب منه عبدالرحمن بن غنم الشمالي وعددٌ من عواده الوصية ، فقال :
 « عليكم بطلب العلم ، فاطلبوه وتعلموه ، فإن طلبه عبادة ، وتعلمه لله خشية ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قرينة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبيل الجنة ، والأنس في الوحشة ، والمحدث في الخلوة ، والصاحب في الغربة ، والسلاح على الأعداء ، والتزين عند الأخلاء ، والتقرب... (٢) ، والدليل على السراء والضراء ، يرفع الله عزوجل [به] أقواماً فيجعلهم في الخير قادة يُقتدى بهم ، وأئمة في الخير تُقتص آثارهم ويُهتدى بهدايتهم وأفعالهم ، ويُنتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة في خلتهم ، وبأجنتها تمسحهم ، وفي صلاتها... (٣) ، يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه ، لأن العلم حياة القلب من العمى ، ونور الأبصار من الظلمة ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ العبد بالعلم منار الأبرار ، ومنازل الملوك ، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، الفكرة فيه تُعدل بالصيام ، ومدارسته تُعدل بالقيام ، به يطاع ربنا ويعبد ، وبه يعمل له ويحقد (٤) ، وبه توصل الأرحام ، ويعرف الحلال من الحرام ، يرزقه الله عزوجل السعداء ، ويحرمه الأشقياء ، ألا وإن المتقين سادة ، والفقهاء قادة ، والنظر إليهم عبادة ، والجلوس إليهم بركة وزيادة » (٥) .

(١) المرجع السابق م ١ ص ٢٤٢ .

(٢) ، (٣) يبدو لي أنه ثمت كلام ساقط خطأ أو لم يفتن له محقق الفتوح لابن أعثم .

(٤) يقال في اللغة : رجل محفود ، أي مخدوم ، ولعل المراد بها الإسراع في العبادة لله تعالى . انظر : الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ٢٨٨/١ مادة « حَفَدَ » .

(٥) أحمد بن أعثم ، الفتوح م ٢٤٢/١ - ٢٤٣ ، والأسلوب الذي صيغت به الوصية يجعل في النفس شيء من صحة نسبتها إلى معاذ ، وقد تكون مروية بالمعنى فالله أعلم .

٦٨ - قال عبدالرحمن بن غنم : « طَعِنَ معاذ في كفه فجعل يقلبها ويقول : هي أحب إليّ من حُمُر النعم ، فإذا سري عنه قال : ربَّ غمِّ غمِّك فإنك تعلم أنني أحبك .
ورأى رجلاً يبكي ، قال : ما يبكيك ؟ قال : ما أبكي على دنيا كنت أصبتها منك ، ولكن أبكي على العلم الذي كنت أصيبه منك . قال : لا تبكه فإن إبراهيم صلوات الله عليه كان في الأرض وليس بها علم ، فأتاه الله علماً ، فإن أنا متُ فاطلب العلم عند أربعة : عبد الله بن مسعود ^(١) ، وسلمان الفارسي ، وعبد الله بن سلام ^(٢) ، وعويمر أبي الدرداء ^(٣) .

وفي رواية أخرى عند ابن عساكر عن معبد الجهني قال : « كان رجل يقال له يزيد بن عميرة السكسكي ^(٤) ، وكان تلميذاً لمعاذ بن جبل ، فحدّث أن معاذ بن جبل حضرته الوفاة ، فقعده عند رأسه يبكي ، فنظر إليه معاذ فقال : ما يبكيك ؟

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، سادس من أسلم ، كان من قراء الصحابة ، وأول من جهر بالقرآن في نادي قريش ، وصاحب سراد النبي ﷺ وسواكه ، شهد معه جميع المشاهد ، أرسله عمر رضي الله عنه إلى الكوفة معلماً ، ثم عزله عثمان رضي الله عنه وأمره بالرجوع إلى المدينة فرجع وتوفي بها سنة ٣٢ هـ . انظر :

ابن زبر ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ١١٨/١ ، ١١٩ . وأبو نعيم ، حلية الأولياء ١٢٤/١ .
والخطيب ، تاريخ بغداد ١٤٧/١ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٢٥٩/٣ . وابن حجر ، الإصابة ٣٦٨/٢ .

(٢) عبد الله بن سلام بن الحارث رضي الله عنه ، أبو يوسف الإسرائيلي ، من أحناب اليهود ، أسلم أول مهاجر النبي ﷺ وكان اسمه الحصين فسماه ﷺ عبد الله ، كان يحذر الناس عندما خرجوا على عثمان رضي الله عنه من الفتنة إن قتلوه ، ونهى علياً رضي الله عنه عن الخروج إلى العراق ، بقي في المدينة إلى أن توفي بها سنة ٤٣ هـ . انظر :

ابن ماكولا ، الإكمال ٤٠٣/٤ . وأسد الغابة ١٧٦/٣ . وابن كثير ، البداية والنهاية ٢٨/٨ .
والإصابة ٣٢٠/٢ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ٦٣٦/١٦ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٥٨/١ - ٤٥٩ .

(٤) يزيد بن عميرة الزبيدي ويقال : الكندي ويقال : السكسكي ، صاحب معاذ رضي الله عنه ، ثقة من كبار التابعين ، نزل الكوفة بعد معاذ ولزم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧/٤٤٠ . وإكمال ابن ماكولا ٢٢١/٤ . والمزي ، تهذيب الكمال ١٥٤٠/٣ . وابن حجر ، التقريب ٦٠٤ .

فقال له يزيد : أما والله ما أبكي لدنيا كنت أصيبها منك ، ولكن أبكي لما فاتني من العلم .

فقال له معاذ : إن العلم كما هو لم يذهب ، فاطلب العلم بعدي عند عبدالله بن مسعود ، وعبدالله بن سلام الذي قال فيه رسول الله ﷺ هو عاشر عشرة في الجنة (١) ، وعند عمر ولكن عمر شغل عنك ، وعند سلمان الفارسي .

قال : وقبض معاذ ، ولحق يزيد بالكوفة فأتى مجلس عبدالله بن مسعود فلقبه ، فقال له ابن مسعود : إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين . فقال بعض أصحابه : « إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين » (٢) ، فقال ابن مسعود : إن معاذاً كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين » (٣) .

٦٩ - قال شهر بن حوشب : « أتى آت معاذ بن جبل عند موته فقال : أوصني بما ينفعني قبل أن تفارقني ولا أراك ولا تراني ، ثم لعلي أحتاج إلى سؤال بعدك فلا أجد فيهم مثلك .

فقال له معاذ : بل صلحاء الناس كثيرٌ بحمد الله ، ولن يضيع الله أهل هذا الدين ، خذ عني ما أمرك به وأوصيك به : كن من الصائمين بالنهار ، والمستغفرين بالأسحار ، والذاكرين الله على كل حال ، ولا تشرب الخمر ، ولا تعقن والديك ، ولا تأكل مال اليتيم ، ولا تفر من الزحف ، ولا تدع الصلاة المكتوبة ، وصل رحمك ، وانصح لجماعة المسلمين ، وكن بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، وأنا لك بالجنة زعيم » (٤) .

(١) الحديث رواه الترمذي في مناقب عبد الله بن سلام رضي الله عنه برقم ٣٨٩٢ وقال : حديث حسن غريب . انظر : تحفة الأحوذى ٣٠٦/١٠ . ورواه الحاكم في المستدرک وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . انظر المستدرک ٤١٦/٣ .

(٢) سورة النحل آية : ١٢٠ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢/٢٥٢ - ٢٥٣ . تاريخ دمشق - واللفظ منه - ٦٣٦/١٦ - ٦٣٧ .

(٤) أبوحاتم السجستاني ، المعرون والوصايا ١٦٣ . الميرد ، التعازي والمرثي ١٢٢ - ١٢٣ . وابن أعثم ، الفتوح م ١ ص ٢٤١ .

٧٠ - قال القاسم بن أبي بزة المكي : « لما حضرت معاذاً الوفاة ركبته الناس ^(١) فقال : « أيها الناس لا تركبوني ، واسمعوا مني ، فإنكم لو تعلمون قدر رحمة الله عزوجل لا تكلمتم ، ولو تعلمون قدر عذابه لرأيتم أنه لن ينفعكم معه شيء ، وما من أحد يؤمن بثلاث قبل الموت إلا دخل الجنة : يؤمن بالله عزوجل ويعلم أنه الحق من نفسه ، ويؤمن بالبعث ، ويؤمن بما جاءت به الرسل .

وما من أحد يصلي أربع ركعات تطوعاً بعد صلاة مكتوبة فتكتب عليه خطيئة حتى تغرب الشمس » ^(٢) .

٧١ - عن عمرو بن قيس : « أن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال : انظروا أصبحنا ؟ قال : فقيل لم تصبح . حتى أتني فقيل له : قد أصبحت . قال : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار . مرحباً بالموت مرحباً . زائر مغيب ^(٣) وحبيب جاء على فاقة .

اللهم إنك تعلم أنني كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك .
إني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، و لكن لظماً للهواجر ، و مكابدة الساعات ، و مزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر » ^(٤) .

(١) أي اجتمعوا عنده وأكثروا عليه السؤال .

(٢) ابن زبتر الربيعي ، وصايا العلماء عند حضور الموت ٤٦ .

(٣) القب من الزيارة : في كل أسبوع ، يقال : « زُرْ غَيْباً تَزِدُّ حُبّاً » . انظر : صحاح الجوهري ١٩٠/١ مادة « غَيْبٌ » .

(٤) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٣١ أ . وأحمد بن أعثم ، الفتوح م ٢ ص ٢٤٢ . وأبو نعيم ، حلية الأولياء ٦٣٩/١٦ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٣٧٧/٤ . وأبو حامد الغزالي ، الإحياء ٤٨١/٤ .

وصايا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (١)

٧٢ - قال عيسى بن يزيد بن بكر بن داب : « لما ثقل معاوية بعث إلى يزيد (٢) وهو في ضياعه ، فأتاه غلام له يقال له « عجلان » فأخبره بثقل أبيه فأقبل وقد قال في ذلك شعراً :

جاء البريد بقرطاس يخب به ... فأوجس القلب من قرطاسه جزعا
قلنا لك الويل ماذا في صحيفتكم ... قال الخليفة أمسى مثبتاً وجعا
فمادت الأرض أو كادت تميد بنا ... كأن أغبر من أركانها انصدعا
ثمت ملنا إلى عيسٍ مزمنة ... نغشى الفجاج بها لا نأتلي سرعا
لسنا نبالي إذا بلغن أرحلنا ... ما مات منهن بالبيداء أو طلعا
حتى دفعنا لرأس الناس كلهم ... هدياً وخيرهم فعلاً ومصطنعا
من لم تزل نفسه توفي على شرف ... توشك مقادير تلك النفس أن تقعا
لما انتهينا وياب الدار منصفق ... لصوت رملة (٣) ريع القلب فانقلعا

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي ، يقال : أسلم بعد الحديبية وكنم إسلامه حتى أظهره عام الفتح ، شهد مع النبي ﷺ حيناً فأعطاه مائة بعير ، وكان هو وأبوه من المؤلفين قلوبهم ، ثم استعمله على كتابة الرسائل ، ولي الشام عشرين سنة أمير ، ثم آلت الخلافة إليه عام الجماعة ٤٠ هـ وتوفي سنة ٦٠ هـ وعمره ٧٨ عاماً . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤٠٦/٧ . وابن حبان ، تاريخ الصحابة ٢٣١ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٦٧١/١٦ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٣٨٥/٤ . وابن حجر ، الإصابة ٤٣٣/٣ .

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، أبو خالد ، أول من غزا القسطنطينية ، تولى الخلافة بعد أبيه سنة ستين ، كان طويلاً ضخماً الجسم ، ذا حلم وكرم وفصاحة ، اتهم بشرب الخمر وإضاعة بعض الصلوات ، وفي عهده كان مقتل الحسين رضي الله عنه ، ووقعة الحرة ، وحريق الكعبة ، توفي سنة ٦٣ هـ . انظر : الكتبي ، فوات الوفيات ٣٢٧/٤ . وابن كثير ، البداية والنهاية ٢٢٩/٨ .

(٣) رملة بنت معاوية بن أبي سفيان ، زوج عمرو بن عثمان بن عفان ، ذات فصاحة وبلاغة ، شيب بها عبد الرحمن بن حسان ، فأمر يزيد الأخطل النصراني بهجانه . انظر : الزبيري ، نسب قريش ١٠٦ . وكحالة ، أعلام النساء ٤٦٦/١ .

قال : فلما دخل على معاوية خلا به وأخرج عنه أهل بيته وقال :
 « يا بني ، قد جاء أمر الله ، وهذا أوان هلاكي ، ما أنت صانع بهذه الأمة بعدي ؟
 فمن أجلك آثرت الدنيا على الآخرة ، وحملت الوزر على ظهري لتعلو بني أبيك .
 قال يزيد : أخذهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقتلهم عليه .
 قال : أولا تسير بسيرة أبي بكر الذي قاتل أهل الردة ومضى والأمة عنه
 راضون ؟

قال : لا ، إلا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، أخذهم به وأقتلهم عليه .
 قال : أو لا تسير بسيرة عمر الذي مصرّ الأمصار وجنّد الأجناد وفرض الأعطية
 وجبى الفياء وقاتل العدو ومضى والأمة عنه راضون ؟
 قال : لا ، إلا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، أخذهم به وأقتلهم عليه .
 قال : أولا تسير بسيرة عمك عثمان بن عفان الذي أكل في حياته ، وورث في
 مماته ، [واستعمل أقاربه ؟]

قال : لا ، إلا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، أخذهم به وأقتلهم عليه .
 [قال : أو لا تسير بسيرة أبيك الذي أكل في حياته ، وورث بعد وفاته ،
 واحتمل الوزر على ظهره ؟]
 قال : يا يزيد انقطع الرجاء ، وأظنك ستخالف هؤلاء جميعاً فتقتل خيار قومك ،
 وتغزو حرم ريك بأشابات الناس ^(١) فتطعمهم لحومهم بغير حق ، فتدركك ميتة فجاءة ،
 فلا دنيا أصبت ، ولا آخرة أدركت .

يا يزيد أما إذا لم تصب الرشدين فإني قد وطأت لك الأمور ، وذلك لك أهل العز ،
 وأخضعت لك رقاب العرب ، وكفيتك الرحلة والترحال ، وجمعت لك مالم يجمعه واحد ،
 وإنني لست أخاف أن ينازعك في هذا الأمر إلا ثلاثة نفرٍ ؛ الحسين بن علي ، وعبد الله

(١) أشابات الناس - بضم الهمزة - : أخلاطهم تجمع من كل صوب . انظر صحاح الجوهري ٨٨/١ مادة « أشب » .

ابن عمر ، وعبد الله بن الزبير (١) ، فأما ابن عمر فرجل قد وقذته العبادة ، وتخلّى من الدنيا ، وشغل نفسه بالقرآن ، وما أظنه يقاتل عليها إلا أن تأتيه عفواً .

وأما الذي يجثم جثوم الأسد ، ويروغ روغان الثعلب ، فإن أمكنته فرصة وثب فابن الزبير ، فإن هو فعل فاستمكنت منه فقطعه إرباً إرباً ، إلا أن يلتمس منك صلحاً ، فإن فعل فاقبل منه ، واحقن دماء قومك تقبل قلوبهم إليك .

وأما الحسين بن علي فإن له رحماً وحقاً وولادة من رسول الله ﷺ ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه عليك ، فإن قدرت عليه فاصفح عنه فإني لو كنت صاحبه صفحت عنه وعفوت عنه . قم عني « (٢) .

٧٣ - نقل ابن عبد ربه عن العُتبي عن أبيه (٣) قال : « لما اشتكى معاوية شكاته التي هلك فيها أرسل إلى ناس من جِلّة بني أمية ، ولم يحضرها سفياني وغير

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما ، أحد العبادة الأربعة ، وأول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة ، حنكه رسول الله ﷺ وكان له عند وفاته عشر سنين ، كان شهماً قوياً فصيحاً ذا أنفة ، شديد البأس ، أبي مبيعة يزيد بن معاوية ولجأ إلى مكة فحصر بها ، ولم يلبث أن مات يزيد فبويح له بالخلافة وما زال كذلك حتى تغلب عليه الحجاج وقتل بمكة سنة ٧٣ هـ . انظر :

الزبيري ، نسب قريش ٢٣٧ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ٢٢٥ . وابن الأثير ، أسد الغابة ١٦١/٣ . وابن حجر ، الإصابة ٣٠٩/٢ .

(٢) أبوحاتم السجستاني ، المعمرين والوصايا ١٥٦ - ١٥٨ ، وما بين المعقوفات منه . والمبرد - واللفظ له عدا ما بين المعقوفات - ، التعازي والمراثي ١١٩ - ١٢١ .

والرواية هذه فيها نظر ، قال ابن عساكر : « والصحيح أن يزيد لم يدركه ، بل جاء بعد موته [تاريخ دمشق ٧٥٩/١٦] ورواية عمرو بن ميمون عند ابن عساكر تدلّ على أن يزيد لما وصل إلى دمشق وجد أباه قد دُفن ، فذهب إلى قبره وصلى عليه ، ثم عاد إلى منزله وقال تلك الأبيات [انظر : الرجوع السابق] . وقد خطأ العباس بن ميمون رواية القحزمي التي فيها أن يزيد حضر وفاة أبيه وقال له : « حدثني أبو عدنان - وهاهو حيّ فأسأله - عن الهيثم بن عدي ، عن ابن عباس ، عن الشعبي أن معاوية مات ويزيد بالصائفة » [انظر : أغاني الأصفهاني ٢١٢/١٧] .

(٣) العُتبي هنا نسبة إلى عتبة بن أبي سفيان [انظر : ابن الأثير ، اللباب ١١٨/٢ . وابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ١١١] ، وعلى هذا فراوي الوصية من ولده ، ولم أستطع تحديده .

عثمان بن محمد (١) ، فقال :

يا معشر بني أمية ، إني لما خفت أن يسبقكم الموت إليّ سبقتة بالموعظة إليكم ، لا لأردُّ قدرًا ، ولكن لأبلغ عذرا ، إن الذي أخلف لكم من دنياي أمرٌ ستشاركون فيه ، وتغلبون عليه ، والذي أخلف لكم من رأبي أمرٌ مقصور لكم نفعه ، إن فعلتموه ، مخوفٌ عليكم ضرره إن ضيَعتموه .

إن قريشاً شاركتكم في أنسابكم ، وانفردتم دونها بأفعالكم ، فقدّمكم ما تقدمتم إليه إذْ أحرَّ غيركم ما تأخروا عنه ، ولقد جهل بي فحلّمتُ ، ونُقر لي ففهمت ، حتى كآتي أنظر إلى أبنائكم بعدكم كنظري إلى آبائهم قبلهم .

إنّ دولتكم ستطول ، وكل طويل مملول ، وكل مملول مخذول ، فإذا كان ذلك كذلك كان سبب اختلافكم فيما بينكم واجتماع المختلفين عليكم ، فيُدبر الأمر بضدّ ما أقبل به ، فلستُ أذكر جسيماً يُركب منكم ولا قبيحاً يُنتهك فيكم إلا والذي أمسك عن ذكره أكثر وأعظم ، ولا معولٍ عليه عند ذلك أفضل من الصبر واحتساب الأجر .

سَيّما دُكم القوم دولتهم (٢) امتداد العنانين في عنق الجواد ، حتى إذا بلغ الله بالأمر مداه ، وجاء الوقت المبلول بريق النبي ﷺ ، مع الخَلقة المطبوعة على ملالة الشيء المحبوب ؛ كانت الدولة كالإناء المُكفأ ، فعندها أوصيكم بتقوى الله الذي لم يتقه غيركم فيكم ، فيجعل العاقبة لكم والعاقبة للمتقين « (٣) .

٧٤ - عن مروان بن أبي سعيد بن المعلّى قال : « قال معاوية ليزيد وهو يوصيه : اتق الله ، فقد وطأتُ لك الأمر ، ووليت من ذلك ما وليت ، فإن يكُ خيراً فأنا أسعدُ به ، وإن كان غير ذلك شقيتُ به ، فارفق بالناس ، وإياك وجِبّه أهل الشرف (٤) »

(١) هو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، كان والياً على المدينة حين أخرج أهلها بني أمية . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٨/٥ و ٢٢٤ . وابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ١١١ .

(٢) هكذا في العقد الفريد ، ولعل الأصوب : دولتكم .

(٣) ابن عدي ، العقد الفريد ١٠٥/٥ - ١٠٦ .

(٤) جِبّه أهل الشرف : لقاؤهم بما يكرهون . انظر : الزمخشري ، أساس البلاغة ٥١ .

والتكبر عليهم» (١) .

٧٥ - عن ابن عباس قال : « لَمَّا احتضر معاوية قال : يا بني ، إنِّي كنت مع رسول الله ﷺ على الصفا ، وإنِّي دعوت بمشقصٍ فأخذت من شعره ، وهو في موضع كذا وكذا ، فإذا أنا متّ فخذوا ذلك الشعر فاحشوا به فمي ومنخريّ .

وروى شيخ من قریش أن معاوية لَمَّا قال ذلك تمثلت ابنته - رملة - : (٢)

إذا مِتَّ مات الجود وانقطع الندى من الناس إلا من قليلٍ مصرّد (٣)
ورُدَّتْ أكفُّ السائلين وأمسكوا من الدين والدنيا بخلفٍ مجدد
كلا يا أمير المؤمنين ، يدفع الله عنك .

فقال معاوية متمثلاً :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع (٤)
ثم أغمي عليه ، ثم أفاق فقال لمن حضر من أهله : اتقوا الله فإن الله يقي من اتقاه ، ولا وافي لمن لا يتقي الله « (٥) .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٥٩/٣ . وانظر ص ١٩٦ حاشية رقم (٢) .

(٢) البيهتان للأشهب بن رَمَيْلة النهشلي كما قال الطبري في تاريخه ، وابن الأثير في الكامل .

(٣) يقال : شرابٌ مصرّدٌ : أي مُقَلَّلٌ ، ويراد به الذي يُسقى قليلاً أو يعطي قليلاً . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٢٤٩/٣ مادة « صرّد » .

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي خالد بن خويلد ، انظر : أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب ٦٨٤/٢ .

(٥) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ١٧ أ - ب . والطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٣٢٧/٥ . وابن عساکر ، تاريخ دمشق ٧٥٥/١٩ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٦٠/٣ .

وصية أبو قيس بن صرمة رضي الله عنه (١)

٧٦ - أوصى أبو قيس بن صرمة الأنصاري ولده عند موته فقال :

« يا بني الأرحام لا تقطعوها وصلوها قصيرة من طوال
واتقوا الله في ضعاف اليتامي ربما يُستحلَّ غير الحلال
واعلموا أن لليتيم ولياً عالماً يهتدي بغير السؤال
يا بني الأيام لا تأمنوها واحذروا مكرها وكر الليالي
واعلموا أن مرَّها لنفاذ الـ خلق ما كان من جديد ويال
وأجمعوا أمركم على البر والتقوى وترك الخنا وأخذ الحلال » (٢)

وصية أبي مالك الأشعري رضي الله عنه (٣)

٧٧ - عن شريح بن عبيد أبو عبيد الحضرمي : « أن أبا مالك الأشعري لما حضرته

الوفاة قال : يامعشر الأشعريين ، ليبلغ الشاهد منكم الغائب أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « حلوة الدنيا مرَّة الآخرة ، ومرَّة الدنيا حلوة الآخرة » (٤) .

(١) سماه الميرد أبو قيس بن صرمة ، وسماه ابن حجر في التبصير أبو صرمة الأنصاري ، وهو أنصاري مازني صحابي ، في اسمه خلاف كبير ، أسلم وهو شيخ كبير ، تروى في الجاهلية ونبذ الأوثان ، وكان معظماً في قومه ، شهد مع النبي ﷺ بدرأ وسائر المشاهد ، عاش عشرين ومائة سنة . انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ١٨/٣ - ١٩ . والمزي ، تهذيب الكمال ١٦١٦/٣ . وابن حجر ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٨٥٦/٣ . والإصابة ١٨٢/٢ - ١٨٣ ، والتقريب ٦٥٠ .

(٢) الميرد ، التعازي والمراثي ١٢٥ - ١٢٦ .

(٣) قال ابن عساكر : الأظهر في اسمه : كعب بن عاصم ، صحابي ، نزل الشام ، وتوفي هناك ، طعن هو ومعاذ وأبو عبيدة وشريح بن حسنة في يوم واحد . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤١٤/٧ . وابن حبان ، تاريخ الصحابة ٢١٩ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ١٥٤/١٩ . وأسد الغابة ٢٤٣/٤ .

(٤) ابن زبير الرعي ، وصايا العلماء عند حضور الموت ٧٤ . وتاريخ دمشق - واللفظ منه - ١٦٠/١٩ . والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٣٤٢/٥ ، والحاكم في المستدرک ٣١٠/٤ .

وصية أبي هاشم بن عقبة رضي الله عنه (١)

٧٨ - عن سمرة بن سهم قال : « نزلت على أبي هاشم بن ربيعة وهو طعين ، فاتاه معاوية يعوده ، فبكى أبوهاشم ، فقال له معاوية : ما يبكيك أي خال ؟ أوجع يُشْتَرَكُ (٢) ؟ أم حرصٌ على الدنيا فقد ذهب صفوها ؟ فقال : على كلِّ لا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً وددتُ أنني كنت اتبعته ، قال : « أما إنك لعلك أن تدرك أموالاً تقسم بين أقوام ، وإنما يكفيك خادم ومركب في سبيل الله » فأدركتُ فجمعتُ » (٣) .

- (١) قيل : اسمه خالد ، وقيل هاشم ، وقيل عتبة ، وقيل شيببة ، وقيل غير ذلك ، قال ابن عساكر : « ولا تصح معرفة اسمه » ، أسلم يوم الفتح ، كان من زهاد الصحابة وصالحيهم ، نزل الشام حتى وافته المنية بها في طاعون عمواس . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤٠٧/٧ . وخليفة ، الطبقات ١٢ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٢٠١/١٩ - ٢٠٥ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٣١٤/٥ . وابن حجر ، الإصابة ٢٠٠/٤ ، وفي التقريب أبوهاشم بن عقبة ٦٨٠ .
- (٢) يشترك : يقلقك ، يقال : شتر الرجل إذا قلق من مرض أو هم . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٣٦١/٥ مادة « شأز » .
- (٣) رواه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ماجاء في هم الدنيا وجهها ، ح ٢٤٢٩ . انظر : تحفة الأحوذى ٦١٩/٦ - ٦٢٠ . والنسائي في كتاب الزينة ، باب اتخاذ الخادم والمركب ، ح ٥٣٧٢ . انظر السنن ٢١٨/٨ - ٢١٩ . وأبونعيم - واللفظ له - في معرفة الصحابة ق ٢ ل ٢٩٣ أ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٣١٤/٥ . وابن حجر ، الإصابة ٢٠١/٤ .

وصايا أبي هريرة رضي الله عنه (١)

٧٩ - عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه دخل على أبي هريرة وهو مريض ، قال :
« فضمته إلى صدري وقلتُ : اللهم اشفأ أبا هريرة .

فقال : اللهم لا ترجعها . يا أبا سلمة (٢) ، إن استطعت أن تموت فمت ، فوالذي
نفس أبي هريرة بيده يوشك أن يأتي على العلماء زمانُ الموت أحبَّ إلى أحدهم من
الذهب الأحمر ، ويوشك أن يأتي على الناس زمان يأتي الرجل قبر المسلم فيقول :
وددتُ أنني صاحب هذا القبر « (٣) .

٨٠ - عن سلمة بن بشير : « أن أبا هريرة بكى في مرضه ، فقيل : ما يبكيك ؟
قال : أما إنني لا أبكي على دنياكم هذه ، إنما أبكي على بعد سفري وقلة زادي ، وأنني
أمسيت في صعود مهبطه على جنة أو نار ، فلا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي » (٤) .

٨١ - عن سعيد بن المسيب قال : « لما نزل بأبي هريرة الموت قال : لا تضربوا
على قبري فسقاطاً ، ولا تتبعوني بنار ، فإذا حملتموني فأسرعوا ، فإن أكن صالحاً
تأتون بي إلى ربي ، وإن أكن غير ذلك فإنما هو شيء تطرحونه عن رقابكم » (٥) .

(١) قيل هو عبدالرحمن بن صخر ، وقيل عمير بن عامر بن عبيد ذي الشرى بن طريف الدوسي ، وعلى كلِّ
ففي اسمه خلاف كبير ، أسلم عام خيبر وشهدا مع النبي ﷺ ، وسمي أبا هريرة لأنه كان يحمل هرة في
كُفه ، من أهل الصفة ، كان شديد الملازمة للنبي ﷺ فحفظ عنه كثيراً من الأحاديث ، ولاء معاوية
المدينة أكثر من مرة ، ومات بها سنة سبع وخمسين على الأشهر . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٢٥/٤ . وخليفة ، الطبقات ١١٤ ، وابن حبان ، تاريخ الصحابة ١٨١ .
ابن عساکر ، تاريخ دمشق ٢٠٦/١٩ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٣١٥/٥ . وابن حجر ، الإصابة
٢٠٢/٤ .

(٢) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي ، اسمه عبد الله ، وقيل إسماعيل ، وقيل اسمه كنيته ،
من سادات قریش وعبادهم ، كان ثقةً فقيهاً زاهداً كثير الحديث ، توفي سنة ١٠٤ هـ . انظر :
ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ٦٤ . وابن حجر ، التهذيب ١١٥/١٢ .

(٣) تاريخ دمشق ٢٥٠/١٩ .

(٤) المرجع السابق ٢٥٢/١٩ .

(٥) طبقات ابن سعد ٣٣٨/٤ . وتاريخ دمشق ٢٥٠/١٩ - ٢٥١ .

الوصايا الدعوية
للعلماء المحتضرين من

المختصين

وصايا الأسود بن يزيد النخعي رحمه الله تعالى (١)

٨٢ - قال علقمة بن مرثد : « لما احتضر - الأسود - بكى ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ قال : مالي لا أجزع ! ومن أحق بذلك مني ، والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجلّ لهنّني الحياء مما قد صنعته ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب فيعفو عنه ، فلا يزال مستحياً منه » (٢) .

٨٣ - روى إبراهيم النخعي أن الأسود بن يزيد قال لرجل عند الموت : « إن استطعت أن تلقني حتى يكون آخر ما أقول « لا إله إلا الله » فافعل ، ولا تجعلوا في قبري أجراً » . وفي رواية عبد الله بن عون زيادة « ولا تتبعوني بصوت » (٣) .

وصايا أكثم بن صيفي التميمي (٤)

٨٤ - روى أبونعيم أن أكثم أوصى حين حضرته الوفاة فقال : « أوصيكم بتقوى الله وصلوة الرحم ، فإنه لا يبلى عليها أصل ،

(١) الأسود بن يزيد النخعي ، أبو عمرو وقيل أبو عبد الرحمن الكوفي ، مخضرم ، حدث عن معاذ وابن مسعود ، وعائشة ، وكان كثير العبادة ، قال ابن سعد : « كان ثقة وله أحاديث صالحة » توفي سنة ٧٥ هـ . انظر :

ابن سعد الطبقات ٧٠/٦ . وابن زبير ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ١٩٥/١ - ١٩٦ . وأبونعيم ، حلية الأولياء ١٠٢/٢ . والمزي ، تهذيب الكمال ٢٣٣/٣ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥٠/٤ .

(٢) حلية الأولياء ١٠٣/٢ . وسير أعلام النبلاء ٥٢/٤ . وابن كثير ، البداية والنهاية ١٤/٩ .

(٣) طبقات ابن سعد ٧٥/٦ .

(٤) هو أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث التميمي ، ذكره أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن وأبونعيم الأصفهاني في الصحابة ، واستدلوا لإسلامه بما روي أنه أرسل رجلاً من قومه إلى النبي ﷺ ليعرفا أمره ، فلما عادا وأخبراه بأمر النبي ﷺ قال : « أي قوم إنه يأمر بكارم الأخلاق ، وينهى عن ملاتمها ، فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ولا تكونوا فيه أذناناً » فلم يلبث أن حضرته الوفاة فقال : « أوصيكم بتقوى الله ... » الوصية .

قال ابن عبد البر : « وليس في ذلك الخبر ما يدل على إسلامه » ، وجزم الذهبي بعدم إسلامه فقال : =

ولا يهتصر^(١) عليها فرع ، وإياكم ونكاح الحمقاء ، فإن صحبتها قدر ، وإياكم وأعيان الإبل ، فإن فيها غذاء الصغير ، وجبر الكسير ، وفكاك الأسير ، ومهر الكريمة .
واعلموا أن سوء حمل الغنى يورث ترحاً ، وأن سوء حمل الفقر يضع الشرف ، وأن العدمَ عدم العقل لا عدم المال ، وأن الوحشة في ذهاب الأعلام ، واعلموا أنه لن يهلك رجل عرف قدره ، واعلموا أن مقتل الرجل بين لحيبه .
يا قوم ، لا تكونوا كالواله^(٢) ، ولا تذاكلوا الرقد^(٣) ، فإن تواكل الرقد علم للخذلان ، وداعية للحرمان ، ومن سأل فوق القدر استحق المنع ، واعلموا أن كثير الصفح يهبط على كثير الظن ، وأن قول الحق لم يترك لي صديقاً^(٤) .
٨٥ - قال الوشاء : لما حضرت أكنم بن صيفي الوفاة جمع ولده وقال :
« يا بني ، إن الدهر قد أدبني ، وقد أحببت أن أؤدبكم وأزودكم أمراً يكون لكم بعدي معقلاً .

= « أكنم بن صيفي من حكماء العرب ، أدرك الإسلام ولم يسلم » .
وقال ابن حجر : « لكن قد ذكره أبان بن عثمان الأموي في « المغازي » قال : حدثني عمي عبد الله بن زياد حدثني بعض أصحابنا عن عبد الملك بن عمير نحوه - يعني الخبر الذي استدل به سعيد بن السكن وأبونعيم على إسلامه - وزاد أنه قرب بعيره وركب متجهاً إلى النبي ﷺ فمات في الطريق » وقد روي عن ابن عباس أنه نزل فيه قوله تعالى : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » [سورة النساء آية : ١٠٠] فعلى رأي ابن عباس وابن حجر يون مسلماً من المخضمين . انظر :
أبونعيم الأصفهاني ، معرفة الصحابة ق ١ ل ٨٤ أ . وابن الأثير ، أسد الغابة ١/١١٢ ، وابن عبد البر ، الاستيعاب - بحاشية الإصابة - ١/١٣٣ . والذهبي ، تجريد أسماء الصحابة ٢٧ . وابن حجر ، الإصابة ١/١١٠ .
(١) أصل الهصر الجذب والإمالة ، واهتصار الغصن سقوطه على الأرض . انظر : الزبيدي ، تاج العروس ٦٢١/٣ مادة « هَصَرَ » .
(٢) يقال رجل واله : أي شكلان ، وامرأة واله : إذا فقدت ولدها ، وأصل الواله : ذهاب العقل والتحير من شدة الحزن . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ١٣/٥٦١ مادة « ولة » .
(٣) أصل الرقد : العطاء والصلة ، ولعل المراد به الضيف . انظر : لسان العرب ٣/١٨١ مادة « رَقَدَ » .
(٤) أبونعيم ، معرفة الصحابة ق ١ ل ٨٤ أ .

يا بني ، تباروا ، فإن البرَّ يُنسَى في الأجل ، ويكثر عليه العدد ، وكفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه ، وإن قول الحق لم يدع لي صديقاً ، والصدق منجاة ، وفي طلب المعالي يكون الغنى ، والاقتصار في السفر أكف ، ومن لا يأس على ما فاته وذع بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قرّت عينه ، والتندم قبل التقدم . ولأن أصبح عند رأس امرئ أحب إليّ من أن أصبح عند ذنبه . ولن يهلك من مالك ما وعظك . ويل للعالم من الجاهل ، والوحشة ذهاب العلماء بنسابة الأمر إذا أقبل وإذا أدبر عرفه العالم والجاهل^(١) ، النظر عند الرجاء حمق ، والعجز عند البلاء آفة التحمل ، لا تقصروا من اليسير فإنه يحسن الكثير ، لا تجيبوا عما لم تسألوا عنه .

الزموا النساء المهابة ، وأكرموا الإبل فإن فيها رَقْوُ^(٢) الدّم ، وحيلة من لا حيلة له الصبر ، وصاحب الإكثار كحاطب ليلٍ ، ومن أكثر سقط ، ولا تجعلوا سرّكم إلى أمة^(٣) .

وصية أويس القرني رحمه الله تعالى^(٤)

٨٦ - قال أبو نعيم : « مرض أويس القرني فبكى ، فقبل له : ما يبكيك وقد كنت وقد كنت ؟ فيقول : مالي لأبكي ، ومن أحق بالبكاء مني ، فوالله ما أبكي

(١) هكذا في « الفاضل » ولعل العبارة تكون أوضح لو قيل : « عرفه العالم وأنكره الجاهل » .
(٢) الرقأ : يعني الإصلاح ، والإبل تُبذل في الديات فتصلح بين المتخاصمين . انظر : صحاح الجوهري ٥٣/١ مادة « رقأ » .

(٣) الوشاء ، الفاضل في صفة الأدب الكامل ١٩١/١ - ١٩٣ .

(٤) أويس بن عامر بن مالك بن عمرو المذحجي القرني ، خير التابعين ، ومن زهادهم ، مخضرم من أهل اليمن ، أوصى النبي ﷺ عمر بن الخطاب إذا لقيه أن يبلقه منه السلام ، ويطلب منه الدعاء والاستغفار ، فمكث يبحث عنه عشر سنين حتى لقيه في موسم الحج ، نزل بالكوفة ، ثم خرج منها إلى الجزيرة فمات بها ، ويقال خرج غازياً إلى سجستان فمات ، ويقال قتل بنهاوند وقيل بصقّين مع علي ، والله أعلم . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١١١/٦ . وأبو نعيم ، حلية الأولياء ٧٩/٢ . وابن عساکر ، تاريخ دمشق ١٩٢/٣ .

حرصاً على الدنيا ، ولا جزءاً من الموت ، ولكن لبعث سفرى ، وقللة زادى ، وإنى أمسيت فى صعود وهبوط ، جنة أو نار ، فلا أدري إلى أيهما أصير « (١) .

وصايا الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى (٢)

٨٧ - عن منذر بن يعلى الثوري أن الربيع بن خثيم أوصى عند موته فقال :

« هذا ما أوصى به الربيع على نفسه ، وأشهد الله عليه ، وكفى بالله شهيداً وجزاءً لعباده الصالحين ومثيباً ، بأني رضيت بالله رباً ، وبمحمد نبياً ، وبالإسلام ديناً ، ورضيت لنفسى ومن أطاعنى أن أعبد الله فى العابدين ، وأحمده فى الحامدين ، وأنصح لجماعة المسلمين » (٣) .

٨٨ - قال عبد الملك بن عمير : « قيل للربيع بن خثيم : ألا ندعو لك طبيباً ؟ فقال : انظروا . ثم تفكر فقال : عادٌ وثمود وأصحاب الرسّ وقروناً بين ذلك كثيراً - فذكر من حرصهم على الدنيا ورغبتهم فيها - كانت فيهم مرضى ، وكانت فيهم أطباء ، فما أرى المداوي بقي ولا المتداوي ، هلك الناعت والمنعوت له » (٤) .

وعند المبرد : « وقال أبو المنذر عن عمه عامر بن حفص قال : قيل للربيع بن خثيم

(١) أبونعيم ، حلية الأولياء ٨٨/٢ .

(٢) الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبدالله الثوري ، أبويزيد الكوفي ثقة عابد مخضرم ، من أصحاب عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه ، وقال له مرة : لو رأك رسول الله ﷺ لأحبك ، توفي فى إمارة عبدالله بن زياد سنة إحدى وستين وقيل ثلاث وستين . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٨٢/٦ . وخليفة ، الطبقات ١٤١ . وابن قتيبة ، المعارف ٤٩٧ ، وأبونعيم ، حلية الأولياء ١٠٥/٢ . والمزي ، تهذيب الكمال ٧٠/٩ . ابن حجر ، التقريب ٢٠٦ .

(٣) طبقات ابن سعد ١٩٢/٦ . وأبو حاتم السجستاني ، المعمرين والوصايا ١٥٩ . والمبرد ، الشعاع والمراثي ١٣٠ - ١٣١ . وابن أبي شيبه ، المصنف ٣٩٤/١٣ - ٣٩٥ . وأبونعيم ، حلية الأولياء ١١٢/٢ .

(٤) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٣٤ ب . ومصنف ابن أبي شيبه ٣٩٩/١٣ - ٤٠٠ . وحلية الأولياء ١٠٦/٢ .

حين تُثقل : ألا ندعو لك أصحاب الطبِّ ؟ فقال : قد أردت ذلك ثم ذكرت عاداً وثمود وأصحاب الرس وقرونأ بين ذلك كثيراً وعلمت أنه كان فيهم الداء والمداوي فهلكوا جميعاً « (١) .

وصية زيد بن صوحان رحمه الله تعالى (٢)

٨٩ - قال أبو معشر : « حدثني الحي الذي مات فيهم زيد بن صوحان حين رفع من المعركة وهو جريح . قال : قلنا له : أبشر أبا عائشة . فقال : تقولون قادرين ؟ أتيناهم في ديارهم ، وقتلنا أميرهم ، وعثمان على الطريق ، فيا ليتنا إذ ابتلينا صبرنا . ثم قال : شدوا عليّ إزارِي فإني مخاصم ، وأفضوا بخدي إلى الأرض ، وأسرعوا الانكفات عني » (٣) .

وصايا شَبَّث بن رِعيي رحمه الله تعالى (٤)

٩٠ - قال أبو حاتم السجستاني : « أوصى شَبَّث بن رعيي فقال : هذا ما أوصى به شَبَّث بن رعيي ، أوصى أنه يشهد أنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ،

(١) المبرّد ، التعازي والمراثي ٢٣٥ .

(٢) زيد بن صوحان بن حجر العبدي ، يكنى أبا سليمان ، وكنتى نفسه بأبي عائشة حبة الشديد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه ، اختلف في صحبته ، ورجح ابن حجر أن لم يلق النبي ﷺ ، وبذلك جزم الذهبي وابن عبد البر ، كان من العلماء العباد ، شهد الجمل مع علي رضي الله عنه واستشهد بها . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٢٣/٦ . والخطيب ، تاريخ بغداد ٤٣٩/٨ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٢٣٣/٢ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥٢٥/٣ . وابن حجر ، الإصابة ٥٨٢/١ . ويدران ، تهذيب تاريخ دمشق ١٢/٦ .

(٣) طبقات ابن سعد ١٢٥/٦ . وأسد الغابة ٢٣٤/٢ . وسير أعلام النبلاء ٥٢٧/٣ . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١٦/٦ .

(٤) شَبَّث بن رعيي التميمي ، البريعي ، أبو عبد القدوس ، أدرك عصر النبوة ، وكان مؤذن سجاح ثم أسلم ، وكان ممن خرج على عثمان ، وحضر كربلاء مع جيش عمر بن سعد وهو لذلك كاره ، ولما خرج المختار =

وأن الجواد في الجنة ، وأن البخيل في النار ، انظروا ابنتي فلا تزوجوها إلا كريماً ، ولا تدفنوني عند مقابر بني طهية « (١) .

٩١ - قال المعافى بن الهيثم : « كان أبي عثمانياً ، وشبث بن ربعي علوياً ، وكانا متصافيين ، فلما مرض شبث مرضه الذي توفي فيه بعثني أبي إليه ، فدخلت عليه وعنده ابنتاه تسندانة فقلت : أبي يقرئك السلام ويقول : كيف تجدك ؟ قال : أجدني في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة ، فأقرئ أباك السلام . ثم التفت إلى ابنتيه فقال متمثلاً بقول لبيد (٢) :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوماً فقولا بالذي قد علمتما ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا الشعر
وقولا هو المرء الذي لا صديقه أضاع ولا خان الأمير ولا غدر
ثم نهضتُ فما خرجتُ من أبيات بني يربوع حتى سمعت الواعية عليه « (٣) .

= وادعى الكرسي الذي يشبه تابوت بني إسرائيل قال : يا معشر مضر لا تكفروا ، وأبلى في قتاله بلاء حسناً . وتوفي سنة ٧٠ هـ . انظر :

ابن قتيبة ، المعارف ٤٠٥ . وابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٠٣/٤ . والزركلي ، الأعلام ١٥٤/٣ .

(١) أبوحاتم السجستاني ، المعمرن والوصايا ١٤٠ .

(٢) لبيد بن ربيعة بن مالك العامري رضي الله عنه ، أبو عقيل ، من شعراء الجاهلية وفرسانهم ، وفد إلى النبي ﷺ مع قومه فأسلم ورجع إلى بلاد قومه ، ترك قول الشعر بعد الإسلام ، سكن الكوفي وتوفي بها سنة ٤٠ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٣/٦ . وابن قتيبة ، الشعر والشعراء ١٩٤/١ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٢٦٠/٤ . والأبيات في ديوانه ص ٧٩ . وفي رواية المبرد أنه تمثل بخمس أبيات من هذه القصيدة ، فقال بعد البيت الأول :

ونادبتان تسندبان بعائل أختا ثقة لا عين منه ولا أثر

وقال بعد البيت الثالث :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

(٣) المبرد ، التعازي والمراثي ٢٧١ . وابن أبي الدنيا - واللفظ له - ، المحتضرون (خ) ل ٥٩ أ - ب .

والواعية : الصراخ على الميت . انظر ابن منظور ، لسان العرب ٣٩٧/١٥ مادة « وعى » .

وصية علقمة بن قيس رحمه الله تعالى (١)

٩٢ - عن إبراهيم النخعي عن علقمة أنه أوصى :
 « إن استطعت أن تلقني آخر ما أقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له فافعل ،
 ولا تؤذنوا بي أحداً فإني أخاف أن يكون كنعي الجاهلية ، فإذا أخرجتموني فعليّ
 الباب - يعني أغلقوا الباب - ولا تتبعني امرأة » (٢) .

وصية كعب الأحبار رحمه الله تعالى (٣)

٩٣ - عن شهر بن حوشب أن كعباً لما احتضر قال :
 « ألا رجل أأتمه على أمانة ؟ فقال رجل : أنا . فدفع إليه ذلك الكتاب وقال :
 اركب البحر ، فإذا بلغت مكان كذا وكذا فاقتفه .
 فخرج من عند كعب فقال : كتاب فيه علم ، ويموت كعب ، لا أفرط به ، فأتى
 كعباً وقال : فعلت ما أمرتني به . قال : فما رأيت ؟ قال : لم أر شيئاً . فعلم كذبه ،
 فلم يزل يناشده ويطلب إليه حتى ردّه عليه .
 فقال : ألا من يؤدي الأمانة ؟ قال رجل : أنا . فركب سفينة ، فلما أتى ذلك

(١) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة النخعي ، أبوشبل الكوفي ، مخضرم ولد في حياة النبي
 ﷺ ، فيه الكوفة وعالمها ، أخذ علمه ، أخذ علمه من ملازمة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، شهد
 صفين مع علي رضي الله عنه ، وتوفي سنة ٦٢ هـ وقيل غير ذلك . انظر :
 ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٨٦/٦ . وابن قتيبة ، المعارف ٤٣١ . والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد
 ٢٩٦/١ . وابن عساکر ، تاريخ دمشق ٨٠٨/١١ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥٣/٤ . وابن حجر ،
 التهذيب ٢٧٦/٧ .

(٢) طبقات ابن سعد ٩٢/٦ . وأبو نعيم ، حلية الأولياء ١٠١/٢ . و سير أعلام النبلاء ٦٠/٤ .

(٣) كعب بن ماتع بن هيسوع الحميري ، أبو إسحاق ، من آل ذي رعين ، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي
 ﷺ ، وقدم المدينة زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم خرج إلى الشام وسكن حمص حتى توفي
 بها سنة اثنتين وثلاثين . انظر :

طبقات ابن سعد ٤٤٥/٧ . والمعارف ٤٣٠ . وتاريخ دمشق ٥٥٨/١٤ . وابن الأثير ، و أسد الغابة
 ٤٨/٤ . و سير أعلام النبلاء ٤٨٩/٣ . وابن حجر ، الإصابة ٣١٥/٣ .

المكان ذهب ليقذفه فانفرج له البحر حتى رأى الأرض فقذفه وأتاه فأخبره . فقال كعب : إنها التوراة كما أنزلها الله على موسى ما غيرت ولا بدلت ، ولكن خشيت أن يتكلم على ما فيها ، ولكن قولوا : لا إله إلا الله ، ولقنوها موتاكم « (١) .

وصايا مسروق بن الأجدع رحمه الله تعالى (٢)

٩٤ - عن أبي وائل أن مسروقاً حين حضره الموت قال :
« اللهم لا أموت على أمر لم يسئله رسول الله ﷺ ولا أبويك ولا عمر ، والله ما تركت صفراء ولا بيضاء عند أحد من الناس غير ما في سيفي هذا فكفنونني به » (٣) .
٩٥ - روى ابن عساكر أن مسروقاً حين حضرته الوفاة قال : « ما ظلمت مسلماً ولا معاهداً ، ولا أصبت ديناراً ولا درهماً ، ولا أدع ذهباً ولا فضة ، إلا حلقة خاتم ، فإذا مت فاستقرضوا ثمن كفني ، ولا تستقرضوه من زراع ولا متقبل » (٤) .

وصية هَرَم بن حيان رحمه الله تعالى (٥)

٩٦ - عن قتادة أنه بلغه أن هرم بن حيان قيل له - حين نزل بن الموت - : « أوص .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٩٣/٣ - ٤٩٤ . وهناك استفهام حول صحتها ، فحصى التي مات بها كعب ليست على البحر إلا أن يُقصد به نهر « العاصي » أو أن مرض كعب طال بحيث تمكّن الموصى من الذهاب إلى البحر ثم العودة إليه في حمص .

(٢) مسروق بن الأجدع بن عبدالرحمن بن مالك بن أمية بن عبدالله الهمداني ، الوادعي ، الكوفي ، أبو عائشة ، من المخضرمين ، قيل : سُرِق في صغره ثم وُجد فسمي مسروقاً . أسلم في حياة النبي ص ولم يلقه ، كانت أم المؤمنين رضي الله عنها قد تبنته وقالت له : يا مسروق إنك من ولدي ، وإنك لمن أحبهم إلي ، فسمي ابنته عائشة وتكنى بها ، وكان ثقة فقيهاً عابداً ، توفي سنة ثلاث وستين . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧٦/٦ . وابن قتيبة ، المعارف ٤٣٢ . والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٢٣٢/١٣ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤١٣/١٦ . وسير أعلام النبلاء ٦٣/٤ . وابن حجر ، التقريب ٢٤٢/٢ .

(٣) طبقات ابن سعد ٨٣/٦ . وتاريخ دمشق ٤٢٩/١٦ .

(٤) تاريخ دمشق ٤٢٩/١٦ .

(٥) هَرَم بن حيان العبدي ، قيل سُمِّي هَرَمًا لأنه بقي حملاً سنتين حتى ظهرت أسنانه ، كان من خيار الناس ، ثقة له فضل وورع ، استعمله عمر رضي الله عنه على بعض شؤون المسلمين ، وهو من المخضرمين . =

قال : ما أدري ما أوصي ، ولكن بيعوا درعي فاقضوا عني ديني ، فإن لم يتم فبيعوا فرسي فاقضوا عني ديني ، فإن لم يتم فبيعوا غلامي ، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ إلى آخر السورة ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (١) .

وصية أبي مسلم الخولاني رحمه الله تعالى (٢)

٩٧ - قال سعيد بن عبدالعزيز : مات أبو مسلم بأرض الروم ، وكان شتا مع بسر ابن أبي أرطاة (٣) ، فأدركه أجله ، فعاده بسر ، فقال له أبو مسلم : « يا بسر ، اعقد لي على من مات في هذه الغزاة ، فإنني أرجو أن آتي بهم يوم القيامة على لوائهم » (٤) .

= انظر : ابن سعد الطبقات الكبرى ١٣١/٧ . وابن قتيبة ، المعارف ٤٣٥ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٥٧/٥ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٨/٤ . وابن حجر ، الإصابة ٨٩٤/٧ .
(١) طبقات ابن سعد ١٣٢/٧ . وأبوحاتم السجستاني ، المعمرين والوصايا ١٥٩ . وأبو نعيم ، الحلية ١٢١/٢ . وسير أعلام النبلاء ٤٨/٤ . وتام الآيات : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ . [النحل : من آية ١٢٥ إلى ١٢٨ آخر السورة] .

(٢) أبو مسلم الخولاني الداراني ، في اسمه اختلاف قيل : عبدالله بن ثوب ، أو عبدالله بن ثواب ، أو عبدالله بن عبدالله ، أو يعقوب بن عوف . مخضرم ، أسلم في حياة النبي ﷺ ، وقدم المدينة في خلافة الصديق رضي الله عنه ، ألقاه العنسي في نار عظيمة فلم تضره ، كان مجاب الدعوة ، خرج غازياً فمات بأرض الروم سنة ٦٢ هـ ، ودفن بدارياً - من قرى دمشق - . انظر :

طبقات ابن سعد ٤٤٨/٧ . وحلية الأولياء ١٢٢/٢ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٢٣/٩ . والذهبي ، سير النبلاء ٧/٤ . والكتبي ، فوات الوفيات ١٦٩/٢ ، وابن كثير ، البداية ١٤٦/٨ .

(٣) بسر بن أبي أرطاة (عميرة) بن عويمر العامري ، أبو عبد الرحمن ، مختلف في صحبته قال الدارقطني : « له صحبة ولم تكن له استقامة بعد النبي ﷺ » ذلك أنه ولي اليمن والحجاز لمعاوية فلم يحمده سيرته وجاء بأفعال قبيحة ، مات في آخر خلافة معاوية . انظر :

المزي ، تهذيب الكمال ٥٩/٤ . ويدران ، تهذيب تاريخ دمشق ٢٢٣/٣ .
(٤) تاريخ دمشق ٤٥/٩ . وسير أعلام النبلاء ١٣/٤ .

الوصايا الدعوية
للعلماء المحتضرين من

سائر السابغين

وصية إبراهيم بن هانئ رحمه الله تعالى (١)

٩٨ - قال أبو بكر بن زياد النيسابوري : « حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته فجعل يقول لابنه إسحاق : يا إسحاق ، ارفع الستر . قال : يا أبة ، الستر مرفوع . قال أنا عطشان . فجاءه بماء ، قال : غابت الشمس ؟ قال : لا . قال فردّه ثم قال : ﴿ لئلا هذا فليعمل العاملون ﴾ ثم خرجت روحه » (٢) .

وصية أحمد بن خضرويه البلخي رحمه الله تعالى (٣)

٩٩ - قال محمد بن حامد : « كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو في النزاع ، وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة ، فسأله بعض أصحابه مسألة ، فدمعت عيناه وقال : يا بُني ، باب كنت أدقّه منذ خمس وتسعين سنة هو ذا يفتح لي الساعة ، لا أدري بالسعادة أم بالشقاوة ، وأنتى لي أوان الجواب » (٤) .

وصية أحمد بن أبي محرز رحمه الله تعالى (٥)

١٠٠ - لما احتضر القاضي أحمد قال لابنه عمران : « إني أظن هذا الملك - يعني

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن هانئ النيسابوري الأرميني ، نزيل بغداد ، كان أحد الأبدال ، قال عنه الدارقطني : « ثقة فاضل » . توفي سنة ٢٦٥ هـ . انظر :

الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٠٤/٦ . والصفدي ، الوافي بالوفيات ١٥٦/٦ ، وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٥٥٩/٢ . وابن العماد ، شذرات الذهب ١٤٩/٢ .

(٢) الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٠٦/٦ . وتاريخ دمشق - واللفظ منه - ٥٦٠/٢ . والذهبي ، سير النبلاء ١٨/١٣ . والآية في سورة الصافات رقم ٦١ .

(٣) أحمد بن خضرويه البلخي الزاهد ، من كبار مشايخ خراسان ، ومن يذكر بينهم بالفتوة ، ومن أصحاب أبي يزيد البسطامي ، توفي سنة ٢٤٠ هـ . انظر :

أبونعيم ، حلية الأولياء ٤٢/١٠ . والسلمي ، طبقات الصوفية ١٠٣ . والصفدي ، الوافي بالوفيات ٣٧٣/٦ .

(٤) ابن خيس ، مناقب الأبرار (خ) ل ١٠٤ أ .

(٥) أحمد بن أبي محرز القاضي ، ولي قضاء القبروان مجبراً ، فمكث فيه تسعة أشهر ، كان من العلماء =

زيادة الله (١) - إذا ميتٌ يبعث إلي بكفن وحنوط ويصلي عليّ ، فإذا أنا ميتٌ فاستر موتي ، وغسلني ، وكفني ، وحنطني ، وصل عليّ أنت ومن حضرك من أهل خاصتنا ، ثم أظهر موتي ، وأخرجني إلى قبري « ثم مات (٢) .

وصية إسماعيل بن إبراهيم رحمه الله تعالى (٣)

١٠١ - قال أحمد بن حفص : دخلت على أبي الحسن - يعني إسماعيل والد أبي عبدالله - عند موته فقال : لا أعلم من مالي درهماً من حرام ولا درهماً من شبهة . قال أحمد : فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك « (٤) .

وصايا أبي العتاهية رحمه الله تعالى (٥)

١٠٢ - قال محمد بن أحمد بن البراء : حدثنا أحمد بن علي بن مرزوق قال : « دخلت على أبي العتاهية في مرضه الذي مات فيه - وكان لي صديقاً - وكان

= الزاهدين في الدنيا ، توفي سنة ٢٢١ هـ . انظر :

المالكي ، رياض النفوس ١/٣٩٥ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥/٢٣٩ . والدباغ ، معالم الإيمان ٤٠/٢ .

(١) زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو محمد ، صاحب القيروان ، ورايع أمراء بني الأغلب ، وأول من سمي منهم زيادة الله ، كان فصيحاً أديباً ، بنى سوسة ، وتوفي سنة ٢٢٣ هـ . انظر : الزركلي ، الأعلام ٣/٥٦ .

(٢) رياض النفوس ١/٤٠٠ . معالم الإيمان ٢/٤٨ .

(٣) إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي ، أبو الحسن ، والد الإمام البخاري رحمه الله ، كان من العلماء الورعين ، سمع من مالك وحماة بن زيد ، وصحب ابن المبارك ، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر : البخاري ، التاريخ الكبير ١/٣٤٢ . وابن حبان ، الثقات ٨/٩٨ . وابن حجر ، إرشاد الساري ١/٣١ ، والتهذيب ١/٢٧٤ .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤٧ .

(٥) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ، أبو إسحاق العنزي ، أصله من عين التمر ، نشأ بالكوفة ، ثم سكن بغداد ، وكان يقرض الشعر في الغزل والمديح أولاً ، ثم عدل إلى الزهد والوعظ فأحسن وجوده ، =

أبو العتاهية قد أغمض عينيه . قال : فقالوا لي : كلمه . فقلت : أبا إسحاق .
فلما سمع صوتي فتح عينيه ، فقلتُ له : أعزُّزُ على العلماء بمصرعك .
قال : فقال أبو العتاهية :

ستمضي مع الأيام كلُّ مصيبةٍ وتحدث أحداثٌ تُنسي المصائبِ
ثم أغمض عينيه وخفت .

قال ابن البراء : وأنشدني - أي ابن مرزوق - لأبي العتاهية وهو يؤكد بنفسه :

يا نفس قد مثلت حا لي هذه لك منذ حين
وشككت أني ناصح لك فاستملت إلى الظنون
فتأملني ضعف الحرا ك وكله بعد السكون
وتيقني أن الذي بك من علامات المنون^(١)

وذكر ابن خلكان والصفدي أن أبا العتاهية لما حضرته الوفاة قال : « أشتهي أن
يجيء « مخارق » المغني فيغني عندي رأسي - والبيتان له من جملة أبيات - :

إذا ما انقضت عني من الدهر مدتي فإن عزاء الباقيات قليل
سيعرض عن ذكرني وتنسى مودتي ويصبح بعدي للخليل خليل^(٢)

١٠٤ - ذكر الخطيب وابن عدي أن أبا العتاهية لما حضرته الوفاة أوصى أن
يكتب على قبره هذه الأبيات الأربعة^(٣) :

= توفي ببغداد سنة ٢١١ هـ . انظر :

الأصفهاني ، الأغاني ١/٤ - ٢ . الخطيب ، تاريخ بغداد ٦/٢٥٠ . والصفدي ، الوافي بالوفيات
١٨٥/٩ .

(١) تاريخ بغداد ٦/٢٥٩ - ٢٦٠ ، ولم أجدها في الديوان .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ١/٢٢٢ . والوافي بالوفيات ٩/١٩٠ . وانظر شرح الديوان ١٨٨ ، وهما
من قصيدة مطلعها :

ألا هل إلى طول الحياة سبيل وأنى وهذا الموت ليس يقبل

(٣) ابن عدي ، العقد الفريد ٣/٢٤٨ . وتاريخ بغداد ٦/٢٦٠ . والأبيات ليست في الديوان ، وذكرها
الأصفهاني في الأغاني ٤/١١١ وزاد بعد الثالث :

كم ترمى الحصى ثابِتاً في ديار التزعزع

أذُنٌ حَيٌّ تَسْمَعُنِي اسمعي ثم عي و عي
 أنا رهن بمضجعي فاحذري مثل مصرعي
 عِشْتُ تَسْعِينَ حِجَّةً ثم وافيت مضجعي
 ليس شيء سوى التقى فخذني منه أو دعي «

وصية حسان بن أبي سنان رحمه الله تعالى (١)

١٠٥ - قال محمد بن أحمد بن أبي زيد أبوجعفر الخراساني : قلت لمهدي بن ميمون : « من حسان بن أبي سنان ؟ فقال : من حسان بن أبي سنان !! رأيت حسان بن أبي سنان - أحسبه قال : في مرضه - فقيل له : كيف تجددك ؟ قال : بخير إن نجوت من النار .

فقيل له : فما تشتهي ؟ قال ليلة بعيدة ما بين الطرفين ، أحيي ما بين طرفيها ، (٢) .

وصايا الحسن البصري رحمه الله تعالى (٣)

١٠٦ - عن أبان بن محير « أن الحسن البصري لما حضره الموت دخل عليه رجال

(١) حسان بن أبي سنان بن أبي أوفى بن عرف التنوخي ، الأنباري ، يكنى أبا العلاء ، من نصارى الأنبار ، أسلم فحسن إسلامه ، وكن ثقة ديناً ، مجيداً للفارسية ، استعمله ربيعة الرأي قاضي الأنبار على قراءة الكتب ، ومن نسله عدد من الفقهاء والعلماء والصلحاء ، منهم إسحاق بن البهلول . توفي سنة ١٨٠ هـ .
 انظر :

أبو نعيم ، الحلية ١١٧/٣ . وابن خلكان ، وفيات الأعيان ١٩٤/٢ . وابن كثير ، البداية والنهاية ١٧٥/١٠ .

(٢) أبو نعيم ، حلية الأولياء ١١٨/٣ .

(٣) الحسن بن يسار البصري ، أبوسعيد ، إمام أهل البصرة ، شبّ في كنف علي بن أبي طالب ، وكانت أمه مولاة لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، فرّمتا تركته عندها وذهبت لبعض شأنها ، فتعطيه أم سلمة ثديها لتلله به ، فدرّ عليه من لبنها ، فيرون أن فصاحته وحكمته بسبب ذلك ، وهو إمام فقيه ، من كبار التابعين ، وكان يُقرن في الشجاعة بالمهلب بن أبي صفرة ، توفي سنة ١١٠ هـ . انظر : =

من أصحابه فقالوا له : يا أبا سعيد ، زدنا منك كلمات تنفعنا بهن .
قال : إنني مزودكم ثلاث كلمات ثم قوموا عني ودعوني لما توجهت إليه ؛ ما
نُهِيتم عنه من أمر فكونوا من أترك الناس له ، وما أمرتم به من معروف فكونوا من
أعمل الناس به ، واعلموا أن خُطاكم خطوتان : خطوة لكم ، وخُطوة عليكم ، فانظروا
أين تغدون وأين تروحون « (١) .

١٠٧ - قال أبو طارق السعدي : « شهدت الحسن بن أبي الحسن عند موته
يوصي ، فقال لكاتب : اكتب : هذا ما يشهد به الحسن بن أبي الحسن ، يشهد أن لا إله
إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، من شهد بها صادقاً عند موته دخل الجنة ، يروي ذلك
عن معاذ بن جبل أنه أوصى بذلك عند موته ، يروي ذلك عن رسول الله ﷺ » (٢) .

وصية خلف الأحمر رحمه الله تعالى (٣)

١٠٨ - قال محمد بن عبد الوهاب الثقفي : « دخلتُ على خلف الأحمر أعوده
في مرضه الذي توفي فيه ، وجثته معي بطبيب ، فقال لي : مرحباً بك ، لقد كنت
مشتاقاً إليك . فوصفت له الطبيب الذي جثت به وحذقه فلم يلتفت إليه وقال : « قل لن

= ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٥٦/٧ . وخليفة ، الطبقات ٢١٠ . وابن قتيبة ، المعارف ٤٤٠ .
وأبو نعيم ، حلية الأولياء ١٣١/١ . وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٦٩/٢ . والذهبي ، سير أعلام
النبلاء ٥٦٣/٤ . وابن كثير ، البداية والنهاية ٢٦٨/١٠ .

(١) أبو نعيم ، حلية الأولياء ١٥٤/٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٧٤/٧ .

(٣) خلف بن حيان الأحمر ، أبو محرز ، من أبناء السُّنْد [بين بخارى وسمرقند] نحوي مشهور ، كان من
أعلم الناس بالشعر وأقدرهم على قافية ، تنسك في آخر عمره وكان يختم القرآن في يوم وليلة ، مات
بعد المائتين ببسبر . انظر :

ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ٦٧٣/٢ . والزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ١٦١ . واليماني ،
إشارة التعيين ١١٣ . وابن حجر ، نزهة الألباب في الألقاب ٦٠/١ .

يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا ﴿ (١) » .

وصية خيشمة بن عبدالرحمن رحمه الله تعالى (٢)

١٠٩ - عن محمد بن خالد الضبي قال : « لم يكن يُدرى كيف يقرأ خيشمة القرآن حتى مرض ، فجاءته امرأته فجلست بين يديه فبكت ، فقال لها : ما يبكيك ؟ الموت لا بد منه .

فقال له المرأة : الرجال بعدك حرام .

فقال لها خيشمة : ما كل هذا أردت منك . إنما أخاف رجلاً واحداً وهو أخي محمد ابن عبدالرحمن (٣) ، وهو رجل فاسق يتناول الشراب ، فكرهت أن يشرب في بيتي الشراب بعد إذ القرآن يُتلى فيه في كل ثلاث (٤) .

وصية السري بن المغلس السقطي رحمه الله تعالى (٥)

١١٠ - قال ابن أبي الورد : « كان سري رضي الله عنه يأمرنا بالعزلة والوحدة وترك مجالسة الناس ، فاعتل فعدته عبادة السنّة - يعني بين كل ثلاثة أيام - ، فنظرت

(١) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ١٦٤ . والآية في سورة التوبة برقم ٥١ وهي بتامها : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .

(٢) خيشمة بن عبدالرحمن بن يزيد بن مالك الجعفي ، من ولد سعد العشيرة ، من العلماء الفقهاء العباد الأسخياء ، مات بعد معركة دير الجماجم . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٨٦/٦ . خليفة ، طبقات ١٥٦ . أبو نعيم ، حلية الأولياء ١١٣/٤ .
والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٢٠/٤ .

(٣) لم أقف له على ترجمة .

(٤) حلية الأولياء ١١٥/٤ .

(٥) السري بن المغلس السقطي ، أبو الحسن ، خال الجنيد ، تلميذ معروف الكرخي رحمه الله تعالى ، إمام البغداديين في الإشارات ، توفي سنة ٢٥٣ هـ . انظر :

السلمي ، طبقات الصوفية ٤٨ . والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٨٦/٩ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٨٥/١٢ . وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٣٣٩/٢ .

في وجهه ورأيت على لسانه شيئاً ، فهملت عيناى ، وسقط من دموعي على وجهه ، ففتح عينيه ونظر إليّ ، فقلت له : رحمك الله ، أوصني بشيء أحفظه عنك . فقال : احذر ثم احذر أن تعرف الأشرار ، ولا تشتغل عن الله تعالى بمجالسة الأختيار .

وكان ذلك آخر كلامه رحمة الله عليه « (١) .

وصايا سعيد بن المسيّب رحمه الله تعالى (٢)

١١١ - قال عبدالرحمن بن الحارث المخزومي : « اشتكى سعيد بن المسيّب فاشتدّ وجعُه ، فدخل عليه نافع بن جبير بن مطعم (٣) يعوده ، فأغمي عليه ، فقال نافع بن جبير بن مطعم : وجّهوا فراشه إلى القبلة ، ففعلوا ، فأفاق فقال : من أمركم أن تحوّلوا فراشي إلى القبلة ؟ أنافع بن جبير أمركم ؟ فقال نافع : نعم . فقال له سعيد : لئن

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد ١٩١/٩ . وأبو نعيم ، حلية الأولياء ١٢٥/١٠ . وابن خيمس - واللفظ له - ، مناقب الأبرار ل ٦١ ب . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٨٦/١٢ . وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٣٣٩/٢ .

(٢) سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهيب القرشي ، أبو محمد ، عالم المدينة ، وسيّد التابعين ، جمع بين الحديث والفقّه والورع والزهد ، ضرب زمن عبدالملك لرفضه إعطاء بيعتين في بيعة واحدة ، ومُنِع الناس من مجالسته ، وكان عزيز النفس لا يحابي ولا يقبل عطاء بني أمية ، رجع الذهبي وفاته سنة ٩٤ هـ التي يقال فيها سنة الفقهاء . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١١٩/٥ . وخليفة ، الطبقات ٢٤٤ . وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٧٥/٢ . وسير أعلام النبلاء ٢١٧/٤ . وابن كثير ، البداية والنهاية ٩٩/٩ . وابن حجر ، التقريب ٣٠٥/١ .

(٣) نافع بن جبير بن مطعم بن عدي ، أبو محمد من سادات أهل مكة وأفاضل قریش وفصحائها ، روى عن عدد من الصحابة منهم العباس والزيبر وعائشة رضوان الله عليهم ، قال ابن سعد : « كان ثقة أكثر حديثاً من أخيه - يعني محمداً - » ، توفي سنة ٩٩ هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٢٠٥/٥ . وابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ٧٨ و ٨٣ . وسير أعلام النبلاء ٥٤١/٤ . والنوري ، تهذيب الأسماء واللغات ١٢١/٢/١ .

لم أكن على القبلة والملة لا ينفعني توجيهكم فراشي» (١).
 ١١٢ - عن أبي حازم الأعرج قال : « قال سعيد بن المسيب في مرضه الذي مات فيه : إذا مت فلا تضربوا على قبري فسطاطاً ، ولا تحملوني على قطيفة حمراء ، ولا تتبعوني بنار ، ولا تؤذنوا بي أحداً ، حسبي من يبلغني ربي ، ولا يتبعني راجزهم هذا » (٢).

وصايا سفيان الثوري رحمه الله تعالى (٣)

١١٣ - قال عبدالرحمن بن مهدي : « كان سفيان يتمنى الموت ليسلم من هؤلاء (٤) ، فلما مرض كرهه وقال لي : اقرأ عليّ « يس » فإنه يقال : يخفف عن المريض . فقرأت فما فرغت حتى طفئ » (٥).
 ١١٤ - حكى الذهبي « أن عبدالصمد - عم المنصور - (٦) دخل على سفيان يعوده ، فحوّل وجهه إلى الحائط ، ولم يرد السلام ، فقال عبدالصمد : يا سيف (٧) ، أظن

- (١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٤٢/٥ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٤٤/٤ - ٢٤٥ .
 (٢) طبقات ابن سعد ١٤٢/٥ . وسير أعلام النبلاء ٢٤٤/٤ ، وذكرها ابن قدامة في المغني ٣٥٩/٢ بلفظ : « إياي وحاديهم هذا الذي يحدو لهم يقول استغفروا له غفر الله لكم » .
 (٣) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي ، أبو عبدالله ، من أعلام التابعين ، ورأس في العلم والورع والعبادة . ولد سنة ٩٧ اتناً ، ألح عليه بني العباس في القضاء ، ووجه المهدي قاضياً على الكوفة فأخذ العهد وألقاه في دجلة وهرب ، ولم يزل متوارياً حتى مات بالبصرة سنة ١٦١ هـ .
 انظر : طبقات ابن سعد ٣٧١/٦ . والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٥١/٩ . وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٨٦/٢ . سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧ . وابن حجر ، التقريب ٣١١/١ .
 (٤) يعني خلفاء بني العباس .
 (٥) سير أعلام النبلاء ٢٧٨/٧ .
 (٦) عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما ، أبو محمد ، عم السفاح والمنصور ، كان يقرن بيزيد بن عبد الملك في سنة حجّه ونسبّه وقيامه على منبره بعد مائة سنة ، ومن العجائب فيه أنه مات بأستان اللين التي ولد فيها ، ولي إمرة دمشق والبصرة وبها مات سنة ١٨٥ هـ وله ثمانون سنة .
 انظر : تاريخ بغداد ٣٩/١١ . و سير أعلام النبلاء ١٢٩/٩ .
 (٧) لعنه صاحب البيت الذي كان سفيان متوارياً فيه بالبصرة .

أبا عبد الله قائماً . قال : أحسب ذلك - أصلحك الله - .

فقال سفيان : لا تكذب ، لست بنائم .

فقال عبدالصمد : يا أبا عبد الله ، لك حاجة ؟

قال : نعم ، ثلاث حوائج : لاتعود إليّ ثانية ، ولا تشهد جنازتي ، ولا تترحم

عليّ .

فخجل عبدالصمد وقام ، فلما خرج قال : « والله لقد هممت ألا أخرج إلا ورأسه

معي » (١) .

وصايا أبوحازم سلمة بن دينار رحمه الله تعالى (٢)

١١٥ - قال محمد بن مطرف : « دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت

فقلنا : يا أبا حازم ، كيف تجددك ؟

قال : أجدني بخير ، أو قال : أجدني راجياً لله حسن الظنّ به .

ثم قال : إيه والله ، ما يستوي من غدا وراح يَعمُرُ عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له ، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يَعمُرُها لغيره ، ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب » (٣) .

١١٦ - قال بشر الأقفوه : « قال أبوحازم لما حضره الموت : ما آسى على شيء

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٤٤/٧ .

(٢) سلمة بن دينار ، المدني ، الزاهد ، أبوحازم الأعرج ، مولى الأسود بن سفيان المخزومي ، وقيل مولى بني ليث ، ثقة كثير الحديث ، كان يقصّ بالمسجد النبوي ثم قدم دمشق وتوفي بها ، وتراوحت الأقاويل في وفاته بين الثلاثين إلى الأربعين ومائة . انظر :

خليفة ، الطبقات ٢٦٤ . وأبو نعيم ، حلية الأولياء ٢٢٩/٣ . و سير أعلام النبلاء ٩٦/٦ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤٥٥/٧ .

(٣) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٣٥ ب ٣٦ أ . و حلية الأولياء ٢٤١/٣ - ٢٤٢ . و تاريخ دمشق ٤٨٥/٧ . و سير أعلام النبلاء ٩٩/٦ .

إلا على ذكر الله . وإن كان هذا الليل والنهار لا يأتیان على شيء إلا أخلقاه ، وفي الموت راحة للمؤمنين ، ثم قرأ : ﴿ وما عند الله خير للأبرار ﴾ (١) .

وصية سليمان بن طرخان التيمي رحمه الله تعالى (٢)

١١٧ - قال معتمر بن سليمان : « قال لي أبي عند موته : يا معتمر (٣) حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به » (٤) .

وصية شقيق بن ثور رحمه الله تعالى (٥)

١١٨ - روى ابن أبي الدنيا : « أن شقيق بن ثور قال حين حضره الموت : هذا دين لله في أعناقنا لا بد من أدائه على عسر أو يسر ، ثم قال لبنيه : إذا أنا متُّ فلا تبكين عليّ باكية ، ولا تنوحنّ عليّ نائحة ، وأكثروا من الاستغفار » (٦) .

(١) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٣٦ أ . و ابن عساکر ، تاريخ دمشق ٤٨٥/٧ ، والآية في سورة آل عمران رقم ١٩٨ .

(٢) سليمان بن طرخان التيمي مولا هم ، البصري ، أبوالمعتمر ، كثير الحديث والعبادة ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وكان يقول : لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله . توفي بالبصرة سنة ١٤٣ هـ . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٨/٧ . وخليفة بن خياط ، الطبقات ٢١٩ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٥٩/٦ .

(٣) المعتمر بن سليمان بن طرخان التيمي ، أبو محمد ، من كبار العلماء ، روى عن منصور بن المعتمر وعمرو بن دينار وغيرهما ، وروى عنه ابن المبارك وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وغيرهم ، متفق على توثيقه ، توفي بالبصرة سنة ١٨٧ هـ . انظر :

طبقات ابن سعد ٢٩٠/٧ . وابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ١٦١ . و سير أعلام النبلاء ٤٧٧/٨ . (٤) سير أعلام النبلاء ١٦٩/٦ .

(٥) شقيق بن ثور بن عُفَيْر بن زهير السدوسي البصري ، أبو الفضل ، شهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب ، سيّد بكر بن وائل في الإسلام ، كان متصفاً بالحلم ، وله وفادة على معاوية رضي الله عنه . توفي سنة ٦٥ هـ . انظر :

تاريخ دمشق ١٠٢//٨ . و سير أعلام النبلاء ٥٣٨/٣ . وابن حجر ، التهذيب ٣٦١/٤ .

(٦) المحتضرون (خ) ل ٢٨ ب . وتاريخ دمشق ١٠٥/٨ .

وصية صفوان بن سليم رحمه الله تعالى (١)

١١٩ - قال سفيان بن عيينة : « حلف صفوان ألا يضع جنبه بالأرض حتى يلتقى الله ، فمكث على ذلك أكثر من ثلاثين عاماً ، فلما حضرته الوفاة واشتدَّ به النزع والعكز (٢) وهو جالس فقالت ابنته : يا أبة ، لو وضعت جنبك . فقال : إذا ما وفيت لله بالنذر والحلف ، فمات وإنه لجالس » (٣) .

وصية صفوان بن محرز رحمه الله تعالى (٤)

١٢٠ - عن خالد الأحذب قال : « قال صفوان بن محرز عند الموت لأهله : تعلمون أنني بريء مما برئ منه رسول الله ﷺ ، « ليس منّا من سلق وحلق وخرق » (٥) .

وصية الضحاک بن مزاحم رحمه الله تعالى (٦)

١٢١ - عن أخي الضحاک بن مزاحم قال : « لما حضرت الضحاک الوفاة أرسل

- (١) صفوان بن سليم المدني ، أبو عبيد الله - وقيل أبو الحارث ، مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، فقيه ثقة كثير العبادة ، توفي سنة ٣٢ هـ . انظر : ابن عساکر ، تاريخ دمشق ٣٢٧/٨ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٦٤/٥ . وابن حجر ، التهذيب ٤٢٥/٤ . وانظر التعليق على وصيته في الباب الأول من هذه الرسالة ص ١١٨ .
- (٢) العكز : القلق والكرب عند الموت . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٣٨٠/٥ مادة « عكز » .
- (٣) أبو نعیم ، الحلیة ١٥٩/٣ . و تاريخ دمشق ٣٣٤/٨ . و سير أعلام النبلاء - واللفظ منه - ٣٦٧/٥ .
- (٤) صفوان من محرز بن زياد المازني - كان نازلاً فيهم وليس منهم - من غسان قميم ، ثقة فاضل ورع ، كثير التهجد والعبادة ومن أهل الوعظ ، من أصحاب أبي موسى الأشعري ، مات بالبصرة سنة ٧٤ هـ . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٤٧/٧ . وابن قتيبة ، المعارف ٤٥٨ . و سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٤ . و التهذيب ٤٣٠/٤ .
- (٥) طبقات ابن سعد ١٤٨/٧ . والحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب تحريم ضرب الحدود وشق الجيوب ... ح ١٦٧ (١٠٤) . انظر : الصحيح ١٠٠/١ .
- (٦) الضحاک بن مزاحم ، من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، أبو القاسم ، ولد لستين وقد أقر - نبت أسنانه - كان معلماً ، وهو صاحب التفسير أخذ عن سعيد بن جبیر ، وكان من أوعية العلم ، ووثقه الإمام أحمد وابن معين والدارقطني . أتى خراسان ومات بها سنة ١٠٢ هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٣٠٠/٦ . و المعارف ٤٥٧ . و سير أعلام النبلاء ٥٩٨/٤ . و التهذيب ٤٥٣/٤ .

إليّ فقال : لا أحسبني إلا ميتاً فيما بيني وبين الصبح ، فلا ألقينك إذا متُ تنادي : مات الضحاك ، مات الضحاك ، من يسمع النداء جاء ، اضرب يدك في غسلي ، وأكثر في مساجدي من الطيب ، وكفني في أكفان من هذه البياض وسطاً من هذه الأكفان ، وإياك وما أحدث الناس من هذا الضريح ، ادفني في لحد ، فإذا حملني الرجال على عواتقها فلا ألقينك تمشي بي مشي العروس ، مشياً بين المشيتين دون الحَبِّ (١) وفوق الخطى ، فإن وجدت لبناً فلبن ، وإلا فمن خشاش الأرض ، فإذا وضعتني في لحدي فسويت عليّ اللبن فارفع لينة من عند رأس أخيك ثم انظر إلى مضجعه ثم شُنْ شأنك ، فإذا دفنتني ونفضت الرجال أيديها عني فقم عند رأسي واستقبل القبلة ثم نادي ثلاثة أصوات تسمع أصحابك : اللهم إنك أجلس الضحاك في قبره تسائله عن ربه وعن دينه وعن نبيه ﷺ ، فثبته في الحياة الدنيا وفي الآخرة . ثم انصرف « (٢) .

وصية عامر بن عبدالقيس رحمه الله تعالى (٣)

١٢٢ - عن قتادة « أن عامر بن عبد الله لما حضر جعل يبكي ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ما أبكي جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر ، وعلى قيام ليل الشتاء » (٤) .

(١) الحَبِّ : المشي السريع ، يقال : خبَّ الفرس إذا راوح بين يديه ورجليه . انظر : صحاح الجوهري ، ١١٧/١ ، مادة « حَبِّ » .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٠١/٦ - ٣٠٢ .

(٣) عامر بن عبدالله بن عبدالقيس ، من ولد كعب بن جندب ، من بني العنبر ، أبو عبدالله كان خيراً فاضلاً ثقةً ، من عبّاد التابعين ، يحكى أنه كان يأخذ العطاء فيحمله في رداءه فلا يلقاه أحد من المساكين إلا أعطاه ، فإذا دخل على أهله رمى به إليهم فيعدونه فيجدونه كما أعطيه ، شكى إلى عثمان رضي الله عنه فنفاه إلى الشام ، وبقي بها إلى أن توفي أيام معاوية رضي الله عنه . انظر : طبقات ابن سعد ١٠٣/٧ . و خليفة ، الطبقات ١٩٤ . وابن قتيبة ، المعارف ٤٣٨ . وابن عساکر ، تاريخ دمشق ٧٨٤/٨ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٥/٤ . وابن حجر ، التهذيب ٧٧/٥ .

(٤) طبقات ابن سعد ١١١/٧ . وسير أعلام النبلاء ١٩/٤ .

وعند ابن أبي الدنيا أن يزيد الرقاشي قال : « بلغنا أن عامر بن عبد الله لما احتضر بكى . فقيل له : ما يبكيك ؟ قال هذا الموت غاية الساعين ، وأنا لله وأنا إليه راجعون ، والله ما أبكي جزعاً من الموت ، ولكني أبكي على حرّ النهار وبرد الليل (١) ، وإنني أستعين بالله على مصرعي » (٢) .

١٢٣ - قال زياد النميري : « بلغني أن عامر بن عبد الله لما نزل به الموت بكى ثم قال : لمثل هذا المصراع فليعمل العاملون . اللهم إنني استغفرك من تقصيري وتفريطي ، وأتوب إليك من ذنوبي ، لا إله إلا أنت » (٣) .

وصية عبد الرحمن بن الأسود رحمه الله تعالى (٤)

١٢٤ - روى ابن عساكر عن الحكم قال : « لما احتضر عبدالرحمن بن الأسود بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أسفاً على الصوم والصلاة . قال : ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات » . قال : فرئي له أنه من أهل الجنة ، قال أبو اسرائيل الملائي : فكان الحكم يقول : « وما يَبْعُدُ من ذلك . لقد كان يعمل نفسه مجتهداً لهذا حذراً من مصرعه الذي صار إليه » (٥) .

(١) يعني الصيام في الصيف والقيام في الشتاء .

(٢) المحتضرون (خ) ل ٤٠ ب .

(٣) المرجع السابق ل ٤٠ أ - ب .

(٤) عبدالرحمن بن الأسود بن يزيد بن قيس النخعي ، أبوحفص الكوفي ، الفقيه ، أكثر من الصوم حتى أحرق لسانه ، وكان كثير التهجد ، أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وروى عن عائشة والزبير رضي الله عنهما ، وقال فيه عبدالرحمن بن يوسف بن سعيد : عبدالرحمن بن الأسود من خيار الناس . توفي سنة ٩٨ وقيل سنة ٩٩ هـ ، والله أعلم . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٨٩/٦ . وابن قتيبة ، المعارف ٤٣٢ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق

٨٧٩/٩ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١/٥ . وابن حجر ، التهذيب ١٤٠/٦ .

(٥) تاريخ دمشق ٨٨٤/٩ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٢/٥ .

وصية عبد الله بن عبدالرحمن الأنصاري رحمه الله تعالى (١)

١٢٥ - قال أبو عبد الرحمن العمري الزاهد : « جمع أبو طوالة عبد الله بن عبد الرحمن ابن معمر بن حزم الأنصاري ولده عند موته فقال : يا بَنِيَّ ، اتقوا الله ، فإنكم إن اتقيتم الله فأنتم مني على الصدر والنحر ، وإن لم تتقوا لم أبال ما صنع الله بكم » (٢) .

وصية عبد الله بن عمر بن غانم رحمه الله تعالى (٣)

١٢٦ - قال عبدالملك بن قطن المهري : « مرض عبد الله بن عمر بن غانم مرضه الذي توفي فيه ، فدخلتُ عليه عائداً فقلت : رفع الله تعالى ضجعتك من هذه العلة إلى إفاقةٍ وراحة ، وأعاد عليك ما عودك من الصحة والسلامة ، فلطالما صححت وعوفيت أصلحك الله ، فاصبر لحكم الله عزوجل ، فإن الله يحب أن يُصبر على بلواه كما يحب أن يُشكر على نعماءه .

فقال : هو الموت ، والغاية التي إليها نهاية الخلق ، فصبر جميل يؤجر صاحبه خير من جزع لا يغني عنه ، ثم تمثّل :

فهل من خالديماً هلكنا وهل في الموت يا للناس عار « (٤)

(١) عبد الله بن عبدالرحمن بن معمر بن حزم الأنصاري النجاري ، قاضي المدينة ، يروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، كان فقيهاً ثقةً صواماً قواماً خيراً . مات بعد الثلاثين ومائة . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٢٨/٧ . وخليفة ، الطبقات ٢١٦ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٥١/٥ . والتهذيب ٣٢٠/١١ .

(٢) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٤٦ أ .

(٣) عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل الرعيني ، أبو عبدالرحمن ، قاضي إفريقية ، وصاحب الإمام مالك ، أحد الثقات الأثبات ، ذا عقل وورع وفصاحة ، توفي سنة ١٩٠ هـ . انظر :

عباس ، ترتيب المدارك ٦٥/٣ . والمالك ، رياض النفوس ٢١٥/١ . والديباج ، معالم الإيمان ٢٨٨/١ . وابن حجر ، التهذيب ٣٣١/٥ ، والتقريب ٤٣٥/١ .

(٤) ترتيب المدارك ٧٨/٣ . و رياض النفوس ٢٢٩/١ . و معالم الإيمان ٣١١/١ .

وصية عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى (١)

١٢٧ - قال أحمد بن عبد الله العجلي : « حدثني أبي قال : لما احتضر ابن المبارك جعل رجلً يلقنه : قل لا إله إلا الله ، فأكثر عليه ، فقال له : لست تحسن . وأخاف أن تؤذي مسلماً بعدي ، إذا لقتني فقلتُ لا إله إلا الله ثم لم أحدثُ كلاماً بعدها فدعني ، فإذا أحدثتُ كلاماً فلقني حتى تكون آخر كلامي » (٢) .

وصية المأمون رحمه الله تعالى (٣)

١٢٨ - أوصى المأمون بحضرة ابنه العباس ووجهاء دولته لما اشتدت به العلة وشعر بالموت ، وكانت وصيته :

« هذا ما أشهد عليه عبد الله بن هارون أمير المؤمنين بحضرة مَنْ حضره ، أشهدهم جميعاً على نفسه أنه يشهد ومن حضره أن الله عز وجلّ وحده لا شريك له في ملكه ، ولا مدبر لأمره غيره ، وأنه خالق ، وما سواه مخلوق ، ولا يخلو القرآن أن يكون شيئاً

(١) عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي ، أبو عبد الرحمن ، من كبار فقهاء خراسان ، جمع العلم والزهد والسخاء والشجاعة ، وكان يكثر الغزو ، ويأخذ في كل موسم حجّ عدداً من أهل مرو ينفق عليهم من حين خروجهم حتى إيابهم ، ثم يقسم ما بقي من النفقة بينهم ، توفي بـ « هيت » منصرفاً من الغزو سنة ١٨١ هـ . انظر :

ابن قتيبة ، المعارف ٥١١ . والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٥٤/١٠ . وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣٢/٣ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٧٨/٨ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤١٨/٨ .

(٣) هو عبد الله بن هارون الرشيد بن المهدي ، قرأ العلم في الصغر ، وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس حتى عدّ من كبار العلماء ، فلما كبر عني بالفلسفة حتى جرّه ذلك للقول بخلق القرآن ، وعرف عنه الحزم والعلم والحلم والدهاء والشجاعة ، والرجوع إلى الحق عدا مسألة خلق القرآن ، مكث في الخلقة نحواً من عشرين سنة ، وتوفي سنة ٢١٨ هـ . انظر :

المسعودي ، مروج الذهب ٤/٤ . وابن النديم ، الفهرست ١٢٩ . والخطيب ، تاريخ بغداد ١٨٣/١٠ .

وسير أعلام النبلاء ٢٧٢/١٠ . والكتبي ، فوات الوفيات ٢٣٥/٢ .

له مثل ، ولا شيء مثله تبارك وتعالى (١) .

وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ ، وَالْبَعْثَ حَقٌّ ، وَالْحِسَابَ حَقٌّ ، وَثَوَابَ الْمُحْسِنِ الْجَنَّةَ ، وَعِقَابَ الْمُسِيءِ النَّارَ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ بَلَغَ عَنْ رَبِّهِ شَرَائِعَ دِينِهِ ، وَأَدَّى نَصِيحَتَهُ إِلَى أُمَّتِهِ ، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَفْضَلَ صَلَاةٍ صَلَاهَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ الْمُقْرَبِينَ وَأَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ .

وَأَنِّي مَقْرَمٌ مُذْنِبٌ ، أَرْجُو وَأَخَافُ ، إِلَّا أَنِّي إِذَا ذَكَرْتُ عَفْوَ اللَّهِ رَجَوْتُ ، فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَوَجَّهْتَنِي وَغَمَّضْتَنِي ، وَأَسْبَغُوا وَضُوئِي وَطَهَّرُوا كَفْنِي ، ثُمَّ أَكْثَرُوا حَمْدَ اللَّهِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَمَعْرِفَةَ حَقِّهِ عَلَيْكُمْ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ ، إِذْ جَعَلْنَا مِنْ أُمَّتِهِ الْمَرْحُومَةَ ، ثُمَّ أَضْجَعُونِي عَلَى سُرِيرِي ، ثُمَّ عَجَّلُوا بِي ، فَإِذَا أَنْتُمْ وَضَعْتُمُونِي لِلصَّلَاةِ فَلْيَتَقَدَّمْ بِهَا مَنْ هُوَ أَقْرَبُكُمْ بِي نَسَبًا ، وَأَكْبَرُكُمْ سِنًا ، فَلْيَكْبِرْ خَمْسًا ، يَبْدَأُ فِي الْأَوْلَى فِي أَوْلِهَا بِالْحَمْدِ لِلَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِي وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ جَمِيعًا ، ثُمَّ الدُّعَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمُ وَالْأَمْوَاتِ ، ثُمَّ الدُّعَاءُ لِلَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، ثُمَّ لِيَكْبِرِ الرَّابِعَةَ فَيُحْمَدُ اللَّهُ وَيُهَلَّلُ وَيُكَبَّرُ ، وَيُسَلَّمُ فِي الْخَامِسَةِ ، ثُمَّ أَقْلُونِي فَأَبْلِغُوا بِي حَفْرَتِي ، ثُمَّ لِيَنْزِلْ أَقْرَبُكُمْ إِلَيَّ قَرَابَةً ، وَأَوْدَكُمْ مَحَبَّةً ، وَأَكْثَرُوا مِنْ حَمْدِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ ، ثُمَّ ضَعُونِي عَلَى شِقِّي الْأَيْمَنِ وَاسْتَقْبِلُوا بِي الْقِبْلَةَ ، وَحَلُّوا كَفْنِي عَنْ رَأْسِي وَرِجْلِي ، ثُمَّ سَدُوا اللَّحْدَ بِاللَّبَنِ ، وَاحْتُوا تَرَابًا عَلَيَّ ، وَاخْرَجُوا عَنِّي وَخَلُونِي وَعَمَلِي ، فَكَلِّمُوا لِي عَنِّي شَيْئًا وَلَا يَدْفَعُ عَنِّي مَكْرُوهًا ، ثُمَّ قَفُوا بِأَجْمَعِكُمْ فَقُولُوا خَيْرًا إِنْ عَلِمْتُمْ ، وَأَمْسَكُوا عَنْ ذِكْرِ شَرٍّ إِنْ كُنْتُمْ عَرَفْتُمْ ، فَإِنِّي مَأْخُوذٌ مِنْ بَيْنِكُمْ بِمَا تَقُولُونَ وَمَا تَلْفِظُونَ بِهِ ، وَلَا تَدْعُوا بِأَكِيَّةٍ عِنْدِي ،

(١) قال ابن أبي العز: « والمراد من قوله تعالى ﴿خالق كل شيء﴾ [الرعد آية: ١٦] أي كل شيء مخلوق ، وكل موجود سوى الله فهو مخلوق ، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتماً ، ولم يدخل في العموم الخالق تعالى ، وصفاته ليست غيرة ، لأنه سبحانه وتعالى هو الموصوف بصفات الكمال ، وصفاته ملازمة لذاته المقدسة لا يتصور انفصال صفاته عنه » [شرح العقيدة الطحاوية ١٢٧] ثم قال : « وبالجملة فأهل السنة كلهم من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف متفقون على أن كلام الله غير مخلوق » [المرجع السابق ١٣٠] .

فإن المعول عليه يعذب .

رحم الله امرأً اتعظ وفكر فيما حتم الله على خلقه من الفناء ، وقضى عليهم من الموت الذي لا بد منه ، فالحمد لله الذي توحد بالبقاء ، وقضى على جميع خلقه الفناء ، ثم لينظر ما كنتُ فيه من عز الخِلافة ؛ هل أغنى ذلك عني شيئاً إذ جاء أمر الله لا والله ، ولكن أضعف عليّ به الحساب ، فيا ليت عبد الله بن هارون لم يكن بشراً ، بل ليته لم يكن خلقاً !

يا أبا إسحاق^(١)، ادن مني واتعظ بما ترى ، وخذ بسيرة أخيك في القرآن ، واعمل في الخِلافة إذا طوّقكها الله عمل المرید لله ، الخائف من عقابه وعذابه ، ولا تغترّ بالله ومهلته ، فكأنّ قد نزل بك الموت .

ولا تغفل أمر الرعية ، الرعية الرعية ! العوام العوام ! فإن الملك لهم ويتعهدك المسلمين والمنفعة لهم . الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين ! ولا يُنهيّن إليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة لهم إلا قدّمته وأثرتّه على غيره من هواك ، وخذ من أقويائهم لضعفائهم ، ولا تحمل عليهم في شيء ، وأنصف بعضهم من بعض بالحقّ بينهم ، وقربهم وتأنهم ، وعجل الرحلة عني والقدوم إلى دار ملكك بالعراق ، وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم في كل وقت . والخزمية فأغزهم ذا حزامه وصرامة وجلد ، وأكنفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة ؛ فإن طال مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك ، واعمل في ذلك عمل مقدّم النية فيه ، راجياً ثواب الله عليه . واعلم أن العظة إذا طالت أوجبت على السامع لها والموصي بها الحجة ، فاتق الله في أمرك كله ولا تُفتن « (٢) .

(١) هو المعتصم ، محمد بن هارون الرشيد ، ثامن خلفاء بني العباس ، كان شديد القوة ، ذا شجاعة وهمة

عالية ، بويع له بالخِلافة سنة ٢١٨ هـ ، وبنى في خلافته « سامرا » وتوفي سنة ٢٢٧ هـ . انظر :

الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٦٦٧/٨ . والكتبي ، فوات الوفيات ٤٨/٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٨ / ٦٤٧ - ٦٤٩ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥ / ٢٢٦ - ٢٢٧ .

وصية عبد الملك بن عمر رحمه الله تعالى (١)

- ١٢٩ - روي أن عمر بن عبدالعزيز قال لابنه عبد الملك : « كيف تجددك يا بني ؟
قال : أجدني في الموت ، فاحتسبني ، فإن ثواب الله خير لك مني .
قال : والله يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أكون في ميزانك ؛
قال : وأنا والله لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب » (٢) .

(١) عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم ، كان من أنسك الناس ، ومات في خلافة أبيه وهو ابن تسع عشرة سنة . انظر : ابن قتيبة ، المعارف ٣٦٣ .
(٢) ابن عدي ، العقد الفريد ٢٣٠/٣ و ٤٣٨/٤ . وعند المبرد في « التعازي والمراثي » رواية أخرى للقصة انظرها ص ٤٨ .

وصايا عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى (١)

١٣٠ - أوصى عبد الملك بن مروان حين حضرته الوفاة فقال لبنيه : « أوصيكم بتقوى الله ، فإنها عصمة باقية ، وجنة واقية ، والتقوى خير زاد ، وأحصن في المعاد ، وأحصن كهف ، وأزين حلية ، ليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير منكم حق الكبير ، مع سلامة الصدور ، والأخذ بجميل الأمور ، فإنكم إذا فعلتم ذلك كنتم للعز خُلُقَاء ، وهابتكم الأعداء .

إياكم والتباغي والتحاسد ، فإن بهما هلك الملوك الماضون ، وذووا العز المتكبرون .
انظروا يا بني مَسَلَمَةَ بن عبد الملك (٢) فاصدروا عن رأيه ، فإنه نابُكم الذي تفترون عنه ، ومِجْتُكم الذي تستجئون به ، وأكرموا الحجاج (٣) الذي وطأ لكم المنابر ، وكفاكم

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ، أبو الوليد ، ويقال : إنه أول من سمي في الإسلام بعبد الملك ، كان عابداً ناسكاً قبل الخلافة ومعدوداً في فقهاء المدينة ، قال عيادة بن نسي : قيل لابن عمر : إنكم معشر أشياخ قريش ترشكوا أن تنقرضوا فمن نسأل بعدكم ، فقال : إن لمروان ابناً فقيهاً فسלוه ، لكن تَغَيَّرَ حاله بعد الخلافة . قالت له أم الدرداء : بلغني أنك شربت الطلاء بعد النسك والعبادة . فقال إي والله والدماء . مات سنة ٨٦ هـ وهو ابن اثنتين وستين سنة . وإنما ذكرت وصاياه - رغم ظلمه وتقصيره - لغزارة علمه ، ولما فيها من عظة وعبرة . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٢٣/٥ . وابن قتيبة ، المعارف ٣٥٥ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٥٠٢/١٠ . والذهبي ، سير النبلاء ٢٤٦/٤ . وابن شاکر الكتبي ، فوات الوفيات ٤٠٢/٢ .

(٢) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، لقب بالجرادة الصفراء ، غزا القسطنطينية زمن أخيه سليمان ، وولي ليزيد العراقيين ثم إرمينية ، وكان قوياً فصيحاً شجاعاً ، ولم يقصر به عن الخلافة إلا أن أمه أم ولد ، توفي سنة ١٢١ هـ . انظر :

سير أعلام النبلاء ٢٤١/٥ - ٢٤٢ . وابن كثر ، البداية والنهاية ٣٤١/٩ - ٣٤٢ .

(٣) الحجاج بن يوسف الثقفي ، أبو محمد ، توسم فيه والده الشقرة من صفه ، وسمته أسماء رضي الله عنها " المبير " متأولاً فيه حديث النبي ﷺ ، ولده عبد الملك الحجاج فحارب ابن الزبير رضي الله عنه وقتله ، ثم ولده العراق وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٩٥ هـ ، وكان أعظم ما نُقِمَ عليه سفك الدماء ، وإيذاء بعض الصحابة . انظر :

البداية والنهاية ١٢٣/٩ - ١٤٦ . و بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ٥١/٤ - ٨٥ .

قم تلك القناطر .

كونوا أولاداً أبراراً ، وفي الحروب أحراراً ، وللمعروف مناراً ، واحلولوا في مرارة ، ولينوا في شدة .

ثم رفع رأسه إلى الوليد ^(١) فقال : لا ألفتك يا وليد إذا وضعتني في حفرتي تعصر عينيك كما تفعل الأمة ، بل شمّر واتزر ، والبس جلد نمر ، وادع الناس إلى البيعة ، فمن قال برأسه هكذا ، فقل بالسيف هكذا .

أوصيك بأخيك عبد الله بن عبد الملك ^(٢) ويعمر بن عبدالعزيز خيراً ، لا تعزلهما ، ولا تستبدل بهما ، وأوصيك بابن عمنا هذا خيراً – يعني علي بن عبد الله بن العباس ^(٣) – فأما الحجاج فلست تستغني عنه .

... ^(٤) ثم دعا بقداح بَعْدَ ولده فأمر بها فجمعت ، ثم دفعها إلى الوليد فقال : اكسرها ، فلم يقدر على ذلك ، ثم دفعت إلى آخر ثم آخر حتى استقراهم جميعاً فأعياهم

(١) الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أبو العباس ، كان يلحن في كلامه ، بويح له بالخلافة بعد أبيه سنة ٨٦ هـ ، وعُني بالأيتام والعميان ، ورزق الفقراء ، وبنى جامع دمشق ، وفي زمانه اتسعت الفتوحات الإسلامية ، استمر في الخلافة قرابة العشر سنوات ، وتوفي سنة ٩٦ هـ . انظر : الكندي ، فوات الوفيات ٢٥٤/٤ - ٢٥٥ . وابن كثير ، البداية والنهاية ١٦٨/٩ - ١٧٣ .

(٢) عبد الله بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أبو عمر ، ولد في حدود سنة ٦٠ هـ ، افتتح المصيصة ، وولاه أبوه مصر بعد عمه عبدالعزيز سنة ٨٦ هـ ، وأقره الوليد عليها ، حتى سنة ٩٠ هـ . وبها كتب الدواوين بالعربية واستبدل عمال عمه بآخرين ، وابتنى مسجداً عرف باسمه ، هذا على جوهر وأخذ الرشوة . انظر : الكندي ، تاريخ ولاية مصر وقضاتها ٥١ . وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٢١٠/١ .

(٣) علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب السجّاد ، أبو محمد ولد يوم قتل علي رضي الله عنه ، ولقب بالسجّاد لكثرة صلواته ، كان عبد الملك يكرمه ، لكن الوليد ضربه مرتان الأولى لزوجته من لبابة بنت عبد الله بن جعفر وكانت تحت عبد الملك ، والثانية لأنه قال : الخلافة صائرة إلى بيته . وخشي منه هشام فأسكنه وولده الحميمة ، فمات بها سنة ١١٨ هـ . انظر :

ابن زبير ، تاريخ مرلد العلماء ووفياتهم ١٣٥/١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٨٤/٥ . و البداية والنهاية ٣٣٣/٩ - ٣٣٤ .

(٤) مكان النقط حوار بينه وبين خالد وعبد الله ابني يزيد بن معاوية حذف من النص لا علاقة له بالوصية .

كسرها ، فأمر بها ففُرِّقت ، ثم دفع إلى كل واحد منهم قِدْحاً وأمره بكسره ففعل ، فقال : هكذا تكونوا أنتم بعدي ، إن اجتمعتم بعدي لم يكسرکم أحد ، وإن تفرقتم كسرتم .
وقال : احفظوا عني هذه الأبيات :

انفوا الضغائن عنكم وعليكم ... عند المغيب وفي حضور المشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم ... إن مدّ في عمري وإن لم يُمدد
فلمثل ريب الدهر أَلْف بينكم ... بتراحم وتواصل وتودد
حتى تليّن قلوبكم وجلودكم ... لمسودّ منك وغير مسودّ
إن القداح إذا اجتمعن فرامها ... بالكسر ذو حنقٍ ويطش أيّد
عزّت فلم تكسر وإن هي بددت ... فالوهن والتكسير للمتبدّد (١)

١٣١ - عن الفضل بن فضالة عن أبيه قال : « استأذن قوم على عبدالمملك بن مروان وهو شديد المرض ، فقالوا : إنه لما به ، فقالوا : إنما ندخل فنسلم قياماً ثم نخرج ، فدخلوا عليه وقد أسنده خصي إلى صدره ، وقد ارتدّ (٢) لونه ، وجرى منخراه ، وشخصت عيناه ، فقال :

« إنكم دخلتم عليّ في حال إقبال آخرتي وإدبار دنياي ، وإنّي تذكرت أرجى عملي فوجدته ، غزوة في سبيل الله وأنا خلّو من هذه الأشياء ، فأياكم وإيا أبواننا هذه الحبيشة أن تطيفوا بها » (٣) .

١٣٢ - قال الشعبي : « أرسل إليّ عبدالمملك بن مروان وهو شاك فدخلتُ عليه فقلت : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت كما قال ابن قميثة أخو بني قيس

(١) أبوحاتم السجستاني ، المعرون والوصايا ١٦٠ - ١٦١ . والمبرد - واللفظ له - ، التعازي والمراثي ١٢٣ - ١٢٥ . وذكرها ببايجاز : المسعودي ، مروج الذهب ٣/١٦٠ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١٠٢/٤ .

(٢) ارتدّ : تغير ، انظر صحاح الجوهري ٤٧٢/٢ مادة « رتد » .

(٣) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ١٩ ب - ٢٠ أ . وابن عساکر ، تاريخ دمشق ٥٢٥/١٠ .

ابن ثعلبة (١) . قلت : وماذا قال ؟ قال : قال :

كأنني وقد جاوزت تسعين حجةً ... خلعت بها عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يُرمى وليس برامي
فلو أنها نبيلٌ إذاً لاتقيتها ... ولكنني أمرى بغير سهام
إذا ما رأني الناس قالوا ألم يكن ... جليداً شديد البطش غير كهام (٢)
فنييت ولم تفن من الدهر ليلة ... ولم يُغن ما أفنييت سلك نظام
على راحتين مرة وعلى العصى ... أنوء ثلاثاً بعدهن قيامي « (٣)

١٣٣ - قال أبو مسهر (عبد الأعلى بن مسهر) : « قيل لعبد الملك بن مروان في

مرضه : كيف تجددك يا أمير المؤمنين ؟

قال : أجدني كما قال الله : « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون » (٤) .

(١) هو عمرو بن قميصة بن ذريح ، من بني ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، جاهلي قديم ، نشأ يتيماً ، وكان واسع الخيال في شعره ، وكان مع حُجْر أبي امرئ القيس ، ثم دخل مع امرئ القيس بلاد الروم فمات بها فسُمي به (الضائع) مات في حدود عام ٥٤٠ م . انظر :

ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ٢٩٢/١ . وابن الأثير ، اللباب ، ٦٨/٢ . والزركلي ، الأعلام ، ٨٣/٥ .

(٢) وجل كهام : أي مسن لا غناء عنده . انظر صحاح الجوهري ٢٠٢٥/٥ . مادة « كهَم » .

(٣) أبو حاتم السجستاني ، المعمرين والوصايا ، ٧٨ . وبعد الأبيات حوار لا علاقة له بالوصية وفيه أن الشعبي تركه فلم يصيح حتى مات . والأبيات عند ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » ، ٢٩٣/١ ، مع اختلاف في بعض العبارات وفي ترتيب الكلمات .

(٤) المحتضرون (خ) ل ٢٠ أ . والآية في سورة الأنعام رقم ٩٤ .

وصية عبيد الله بن أبي المهاجر رحمه الله تعالى (١)

١٣٣ - قال إسماعيل بن عبيد - ابنه - : « لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه وقال : يا بني ، عليكم بتقوى الله ، وعليكم بالقرآن فتعاهدوه ، وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلاً ثم سئل عنه أقر به ، والله ما كذبت كذبة منذ قرأت القرآن .
يا بني ، وعليكم بسلامة الصدور لعامة المسلمين ، فوالله لقد رأيتني وأنا لا أخرج من بيتي وما ألقى مسلماً إلا والذي في نفسي له كالذي في نفسي لنفسي ، أفترون أنني لا أحب لنفسي إلا خيراً » (٢) .

وصية عطية بن سعد العوفي رحمه الله تعالى (٣)

١٣٤ - قال إدريس بن يزيد الأودي : « دخلنا على عطية وهو يجود بنفسه فقلنا : كيف تجددك رحمك الله ؟
فدمعت عيناه وقال : أجدني إلى الآخرة أقرب مني إلى الدنيا ، فمن استطاع منكم أن يعمل لمثل هذه الصرعة فليفعل » (٤) .

(١) عبيد الله بن أبي المهاجر (أقرم) القرشي المخزومي ، مولا هم ، والد إسماعيل مؤدب ولد عبد الملك بن مروان [المزني ، تهذيب الكمال ١٤٣/٣] ، ولم أجد ترجمة تفصيلية له ، وإنما أثبتته لأنه كان في عصر توافر فيه الصحابة ، وقد غلب على أهل ذلك الوقت طلب للعلم ، فيغلب أن يكون من أهل العلم ووصيته تشعر بذلك ، والله أعلم .

(٢) أبونعيم : حلية الأولياء ٨٦/٦ .

(٣) عطية بن سعد بن جنادة العوفي ، الجدلي ، القيسي ، أبو الحسن ، ولد أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . كان فقيهاً لكنه مضطرب في الحديث ، وفيه تشيع ، قال ابن حجر : صدوق يخطئ كثيراً . توفي سنة ١١١ هـ . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٠٢/٥ . وابن حجر ، التهذيب ٢٢٤/٧ . والتقريب ٢٤/٢ . والزركلي ، الأعلام ٢٣٧/٤ .

(٤) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٤٣ ب .

وصية عمر بن سالم رحمه الله تعالى (١)

١٣٤ - قال لعمر بعض أصحابه عند موته : « ما الذي أراك تعظنا به ؟
فقال : لست أقوى على القول . ثم رأى من نفسه قوة فقلت له : قل حتى
أحكي عنك .
فقال : الانكسار بكل القلب على التقصير » (٢) .

(١) عمر بن سالم الحداد النيسابوري ، أبو حفص ، من قرية يقال لها كوردباز ، وهو من كبار مشايخ خراسان ،
توفي سنة ٢٧٠ هـ . انظر :

ابن خميس ، مناقب الأبرار (خ) ١٠٥ أ . والشعراني ، طبقات الصوفية ٨٢/١ .
(٢) مناقب الأبرار ١٠٩ ب .

وصايا أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى (١)

١٣٥ - عن قتادة أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى ولي عهده من بعده :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر إلى يزيد بن عبد الملك (٢) ، سلامٌ عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :

فأني كنت وأنا دنف من وجعي ، وقد علمت أنني مسؤول عما وليت ، يحاسبني عليه ملك الدنيا والآخرة ، ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئاً ، يقول فيما يقول : ﴿ فلنقصنّ عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ (٣) ، فإن يرضَ عني الرحيم فقد أفلحت ونجوتُ من الهوان الطويل ، وإن سخط علي فيا وريح نفسي إلى ما أصير .

أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجيرني من النار برحمته ، وأن يُمنَّ عليّ برضوانه والجنة ، فعليك بتقوى الله ، والرعية الرعية ، فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلاً حتى

(١) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم ، أبوحفص ، تابعي جليل ، تربى في حجر عبد الله بن عمر ، رضي الله عنه ، وأخذ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال مؤدبه صالح بن كيسان لأبيه : « ما خَبِرْتُ أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام » ولاء الوليد المدينة المنورة فسار سيرة حسنة حتى كان الناس يفرّون إليه من الحجاج ، ثم أوصى له سليمان بالخلافة فولبها سنتين وخمسة أشهر ، وتوفي رحمه الله سنة إحدى ومائة مسموماً ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، ودفن بدير سمعان . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٣٠/٥ . وابن قتيبة ، المعارف ٣٦٢ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٢٥٧/١٣ . وابن الجوزي ، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١٤/٥ . وابن كثير ، البداية والنهاية ١٩٢/٩ . وابن حجر ، التهذيب ٤٧٥/٧ .

(٢) يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أبو خالد ، بويح له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز بعهد من سليمان ، فسار أربعين يوماً بسيرته ، ثم غلب عليه حبُّ جاريته « حَبَابَة » فانشغل بها عن الخلافة ، ولم ينتفع به بعد ذلك ، ثم ماتت فتغير حاله ، ولم يلبث بعدها إلا يسيراً حتى مات سنة ١٠٥ هـ ، ولم يتجاوز الحادية والأربعين من عمره . انظر :

سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٩ . والكتبي ، فوات الوفيات ٢٢٥/٥ .

(٣) سورة الأعراف آية : ٧ .

تلحق باللطيف الحبيب ، والسلام « (١) .

١٣٦ - عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى يزيد بن عبدالملك : « إياك أن تدركك الصرعة عند العزة فلا تقال العشرة ، ولا تمكّن من الرجعة ، ولا يحمدك من خلفت بما تركت ، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به » (٢) .

وفي رواية المبرّد قال : قال ابن دأب - عيسى بن يزيد بن بكر الليثي - : « لما حضرت عمر بن عبدالعزيز الوفاة قيل له :

يا أمير المؤمنين ، اكتب إلى يزيد فأوصه بالأمة خيراً ، فقال : وم أوصيه ؟ إني لأعلم أنه من بني مروان . ثم أمر بالكتاب إليه : أما بعد ، فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة - أو فاتق الله ، واتق الصرعة بعد الغفلة - (٣) فلا تقال العشرة ، ولا تقدر على الرجعة ، تترك ما تترك لمن لا يحمدك ، وتقدم على من لا يعذرك ، والسلام « (٤) .

١٣٧ - دخل رجل على عمر بن عبدالعزيز يعود في مرضه ، فسأله عن علته ، فلما أخبره قال : من هذه العلة مات فلان ومات فلان . فقال له عمر : « إذا عدت المرضي فلا تنع إليهم الموتى ، وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا » (٥) .

١٣٨ - عن سليمان بن أبي داود ، أن عمر بن عبدالعزيز قال لبنيه : « لا تتهموا الخازن ، فإنّي لا أدع إلا أحداً وعشرين ديناراً - فيها لأهل الدير أجر مساكنهم ، وثمن حقل كانت فيه له ، وموضع قبره - فإنّي أعلم أنهم لا يعتملونه » (٦) .

(١) أبونعيم ، حلية الأولياء ٢٧٥/٥ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤٠٥/٥ . وابن الجوزي - واللفظ له - ، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ٣١٨ .

(٣) العبارة من إحدى نسخ التعازي والمراثي للمبرّد أشير إليها في الحاشية .

(٤) المبرّد ، التعازي والمراثي ١٢٩ .

(٥) ابن عبدبرّه ، العقد الفريد ٤٥٠/٢ .

(٦) حلية الأولياء ٢٥٨/٥ - ٢٥٩ . وقد يقصد بقوله « لا يعتملونه » أي لا يتخذونه عاملاً ، يعني من يخلفه .

١٣٩ - ذكر أبو العباس المبرّد أنه « دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبدالعزيز في مرضته التي مات فيها فقال : ألا توصي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : فيم أوصي ؟ فوالله إن من مال . فقال : هذه مائة ألف ، فمرّ فيها بما أحببت . فقال : أو تقبل ؟ قال : نعم . قال : تردّ على من أخذت منه ظلماً . فبكى مسلمة ثم قال : يرحمك الله ، لقد ألتت منّا قلوباً قاسية ، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً » (١) .

١٤٠ - روي أنه : « دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبدالعزيز في المرضة التي مات فيها فقال له : يا أمير المؤمنين إنك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال ، وتركتهم عالة ، ولا بدّ لهم من شيء يصلحهم ، فلو أوصيت بهم إليّ أو إلى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤنتهم إن شاء الله .

فقال عمر : أجلسوني . فأجلسوه ، فقال : الحمد لله ، أبا الفقر تخوفني يا مسلمة ، أمّا ما ذكرت أنني فطمت أفواه ولدي عن هذا المال ، وتركتهم عالة ، فإنني لم أمنعهم حقاً هو لهم ، ولم أعظم حقاً هو لغيرهم .

وأما ما ذكرت من الوصاة إليك أو إلى نظرائك من أهل بيتي فإن وصيتي بهم إلى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، وإنما بنو عمر أحد رجلين : رجل اتقى الله فجعل الله له من أمره يسراً ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ورجلٌ غير وفجر ، فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه .

ادعوا لي بنيّ ، فدعّوهم وهم يومئذ اثنا عشر غلاماً ، فجعل يُصعد بصره فيهم ويصوّبه حتى اغرورقت عيناه بالدمع ، ثم قال : بنفسي فتية تركتهم ولا مال لهم .

(١) أبو الحسن المدائني ، التعازي ، ٨٠ . والمبرّد - واللفظ له - ، الكامل في اللغة والأدب ١٣٩/١ - ١٤٠ ، والتعازي والمراثي ٦٢ . وابن عبد ربه ، العقد الفريد ٢٣٠/٣ .

يا بني ، إني قد تركتكم من الله بخير ، إنكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق واجب إن شاء الله .

يا بني ، مثلت رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا ، وبين أن يدخل أبوكم النار ، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول أبيكم يوماً واحداً في النار .
قوموا يا بني عصمكم الله ورزقكم .

قال - راوي الوصية - : فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا افتقر « (١) » .

١٤١ - قال يحيى بن أبي كثير : « لما حضر عمر بن عبدالعزيز الموت بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ يا أمير المؤمنين ؟ أبشر فإن الله أحيا بك سنناً ، وأظهر بك عدلاً .

فبكى ثم قال : أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق ، فوالله لو رأيت أني عدلت فيهم لحفت لى نفسي ألا تقوم بحجتها بين يدي الله عزوجل إلا أن يلقنها حجتها ، فكيف بكثير مما ضيعنا .

قال : ففاضت عيناه ، فلم يلبث إلا يسيراً بعدها حتى مات رحمه الله « (٢) » .

١٤٢ - قال عمرو بن قيس : « قالوا لعمر بن عبدالعزيز لما حضره الموت : اعهد يا أمير المؤمنين .

قال : أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه ، وإذا وضعتوني في قبري فانزعوا عني لينة ثم انظروا ما لحقني من دنياكم هذه « (٣) » .

(١) أبوحاتم السجستاني ، المعرون والوصايا ١٦٤ . وأبونعيم ، حلية الأولياء ٣٣٣/٥ . وابن عديته

- واللفظ له - ، العقد الفريد ٤٤٠/٤ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٣١٩/١٣ .

(٢) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٢٣ أ . و تاريخ دمشق ٣١٩/١٣ - ٣١٢٠ .

(٣) المحتضرون ل ٢٢ ب . و تاريخ دمشق ٣٢٠/١٣ ، وابن خيس ، مناقب الأبرار ٢٠ أ ، وفيه أن عمر

خاطب مسلمة ، وزيادة : « قال - أي مسلمة - : فلما وضعتني في لحده رفعت عنه لينة فلم أره ذهب معه

من الدنيا إلا بشويه اللذين كفن فيهما ، وترك الدنيا لأهلها » .

وصية عمرو بن شرحبيل رحمه الله تعالى^(١)

١٤٣ - قال أبو وائل : قال عمرو بن شرحبيل حين حضرته الوفاة :
 « إني ليسير للموت الآن ، أظنه قال : وما بي إلا هول المطلاع ، ما أدع مالا ،
 وما أدع عليّ من دين ، وما أدع من عيال يهمني من بعدي ، فإذا أنا مت فلا تنعوني
 إلى أحد ، وأسرعوا المشي ، وألقوا على لحدي من القصب ، فإنّي رأيت المهاجرين
 يستحبون ذلك ، ولا ترفعوا جدثي فإنّي رأيت المهاجرين يكرهون ذلك »^(٢) .

وصية عمرو بن عتبة رحمه الله تعالى^(٣)

١٤٤ - لما حضرت الوفاة عمرو بن عتبة قال لرفيقه : « نزل بي الموت ولم أتأهب
 له ، اللهم إنك تعلم أنه ماسنح لي أمران لك في أحدهما رضاً ولي في الآخر هوى
 إلا آثرت رضاك على هواي »^(٤) .

وصية سيبويه رحمه الله تعالى^(٥)

١٤٥ - قال أبو بكر العبدى النحوي : « لما قدم سيبويه إلى بغداد فناظر

(١) عمرو بن شرحبيل ، أبو ميسرة الهمداني الوداعي ، الكوفي ، لقي عمر وعلياً وابن مسعود رضي الله
 عنهم ، وكان كثير العبادة ، توفي في ولاية ابن زياد سنة إحدى أو اثنتين وستين . انظر :
 ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٠٦/٦ . وخليفة ، الطبقات ١٤٩ . وابن حجر ، التهذيب ٤٧/٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٠٨/٦ .

(٣) عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي ، من المجتهدين في العبادة ، قال ابن سعد : « كان ثقة قليل الحديث »
 استشهد بتستر في خلافة عثمان رضي الله عنه . انظر :

طبقات ابن سعد ٢٠٦/٦ . وأبونعيم ، حلية الأولياء ١٥٥/٤ . والمزي ، تهذيب الكمال ١٠٤٢/٢ .
 وابن حجر ، التهذيب ٧٥/٨ .

(٤) ابن عدي ، العقد الفريد ٢٢٩/٣ .

(٥) هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبويش ، المعروف بسيبويه ، سمي بذلك لأن وجنتيه كانتا كأنهما تفاحة ،
 طلب الفقه والحديث ، ثم أقبل على العربية وصحب الخليل فبرع في النحو وألف « الكتاب » =

الكسائي^(١) وأصحابه فلم يظهر عليهم سأل : من يبذل من الملوك ويرغب في النحو ؟
ف قيل له : طلحة بن طاهر^(٢) ، ف شخص إليه إلى خراسان ، لما انتهى إلى ساوة مرض
مرضه الذي مات فيه ، فتمثل عند الموت :

يؤمل دنيا لتبقى له ... فوافى المنية دون الأمل

حشياً يروي أصول النفس ... بل فعاش الفسيل ومات الرجل^(٣)

وقال أبو عمرو بن يزيد : « احتضر سيبويه النحوي ، فوضع رأسه في حجر أخيه ،

فأغمي عليه ، قال : قدمعت عين أخيه ، فأفاق فرآه يبكي ، فقال :

وكنّا جميعاً فرّق الدهر بيننا ... إلى الأمد الأقصى فمن يأمن الدهراً؟^(٤)

وصية عنبسة بن أبي سفيان رحمه الله تعالى^(٥)

١٤٦ - عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : « لما حضر عنبسة بن أبي سفيان

الموت اشتد جزعه ، وجاءه الناس يعودونه ، فجعل عنبسة بن أبي سفيان يبكي ويجزع ،

= توفي سنة ١٨٠ هـ وقيل غير ذلك . انظر :

الزيدي ، طبقات النحويين واللغويين ٦٦ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٥١/٨ . والخطيب ، تاريخ
بغداد ١٩٨/١٢ . والبيهقي ، إشارات التعيين ٢٤٥ .

(١) علي بن حمزة الكسائي ، أبو الحسن ، مولى بني أسد ، شيخ القراءة والعربية ، من أهل الكوفة ، قدم
بغداد فجعله الرشيد مؤدياً لولديه الأمين والمأمون ، توفي بالري سنة ١٩٧ هـ . انظر :

طبقات الزبيدي ١٢٧ . وابن النديم ، الفهرست ٧٢ . و سير أعلام النبلاء ١٣١/٩ .

(٢) طلحة بن طاهر بن الحسين الخزازي أمير خراسان ، كان جواداً عاقلاً ، توفي سنة ٢١٣ هـ . انظر :
الزركلي ، الأعلام ٢٢٩/٣ .

(٣) تاريخ بغداد ١٩٨/١٢ . وانظر : إشارات التعيين ٢٤٥ .

(٤) تاريخ بغداد ١٩٨/١٢ . والزيدي ، طبقات النحويين واللغويين ٧٢ ، والبيت عنده بلفظ :
أخيين كنّا فرّق الدهر بيننا إلى الأمد الأقصى فمن يأمن الدهراً ؟

وروي الخمر ، المدائني ، التعازي ٥٢ . وابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٧٥ ب - ٥٨ أ . والمبرد ،
التعازي والمرثي ١٩٧ ، دون ذكر سيبويه .

(٥) عنبسة بن أبي سفيان بن حرب ، أبو عثمان ، أدرك النبي ﷺ ولم يرو عنه ، ولي مكة لأخيه معاوية ،
قال ابن حجر : « اتفق متقدموا أئمتنا على أنه من التابعين » ، توفي سنة ٤٧ هـ . انظر : =

فقال له القوم : يا أبا عثمان ، ما يبكيك وما يجزئك ، وقد كنت على سمتٍ من الإسلام حسن وطريقة إن شاء الله حسنة؟! فازداد حزناً وشدة بكاء وقال : ما يمنعني ألا أبكي وأن لا يشتد حزني من هول المطلق ، وما يدريني ما أشرف عليه غداً ؟ وما قدمتُ من كثير عملٍ تثق به نفسي ، مع أنني سمعت أم حبيبة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« مَنْ حَافِظَ عَلَيَّ أَرْبِعَ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبِعَ بَعْدَهَا حَرَمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ »^(١)

فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة «^(٢) .

وفي حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه أنه قال : « قدمت الطائف فدخلت على عنبسة بن أبي سفيان وهو بالموت ، فرأيتُ منه جزعاً فقلت : إنك على خير ! فقال : أخبرتني أختي أم حبيبة أن رسول الله ﷺ قال :

« مَنْ صَلَّى عَشْرَةَ رُكْعَةٍ بِالنَّهَارِ أَوْ بِاللَّيْلِ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ »^(٣) .

= خليفة ، الطبقات ٢٣١ . وابن قدامة ، التبيين في أنساب القرشيين ١٧٩ . وابن الأثير ، أسد الغاية ١٥١/٤ . وابن حجر ، الإصابة ٨٢/٣ .

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب الأربع قبل الظهر وبعدها ، ح ١٢٦٩ ، انظر : السنن ٥٢/٢ . والترمذي في كتاب الصلاة ، باب رقم ٣١٣ ، ح ٤٢٦ ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح من هذا الوجه » انظر : تحفة الأحوذى ٥٠٢/٢ . والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب رقم ٦٧ ، ح ١٨١٢ وفيه اختلاف يسير ، وح ١٨١٥ ، انظر : السنن ٢٦٤/٣ ، ٢٦٥ . وابن خزيمة في أبواب صلاة التطوع قبل المكتوبات وبعدهن ، باب فضل صلاة التطوع قبل صلاة الظهر وبعدها ، ح ١١٩١ ، انظر : الصحيح ٢٠٦/٢ .

(٢) التبيين في أنساب القرشيين ١٨٠ .

(٣) رواه النسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب رقم ٦٦ ، ح ١٧٩٩ ، انظر : السنن ٢٦٣/٣ . ورواه الترمذي من طريق المسيب بن رافع في كتاب الصلاة ، باب ماجاء فيمن صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة ... ، ح ٤١٣ ، بزيادة : « أربعاً قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل الفجر صلاة الغداة » انظر : تحفة الأحوذى ٤٦٧/٢ . وابن خزيمة في أبواب صلاة التطوع قبل المكتوبات وبعدهن ، باب رقم ٥١٠ ، ح ١١٨٩ ، انظر : الصحيح ٢٠٥/٢ . وأورده ابن حجر في الإصابة ٨٣/٣ .

وصية القاسم بن محمد رحمه الله تعالى (١)

١٤٧ - قال رجاء بن أبي سلمة : « مات القاسم بن محمد بين مكة والمدينة حاجاً أو معتمراً ، فقال لابنه : سنّ عليّ التراب سنّاً وسوّ عليّ قبري ، والحق بأهلك ، وإياك أن تقول كان وكان » (٢) .

وصية كثير بن زياد رحمه الله تعالى (٣)

١٤٨ - قال عبد الله بن شوذب الخراساني : « قيل لأبي سهل كثير البصري حين حضره الموت : أوصنا . قال : تبيعون دنياكم بأخرتكم تريحونهما والله جميعا ، ولا تبيعون (٤) أخرتكم بدنياكم فتخسرونهما والله جميعا » (٥) .

وصية مالك بن دينار رحمه الله تعالى (٦)

١٤٩ - قال أبو عبد الصمد العمي : « سمعتُ مالك بن دينار في مرضه يقول

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ، أبو محمد ، ولد في خلافة علي رضي الله عنه ، من سادات التابعين ، وأحد فقهاء المدينة السبعة ، وكان يفضل على أقرانه ، توفي سنة ١٠١ هـ وهو في طريقه إلى مكة ودفن بقديد . انظر :

خليفة ، الطبقات ٣٣٨ . وأبو نعيم ، حلية الأولياء ١٨٣/٢ . وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٢٢٤/٣ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥٣/٥ . وابن حجر ، التهذيب ٣٢٣/٨ .

(٢) حلية الأولياء ١٨٥/٢ .

(٣) كثير بن زياد البرساني الأزدي العتكي ، من أكابر أصحاب الحسن البصري ، روى عنه حماد بن زيد وسلام بن مسكين وغيرهما ، كان ثقة له وصايا نافعة ، دخل خراسان وسكن بلخ ، وتوفي بما وراء النهر . انظر : ابن أبي حاتم ، المرح والتعديل ١٥١/٧ . وابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ١٩٧ . وابن حجر ، تهذيب التهذيب ٤١٣/٨ ، والتقريب ٤٥٩ .

(٤) هكذا في وصايا ابن زير ، والسياق يبين أن « لا » ناهية وعليه فالصواب : « ولا تبيعوا » .

(٥) ابن زير ، وصايا العلماء عند حضور الموت ٨٦ .

(٦) أبو يحيى ، مالك بن دينار البصري ، مولى بني سامة بن لؤي القرشي ، كان عالماً ورعاً زاهداً قنوعاً =

– وهو من آخر كلام سمعته يتكلم به – : ما أقرب النعيم من البؤس يعقبان
ثم يوشكان زوالاً « (١) .

= لا يأكل إلا من كسب يده ، ووثقه النسائي وعده من العلماء ، اختلف في وفاته قيل توفي سنة

١٣١ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٤٣/٧ . وخليفة ، الطبقات ٢١٦ . وابن خلكان ، وفيات الأعيان

٢٨٧/٣ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٦٢/٥ . وابن حجر ، التهذيب ١٤/١٠ . والشعراني ،

طبقات الصوفية ٣٧/١ .

(١) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٤١ ب .

وصايا محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى (١)

١٥٠ - قال الربيع بن سليمان المرادي : « دخلت على الشافعي وهو مريض ، فسألني عن أصحابنا ، فقلت : إنهم يتكلمون . فقال لي الشافعي : ما ناظرتُ أحداً قطَّ على الغلبة ، وبودِّي أن جميع الخلق تعلموا هذا الكتاب - يعني كتابه الأم - على أن لا ينسب إليّ منه شيء » (٢) .

١٥١ - قال المزني إسماعيل بن يحيى : « دخلت على محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه عند وفاته فقلت له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، وللإخوان مفارقاً ، وعلى الله وارداً ، ويكأس النية شارباً ، ولسوء أعمالي ملاقياً ، فلا أدري نفسي إلى الجنة تصير فأهنيها أو إلى النار فأعزبها .

فقلت : يا أبا عبد الله ، رحمك الله ، عظمي .

فقال لي : اتق الله ، ومثل الآخرة في قلبك ، واجعل الموت نصب عينيك ، ولا تنسَ موقفك بين يدي الله عزوجل ، وكن من الله عزوجل على وجل ، واجتنب محارمه ، وأدِّ فرائضه ، وكن مع الحق حيث كان ، ولا تستصغرن نعم الله عليك وإن قلت وقابلها

(١) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، الشافعي ، المظلي ، القرشي ، ولد سنة خمسين ومائة ، بغزة ثم انتقل إلى عسقلان ، وقدمت به أمه مكة وهو ابن سنتين ، فنشأ بها وتعلم ، ثم أفتى وهو ابن خمس عشرة سنة ، وكان حجة في الفقه واللغة ، وهو أول من تكلم في أصول الفقه ، وقدم بغداد فكان محل إجلال الإمام محمد بن الحسن الشيباني وأحمد بن حنبل رحمهما الله ، ثم ذهب إلى مصر فأقام بها حتى توفي سنة ٢٠٤ هـ وعمره أربع وخمسون عاماً . انظر :

الرازي ، آداب الشافعي ومناقبه . والبيهقي ، مناقب الشافعي . وابن الأثير ، مناقب الشافعي . وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣/٣٠٥ . والصفدي ، الوافي بالوفيات ١/١٧١ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق من ٧٨٧/١٤ حتى ٤٦/١٥ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥/١٠ .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/٢٩٧ . وتاريخ دمشق ١٥/٤١ . وسير أعلام النبلاء ١٠/٧٦ .

بالشكر ، وليكن صمتك تفكراً ، وكلامك ذكراً ، ونظرك عبثة ، اعف عمّن ظلمك ، وصل من قطعك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، واصبر على النائبات ، واستعدّ بالله من النار بالتقوى .

فقلت : زدني رحمك الله يا أبا عبد الله .

فقال : ليكن الصدق لسانك ، والوفاء عمادك ، والرحمة ثمرتك ، والشكر طهارتك ، والحق تجارتك والتوهد زينتك ، والكتاب فطنتك ، والطاعة معيشتك ، والرضا أمانتك ، والفهم بصيرتك ، والرجاء اصطبارك ، والخوف جلبابك ، والصدقة حرزك ، والزكاة حصّتك ، والحياء أميرك ، والحلم وزيرك ، والتوكل درعك ، وتكون الدنيا سجنك ، والفقير ضجيعك ، والحق قائدك ، والحج والجهاد بغيتك ، والقرآن محدثك ، والله مؤنسك ، فمن كانت هذه صفته كانت الجنة منزلته « (١) » .

زاد ابن عساكر : « ثم رمى بظرفه نحو السماء ، ثم استعير وأنشأ يقول :
إليك إله الخلق أرفع رغبتي ... وإن كنت يا ذا المن والجود مجرماً
فلما قسى قلبي وضاعت مزاھبي ... جعلت الرجا منّي لعفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما اقترنته ... بعفوك ربّي كان عفوك أعظماً
وما زلت ذا عفور عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منّة وتكرماً
فلولاك ما يغوى إبليس عابد ... فكيف وقد أغوى صفيك آدماء
فإن تعف عني تعف عن ذي قرد ... ظلوم غشوم ما يزايل مائماً
وإن تنتقم منّي فلست بأيس ... ولو أدخلت نفسي بجرمي جهنماً
فجرمي عظيم من قديم وحادث ... وعفوك يا ذا العفو أعلا وأجسماً » (٢) .

١٥٢ - قال الربيع بن سليمان المرادي : « لما كان مع المغرب ليلة مات الشافعي ،

(١) البيهقي ، مناقب الشافعي ٢/٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ١٥/٤٠ - ٤١ . وديوان الشافعي ٧٨ ، والبيت الأول وما بعد الخامس =

قال له ابن عمه يعقوب (١) : نَنْزِلُ حَتَّى نَصَلِّي ؟

قال : تجلسون تنتظرون خروج نَفْسِي ؟!

فنزّلنا ، ثم صعدنا فقلنا له : صليت أصلحك الله ؟ قال : نعم . فاستسقى - وكان

شتاءً - فقال له ابن عمه : امزجوه بالماء السخن . فقال الشافعي : لا ، برُبُّ (٢) السفرجل ، وتوفي مع العشاء الآخرة « (٣) .

= ليس فيه وإنما فيه قوله :

فليله در العارف السندب إته	تفيض لفرط الوجد أجفانه دما
يقيم إذا ما الليل مد ظلامه	على نفسه من شدة الخوف مأتما
فصيحاً إذا كان في ذكر ربه	وفي ما سواه في الورى كان أعجما
ويذكر أياما مضت من شبابه	وما كان فيها بالجهالة أجرما
فصار قرين الهم طول نهاره	أخا الشهد والنجوى إذا الليل أظما
يقول : حبيبي أنت سؤلي وبغيتي	كفى بك للمراجين سؤلاً ومغتما
ألست الذي غذيتني وهديتني	ولا زلت مناناً عليّ ومُنعمياً

(١) اسمه يوسف كما في مناقب الشافعي للبيهقي ١/١٥٥ ، ولم أقف له على ترجمة .

(٢) الرُبُّ : الطلاء الخائر ، وقيل : هو دبس كل ثمرة . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ١/٤٠٥ ، مادة « رَبَّ » .

(٣) أبونعيم ، حلية الأولياء ٩/٦٨ .

وصية محمد بن أسلم الكندي رحمه الله تعالى (١)

١٥٣ - قال محمد بن القاسم : « دخلتُ على ابن أسلم قبل موته بأربعة أيام بنيسابور فقال : يا أبا عبد الله ، تعال أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير ، قد نزل بي الموت ، وقد منَّ الله عليّ أنه مالي درهم يحاسبني الله عليه .
ثم قال : أغلق الباب ، ولا تأذن لأحدٍ حتى أموت ، وتدفنون كتبي ، واعلم أنني أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثاً غير كسائي ولبيدي وإنائي الذي أتوضأ فيه وكتبي هذه ، فلا تكلفوا الناس مؤونة .

وكان معه صرة فيها نحو ثلاثين درهماً فقال : هذا لابني ، أهداه قريباً له ، ولا أعلم شيئاً أحل لي منه لأن النبي ﷺ قال : « أنت ومالك لأبيك » (٢) ، وقال : « أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه » (٣) ، فكفنتوني منها ، فإن أصبتم لي بعشرة ما يستتر عورتني فلا تشتروا بخمسة عشر ، وابسطوا على جنازتي لبيدي ، وغطوا عليها كسائي ، وأعطوا إنائي مسكيناً .

يا أبا عبد الله ، إن هؤلاء قد كتبوا رأي فلان ، وكتبت أنا الأثر ، فأنا عندهم على غير الطريق ، وهم عندي على غير الطريق .

أصل الفرائض في حرفين : ما قال الله ورسوله : افعلْ فهو فريضة ينبغي أن يفعل ، وما قال الله ورسوله : لا تفعلْ فينبغي أن ينتهي عنه وتركه فريضة ، وهذا في

(١) محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد الطوسي الكندي ، أبو الحسن ، وُلِدَ في حدود الثمانين ومائة ، وكان فصيحاً عالماً زاهداً ، يُشَبِّهه بابن مسعود رضي الله عنه ، وكان شديد التمسك بالأثر ، ويكتم تعبداته في التطوع ، توفي سنة ثنتين وأربعين ومائتين بنيسابور ، ودفن إلى جوار إسحاق بن راهويه . انظر : أبو نعيم ، الحلية ٢٣٨/٩ . والصفدي ، الوافي بالوفيات ٢٤/٢ . والذهبي ، سير النبلاء ١٢/١٩٥ .
(٢) رواه أبو داود في كتاب البيوع والإجازات ، باب في الرجل يأكل من مال ولده ، ح ٣٥٣٠ . السنن ١/٢٠٨ . وابن ماجه في كتاب التجارات ، باب مال الرجل من مال ولده ، ح ٧٦٩/٢ .
(٣) رواه أبو داود في كتاب البيوع والإجازات ، باب في الرجل يأكل من مال ولده ، ح ٣٥٢٩ . السنن ١/٢٠٨ . وابن ماجه في كتاب التجارات ، باب مال الرجل من مال ولده ، ح ٢٢٩٠ . السنن ٢/٧٦٨ - ٧٦٩ .

القرآن ، وفي فريضة النبي ﷺ ، وهم يقرؤونه ولكن لا يتفكرون فيه ، قد غلب عليهم حب الدنيا « (١) .

وصية محمد بن سيرين رحمه الله تعالى (٢)

١٥٤ - قال ابن عون : « كانت وصية ابن سيرين :

ذكر ما أوصى به محمد بن أبي عمرة بنيه وأهله : أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم ، وأن يطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين ، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنه ويعقوب « يا بني إن الله اصطفى لكم الذي فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » (٣) ، وأوصاهم ألا يدعوا أن يكونوا إخوان الأنصار ومواليهم في الدين ، فإن العفاف والصدق خير وأبقى وأكرم من الزنا والكذب « (٤) .

وصية محمد بن واسع رحمه الله تعالى (٥)

١٥٥ - روى أبو نعيم أنه « لما ثقل محمد بن واسع كثر الناس عليه في العيادة .

(١) أبو نعيم ، حلية الأولياء ٢٤١/٩ - ٢٤٢ . والذهبي - واللفظ له - ، سير أعلام النبلاء ٢٠٠/١٢ . وانظر التعليق على الرصية ص ٣٣١ من هذه الرسالة .

(٢) محمد بن سيرين ، أبوبكر ، والده من سبي عين التمر ، ومولى لأنس بن مالك رضي الله عنه ، ثقة فقيه كثير العلم ، ذا خشوع وسمت ، حسن المعرفة بالفرائض والقضاء والحساب ، وكان إذا مدح في فتياه وقيل له : ما كانت الصحابة تحسن أكثر من هذا ؛ قال : والله لو أردنا فقهم لما أدركته عقولنا . توفي سنة ١١٠ هـ ، وعمره نيف وثمانون سنة . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٩٣/٧ . وأحمد ، الزهد ٣٠٦ . وابن قتيبة ، المعارف ٤٤٢ . والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٣٣١/٥ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٦٠٦/٤ . والشعراني ، طبقات الصوفية ٣٦/١ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٣٢ .

(٤) طبقات ابن سعد ٢٠٥/٧ . و سير أعلام النبلاء ٦٢٠/٤ - ٦٢١ .

(٥) محمد بن واسع بن جابر بن الأحنس ، أبوبكر الأزدي البصري ، ما كان يُقدّم عليه أحد في زمانه في زهده وعبادته ، وكان يأبى ولايات السلاطين ، توفي سنة ١٢٠ ، وقيل سنة ١٢٣ هـ . انظر : خليفة ، الطبقات ٢١٥ . وابن قتيبة ، المعارف ٤٧٧ . وأبو نعيم ، حلية الأولياء ٣٤٥/٢ . والصفدي =

قال : فدخلت فإذا قوم قيام ، وآخرون تعود . قال : فأقبل عليّ فقال : أخبرني ما يغني هؤلاء عني إذا أخذ بناصيتي وقدمي غداً وألقيت في النار ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾ « (١) .

وصية مسعر بن كدام رحمه الله تعالى (٢)

١٥٦ - قال يحيى بن آدم : « لما حضرت مسعراً الوفاة دخل عليه سفيان الثوري فوجده جزعاً ، فقال له : لم تجزع ؟ فوالله لو ددت أني ميت الساعة . فقال مسعر : أقعدوني . فأعاد عليه سفيان الكلام . فقال - أي مسعر - : إنك إذا لوائق بعملك يا سفيان ، لكنتي والله لكأني على شاق جبل لا أدري أين أهبط . فبكى سفيان فقال : أنت أخوف لله عزوجلّ مني » (٣) .

وصية مطرف بن عبد الله الشخّير رحمه الله تعالى (٤)

١٥٧ - عن درة - مولاة مطرف « أن مطرفاً كان يجمع من الرحيل ، قالت : فأخذه اليُسْر - واليُسْر احتباس البول - . فقال : ادعوا ابني ، فدعوه ، فقرأ عليه آية

= الوافي بالوفيات ٢٧٢/٥ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١٩/٦ .

(١) حلية الأولياء ٣٤٨/٢ . والآية في سورة الرحمن ورقمها ٤١ .

(٢) مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة الهلالي ، أبوسلمة ، كان عالماً ثقة زاهداً ، يجتهد في إخفاء عمله ، وكان يخدم أمه ويقول : لولا أنني ما فارقت المسجد ، توفي بالكوفة سنة ١٥٥ هـ . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٦٤/٦ ، وابن قتيبة ، المعارف ٤٨١ . وحلية الأولياء ٢٠٩/٧ . وسير أعلام النبلاء ١٦٣/٧ . وابن حجر ، التهذيب ١١٣/١٠ . والشعراني ، طبقات الصوفية ٥٧/٨ .

(٣) حلية الأولياء ٢١٢/٧ . وطبقات الشعراني ٥٨/١ .

(٤) مطرف بن عبد الله بن الشخّير بن عوف بن كعب ، أبو عبد الله ، من بني الحرّيش بن كعب بن ربيعة العامري البصري ، كان عمره عند وفاة الفاروق رضي الله عنه عشرين سنة ، فكأنه ولد في حياة النبي ﷺ =

الوصية ، ثم قال : « الحق من ريك فلا تكونن من الممترين » (١) .
 قالت : فذهب ابنه فجاءه بالطبيب ، فقال : يا بني ، ما هذا ؟ قال : طبيب .
 فقال له :

أحرّج عليك أن تحملني على رُقية ، أو تعلق عليّ خزرة .
 قال : وقال لبنيه : اذهبوا فاحفروا لي قبري ، فذهبوا فحفروا له ، ثم قال :
 اذهبوا بي إلى قبري ، فذهبوا به إلى قبره ، فدعا فيه ثم ردوه إلى أهله » (٢) .

وصية المغيرة بن حكيم رحمه الله تعالى (٣)

١٥٨ - قال عبدالعزيز بن أبي رواد : « دخلت على المغيرة بن حكيم في مرضه
 الذي مات فيه ، فقلت : أوصني . فقال : اعمل لهذا المضجع » (٤) .

وصية مفضل بن يونس رحمه الله تعالى (٥)

١٥٩ - قال مطير بن الربيع : « كان مفضل بن يونس إذا جاء الليل قال : ذهب

= كان ثقة له فضل وورع وأدب ، ينهى عن الدخول في الفتن أرنج ابن قتيبة وفاته سنة ٨٧ هـ في
 خلافة عبد الملك ، وعند ابن حجر أنها سنة ٩٥ هـ . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٤١/٦ ، وأحمد ، الزهد ٢٣٨ . وابن قتيبة ، المعارف ٤٣٦ .
 وابن عساکر ، تاريخ دمشق ٥٦٣/١٦ . وابن حجر ، التقريب ٢٥٣/٢ .

(١) سورة البقرة آية : ١٤٧ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٤٥/٧ . وتاريخ دمشق ٥٨٣/١٦ .

(٣) المغيرة بن حكيم الصنعاني ، من أبناء فارس ، روى عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما ، وثقه
 ابن معين ، والنسائي ، والعلجلي ، قال ابن حجر : ثقة من الرابعة ، توفي بعد المائة . انظر :

طبقات ابن سعد ٥٤٤/٥ . وخليفة ، الطبقات ٢٨٧ . وأبو نعيم ، حلية الأولياء ١٩٠/٨ . وابن حجر ،
 التهذيب ٢٥٨/١٠ ، والتقريب ٢٦٨/٢ .

(٤) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٣٧ ب . وحلية الأولياء ١٩٤/٨ .

(٥) المفضل بن يونس الجعفي ، أبو يونس الكوفي ، روى عن الأوزاعي ، وروى عنه عبدالله بن المبارك ،
 ثقة ، توفي سنة ١٧٨ هـ في خلافة هارون الرشيد . انظر :

من عمري يوم كامل ، فإذا أصبح قال : ذهبت ليلة كاملة من عمري .
فلما احتضر بكى ، وقال : قد كنت أعلم أن لي من كركمًا عليّ يوماً شديداً علزّه (١) ،
فلا إله إلا الذي قضى الموت على خلقه ، وصيره عدلاً بين عباده ، ثم جعل يقرأ : ﴿ الذي
خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ﴾ (٢) .
ثم تنفس فخرجت نفسه « (٣) .

وصية المهلب بن أبي صفرة رحمه الله تعالى (٥)

١٦٠ - لما حضرت المهلب الوفاة جمع بنيه فقال :

« أوصيكم بتقوى الله وصلته الرحم ، فإن تقوى الله تعقب الجنة ، وإن صلة الرحم
تنسى في الأجل ، وتثري المال ، وتجمع الشمل ، وتكثر العدد ، وتعمّر الدار ، وتعز
الجانب ، وأنهاكم عن معصية الله وقطيعة الرحم ، فإن معصية الله تعقب النار ، وإن
قطيعة الرحم تورث القلّة والذلّة ، وتفرّق الجمع ، وتدع الدار بلاقع (٥) ، وتطمع العدو ،
وتبدي العورة .

= ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٨١/٦ . وابن حبان ، الثقات ١٨٤/٩ . والمزي ، تهذيب الكمال
١٣٦٦/٢ . وابن حجر ، تقريب التهذيب ٥٤٤ .

(١) العَلَز : القلق والكرب عند الموت . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٣٨٠/٥ مادة « عَلَز » .
(٢) سورة الملك آية : ٢ .

(٣) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٤٣ ب - ٤٤ أ .

(٤) المهلب بن أبي صفرة بن ظالم بن سراق العتكي ، البصري ، أبوسعيد ، من أصاغر من ولد قبيل وفاة
النبي ﷺ ، من ثقات الأمراء وشجعانهم ، حمى البصرة من الخوارج ، وكانت له معهم وقائع كثيرة ،
وكي خراسان وبقي فيها حتى توفي سنة ثلاث وثمانين بمرو الروذ . انظر :

طبقات ابن سعد ١٢٩/٧ . وابن قتيبة ، المعارف ٣٩٩ . وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤٣٢/٤ .
وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤٤١/١٧ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٨٣/٤ . والتقريب ٢٨٠/٢ .

(٥) بلاقع أي جرداء خالية ، انظر : الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ٧/٣ مادة « بَلَقَع » .

يا بني ، قومكم قومكم ، إنه ليس لكم فضل عليهم ، بل هم أفضل منكم إذ فضّلوكم وسوّدوكم ، ووطنوا أعقابكم وبلغوا حاجتكم فيما أردتم ، فلهم بذلك حقّ عليكم ، وبلاء عندكم لا تؤدّون شكره ، ولا تقوون بحقه ، فإذا طلبوا فاطلبوهم ، وإذا سألوا فأعطوهم ، وإن لم يسألوا فابتدئوهم ، وإن شتموا فاحتملوا لهم وإن غشوا أبوابكم فلتفتح لهم ، ولا تغلق دونهم .

يا بني ، إني أحب للرجل منكم أن يكون لفعله الفضل على لسانه ، وأكره أن يكون للسانه الفضل على فعله .

يا بني ، اتقوا الجواب وزلة اللسان ، فإني رأيت الرجل تَعَثُرُ قدمه ، فيقوم من زلته ، فينتعش منها سوياً ، ويزلّ لسانه فيويقه ، وتكون فيه هلكته .

يا بني ، إذا غدا عليكم رجلٌ وراح فكفى بذلك مسألة وتذكرة بنفسه .

يا بني ، ثيابكم على غيركم أجمل منها عليكم ، ودوابكم تحت غيركم أجمل منها تحتكم .

يا بني ، أحيوا المعروف وافعلوه ، واکرهوا المنكر واجتنبوه ، وآثروا الجود على البخل ، واصطنعوا العرب وأكرمهم ، فإن العربيّ تعدّه العِدّة فيموت دونك ، ويشكر لك ، فكيف بالصنيعة إذا وصلت إليه في احتمالها وشكرها والوفاء منها لصاحبها .

يا بني ، سوّدوا أكابركم ، وأعزّوا ذوي أسنانكم تعظّموا بذلك ، وارحموا صغيركم وقربوه وأطفوه ، وأجبروا يتيمكم ، وجودوا عليه بما قدرتم ، وخذوا على أيدي سفهائكم ، وتعهّدوا جيرانكم وفقراءكم بما قدرتم عليه ، واصبروا للحقوق ، واحذروا عار عدوكم عليكم في الحرب بالأناة والتؤدة في اللقاء ، وعليكم بالتماس الخديعة في الحرب لعدوكم ، وإياكم والنزق والعجلة ، فإن المكيدة والأناة والخديعة أنفع من الشجاعة . واعلموا أن القتال والمكيدة مع الصبر ، فإذا كان القضاء عند اللقاء فإن ظفر امرؤ وأخذ بالحزم قال العاقل : قد أتى الأمر من وجهه ، وإن لم يظفر قال : ما ضيّع ولا قرط ولكن القضاء غالب ، فالزموا الحزم على أي الحالين وقع الأمر ، والزموا

الطاعة والجماعة ، وإياكم والخلاف وفراق الجماعة ، تواطؤوا ، وتوازروا ، وتواصلوا ، وتعاطفوا ، فإن ذلك ما يثبت المودة ، وتحابوا .

وخذوا فيما أوصيكم به بالجدّ والقيام به تظفروا بدنياكم ما كنتم فيها ، وآخرتكم إذا صرتم إليها ، ولا قوة إلا بالله ، وليكن أوّل ما تبدؤون به أنفسكم إذا أصبحتم ، تعلموا القرآن والسنة والفرائض ، تأدّبوا بأدب الصالحين من قبلكم من سلفكم الصالح ، ولا تقاعدوا أهل الدعارة والرّيبة ، ولا تخالطوهم ، ولا يُطمعنَ في ذلك منكم ، وإياكم والخفّة في مجالسكم وكثرة الكلام ، فإنه لا يسلم منه صاحبه ، وأدوا حقّ الله عليكم ، فإنّي قد أبلغت إليكم الوصية ، واتخذت لله عليكم الحجّة « (١) .

وصية وكيع بن الجراح رحمه الله تعالى (٢)

١٦١ - قال مليح بن وكيع : « لما نزل بأبي الموت أخرج إليّ يده فقال : يا بني ، ترى يدي ؟ ما ضريت بها شيئاً قط » (٣) .

وصية الوليد بن أبان رحمه الله تعالى (٤)

١٦٢ - قال أحمد بن سنان القطان : « كان الوليد الكرابيسي خالي ، فلما

(١) أبوحاتم السجستاني ، المعمرن والوصايا ١٤١ - ١٤٣ .

(٢) وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن قرّس الرّؤاسي الكوفي ، أبوسفیان ، أصله من نيسابور ، ولد سنة تسع وعشرين ومائة ، طلب العلم في الصغر حتى أصبح من بحور العلم وأئمة الحفظ ، عرض عليه الرشيد القضاء فأباه ، توفي سنة ١٩٦ هـ . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٩٤/٦ . وابن قتيبة ، المعارف ٥٠٧ . والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٤٩٦/١٣ . وأبونعيم ، حلية الأولياء ٣٦٨/٨ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٤٠/٩ . وابن حجر ، التقريب ٣٣١/٢ .

(٣) أبونعيم ، حلية الأولياء ٣٧١/٨ .

(٤) الوليد بن أبان الكرابيسي ، أحد المتكلمين في الأصول على مذاهب أهل الحق ، قال داود بن علي الأصبهاني : كان بشر المرّسي يخرج إلى ناحية الزابيين ليغتسل ويتطهّر ، وكان به المذهب ، قال : =

حضرتة الوفاة قال لبيته : تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني ؟ قالوا : لا .

قال : فتتهموني ؟ قالوا : لا .

قال : إن أوصيكم تقبلون ؟ قالوا : نعم .

قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإنني رأيت الحق معهم ، لست أعني

الرؤساء ، ولكن هؤلاء الممزقين ، ألم تر أحدهم يجيء إلى الرئيس منهم فيخطئه

ويهجيه « (١) .

وصية يحيى بن معمر رحمه الله تعالى (٢)

١٦٣ - قال عثمان بن سعيد الزاهد : « لما احتضر يحيى بن معمر بإشبيلية

وأيقن بالموت قال لمولى له كان قد صحبه من أهل الخير : حرّجْتُ عليك بالله العظيم إلا

إذا أنا متُ فاذهب إلى قرطبة ثم قف بيحيى بن يحيى (٣) وقل له : يقول لك يحيى بن

= فمضى وليد الكرابيسي إليه وهو في الماء فقال : مسألة . قال : وأنا على هذا الحال ؟ فقال له : نعم ، فقال : أليس روي عن النبي ﷺ أنه كان يتوضأ بالمدّ ويفتسل بالصاع ، فهذا الذي أنت فيه إيش ؟ قال : إبليس يوسوس لي ويوهمني أنني لم أظهر . قال : فهو الذي وسوس لك حتى قلت : القرآن مخلوق . توفي سنة ٢١٤ هـ . انظر :

الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٤٧١/١٣ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥٤٨/١٠ . وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٢١٠/٢ .

(١) تاريخ بغداد ٤٧٢/١٣ . و سير أعلام النبلاء ٥٤٨/١٠ .

(٢) يحيى بن معمر بن عمران بن منير الألهاني ، من العرب الشاميين ، فقيه إشبيلية وقرطبة ، كان ورعاً زاهداً فاضلاً ، تولى قضاء قرطبة مرتين أيام عبد الرحمن الناصر ، وصلى الاستسقاء سنة ٢١٨ هـ في فترة قضائه الثانية . انظر :

الحشني ، قضاء قرطبة ٤٥ ، ٤٩ . وابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ١٧٨ . وابن حيان القرطبي ، المتببس ٥٤ . والنهاي ، تاريخ قضاء الأندلس ٤٤ .

(٣) يحيى بن يحيى بن كثير بن سلاس ، أبو محمد ، بربري الأصل ، فقيه الأندلس ومفتيها ، كان مالكي المذهب ، عفيفاً عن الولايات ، آيياً للقضاء ، ومع ذلك كان مكيناً عند الأمراء ، وهو الذي نشر المذهب المالكي بالأندلس ، لأن الأمراء كانوا يستشيرونه في القضاة فلا يُشير إلا بمن كان على مذهبه ، توفي سنة ٢٣٤ هـ . انظر :

معمر : « وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون » (١) .

فلما مات يحيى بن معمر أتى مولاه إلى يحيى فبلغه ذلك ، قال : فبكى يحيى حتى أخضل لحيته ثم قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أظنُّ الرجلَ إلا خُدعنا فيه ووُشِيَ بيننا وبينه ، ثم ترخَّم عليه واستغفر له « (٢) .

وصية يحيى بن اليمان رحمه الله تعالى (٣)

١٦٤ - قال الحسن البصري : « كان يحيى بن اليمان يصلي بقومه ، فتعصَّب عليه قوم منهم فقالوا : لا تصلِّ بنا ، لا نرضاك ، وإن تقدمت نحيناك . فجاء بالسيف فسلَّ منه أربع أصابع ثم وضعه في الحراب وقال : لا يدنو مني أحد إلا ملأتُ السيف منه .

فقالوا : بيننا وبينك شريك (٤) .

فقدموه إلى شريك فقالوا : إن هذا كان يصلي بنا وكرهناه .

فقال لهم شريك : من هو ؟

= ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ١٧٩ . وابن خلكان ، وفيات الأعيان ١٤٣/٦ . والذهبي ،

سير أعلام النبلاء ٥١٩/١٠ .

(١) سورة الشعراء آية : ٢٢٧ .

(٢) الخشني ، قضاة قرطبة ٥٠ . وابن حبان القرطبي ، المتتيسر ٥٦ . والنباهي ، تاريخ قضاة الأندلس ٤٥ .

(٣) يحيى بن يمان الكوفي العجلي ، أبوزكريا ، معدود في القراء ، وكان كثير العبادة ، وربما سمَّاه أبوبكر

ابن عياش : الراهب . وكان كثير الحفظ للأحاديث سريعاً ، إلا أنه سريع النسيان ، وأصيب آخر عمره

بالفالج ، قال ابن حجر : صدوق عابد يخطئ كثيراً ، توفي سنة ١٨٩ هـ . انظر :

الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤/١٢٠ . وسير أعلام النبلاء ٣٥٦/٨ . وابن العماد ، شذرات الذهب

٣٢٥/١ . وابن حجر ، التقريب ٥٩٨ .

(٤) شريك بن عبدالله النخعي ، أبو عبدالله ، قاضي واسط ثم الكوفة ، كان عادلاً فاضلاً عابداً شديداً على

أهل البدع ، تغبَّر حفظه منذ ولي قضاء الكوفة . انظر :

المزي ، تهذيب الكمال ١٢/٤٦٢ ، والتقريب ٢٦٦ .

قالوا : يحيى بن اليمان .

فقال : يا أعداء الله ، وهل بالكوفة أحدٌ يشبه يحيى ، لا يصلي بكم أحدٌ غيره .
فلما حضرته الوفاة قال لابنه داود (١) : يا بني ، كاد ديني يذهب مع هؤلاء ، فإن
اضطروا إليك بعدي فلا تصلّ بهم « (٢) .

وصايا يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى (٣)

١٦٥ - قال درست بن زياد القزاز : « لما احتضر يزيد الرقاشي بكى ، فقبل له :
ما يبكيك رحمك الله ؟ قال : أبكي والله على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار .
ثم بكى وقال :

من يصلي لك يا يزيد ؟ ومن يصوم ومن يتقرب لك إلى الله بالأعمال بعدك ؟
ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة ؟!

ويحكم يا إخوانه ، لا تغترن بشبابك ، فكأن قد حلّ بكم ما حلّ بي من عظيم الأمر ،
وشدة كرب الموت ، النجاة النجاة ، الحذر الحذر ، يا إخوانه المبادرة رحمكم الله « (٤) .

١٦٦ - قال حوشب بن عقيل الجرمي : « سمعت يزيد الرقاشي يقول لما حضره

(١) داود بن يحيى بن اليمان ، روى عن أبيه شيئاً سبيراً ، قال وكيع : « لا أعلم أحداً أعلم بالكوفة من
داود » . انظر :

ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ٤٢٨/٣ . وتاريخ بغداد ١٢١/١٤ . وسير أعلام النبلاء ٣٥٧/٨ .

(٢) ابن عدي ، العقد الفريد ٢٣٤/٢ .

(٣) يزيد بن أبان بن عبد الله الرقاشي ، أبو عمر ، روى عن أنس بن مالك ، والحسن البصري ، كان رجلاً
صالحاً واعظاً بكاءً صاحب عبادة ، قال ابن عدي : « وليزيد الرقاشي أحاديث صالحة عن أنس وغيره ،
وترجوا أنه لا بأس به لرواية الثقات عنه » ، ومال ابن حجر إلى أنه زاهد ضعيف . انظر :

ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ٢٥١/٩ . وابن عدي ، الكامل في الضعفاء ٢٧١٢/٧ . والمزي ،

تهذيب الكمال ١٥٢٧/٣ . والذهبي ، ميزان الاعتدال ٤١٨/٤ . وابن حجر ، التقريب ٥٩٩ .

(٤) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٤٢ ب .

الموت : ﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ (١) ، ألا إن الأعمال محفوظة ، والأجور مكتملة ، ولكل ساع ما سعى ، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت .
ثم بكى وقال : يا مَنْ القبر مسكنه ، وبين يدي الله موقفه ، والنار غداً مورده ، ماذا قدمت لنفسك ؟ ماذا أعددت لمصرعك ؟ ماذا أعددت لوقوفك بين يدي ربك ؟ (٢) .

وصية يزيد بن حميد رحمه الله تعالى (٣)

١٦٧ - قال جعفر بن سليمان الضبعي : « دخلنا على أبي التياح الضبعي نعوذ في مرضه الذي مات فيه ، فقال :

« والله إن كان لينبغي للرجل المسلم اليوم أن يزيد ما يرى في الناس من التهاون بأمر الله أن يزيد ذلك لله جداً واجتهاداً ، ثم بكى » (٤) .

وصية يونس بن عبيد رحمه الله تعالى (٥)

١٦٨ - روى المفضل بن غسان عن أبيه قال : « نظر يونس عند موته إلى قدميه فبكى . فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت أنهما لم تغيرا في سبيل الله » (٦) .

(١) سورة آل عمران آية : ١٥٨ .

(٢) المرجع السابق ل ٤٢ ب .

(٣) يزيد بن حميد البصري ، أبوالتياح الضبعي ، صحب أنس بن مالك رضي الله عنه ، ووثقه الأئمة ، مات بسرخس سنة ١٢٨ هـ . انظر :

ابن حبان ، الشقات ٥٣٤/٥ . والمزي ، تهذيب الكمال ١٥٣١/٣ . وابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٢٠/١١ . وابن العماد ، شذرات الذهب ١٧٥/١ .

(٤) ابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٦٥ أ - ب .

(٥) يونس بن عبيد بن دينار العبدي مولاهم ، أبو عبد الله ، من صغار التابعين ، إمام متقن ثقة ورع ، كثير الحديث ، كثير الاستغفار ، مجانباً لأهل الكلام ، ناهياً عن مجالستهم ، توفي سنة ١٣٩ هـ . انظر :

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٦٠/٧ . وأبو نعيم ، حلية الأولياء ١٥/٣ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٨٨/٦ . والشعراني ، طبقات الصوفية ٣٦/١ . وابن العماد ، شذرات الذهب ٢٠٧/١ .

(٦) المحتضرون (خ) ل ٥٢ أ .

وصية أبي هارون الأندلسي رحمه الله تعالى (١)

١٦٨ - قال أبو عقاب غلبون بن الحسن : « لما احتضر - أبوهارون - وضع رأسه في حجري ودموعه تنحدر ، وشفته تتحركان ، فنظر إليّ وأنا أبكي فقال لي : يا أبا عقاب ، لم تمرّ أعمال القوم باطلاً ، نزل كل واحدٍ على ما عمل ، ثم فاضت نفسه » (٢) .

(١) أبوهارون الأندلسي ، كان صالحاً فاضلاً مجتهداً في الدعاء والعبادة ، جاور بالمدينة المنورة إلى أن توفي

بها سنة ٢٩١ هـ ، جوار الحسن بن علي رضي الله عنهما . انظر :

المالكي ، رياض النفوس ١/٥١٦ .

(٢) المرجع السابق ١/٥١٧ .

ملحق

الباب الثاني

وصية داود بن أبي هند رحمه الله تعالى * (١)

١٦٩ - روى حماد بن زيد أن وصية داود رحمه الله كانت :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

هذا ما أوصى به داود بن أبي هند : أوصى بتقوى الله عزوجل ، ولزوم طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، والرضى بقضائه والتسليم لأمره ، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب : ﴿ يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (٢) ، وداود يشهد بما شهد الله عزوجل عليه وملائكته : أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، وبالجنة والنار وبالقدر كله ، على ذلك يحيا وعلى ذلك يموت إن شاء الله تعالى » (٣) .

* حق هذه الوصية أن تكون في صلب الباب بعد وصية « خيشمة بن عبد الرحمن » ص ٢١٨ ، لكن حدث سهو أثناء الطباعة فتم استدراكها في أول هذا الملحق .

(١) داود بن دينار - أبي هند - بن عذافر القشيري - مولاهم - البصري ، أبو بكر ، ويقال أبو محمد ، من أهل سرخس ، ثقة فقيه كثير الحديث ، توفي سنة ١٣٩ هـ . انظر :

ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ٤١١/٣ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٣/٦ . والمزي ، تهذيب الكمال ٤٦١/٨ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٧٦/٦ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٣٢ .

(٣) ابن زبر ، وصايا العلماء عند حضور الموت ٦٢ . و تاريخ دمشق ١١/٦ .

وصية الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى (١)

نصّ مخطوط الوصية (٢) :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه وصية من الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه لأصحابه على مذهب أهل السنة والجماعة لما مرض أبوحنيفة ، قال :

« أعلموا أصحابي وإخواني أن مذهب أهل السنة والجماعة على اثنتي عشرة خصلة ، فمن كان يستقيم على هذه الخصال لا يكون مبتدعاً ولا صاحب هوى ، فعليكم بهذه الخصال حتى تكونوا في شفاعة نبيينا محمد عليه الصلاة والسلام يوم القيامة .

أولها الإيمان وهو إقرار باللسان ، وتصديق بالجنان ، ومعرفة بالقلب والإقرار وحده

(١) هو النعمان بن ثابت بن زوطي ، مولى بني تيم ، فقيه العراق ، وأحد أركان العلم ، وصاحب المذهب ، أدرك عصر الصحابة ، ورأى أنس بن مالك ، ضربه عمر بن هبيرة وسجنه المنصور لأجل القضاء فأباه ، كان زاهداً ووعاً تقياً كريماً حسن الوجه والمنطق ، يعمل في الخز ، قيل إنه أجبر على قضاء الرصافة فبقي فيها ثلاثة أيام ثم اشتكى ستة أيام ثم مات ، وقيل مات رحمه الله في سجن المنصور ، قال الخطيب : « والصحيح أنه توفي وهو في السجن » وذلك سنة ١٥٠ هـ . انظر :

الخطيب ، تاريخ بغداد ٣٢٣/١٣ . وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤٠٥/٥ . والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٩٠/٦ . وابن كثير ، البداية والنهاية ١١٠/١٠ .

(٢) لاحظت على شروح هذه الوصية أن غالبها معنون بـ « شرح الوصية المنسوبة لأبي حنيفة » ، وتظافر معظم الشروح في النص على كلمة « المنسوبة » مشعرين بأن في نسبتها إلى الإمام أبي حنيفة شك ، وبعد قراءة مضمون الوصية وقفت في أولها على أمر يخالف عنوانها هو « عدم زيادة الإيمان ونقصانه » فسألت عنها فضيلة الشيخ « عبدالفتاح أبو غدة » فأجاب بأن هذه الوصية منتحلة على أبي حنيفة لأمرين :

١ - ليس لها سند يتصل بالإمام أبي حنيفة ، ولا يعرف راويها .

٢ - ولأن فيها ما يتنافى المشهور من مذهبه رحمه الله تعالى .

وقد آثرت ذكرها وبيان حالها لأجل الفائدة والمصلحة العلمية إن شاء الله تعالى ، ولم أثبتها في صلب الباب لأنها لا تصلح لذلك لما سبق .

لا يكون إيماناً ، لأنه لو كان إيماناً لكان المنافقون كلهم مؤمنين ، وكذلك المعرفة وحدها لا تكون إيماناً ، لأنها لو كانت إيماناً لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين ، قال الله تعالى في حق المنافقين : ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ (١) ، وقال في حق أهل الكتاب : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ (٢) .

فصل

والإيمان لا يزيد ولا ينقص ، لأنه لا يتصور نقصانه إلا بزيادة الكفر ، ولا يتصور زيادته إلا بنقصان الكفر ، وكيف يجوز أن يكون الشخص الواحد في حالة واحدة مؤمناً وكافراً ؟ والمؤمن مؤمن حقاً ، والكافر كافر حقاً ، والعاصون من أمة محمد عليه الصلاة والسلام كلهم من أهل التوحيد مؤمنون حقاً ، وليسوا بكافرين ، وليس في الإيمان شك ، كما أنه ليس في الكفر شك ، لقوله تعالى : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾ (٣) ، و ﴿ أولئك هم الكافرون حقاً ﴾ (٤) .

فصل

والعمل غير الإيمان ، والإيمان غير العمل ، بدليل أن كثيراً من الأوقات يرتفع العمل عن المؤمن ولا يجوز أن يقال : ارتفع عنه الإيمان ، فإن الحائض يرفع الله سبحانه وتعالى عنها الصلاة ، ولا يجوز أن يقال : رفع عنها الإيمان ، أو أمرها بترك الإيمان ، وقد قال لها الشرع : دعي الصوم ثم اقضيه ، ولا يجوز أن يقال : دعي الإيمان ثم اقضيه ، ويجوز أن يقال : ليس على الفقير زكاة ، ولا يجوز أن يقال : ليس على الفقير [إيمان] ، وتقدير الخير والشر كله من الله سبحانه وتعالى ، لأنه لو زعم أحد أن تقدير الخير والشر من غيره لصار كافراً بالله تعالى .

(١) سورة المنافقون آية : ١ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٤٦ . والأنعام آية : ٢٠ .

(٣) سورة الأنفال آية : ٤ .

(٤) سورة النساء آية : ١٥١ .

فصل

والثاني : نقر بأن الأعمال ثلاثة : فريضة ، وفضيلة ، ومعصية ، فالفريضة بأمر الله تعالى ومشيئته ومحبته ورضاه وقضائه وقدره وتخليقه وحكمه وعلمه وتوفيقه وكتابته في اللوح المحفوظ ، والفضيلة ليست بأمر الله ولكن بمشيئة الله ومحبته ورضاه وقضائه وقدره وحكمه وعلمه وتوفيقه وتخليقه وكتابته في اللوح المحفوظ ، والمعصية ليست بأمر الله تعالى ، ولكن بمشيئته لا بمحبته ، ويقضائه لا برضاه ، ويتقديره لا بتوفيقه ، وبخذلانه وعلمه وكتابته في اللوح المحفوظ .

فصل

والثالث : نقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه ، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج ، فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره ، كالمخلوقين ، ولو صار محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى؟! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فصل

والرابع : نقر بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ووحيه وتنزيله وصفته ، لا هو ولا غيره ، بل هو صفته على التحقيق ، مكتوب في المصاحف مقروء بالألسن ، محفوظ في الصدور ، غير حالّ فيها ، والحبر والكاغد والكتابة مخلوقة لأنها أفعال العباد ، وكلام الله سبحانه وتعالى غير مخلوق ، لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات دلالة القرآن لحاجة العباد إليها ، وكلام الله تعالى قائم بذاته ، ومعناه مفهوم بهذه الأشياء ، فمن قال بأن كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم ، والله سبحانه وتعالى معبود لا يزال عما كان ، وكلامه مقروء مكتوب ومحفوظ من غير مزائلة عنه .

فصل

والخامس : نقر أن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ أبو بكر الصديق ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين ، لقوله تعالى : ﴿ والسابقون

السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم ﴿^(١)﴾ ، وكل من كان أسبق فهو أفضل ،
ويحبهم كل مؤمن تقي ، ويبغضهم كل منافق شقي .

فصل

ونقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق ، فلما كان الفاعل مخلوقاً
فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة .

فصل

والسابع : نقر بأن الله تعالى خلق الخلق ولم يكن لهم طاقة لأنهم ضعفاء عاجزون ،
الله تعالى خالقهم ورازقهم ، لقوله تعالى : ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميئتم ثم
يحيبكم ﴾^(٢) ، والكسب حلال ، وجمع المال من الحلال حلال ، وجمع المال من الحرام
حرام ، والناس على ثلاثة أصناف : المؤمن المخلص في إيمانه ، والكافر الجاحد في كفره ،
والمنافق المداهن في نفاقه ، والله تعالى فرض على المؤمن العمل وعلى الكافر الإيمان ،
وعلى المنافق الإخلاص ، لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾^(٣) ، يعني أيها
المؤمنون أطيعوا ، وأيها الكافرون آمنوا ، وأيها المنافقون أخلصوا .

فصل

والثامن : نقر بأن الاستطاعة مع الفعل ، لا قبل الفعل ولا بعد الفعل ، لأنه لو
كان قبل الفعل لكان العبد مستغنياً عن الله تعالى وقت الحاجة ، وهذا خلاف حكم
النص لقوله تعالى : ﴿ والله الغني وأنتم الفقراء ﴾^(٤) ، ولو كان بعد الفعل لكان من
المحال لأنه حصول بلا استطاعة ولا طاقة .

فصل

والتاسع : ونقر بأن المسح على الخفين واجب للمقيم يوماً وليلة ، وللمسافر ثلاثة

(١) سورة الواقعة الآيات : ١٠ - ١٢ .

(٢) سورة الروم آية : ٤٠ .

(٣) سورة الحج آية : ١ .

(٤) سورة محمد آية : ٣٨ .

أيام ولياليها ، لأن الحديث ورد هكذا فمن أنكره يخشى عليه الكفر ، لأنه قريب من الخبر المتواتر ، والقصر والإفطار في السفر رخصة بنص الكتاب لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ (١) ، وفي الإفطار قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (٢) .

فصل

والعاشر : نقرأ بأن الله تعالى أمر القلم بأن يكتب فقال القلم : ماذا أكتب يارب ، فقال الله تعالى : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة (٣) ، لقوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزَّيْرِ ﴾ * وكل صغير وكبير مستطر ﴿ (٤) .

فصل

والحادي عشر : نقرأ بأن عذاب القبر كائن لا محالة وسؤال منكر ونكير حق ، لورود الأحاديث ، والجنة والنار حق وهما مخلوقتان بأهلتهما ، لقوله تعالى في حق المؤمنين : ﴿ أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٥) ، وفي حق الكفرة : ﴿ أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٦) ، خلقهما الله تعالى للشواب والعقاب ، والميزان حق لقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٧) ، وقراءة الكتب حق لقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (٨) .

(١) سورة النساء آية : ١٠١ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٤ .

(٤) سورة القمر الآيتان : ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) انظر وصية عبادة رضي الله عنه رقم ٥١ ، ص ١٧٧ - ١٧٨ من هذه الرسالة .

(٥) سورة آل عمران آية : ١٣٣ .

(٦) سورة البقرة آية : ٢٤ ، وآل عمران آية : ١٣١ .

(٧) سورة الأنبياء آية : ٤٧ .

(٨) سورة الإسراء آية : ١٤ .

فصل

والثاني عشر : نقرّ بأن الله تعالى يحيي هذه النفوس بعد الموت ، ويبعثها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة للجزاء والثواب وأداء الحقوق ، لقوله تعالى : ﴿ وأن الله يبعث من في القبور ﴾ (١) ، ولقاء الله تعالى لأهل الجنة حق بلا كيفية ولا تشبيه ولا جهة ، وشفاعة نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام حق لكل من هو من أهل الجنة وإن كان صاحب الكبيرة ، وعائشة رضي الله عنها بعد خديجة الكبرى أفضل نساء العالمين ، وأم المؤمنين ، ومطهّرة من الزنا ، بريئة عمّا قالت الروافض ، فمن شهد عليها بالزنا فهو ولد الزنا ، وأهل الجنة في الجنة خالدون ، وأهل النار في النار خالدون ، لقوله تعالى في حق المؤمنين : ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ (٢) ، وفي حق الكفار : ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٣) .

تمت الوصية بحمد الله وعونه

(١) سورة الحج آية : ٧ .

(٢) سورة البقرة آية : ٨٢ ، ومواضع أخرى .

(٣) سورة البقرة آية : ٣٩ ، ومواضع أخرى .

وصية حكيم أنصاري

قال عبدالرحمن بن جوشن الغطفاني :

« حضر رجلاً من الأنصار الموت فدعا ابنه فقال : يا بُني ، إني موصيك بوصية ، إن لم تحفظها عني كنت خليقاً أن لا تحفظها عن غيري ، اتق الله ، وإن استطعت أن تكون اليوم خيراً منك أمس ، وغداً خيراً منك اليوم فافعل ، وإذا عثر عاثر من بني آدم فاحمد الله أن لا تكونه ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر ، وعليك باليأس فإنك لن تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه ، وإياك وما يعتذر منه فإنه لا يعتذر من خير ، وإذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع وأنت لا ترى أنك تصلي بعدها أبداً » (١) .

(١) البيهقي ، الأمالي ١٤٢ . وأبو حاتم السجستاني ، العمرون والوصايا ١٦٢ . وابن أبي الدنيا ، المحتضرون (خ) ل ٦٧ أ - ب . وابن عبد ربه ، العقد الفريد ١٥٣/٣ . وهذه الوصية رواها ابن زبير في وصاياه [ص ٥٠ - ٥١] منسوبة إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند احتضاره ، ورواها ابن عساكر في تاريخه [٤٣/٩] عن أبي مسلم الخولاني وليست عند احتضاره ، وقد تضافرت الروايات عند البيهقي والسجستاني وابن أبي الدنيا وابن عبد ربه على أنها لرجل من الأنصار ، وهذا يرجح أنها ليست لابن مسعود رضي الله عنه ، ويضاف إلى ذلك أن رواية ابن زبير منقطعة الإسناد وفي رجالها ضعف [انظر : وصايا ابن زبير ص ٥١] هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن رواية السجستاني فيها أنه أنصاري شامي ، ونسبها بصيغة محتملة إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه . ونظراً لعدم الجزم بقائلها ، ولأنها منسوبة إلى عهد الصحابة فقد أثبتتها هنا في الملحق ولم أثبتها في صلب الباب .

الباب الثالث

الدراسة التحليلية الاستنباطية

لوصايا العلماء المحتضرين

الفصل الأول

الدروس والمناهج المستفادة من الوصايا

المبحث الأول

الدروس الدعوية المستفادة من الوصايا

الدروس الدعوية المستفادة من الوصايا

إن الوصايا عند الاحتضار تقدم خلاصة تجارب مرّ بها العلماء طيلة حياتهم الدعوية ، عرفوا من خلالها ضرورات الدعوة ومستلزماتها ، وأبرز ما يجب على الداعية أن يتحلّى به ، أو يراعيه ويسير عليه أثناء عمله في الدعوة إلى الإسلام .

ومن خلال استعراض وصايا العلماء عند احتضارهم ، استطعت الوقوف على جُملةٍ من الدروس ، تهتمُّ الداعية ، وذات أثرٍ على العملية الدعوية ، فأبرزتها ، وتحديث عنها بشيء من التفصيل متعرضاً لتعريف ما يلزم منها ، وبيان أهميتها في مجال الدعوة الإسلامية ، مع ذكر نماذج من الوصايا المتعلقة بكل درس ، وربما كان بعض تلك الدروس مرتبطاً أو متعلقاً بدرس تقدمه فلا أجد ضيراً في إفراد الحديث عنه إذا كانت الوصايا قد نوهت إليه بغزارة وتركيز .

وفيما يلي استعراض لتلك الدروس الدعوية المستفادة من وصايا العلماء عند احتضارهم إن شاء الله تعالى .

التقوى

أصل التقوى في اللغة : الحفظ والصون عن الأذى (١) ، ومنه الحديث الشريف :
 « من استطاع منكم أن يقي وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل » (٢) .
 والتقوى في عرف الشرع تعني فعل الطاعات ، واجتناب المناهي والمحظورات (٣) ،
 ومن هنا فالتقوي - كما قال القرطبي - « الذي يتقي بصالح عمله ، وخالص دعائه عذاب
 الله تعالى ، مأخوذ من اتقاء المكروه بما يجعله حاجزاً بينك وبينه ، كما قال النابغة :
 سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد (٤)
 إذا فالتقوى مرتكز هام في حياة المسلم والداعية بخاصة ، إذ إنها توجه تصرفاته
 وتحميها من الانحراف ، ولذا فلا عجب من اهتمام العلماء بها في وصاياهم
 عند احتضارهم ، إذ جاءت في معظمها مصدرة بها أو في ثناياها ، بل وصفها أحدهم
 بأنها : « أحسن كهف ، وأزين حلية » (٥) .
 وقد جاءت الوصايا حائئة على التقوى على نحو عام كما في وصية عبد الله بن
 عبد الرحمن الأنصاري حيث قال : « يا بني ، اتقوا الله ، فإنكم إن اتقيتم الله فأنتم

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٤٠١/١٥ ، مادة « رَقِيَ » .

(٢) رواه الترمذي ، أبواب صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص ، ح ٢٥٢٩ ، انظر : تحفة
 الأحرادي ٩٩/٧ .

(٣) انظر : الرازي ، التفسير الكبير ١٦٩/٥ . والمحاسبي ، الوصايا ٦٥ ، وابن رجب ، جامع العلوم
 والحكم ١٤٨ .

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١٦١/١ ، والبيت للنابغة الذبياني [الديوان ١٠٧] من قصيدة أولها :

أمن آل مية رائح أو مفتد عجلان ذا زاد وغيسر مزود

(٥) انظر وصية عبد الملك بن مروان رقم ١٣٠ ص ٢٣١ في الباب الثاني من هذه الرسالة .

مني على الصدر والنحر ، وإن لم تتقوا لم أبال ما صنع الله بكم «^(١) ، ووصية عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وقيس بن عاصم رضي الله عنهم^(٢) ، حيث صدروا وصاياهم بها ثم أتبعوها بقضايا من أمور المعاش أو المعاد قد تكون أثراً من آثارها ، وسار على نهجهم عددٌ من التابعين في وصاياهم عند الاحتضار .

وقد تأتي الوصية بتقوى الله تعالى مقرونة بأمر هو مقتضى من مقتضياتها أو ثمرة تنتج من التمسك بها ، أو أمر تُعين عليه .

فالنبي ﷺ قرن وصيته لفاطمة رضي الله عنها عند احتضاره بالحث على الصبر إذ قال عليه الصلاة والسلام لها : « ... وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقي الله واصبري فإني أنا نعم السلف لك »^(٣) ، فالتقوى هنا معينة على الصبر وممانعة من الجزع والنواح .

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قرن التقوى في وصيته لعمر رضي الله عنه بتوليه أمر الناس بعده فقال : « اتق الله يا عمر إن وكَّيت على الناس غداً »^(٤) ، ومن أهم مقتضيات الولاية وتسلم مقاليد الخلافة العدل ، ولا يمكن تحقيقه بصورة صحيحة إذا لم تصاحبه التقوى ، بل إذا لم يكن صادراً عنها .

وجاءت وصية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه متحدثة عن ثمرة من ثمار التقوى فعندما أغمي عليه ساعة احتضاره ثم أفاق قال لمن حضر من أهله : « اتقوا الله ، فإن الله يقي من اتقاه ، ولاواقي لمن لا يتقي الله »^(٥) ، فمن ثمرات التقوى حفظ الله تعالى للمتقي في الدنيا وفي الآخرة بسلامته من النار ودخوله الجنة . وقد صرح بهذه

(١) انظر الوصية رقم ١٢٥ ص ٢٢٦ من هذه الرسالة .

(٢) وصاياهم في الباب الثاني من هذه الرسالة وأرقامها على الترتيب السابق ١٩ ، ٣١ ، ٦٤ .

(٣) انظر الوصية رقم ٩ ص ١٤٣ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٠ ص ١٤٥ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ٧٥ ص ١٩٨ من هذه الرسالة .

الشمرة المهلب بن أبي صفرة رحمة الله عليه حيث قال لبيته : « أوصيكم بتقوى الله ... فإن تقوى الله تعقب الجنة »^(١)، ثم حذر من المعاصي المؤدية إلى غضب الله تعالى وسخطه فقال : « وأنهاكم عن معصية الله ... فإن معصية الله تعقب النار »^(٢)، وأكد ذلك الإمام الشافعي رحمه الله في وصيته لتلميذه إسماعيل بن يحيى المزني إذ قال : « واستعد بالله من النار بالتقوى »^(٣).

أما أبو العتاهية رحمه الله تعالى فقرر بعد حديثه عن طول عمره ثم ما آل إليه وأشفى عليه قَرَّرَ أن التقوى هي الزاد الأهم للإنسان ، حيث قال^(٤) :

أُذِنَ حَيَّ تَسْمَعِي	اسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي
أَنَا رَهْنٌ بِمُضْجَعِي	فاحذري مثل مصرعي
عَشْتُ تَسْعِينَ حِجَّةً	ثُمَّ وافيتُ مضجعي
ليس شيء سوى التقى	فخذي منه أو دعي

ولعله اقتبس ذلك من قوله تعالى : ﴿ وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى ﴾^(٥).

والعلماء في اهتمامهم بالتقوى تأثروا بالمنهج القرآني والنبوي ، فالله تعالى - نظراً لأهمية التقوى البالغة - أوصى بها الأولين والآخرين حيث قال : ﴿ ولقد وصّينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾^(٦)، وكان النبي ﷺ يرددها في كافة خطبه ، ونذر أن تأتي وصية لوفد أو سرية خالية من الحث على التقوى ، قال بُرَيْدَةُ الأَسْلَمِي رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً »^(٧).

(١) ٢٠٠١) انظر الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٣ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٥١ ص ٢٤٧ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١٠٤ ص ٢١٦ من هذه الرسالة .

(٤) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

(٥) سورة النساء آية : ١٣١ .

(٦) انظر تخريج الحديث ص ١٠٧ حاشية رقم (١) من هذه الرسالة .

والتقوى بالنسبة للداعية على وجه الخصوص نورٌ يكشف له الشبهات ، ويزيل الوسواس ويثبت أقدامه على الدرب الشاق الطويل ، ذلك أن التقوى – وهي عنوان الهداية – لاتأتي عفواً ولا ارتجالاً ، بل تحتاج إلى همة وعزم ومجاهدة ، قال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ (١) .

وتضمنت وصايا العلماء عدداً من عوامل اكتساب التقوى ، فعمر بن عتبة رحمه الله في وصيته – غير المباشرة – ألمح إلى أحدها وهو مدافعة الهوى وتقديم طاعة الله تعالى حيث قال لرفيقه لما حضرته الوفاة : « نزل بي الموت ولم أتأهب له ، اللهم إنك تعلم أنه ماسنح لي أمران لك في أحدهما رضاً ولي في الآخر هوى إلا آثرت رضاك على هواي » (٢) .

ونبه عبادة بن الصامت رضي الله عنه إلى سببين لاكتساب التقوى هما :

أ – عبادة الله تعالى وحده . ب – الإيمان بالقدر خيره وشره .

وذلك في قوله لابنه الوليد : « يابُنِّي اتق الله ، واعلم أنك لن تتقي الله عز وجل ولن تبلغ العلم حتى تعبد الله عز وجل وحده ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » (٣) .

وعوم الطاعات التي أمرنا بها أو نُدبنا إليها عوامل مساعدة لاكتساب التقوى وتميئتها في نفس المسلم ، وقد حوت وصايا العلماء المحتضرين أبرزها وأهمها فقد ذكّرت بالأركان الخمسة ، وصلة الرحم ، وإتيان النوافل ، مصاحبة ذلك بالتحذير من أسباب غضب الله تعالى وموجبات سخطه كالكذب والقطيعة ، والانهماك في غمرات الدنيا ونحوها مما يضعف الصلة بالله تعالى ويبعد العبد عن الجادة (٤) .

(١) سورة العنكبوت آية : ٦٩ .

(٢) انظر تخريج الوصية رقم ١٤٤ ص ٢٤١ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ٥١ ص ١٧٧ من هذه الرسالة .

(٤) انظر على سبيل المثال وصية أبي عبيدة رقم ٣٥ ص ١٦٤ ومعاذ رقم ٦٩ ص ١٩٢ وعنبسة بن

أبي سفيان رقم ١٤٦ ص ٢٤٣ والشافعي رقم ١٥١ ص ٢٤٦ من هذه الرسالة .

التمسك بالحق

إن قول الحق والتمسك به والثبات عليه يتطلب من الداعية أن يكون على يقين ثابت بالحق الذي يحمله ، ويحتاج إلى توضيحات جسيمة في سبيله ، لأن الحق ثقيل ويصعب على كثير من الناس قبوله ، ولذا أشار أبو بكر رضي الله عنه إلى أن ثقل الحق سبباً لثقل الميزان يوم القيامة ، قال في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : « وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً »^(١) ، وثقل الحق ومشقته تؤدي إلى تمحيص الناس ، فلا يمكن لأحد أن يقوم به ، ويثبت عليه إلا إذا كان مخلصاً صادقاً ، قال تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون » ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿ (٢) .

والوقوف مع الحق والتمسك به يجعل صاحبه في مواجهة الناس ضعاف الإيمان فضلاً عن المعادين لدعوة الحق ابتداءً ، فيكثرون عليه اللوم والتقريع ، ويتعرضون له بصنوف من الشبهات والأحابيل رغبةً في تلبيس الحق عليه وتشكيكه فيه ، ومن هنا أمر علي بن أبي طالب ولديه الحسن والحسين بقول الحق وتحمّل تبعاته وقال لهما : « وقولا الحق ... وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم »^(٣) ، وعمر بن عبد العزيز لما قام بالحق والتزم به كان أول من ناوأه أقاربه ، وحاولوا ثنيه عن عزمه بشتى الطرق ، ثم عندما أيسوا منه دسّوا له السم ليستريحوا منه^(٤) ،

(١) انظر الوصية رقم ١٠ ص ١٤٥ من هذه الرسالة .

(٢) سورة العنكبوت الآيتان : ٢ ، ٣ .

(٣) انظر الوصية رقم ٣١ ص ١٦٢ من هذه الرسالة .

(٤) انظر : ابن عساکر ، تاريخ دمشق ٢٤٩/١٦ برواية مجاهد ، ابن الجوزي ، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ٣١٧ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٣٩/٥ - ١٤٠ ، والكتبي ، فوات أوفيات ١٣٤/٢ ، ومصادر أخرى .

ولم يسلم - حتى حين وفاته - من تأنيب ابن عمه مسلمة بن عبد الملك ، فقد ذكر ابن عبد ربه أنه - أي مسلمة - « دخل على عمر بن عبد العزيز في المرضة التي مات فيها فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال ، وتركتهم عالة ، ولأبدٌ لهم من شيء يصلحهم ، فلو أوصيتَ بهم إليّ أو إلى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤنتهم إن شاء الله . فقال عمر : أجلسوني ، فأجلسوه . فقال : الحمد لله ، أبالفقر تخوفني يا مسلمة ، أما ما ذكرت أني فطمتُ أفواه ولدي عن هذا المال وتركتهم عالة : فإنني لم أمنعهم حقاً هو لهم ، ولم أعطهم حقاً هو لغيرهم » (١) ، ثم دعا بنيه وقال لهم : « يا بني ، إنني مثلتُ رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار ، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول أبيكم يوماً واحداً في النار » (٢) ، ودخول النار إنما يأتي من ترك الحق والعدول عنه ، وما كان عمر على تقواه وورعه وزهده ليفعل ذلك وإن كان المتضرر من ذلك - ظاهراً - بنيه وهم أقرب الناس إليه وأعزهم عليه .

ولسَيَقِ علم الله تعالى بموقف غالب الناس من الحق وأهله ؛ أمر سبحانه نبيه الكريم ﷺ بالتمسك به والثبات عليه في قوله تعالى : ﴿ فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم ﴾ (٣) ، لأن مواقفهم تؤثر على قلب الداعية وهو - بأصل خلقته - عرضة للتقلب ولذا كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » (٤) ، ومن العوامل المساعدة على التمسك بالحق والثبات عليه والتي

(١) ، ٢ . انظر الوصية رقم ١٤٠ ص ٢٣٩ من هذه الرسالة .

(٣) سورة الزخرف آية : ٤٣ .

(٤) رواه الترمذي في كتاب القدر ، باب ماجاء أن القلوب بين أصبهي الرحمن ، ح ٢٢٢٦ ، انظر : تحفة الأحوذى ٣٤٩/٦ . وابن ماجه في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ، ح ١٩٩ ، انظر السنن ٧٢/١ ، والإمام أحمد في مسنده ١١٢/٣ ، ١٨٢/٤ ، ومواطن أخرى .

تحدثت عنها بعض وصايا العلماء المحترمين :

أ - الاكثار من قراءة القرآن وذكر الله تعالى ، فقد أوصى الإمام الشافعي بالاكثار من قراءة القرآن الكريم ^(١) ، وحث المهلب بن أبي صفرة بنيه على تعلم القرآن الكريم ^(٢) ، والقرآن خير معين على المضي في الحق والشبات عليه ، وأوصى عبادة بن الصامت رضي الله عنه بالصلاة والاستغفار فقال : « فإذا خرجتُ نفسي فتوضؤوا فأحسنوا الوضوء ، ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجداً فيصلي ثم يستغفر لعبادة ولنفسه فإن الله عز وجل قال : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ ^(٣) ، وهما - أي الصلاة والاستغفار - كما يعينان على الصبر على المصيبة ؛ فإنهما يساعدان في الصبر على الحق والشبات عليه ، وقد أوصى - كذلك - بالاستغفار شقيق بن ثور رحمه الله فقال - بعد نهى أهله عن البكاء والنواح - : « وأكثروا من الاستغفار » ^(٤) ، والصلاة والاستغفار وقراءة القرآن وسائر العبادات المشروعة من أشكال ذكر الله تعالى المؤدي إلى طمأنينة القلوب ومن ثم إلى التمسك بالحق ، قال تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ ^(٥) .

ب - انتقاء الصحبة الصالحة والاستعانة بهم ، ومن أوصى بذلك عند احتضاره عمر بن الخطاب رضي الله عنه ^(٦) ، فالصالحون لا يرشدون إخوانهم إلا إلى خير ، ولا يحذرون إلا من شرٍ أو مكروه ^(٧) .

(١) انظر الوصية رقم ١٥١ ص ٢٤٧ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٥ من هذه الرسالة .

(٣) سورة البقرة آية : ٤٥ ، وانظر الوصية رقم ٥٠ ص ١٧٧ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١١٨ ص ٢٢٢ من هذه الرسالة .

(٥) سورة الرعد آية : ٢٨ .

(٦) انظر الوصية رقم ٢٢ ص ١٥٦ من هذه الرسالة .

(٧) ذكرت هذه الفقرة على أنها إحدى الدروس الدعوية للوصايا ، انظر ص ٢٩٩ من هذه الرسالة .

ج - مجانية مواطن الفساد وأهله ، جاء ذلك في وصية المهلب بن أبي صفرة لبنيه حيث قال لهم : « ... ولاتقاعدوا أهل الدعارة والريبة ، ولا تخالطوهم ، ولا يُطمعنَ في ذلك منكم »^(١) ، لأنهم بعيدون عن الحق فيثبطون الهمم ولا يدلون على الخير ، بل ويزينون الباطل ويدعون إليه ، فالبعد عنهم من أسباب السلامة والثبات - أيضاً - على الحق .

وأختم الحديث عن التمسك بالحق بقول سيد قطب رحمه الله : « إن الإيمان ليس كلمة تقال ، إنما هو حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة ذات أعباء وجهاد يحتاج إلى صبر ، وجهد يحتاج إلى احتمال فلا يكفي أن يقول الناس : آمناً ، وهم لا يتركون لهذه الدعوى ، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ، ويخرجوا منها صافية عناصرهم ، خالصة قلوبهم ، كما تفتن النار الذهب »^(٢) .

(١) انظر الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٥ من هذه الرسالة .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ٥ / ٢٢٧ .

تجنّب البدع والتحذير منها

البدع في عرف الشرع : « ما أُخِذَ وليس له أصل في الشرع » (١) ، فكل عمل إضافي يُنسب إلى الشريعة بلا دليل يعتمد عليه بدعة أياً كانت نية الفاعل ، فقد روي عن سعيد بن المسيّب « أنه نظر إلى رجل صلى بعد النداء من صلاة الصبح ، فأكثر الصلاة فحصبه ثم قال : « إذا لم يكن أحدكم يعلم فليسأل ، إنه لا صلاة بعد النداء إلا ركعتين ، فانصرف فقال : يا أبا محمد ، أتخشى أن يعذبني الله بكثرة الصلاة ؟ قال : بل أخشى أن يعذبك بترك السنة » (٢) .

وإذا تأملنا في وصايا العلماء عند احتضارهم نجد أنهم نهوا عن البدع وحذروا منها ، ومن تلك البدع التي أوصى العلماء بالبعد عنها وتجنبها ما يلي :

أ - اتخاذ الصور وتعظيمها ، وهي بدعة كانت سبب ظهور الشرك وعبادة غير الله تعالى ، فلما كانت البعثة النبوية قام النبي ﷺ بمحاربة الصور والنهي عنها وطمس ما وقع تحت يده منها ، وعندما حضرته الوفاة جرى على لسان أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ذِكرُ كنائس الحبشة وما فيها من تصاوير متعجبة من حُسنها ، فرقع النبي ﷺ رأسه - رغم الوعك الشديد الذي يعانيه - وقال : « أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصورة ، أولئك شرار الخلق عند الله » (٣) ، فكان النبي ﷺ خشي أن تسري بدعتهم تلك إلى أمتة فتقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة ، فشدّد النهي عنها والتحذير منها في لحظاته الأخيرة ، ووصف فاعليها بأنهم

(١) ابن حجر ، فتح الباري ١٣/٢٥٣ .

(٢) الخطيب البغدادي ، النقبه والمتفق ١٤٧/١ .

(٣) انظر تخريجه في الوصية رقم ٣ ص ١٤٠ من هذه الرسالة .

« شرار الخلق عند الله » من شناعة عملهم وسوء عاقبته .

ب - اتخاذ القبور مساجد ، وهي أيضاً بدعة وقعت من الأمم السابقة جرّت كثيراً منهم إلى تلك القبور وركنوا إليها حتى إذا تقادم عليهم العهد اتخذوها معابد ونسوا عبادة الله تعالى ، ومن هنا حذّر النبي ﷺ من صنيع اليهود والنصارى ذاك فقال : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »^(١) ، واللعن يعني الطرد والإبعاد من رحمة الله ، ومتخذوا القبور مساجد يستحقونه لأنهم يحثون الخطي - بفعلهم ذلك - للخروج من الإيمان والتردي في هاوية الكفر ، وإنما كان إرسال الرسل لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، لكن بلاهة بعض العقول مع استخفاف الشيطان بهم وتحسينه أعمالهم في نظرهم جعلهم يعبدون قبور الأنبياء - حملة النور والهدى - عوضاً عن عبادة الله تعالى .

ج - إسبال الإزار ، وهو علامة من علائم الكبرياء التي حذر منها رسول الله ﷺ وعاقب الله عز وجل بعض من فعل ذلك في الدنيا بالخسف به^(٢) .

وقد نهى النبي ﷺ عن الإسبال مراراً كثيرة^(٣) ، فعمل الصحابة بنهيه مطبقين ذلك على أنفسهم ، وأمروا به غيرهم ، فعمروا بن الخطاب رضي الله عنه لم يغفل عن هذا الأمر بعد مطعنه - وهو يقاسي الآلام المبرحة - ولم ينس التحذير منه ، حيث جاءه شاب على تلك الحال فبشره بالخير وعدّد بعض حسناته ومناقبه ثم انصرف ، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض فدعا عمر رضي الله عنه وقال : « يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك ، وأتقى لربك »^(٤) .

(١) انظر تخريجه في الوصية رقم ١ ص ١٣٩ من هذه الرسالة .

(٢) روى البخاري في كتاب اللباس باب من جر ثوبه من الخيلاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « بينما رجل يمشي في حلة تُعجبه نفسه ، مُرَجَلٌ جُمْتَهُ ، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة » [فتح الباري ١٠/٢٥٨ ح ٥٧٨٩] .

(٣) روى البخاري في كتاب اللباس ، باب ما أسفل من الكعبين من النار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار » [فتح الباري ١٠/٢٥٦ ح ٥٨٨٧] ، وروى في الكتاب نفسه ، باب من جر ثوبه من الخيلاء ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « من جر ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة » [فتح الباري ١٠/٢٥٨ ح ٥٧٩١] ، ونقل ابن حجر اتفاق العلماء على تحريم إسبال الإزار للخيلاء ، ثم ذكر اختلاف العلماء في حكم المسبل لقبير الخيلاء وأن أدنى ما قيل فيه الكراهة ، وختم بقوله : « وحاصله أن الإسبال يستلزم جر الثوب ، وجر الثوب يستلزم الخيلاء ولو لم يقصد اللباس الخيلاء » . انظر : فتح الباري ١٠/٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٤) انظر الوصية رقم ٢٣ ص ١٥٦ من هذه الرسالة .

د - التداوي بالرقى والتمايم ، فكثير من عامة الناس يعتقدون جدوى الرقى والتمايم وأن لها سبباً في الشفاء أو دفع المكروه وجلب الخير ، ولذا اهتموا بها فتعددت أشكالها وتنوعت أصنافها ، فلما جاء الإسلام نهى عن الرقى والتمايم التي فيها شرك (١) .
وجاءت الوصية محذرة من الرقى والتمايم التي فيها شرك عند مطرف بن عبد الله الشخير ، إذ قال رحمه الله تعالى في مرض موته لابنه حين أحضر الطبيب : « أخرج عليك أن تحملني على رقية ، أو تعلق علي خرزة » (٢) .
هـ - علم الكلام ، وهو من العلوم التي شاعت عند الإغريق والفرس ، ويعتمد على أسس جدلية وفلسفية ، وكل من اشتغل به عرف بالجدل وكثرة اللجاج .
وكان انفتاح المسلمين على الأمم الأخرى ، وتوسع حركة الترجمة من الأسباب الرئيسة لانتشاره بين المسلمين حيث ترجمت كتبه إلى العربية وانتشرت في أيدي الناس ، ونتج عنه مشكلات عديدة أبرزها القول بخلق القرآن الذي تمخض عن فتنة واسعة ابتلى فيها عدد من العلماء ومات فيها بعضهم الآخر (٣) .
ولا أحد أعلم بمساوي علم الكلام ممن تعلمه ثم شرح الله صدره وأخذ بيده إلى جادة الحق ، وهؤلاء كانوا أكثر الناس تحذيراً منه ومقاومة له ، ومنهم الوليد بن أبان رحمه الله الذي تصدى لهم في حياته ، ولما حضرته الوفاة أوصى بنيه بتجنبه وملازمة أهل الحديث ، فقد روى أحمد بن سنان قال : « كان الوليد الكرابيسي خالي ، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه : تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني ؟ قالوا : لا .

(١) انظر الحديث عند الإمام مسلم في كتاب السلام ، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ، ح ٦٤ (٢٢٠٠) ، انظر الصحيح ١٧٢٧/٤ . وقد نقل النووي رحمه الله الإجماع على جواز الرقية بكتاب الله تعالى ويذكره ، انظر النووي على مسلم ١٦٩/١٤ .

(٢) انظر الوصية رقم ١٥٧ ص ٢٥٢ من هذه الرسالة .

(٣) ممن عُدَّ ومات في الفتنة الإمام البويطي يوسف بن يعقوب رحمه الله [انظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٢/٢٦١ ، وابن حجر ، التهذيب ١١/٤٢٨ ، وراجع ترجمته ص من هذه الرسالة] ، وأشهر من عُدَّ في الفتنة وعاش بعدها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله [انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧/٣٥٤ ، وأبو نعيم ، حلية الأولياء ٩/١٩٥-٢٠٦ ، والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٤/٤١٨ ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١/٢٣٢-٢٦٣] .

قال : فتتهموني ؟ قالوا : لا .

قال : فإن أوصيكم تقبلون ؟ قالوا : نعم .

قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم ... » (١) .

وإضافة إلى تلك البدع المتعلقة بالحياة عامة ، فقد صدرت وصايا من بعض العلماء المحترمين مركزة على مايجري ساعة الاحتضار وعند حمل الجنازة من بدع نهياً عنها ، وتنفيراً منها ، ومن ذلك ما يأتي :

أ - اتباع الجنازة بنار ، وهي بدعة مكروهة عند كافة العلماء (٢) ، وورد عن أبي موسى الأشعري (٣) ، وأبي هريرة (٤) ، وعمران بن حصين (٥) رضي الله عنهم الوصية بألا يتبعوا بنار ، وسار على نهجهم عدد من التابعين رحمهم الله تعالى فأوصوا بذلك ومنهم سعيد بن المسيب رضي الله عنه الذي قال في مرض موته : « ولاتتبعوني بنار » (٦) .

ب - خروج النساء خلف الجناز ، وعدّه معظم العلماء من المكروهات (٧) ، وقد

(١) انظر الوصية رقم ١٦٢ ص ٢٥٥ من هذه الرسالة .

(٢) انظر على سبيل المثال : ابن قدامة ، المغني ٢/٣٦٠ ، والنووي ، المجموع شرح المهذب ٥/٢٤٠ - ٢٤١ .

(٣) انظر الوصية رقم ٥٧ ص ١٨١ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ٨١ ص ٢٠١ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ٥٨ ص ١٨٢ من هذه الرسالة .

(٦) انظر الوصية رقم ١١٢ ص ٢٢٠ من هذه الرسالة ، ويستثنى من ذلك الدفن ليلاً ، قال ابن قدامة في المغني « فإن دُفن ليلاً فاحتاجوا إلى ضوء فلا بأس » مستدلاً بحديث الترمذي رقم ١٠٦٣ أن النبي ﷺ « دخل قبراً ليلاً فأسرج له سراج » انظر : تحفة الأحوذى ٤/١٦٣ .

(٧) دليل الكراهة حديث البخاري ١٢٧٨ عن أم عطية رضي الله عنها قالت : « نُهينا عن اتباع الجناز ولم يُعزم علينا » قال ابن حجر في معناه - : « فكأنها قالت : كُره لنا اتباع الجناز من غير تحريم [فتح الباري ٣/١٤٥] وذكر ابن رشد عللاً لتلك الكراهة فقال : « قيل : إنما نُهين عن ذلك لقلّة صبرهن وكثرة جزعهن ، وقيل : إنما نُهين عن ذلك من باب الصّون والسّتر » [البيان والتحصيل ٢/٢٢٢] وحكى النووي رحمه الله الكراهة عن جماهير العلماء فقال : « هذا الذي ذكرناه من كراهة اتباع الجناز =

نهى علقمة رحمه الله في مرض موته أن تتبع جنازته امرأة فقال : « فإذا خرجتم فعليّ الباب - يعني أغلقوا الباب ولا تتبعني امرأة » (١) .

ج - رفع الصوت عند الجنازة ، وذلك بأن يقول قائل - بمن يمشي مع الجنازة : « استغفروا له يغفر الله لكم » ، وقولهم في زماننا هذا « وحّدوه » ، وهو مكروه باتفاق العلماء ، وعدّه الأوزاعي وأحمد بدعة (٢) ، ومن أوصى بتجنبها عند موته أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إذ قال : « ولا يتبعني صوت ولا نار » (٣) ، وعمران ابن حصين رضي الله عنه في قوله : « ولا تُتبعوني ناراً ولا صوتاً » (٤) ، وسعيد بن المسيّب رحمه الله حيث قال : « وإياي وحاديهم هذا الذي يحدو لهم يقول : استغفروا له غفر الله لكم » (٥) .

د - تجصيص القبور والبناء عليها ، وهو من زينة الدنيا التي لاتنفع الميت ، والتي كرهها العلماء (٦) ، بل أوصى بعضهم عند وفاته بتركها ، ومنهم الضحّاك ابن مزاحم رحمه الله حيث قال في وصيته : « وإياك وما أحدث الناس من هذا الضريح » (٧) ، وعمرو بن شرجيل رحمه الله الذي قال في وصيته : « ولا ترفعوا جدثي قباني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك » (٨) .

= هو مذهبنا ومذهب جماهير العلماء « [المجموع ٢٣٦/٥] وذهب الإمام مالك إلى جواز خروج النساء خلف الجنائز إلا أن يحدث ما يستنكر فيمتنع خروجهن [انظر : البيان والتحصيل ٢٢١/٢] .

- (١) انظر الوصية رقم ٩٢ ص ٢٠٩ من هذه الرسالة .
- (٢) انظر : ابن رشد ، البيان والتحصيل ٢١٧/٢ . وابن قدامة ، المغني ٣٥٨/٢ - ٣٥٩ .
- (٣) انظر الوصية رقم ٥٧ ص ١٨١ من هذه الرسالة .
- (٤) انظر الوصية رقم ٥٨ ص ١٨٢ من هذه الرسالة .
- (٥) انظر الوصية رقم ١١٢ ص ٢٢٠ من هذه الرسالة .
- (٦) انظر : ابن قدامة ، المغني ٣٨٢/٢ . والنووي ، المجموع شرح المذهب ٢٦٣/٥ وحكى فيه عن أبي حنيفة رحمه الله الجواز . والزجيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ٥٢٤/٢ .
- (٧) انظر الوصية رقم ١٢١ ص ٢٢٤ من هذه الرسالة .
- (٨) انظر الوصية رقم ١٤٣ ص ٢٤١ من هذه الرسالة .

د - النُدْبَةُ والنياحَةُ ، ويراد بالندبة نداء الميت أو المحتضر بالثناء عليه وعدِّ ومحاسنه المصاحب للبكاء (١) ورفع الصوت ، والنياحَةُ اجتماع النساء للحزن (٢) عند وقوع المصيبة .

وكل ذلك مما نهى عنه النبي ﷺ ، وتناقلته عنه الصحابة والتابعون من بعدهم ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه عاتب أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها حين ندبته لما جيء به مطعوناً ، فقد روى المقدم بن معدي كرب أنها دخلت عليه فقالت : « يا صاحب رسول الله ، ويا صهر رسول الله ، ويا أمير المؤمنين .

فقال عمر لابنه : يا عبد الله ، أجلسني ، فلا صبر لي على ما أسمع . فأسنده إلى صدره فقال لها : « إني أخرج عليك بما لي عليك من الحق أن تندبيني بعد مجلسك هذا ، فأما عينك فلن أملكها ، إنه ليس من ميّت يندب بما ليس فيه إلا الملائكة تمقته » (٣) .

وقال القاسم بن محمد لابنه عندما أشرف على الموت : « سُنْ عليّ التراب سناً ، وسوّ عليّ قبيري ، والحق بأهلك ، وإياك أن تقول كان وكان » (٤) .

أما النواح فنهى عنه قيس بن عاصم رضي الله عنه في وصيته عند احتضاره وقال لبنيته : « ولا تقيموا عليّ نائحة ، فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النياحة » (٥) ، وشقيق بن ثور رحمه الله ومما جاء في وصيته : « إذا أنا متّ فلا تبكين عليّ باكياً ، ولا تنوحنّ عليّ نائحة » (٦) .

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ١/٧٥٤ . مادة « نَدَبَ » .

(٢) انظر : الزبيدي ، تاج العروس ٣/٢٤٣ ، مادة « نَوَّحَ » .

(٣) انظر الوصية رقم ٢٤ ص ١٥٦ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٤٧ ص ٢٤٤ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ٦٤ ص ١٨٧ من هذه الرسالة .

(٦) انظر الوصية رقم ١١٨ ص ٢٢٢ من هذه الرسالة .

وغالباً ما يرافق النُذبة والنواح السَلَق وهو رفع الصوت بشدة عند المصيبة (١) ، وحلق الشعر ، وشق الجيوب ، ونحو ذلك من الأفعال المشعرة بعدم الرضى بالقضاء والتسخط له ، فمنعت لذلك ، بل إن النبي ﷺ برئ من فاعلها كما قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عند وفاته : « إني بريء مما برئ منه رسول الله ﷺ من حَلَقٍ وخرقٍ وسلقٍ » (٢) .

والتحذير من البدع في وصايا العلماء عند احتضارهم – وإن ركز على أمورٍ بعينها – يستفيد منه الداعية ضرورة مجانية البدع عامة ، لأن مقارفتها من مضعفات الإيمان ، ومثبطات الشيطان ، ولا يقف ضررها على فاعلها بل يتعداه إلى الإضرار بعملية الدعوة ذاتها ، كما تؤدي إلى انحسار السنن أيضاً ، وبذلك أخبر النبي ﷺ في قوله : « ما أخذت قوم بدعة إلا رفع من السنة مثلها ، فتمسكُ بسنةٍ خير من إحداث بدعة » (٣) .

(١) انظر : ابن الأثير ، النهاية ٣٩١/٢ .

(٢) انظر الوصية رقم ٥٦ ص ١٨١ من هذه الرسالة .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٠٥/٤ .

تحقيق العدل والإنصاف

العدل أساس لحفظ كيان المجتمع ، وبه قوام الدُّول ، فهو مصدر الأمان ، ومنبع الطمأنينة ، ولذا أمر الله تعالى به في مواطن عدَّة من كتابه العزيز منها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا وَتُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١) ، وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (٢) .

وتلقَّى الصحابة رضوان الله عليهم تلك الأوامر بوعي تام ، وبذلوا جهودهم ليتمثلوا بها في سيرتهم الذاتية مع أنفسهم ومع الآخرين ، كما يظهر ذلك من سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي بذل قصارى جهده مُدَّة خلافته ليقوم فيها بأمر الناس بالعدل ، ثم لما دنا أجله وحضره الموت اجتهد للمسلمين في أمر الخلافة وتفحص أصحابه بحثاً عن أحقهم بها ، فألقى عمر فارسها ، فعهد له بالخلافة ، وقال في وصيته : « إني استخلفتُ من بعدي عمر بن الخطاب ، فإن قصد وعدل فذلك ظني به ، وإن جار ويدلُّ فالحخير أردت ولا أعلم الغيب ﴾ وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون ﴿ (٣) .

(١) سورة النساء آية : ١٣٥ .

(٢) سورة النحل آية : ٩٠ .

(٣) سورة الشعراء آية : ٢٢٧ ، وانظر الوصية رقم ١١ ص ١٤٦ من هذه الرسالة .

والعدل عند الراغب الأصفهاني يعني « المساواة في المكافأة إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر » (١) ، وعرفه الطبري بأنه « الحق والإنصاف » (٢) ، وقيل « هو الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط » (٣) ، وهو بهذه المعاني ينتظم معظم التصرفات البشرية إن لم يكن جميعها .

ولا شك أن العدل والإنصاف لا يقع على حقيقته إلا إذا كان نابعاً من التقوى ومراقبة الله عز وجل ، ومن هنا فإن معظم وصايا العلماء عند احتضارهم التي تحدثت عن العدل وحثت عليه رافقت ذلك بالتذكير بالله تعالى أو الوصية بتقواه .

ومن مظاهر العدل التي تحدثت عنه الوصايا ما يلي :

١ - التعرف على حوائج الرعية وما يصلحهم .

٢ - المساواة بين الناس وعدم التمييز بين الأغنياء والفقراء ، أو الأقارب والأباعد ، فكلهم في ميزان الحق سواء ، وبهذين الأمرين أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند احتضاره الخليفة من بعده ، ومما جاء في وصيته : « وأوصيك بالعدل في الرعية ، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، ولا تؤثر غنيتهم على فقيرهم » (٤) ، وقد التزم عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى بمبدأ المساواة بين الناس وعدم محاباة الأقارب أو إعطائهم ما ليس لهم ، وصرح بذلك في مرض موته لابن عمه مسلمة بن عبد الملك إذ قال له : « أما ما ذكرت أنني فطمت أقواه ولدي عن هذا المال وتركتهم عالة فإني لم أمنعهم حقاً هو لهم ، ولم أعطهم حقاً هو لغيرهم » (٥) .

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات ٣٢٥ .

(٢) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥١/٥ .

(٣) الزبيدي ، تاج العروس ٩/٨ ، مادة « عدل » .

(٤) انظر الوصية رقم ١٩ ص ١٥٣ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ١٤٠ ص ٢٣٩ من هذه الرسالة .

٣ - المحافظة على حقوق أهل الذمة وعدم ظلمهم ، حيث قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصيته للخليفة من بعده : « وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة » (١) ، فالعدل في الشريعة الإسلامية يضمن للمسلمين وغيرهم في ظل الدولة المسلمة حقوقهم ، وقد وقعت حادثة في عهد رسول الله ﷺ أراد بعض المنافقين إثارة عاطفة النبي ﷺ لإخفاء الحقيقة ، وذلك أن بشير بن أبيرق أبو طعمة - أحد المنافقين - سرق درعاً وأردعها عند يهودي ، وحامت الشبهة حوله ، ثم وجدت الدرع عند اليهودي فأخبر أنها ودیعة لبشر ، فأنكرها بشر ، وأراد قومه إثارة النبي ﷺ ضد اليهودي حتى أن النبي ﷺ همَّ بقطع يده ، لكن الله تعالى سده بالوحي ونزل قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾ (٢) .

٤ - تولية الأكفاء وعدم تسليط الأقارب - غير المؤهلين - على رقاب الناس ، فقد روى عبد الله بن الزبير أن عمر بن الخطاب بعد أن عيّن أصحاب الشورى « نظر إلى عليّ فقال : اتق الله ، وإن وليت شيئاً من أمر الناس فلا تحملن بني هاشم على رقاب الناس ، ثم نظر إلى عثمان فقال : اتق الله ، إن وليت شيئاً من أمور المسلمين فلا تحملن بني أمية - أو قال : بني أبي معيط - على رقاب الناس ، ثم نظر إلى سعد والزبير فقال : وأنتما فاتقيا الله إن وليتما شيئاً من أمور المسلمين » (٣) .

٥ - تجنب الظلم والجور ، فالله تعالى ابتلى - منذ القديم - كثيراً من الحكام وبخاصة الذين يضعف لديهم الوازع الديني بحب السيطرة والسطوة ، فتراهم يستخدمون في ذلك صنوفاً من أضرب الظلم وألوان الجور ، وإن تقدم لهم ناصح مشفق أخذتهم

(١) انظر الوصية رقم ١٩ ص ١٥٤ من هذه الرسالة .

(٢) سورة النساء آية : ١٠٥ ، وانظر القصة : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٣٧٥/٥ - ٣٧٦ .

(٣) انظر الوصية رقم ٢٠ ص ١٥٥ من هذه الرسالة .

العزة بالإثم ، وعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى خير سلوك الخلفاء ، وعرف نفسية ابن عمه يزيد بن عبد الملك فقال لمن طلب منه أن يوصيه : « ويم أوصيه ؟ إني لأعلم أنه من بني مروان » ثم وجه وقت احتضاره له وصية نهاه فيها عن الظلم وخوفه من عاقبته وقال فيها : « إياك أن تدركك الصرعة عند العزة فلا تقال العثرة ، ولا تمكن من الرجعة ، ولا يحمدك من خلفت بما تركت ، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به ، والسلام » (١) .

٦ - نصرة المظلوم ومناوأة الظالم ، وبهذا أوصى علي رضي الله عنه - بعد طعنه - بنبيه الحسن والحسين ومحمد ، حيث قال - موجهاً خطابه للحسن والحسين : « ... وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً » (٢) .

٧ - أخذ الحق بالمثل وعدم الاعتداء فيه ، جاء هذا المظهر في وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبنائه في أمر قاتله ابن ملجم ، قال فيها - لما جيء به مكتوباً - : « إنه أسيرنا فأحسنوا نزله ، وأكرموا مشواه ، فإن بقيت قتلت أو عفوت ، وإن مُت فاقتلوه قتلتي ﴿ ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ » (٣) .

واهتمام العلماء بالعدل والحث عليه في وصاياهم إنما تأتي من معرفتهم بشرفه وعظيم نفعه ، ومنزلة العادلين عند الله تعالى ، قال ﷺ : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل - وكلتا يديه يمين - ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » (٤) .

ومن ثمرات العدل ما جاء في وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخليفة من بعده بعد أن حثه على العدل ووصاه به قال : « ... فإن ذلك بإذن الله سلامة لقلبك ،

(١) انظر الوصية رقم ١٣٦ ص ٢٣٨ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ٣١ ص ١٦٢ من هذه الرسالة .

(٣) سورة البقرة آية ١٠٩ ، وانظر الوصية رقم ٢٩ ص ١٦١ من هذه الرسالة .

(٤) رواه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ... ح ١٨ (١٨٢٧) ، انظر الصحيح

١٤٥٨/٣ ، والنسائي في كتاب آداب القضاة ، باب فضل الحاكم العادل في حكمه ، ح ٥٣٧٩ ، انظر

السنن ٢٢١/٨ ، ورواه الإمام أحمد في مسنده ١٦٠/٢ .

وحطّ لوزرك ، وخير في عاقبة أمرك « (١) ، وقال : « فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعِفَّةً عمّاً بسط الله لك اقترفت به إيماناً ورضواناً » (٢) .

أما الظلم وعدم العدل فمن عواقبه ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصيته تلك : « وإن غلبك عليه - أي العدل - الهوى ، ومالت بك شهوة اقترفت به سخط الله ومعاصيه » (٣) ، وإليه أشار عمر بن العزيز رحمه الله في وصيته الآتفة ليزيد بن عبد الملك ، وأضاف - أي عمر - بغير الناس وذمهم للظالم إذ قال : « ولا يحمدك من خلفت بما تركت ، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به » (٤) ولعله اقتبس ذلك من قول النبي ﷺ : « ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » (٥) .

(١) (٣، ٢، ١) انظر الوصية رقم ١٩ ص ١٥٤ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٣٦ ص ٢٣٨ من هذه الرسالة .

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه ٢٤٧/١ ح ٢٦٧ ، والترمذي في كتاب الزهد ، باب رقم ٤٩ ، ح ٢٥٢٧ ، انظر السنن ٩٧/٧ .

الاتصاف بالعزة والكرامة

العملية الدعوية تتطلب من القائمين بها صفات وسمات تجعلهم مؤهلين لحمل الدعوة الإسلامية والقيام بنشرها بين الناس .

ومن أهم سمات الداعية المخلص اتصافه بالعزة وسمو النفس ، لا يطمع في مال أحد ولا جاهه ، ونظراً لأهمية تلك الصفة فقد أكد عليها بعض العلماء عند احتضارهم ، أمثال قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه الذي أخبر بنيه عند احتضاره ببعض أسباب كرامة النفس وسموها ، فأمرهم بالمحافظة على أموالهم وعدم تبذيرها ، لأن فقد المال يؤدي إلى المسألة وبذلك يفقد مكانته ومنزلته ، قال قيس رضي الله عنه : « وعليكم بحفظ المال فإنه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر كسب الرجل »^(١) وفي لفظ آخر « فإنها شر كسب المرء »^(٢) ، فالمسألة واستجداء الناس ربما حمل بعضهم على إذلاله والاستخفاف به ، وهو أمر لا يليق بالداعية ، بل يجب ألا يعرض نفسه - ما استطاع - لذلك الموقف .

وكانت الإبل في الجاهلية وصدر الإسلام أفضل الأموال ، ولذلك أوصى أكثم بن صيفي أبناءه وعشيرته عند احتضاره بصون الإبل فقال : « وإياكم وأعيان الإبل ، فإن فيها غذاء الصغير ، وجبر الكسير ، وفكاك الأسير ، ومهر الكريمة »^(٣) ، وحذر من التفريط في المال لأنه يورث الحزن والأسف لما يتبعه من زوال الشرف وهبوط المكانة فقال : « واعلموا أن سوء حمل الغنى يورث ترحاً »^(٤) .

(١) الزجاجي ، الأمالي ص ٢١ ، وانظر الوصية رقم ٦٤ ص ١٨٧ من هذه الرسالة .

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ٢ / ٨٠ .

(٣ ، ٤) انظر الوصية رقم ٨٤ ص ٢٠٤ من هذه الرسالة .

ومن عوامل عزة النفس وصيانتها الاكتساب ، مع القناعة والكفاف ، ووصية محمد بن أسلم الكندي عند وفاته تشعر بذلك ، حيث قال لمحمد بن القاسم : « واعلم أنني أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثاً غير كسائي ولبيدي وإنائي الذي أتوضأ فيه ، وكتبي هذه ، فلا تكلفوا الناس مؤونة ، وكان معه صرة فيها نحو ثلاثين درهماً فقال : هذا لابني ، أهده قريب له ، ولا أعلم شيئاً أحل لي منه ، لأن النبي ﷺ قال : « أنت ومالك لأبيك » وقال : « أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه فكفونوني منها » (١) ، وهنا أشار إلى أهمية الكسب ، إذ به يستغني المرء عن صدقات الناس ، ويحفظ ماء وجهه ، ويستر عورته .

ويبلغ من عزة بعضهم أن كره هبات وصلات ذوي الهيئات خشية أن يدخل في قلوبهم محاباة لهم ، بل إن القاضي أحمد بن أبي محرز رحمه الله أوصى ابنه بإخفاء موته والإسراع بتجهيزه لئلا يقوم أمير القبروان بذلك ، ومما قال : « إني أظن هذا الملك إذا أنا متُ يبعث إلي بكفن وحنوط ويصلي علي ، فإذا أنا متُ فاستر موتي ، وغسلني وكفني وحنطني وصل علي أنت ومن حضرك من أهل خاصتنا ثم أظهر موتي ، وأخرجني إلى قبوري » (٢) .

وخلاصة الأمر أن الداعية لا يكون مؤثراً - في الغالب - ولا يحصل على تقدير الناس له إلا إذا اعتمد على نفسه في كسب معاشه ، وقد ضرب لنا النبي ﷺ المثل بداود نبي الله عليه السلام فقال : « ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » (٣) ، وبذلك يترفع عن أعطيات الناس وهباتهم .

(١) انظر الوصية رقم ١٥٣ ص ٢٤٩ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٠٠ ص ٢١٣ من هذه الرسالة .

(٣) رواه الإمام البخاري في كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده ، ح ٢٠٢٧ ، وانظر فتح الباري

ولعل مما يضر بحركة الدعوة شعور الناس تجاه نفرٍ ممن يتظاهرون بالدعوة أنهم إنما يتذرعون بها من أجل الكسب ، ويظهرون الحرص على الدنيا وما يأتيهم منها ، وذلك مما يسقط الهيبة ويذهب العزة والكرامة المطلوبة من المسلمين كافة ، والدعاة على وجه الخصوص ، فالأنبياء صلوات الله عليهم كان كل واحد منهم يقول - فيما يحكيه القرآن الكريم عنهم - : ﴿ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرين إلا على رب العالمين ﴾ (١) ، وهم القدوة الأولى لكل داعية .

(١) سورة الشعراء آية : ١٨٠ .

توضيح ما يدعو لسوء الظن والبعد عن مواطن الشبهة

الداعية المسلم تعتوره أحوال وظروف متباينة ، منها الواضح البين ، ومنها المشتبه المتلبس على الجماهير ولا يدرك حقيقته إلا بعض رفاقه .

وقد يجد الداعية نفسه بلا قصد في ذلك الموطن أو يجد عليه أخاه ويعرف حقيقة ذلك ، فينبغي له أن يبادر بكشفها وبيانها حفاظاً على الدعوة وعلى نفسه أيضاً ، ويستفاد هذا الدرس من فعل عمر بن عبد العزيز رحمه الله حيث قال عندما حضره الموت : « لا تتهموا الخازن فإني لا أدع إلا أحداً وعشرين ديناراً »^(١) ، وعمر بقوله هذا دفع التهمة عن خازنه إذ لا يتوقع الناس أن تكون تركة الخليفة بهذا المقدار ، وذلك يدفعهم إلى اتهام الخازن بالسرقة والخيانة ، فأوضح لهم حقيقة الأمر ، ودفع سوء الظن عنه .

وقد ورد في السيرة النبوية موقف مع النبي ﷺ يعزز هذا الدرس ، حيث جاء في حديث أم المؤمنين صفية رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلاً ، فحدثته ، ثم قمتُ فأنقلبتُ ، فقام ليقلبني - وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد - فمرَّ رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعَا ، فقال النبي ﷺ : على رسلكما ، إنها صفية بنتُ حبيبي . قالَا : سبحان الله يا رسول الله ! قال : إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ، فخشيتُ أن يقذف في قلوبكما شيئاً - أو قال شيئاً »^(٢) ، فالتبني ﷺ خشي على صاحبيه من وسواس الشيطان ، قد يحكيان للناس ما رأيا

(١) انظر الوصية رقم ١٣٨ ص ٢٣٨ من هذه الرسالة .

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب الاعتكاف باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ، ح ٢٠٣٥ ، انظر : فتح الباري ٤/٢٧٨ . وأبو داود في كتاب الصيام ، باب المعتكف يدخل البيت لحاجة ، انظر المنهل العذب المورود ١٠/٢٤٣ . ومعنى قولها : ثم قمتُ فأنقلبتُ فقالم ليقلبني : أي رجعت إلى بيتي فقام ﷺ معي ليردني إلى بيتي . انظر : السبكي ، المنهل العذب المورود ١٠/٢٤٣ .

فيستغلها المنافقون ، ويحدث شر عظيم ، فبادر بالبيان والإيضاح سداً لمنافذ الشيطان ، وقطعاً لدابر الشر .

وهذا السلوك ينبغي أن يراعيه الداعية في تعامله مع إخوانه فلا يدع مجالاً لغمز الآخرين فيهم ، لأن الطعن – لا يتوقف – غالباً – عليهم ، بل يتجاوزهم إليه ، بضعف نشاطه وعدم قبول الناس من أنصاره .

ويضاف إلى ذلك أنه يفترض في الداعية ملاحظة أمرٍ آخر في سلوكه الشخصي ، وحياته العملية ، وهو البعد عن مواطن الشبه والتهم ، وبهذا أوصى أحد الصحابة ابنه عند وفاته وقال : « وإياك وما يعتذر منه من العمل والقول »^(١) ، ولذا نَبّه العلماء إلى ضرورة التحرز من التعرض لسوء الظن ، قال ابن حجر : « ومن هنا يظهر خطأ من يتظاهر بمظاهر السوء ويعتذر بأنه يُجَرَّبُ بذلك على نفسه »^(٢) ، وقال ابن دقيق العيد : « فلا يجوز لهم – يعني العلماء – أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم ، وإن كان لهم فيه مخلص ، لأن ذلك سببٌ في إبطال الانتفاع بعلمهم »^(٣) .

ومن دواعي سوء الظن أو جلب التهم على المرء مصاحبة أهل الريب وارتداد مجالسهم ومجاراتهم في أحاديثهم ، ومن أجل ذلك أوصى المهلب عند وفاته بنيه بمجافاة هؤلاء فقال : « ولا تقاعدوا أهل الدعارة والريبة ولا تخالطوهم ، ولا يطمعن في ذلك منكم »^(٤) ، كما نهى – قبله – قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه بنيه عن عرق السوء فقال : « وإياكم وكل عرق سوء ، فمهما يسركم يوماً يسؤكم أكثر »^(٥) .

(١) انظر الوصية رقم ٣٤ ص ١٦٤ من هذه الرسالة .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ٤ / ٢٨٠ .

(٣) ابن دقيق العيد ، إحكام الأحكام ٤٥ / ٢ .

(٤) انظر الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٥ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ٦٤ ص ١٨٧ من هذه الرسالة .

إذا فحقّ الداعية أن يربأ بنفسه عن مواطن الشبه والرّيب ، ولا يقترب من أماكن معروفة بالسوء إلا إذا عرف عنه أنه يقوم بالتذكير والنصح لأهله .
كما يجب عليه أن يزيل الشبه التي قد تعلق بأذهان بعض الناس ، حتى لا يتخذها الأعداء والشانئون ذريعة للطعن فيه ومن ثم يطعنون في دعوته .

انتقاء الأخيار والاستعانة بهم

حق المسلم والداعية على وجه الخصوص أن يتحرى غاية جهده معرفة الأخيار ومصاحبتهم ، لأنه بحاجة إلى الناصح الواعي ، والمرشد البصير في مَعَمَّة الدعوة إلى الله تعالى .

ونظراً لأهمية مصاحبة الأخيار والاستعانة بهم فقد حرص عمر بن الخطاب رضي الله عنه على تذكير أهل الشورى بذلك فكان من وصيته لهم : « ... وإن تولوا سعداً فأهله هو ، وإلا فليستعن به الوالي فإنني لم أعزله عن ضعف ولا خيانة ، ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف مُسَدِّدٌ رشيد له من الله حافظ فاسمعوا منه وأطيعوا » (١) .
وفي وصيته هذه بعض صفات أهل الشورى وأهمها أن يكون لبيباً أميناً حازماً بعيداً عن الضعف والخيانة ، ولذا استحسّن بعض العلماء قول بشار بن برد في صفة المشاور (٢) :

إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة مكان الخوافي قوة للقوادم
وحذر علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند وفاته ابنه الحسن رضي الله عنه من أربع صفات في الرفيق ، حدّره من الأحمق والكذاب والبخيل والفاجر ، فقال : « وإياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يُقرب

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣/٣٥ ، وانظرها رقم ٢٢ ص ١٥٦ من هذه الرسالة .

(٢) ديوان بشار بن برد ٤/١٧٢ - ١٧٣ ، وأورد الراجب الأصفهاني البيت الثاني بلفظ :

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة فريش الخوافي قوة للقوادم

انظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة ١٩٢ .

إليك البعيد ويبعد عليك القريب ، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه « (١) .
 وزاد ابن قدامة رحمه الله في صفات الصاحب : حُسْنُ الخلق ، لأنه دافع إلى
 المحبة والألفة ، والاطمئنان بين الأصحاب ، وأن لا يكون مبتدعاً خشية أن تسري بدعته
 إلى صاحبه « (٢) .

وبعد مرحلة الانتقاء ، تأتي مرحلة التعاون ، وقد حَدَّدَ الله سبحانه وتعالى إطاره
 فقال : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ (٣) ، وقال الطبري - في معنى الآية - : « لِيُعِنَ
 بعضكم - أيها المؤمنون - بعضاً على البر ، وهو العمل بما أمر الله بالعمل به ، والتقوى
 هو اتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه » (٤) ، والفرد يمكنه أن يسهم في
 أعمال الخير لكنه لا يقدر على جميعها ، فإذا حصل التعاون نتج عمل متكامل الأبعاد ،
 حسن النتائج ، ثابت الأثر ، ولا سيما في مجال الدعوة والوعظ والإرشاد .

وعلماء الأمة الصالحون هم خيارها ، فملازمتهم والأخذ عنهم ضروري لكل داعية
 ومتعلم يبغى الخير والرشاد ، وأولى ثمرات مصابحتهم ومجالستهم صدور تلك الوصايا
 عامة وعند الاحتضار بخاصة منهم ، فصحة سعد بن أبي وقاص لسلمان الفارسي رضي
 الله عنه أكسبته وصية جلييلة أوصاه بها سلمان عند وفاته وقال فيها : « ياسعد ، اذكر
 الله عند همك إذا هممت ، وعند حكمك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت » (٥) ،
 وأصحاب أبي حازم الأعرج رحمه الله غنموا منه كلمات نفيسة ردها عند احتضاره
 وقال فيها : « إنه والله ما يستوي من غدا وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها
 أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له ، ومن غدا وراح في

(١) انظر الوصية رقم ٣٠ ص ١٦١ من هذه الرسالة .

(٢) ابن قدامة ، مختصر منهاج القاصدين ٩٩ .

(٣) سورة المائدة آية : ٢ .

(٤) القرطبي ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٩٠/٩ .

(٥) انظر الوصية رقم ٤٧ ص ١٧٥ من هذه الرسالة .

عقد الدنيا يعمرها لغيره ، ويرجع إلى الآخرة لاحظ له فيها ولا نصيب « (١) ، وأحمد ابن حفص استفاد من إسماعيل بن إبراهيم البخاري موعظة تنبّه فيها لأمر كسبه ، حيث قال إسماعيل عند احتضاره : « لا أعلم من مالي درهماً من حرام ، ولا درهماً من شبهة » (٢) ، وبكل حال فإن حفظ الرصايا ونقلها إنما هو من ثمرة صحبة العلماء ومجالستهم ، وتعاون طلبية العلم فيما بينهم .

والعلماء بحضرتهم على انتقاء الصالحين والاستعانة بهم في وصاياهم عند الاحتضار متأثرين في ذلك بسيرة النبي ﷺ العطرة الذي كان يستعين بنخبة من أعيان الصحابة ، حيث استوزر أبا بكر وعمر ، واستعمل معاذ بن جبل وأبا عبيدة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ... ونحوهم من فضلاء الصحابة .

ولابد من التنبيه إلى أن مجالس الأخيار يجب ألا يغلب عليها السمر والمرح والدعابة ومن ثم يقل فيها ذكر الله تعالى ، ولعل السري السقطي رحمه الله تعالى ألمح إلى ذلك في وصيته لابن أبي الورد حين قال عند احتضاره : « ولا تشتغل عن الله تعالى بمجالسة الأخيار » (٣) .

خلاصة الأمر أن صحبة الأخيار والتعاون معهم من أسس الدعوة الإسلامية وسبل تكامل العمل الدعوي ، فرأي الجماعة خير من رأي الفرد ، يقول الراغب الأصفهاني : « الرأي الواحد كالسَّحِيل ، والرأيان كالخيطان ، والثلاثة إصرار لا يُنْقَضَ » (٤) .

(١) انظر الوصية رقم ١١٥ ص ٢٢١ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٠١ ص ٢١٥ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١١٠ ص ٢١٩ من هذه الرسالة ، والواضح من مذهب السقطي أنه كان يُفَضِّلُ العزلة والوحدة ، وينفر من مجالسة الناس ، وهو مذهب ساد عند طائفة من الصوفية ، وربما قصد في وصيته إلى ذلك ، لكنني حملتها على ما ذكرته آنفاً من تغليب الذكر على المزاح والدعابة لا منعهما بتاتاً فقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك وهو قدوة المسلم الأولى .

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة ١٩٢ ، والسَّحِيل : الغَزَلُ الذي لم يُبْرَم ، إشارة إلى ضعفه ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٣٢٧/١١ ، مادة « سَحَل » .

الأخذ بالأسباب

اقتضت حكمة الله تعالى أن يربط الأسباب بالمسببات ، وجعل لكل أمر ما يناسبه وأمر باستخدامه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر ﴾ (١) ، فالحركة المتمثلة في القيام سبب ، والإنذار سبب ، ولا يتم إلا بالحركة ، ولذا أمر الله تعالى بها ، وجاءت آيات أخرى على شاكلتها كقوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ﴾ (٣) .

وارتباط الأسباب بالمسببات أمر بدهي عند الإنسان ، والمتمعن في بعض وصايا العلماء عند احتضارهم يلاحظ ربطهم الأسباب بالمسببات ومن ذلك :

أ - الحديث الذي أوصى به أبو مالك الأشعري رضي الله عنه عند موته إذ قال : « يا معشر الأشعريين ، ليبلغ الشاهد منكم الغائب أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : حلوة الدنيا مرة الآخرة ، ومرة الدنيا حلوة الآخرة » (٤) .

فالحديث الشريف تضمن إشارة لطيفة إلى ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج ، فمن انشغل عن ربه وأمر دينه بالدنيا وانغمس في ملذاتها وتمتع بخضرتها من غير حلٍّ ساءت عاقبة قدومه على الله يوم القيامة ، ومن أخذ بالحزم والاحتياط ولم يباشر من الدنيا إلا ما أحل الله له واجتهد لآخرته ؛ طال فرحه وتمتع بنعيم

(١) سورة المدثر الآيتان : ١ ، ٢ .

(٢) سورة الأنفال آية : ٦٠ .

(٣) سورة مريم آية : ٢٥ .

(٤) انظر الوصية رقم ٧٧ ص ١٩٩ من هذه الرسالة .

الجنة في الآخرة .

ب - وصية عبد الملك بن مروان الذي جعل الفرقة والاختلاف سبباً للضعف والذلة فقال : « وإياكم والتباغي والتحاسد ، فإن بهما هلك الملوك الماضون ، وذووا العز المتكبرون » (١) .

ج - وصية سليمان التيمي رحمه الله تعالى الذي قال لابنه عندما حضره الموت : « يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به » (٢) .

وهنا إلى جانب الوصية بضرورة إحسان الظن بالله سبحانه تعالى وبخاصة عند الموت ؛ فإن في كلماته إشارة إلى قضية السبب والمسبب ، فذكر الرخص على تلك الحال يُقلل - بإذن الله - من الخوف لدى المحتضر ويزيد من الرجاء عنده ، مما يؤدي إلى حصول حسن الظن بالله تعالى وأنه عفو كريم واسع المغفرة .

وهذه نماذج من وصايا العلماء المحتضرين تحث على ضرورة الأخذ بالأسباب وتعاطيها أملاً في الوصول إلى المسببات المنشودة ، لكن تعاطي الأسباب لا يعني بالضرورة حصول المسببات وإلى ذلك أشار عدد من العلماء في وصاياهم عند احتضارهم ومنهم :

أ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، الذي بذل جهده في انتقاء الخليفة من بعده ، وبين أنه لم يأل جهداً في الاختيار لكنه لا يضمن النتائج حيث قال : « إني استخلفت من بعدي عمر بن الخطاب ، فإن عدل فذلك ظني به ورجائي فيه ، وإن جار وبدل فلا أعلم الغيب ، ولكل امرئ ما اكتسب » وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿ (٣) ، وقد وفق الله أبا بكر في الاختيار وصدق ظنه في عمر والحمد لله .

(١) انظر الوصية رقم ١٣٠ ص ٢٣٢ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١١٧ ص ٢٢٢ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١١ ص ٢٤٥ من هذه الرسالة .

ب - خالد بن الوليد رضي الله عنه ، حيث أشار في وصيته عند احتضاره إلى أن حضور المعارك والمشاركة في القتال سبب للشهادة ، لكن رغم حرصه عليها وبذله أسبابها لم تقدر له ، قال : « لقد طلبت القتل مظانة ، فلم يُقَدَّر لي إلا أن أموت على فراشي » (١) .

وبناءً على ذلك فإن المسلم مطالب شرعاً بتعاطي الأسباب وبذله ، وإلى جانب ذلك فهو مطالب أيضاً بعدم الركون إليها والاعتماد عليها ، وبخاصة فيما يتعلق بالعبادات ، فالإنسان يبذل جهده في طاعة الله تعالى وعبادته ويُخلص فيها ، وإلى جانب ذلك لا يجزم بأن الله تعالى سيغفر له بعمله ذلك ، وهذا مما سبق النبي ﷺ بتأكيد في قوله : « لن ينجي أحداً منكم عمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ ! قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته ، سدّوا وقاربوا ، واغدوا وروحوا ، وشيء من الدلجة ، والقصد القصد تبلغوا » (٢) .

ولم يغب قول النبي ﷺ هذا عن بال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فالتأمل في أقواله ووصاياه عند احتضاره يلحظ ذلك بوضوح ، فعندما طعن وأخذ الناس يزورونه ودخل عليه كعب الأحبار يزوره - وكان أخبره أنه يموت بعد ثلاث - قال : فأوعدني كعب ثلاثاً أعدّها ولا شك أن القول ما قال لي كعب وما بي حذار الموت إنني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب^(٣) ولما جاءه الناس يبشرونه بالشهادة ويذكرونه بسابق صحبته كان يقول : « وددت أن ذلك

(١) انظر الوصية رقم ٤٣ ص ١٧١ من هذه الرسالة .

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل ، ح ٦٤٦٣ ، انظر : فتح الباري ٢٩٤/١١ .

(٣) انظر الوصية رقم ٢١ ص ١٥٥ من هذه الرسالة .

كان كفافاً لا لي ولا عليّ» (١) ، فرغم اجتهاد عمر وطاعته وتقواه وبُشْرَى النبي ﷺ له بالجنة خشي على نفسه من الذنوب ، وكانت هذه حاله عند وفاته ، فكيف بمن عداه .

ومسعر بن كدام رحمه الله تعالى نبّه عند احتضاره سفيان الثوري رحمه الله إلى عدم الاتكال على عمله وقتني الموت ، قال يحيى بن آدم : « لما حضرت مسعراً الوفاة ، دخل عليه سفيان الثوري فوجده جزعاً ، فقال له : لم تجزع ؟ ! فوالله لوددت أنني ميت الساعة .

فقال مسعر : أقعدوني ، فأعاد عليه سفيان الكلام ، فقال : إنك إذا لوائق بعملك ياسفيان !؟ لكنني والله لكأني على شاق جبل لا أدري أين أهبط . فبكى سفيان فقال : أنت أخوف لله عز وجل مني » (٢) .

فالأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة ، إلا أن الإنسان لا يضمن قبولها ، إذْ يحتمل ألا تقع على وجهها الصحيح ، قال ابن حجر : « العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولاً ، وإذا كان كذلك فأمر القبول إلى الله تعالى » (٣) .

فعلى الداعية أن يتعاطى الأسباب ، ولا يعتمد عليها ، بل يتوكل على الله تعالى طالباً منه التوفيق والسداد .

(١) انظر الوصية رقم ٢٣ ص ١٥٦ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٥٦ ص ٢٥١ من هذه الرسالة .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري ١١/٢٩٥ .

استعمال الأساليب الممكنة في الدعوة

الأسلوب في اللغة يعني « الطريق والفن » ، وهو على أسلوب من أساليب القوم أي على طرق من طرقهم « (١) .

وقد عرف مصطفى صادق الرافعي الأسلوب البياني بأنه : « الفن البياني الذي غايته قوة الأداء مع الصحة ، وسمو التعبير مع الدقة ، وإبداع الصورة مع جمالها » (٢) .
ولعل التعريف الاصطلاحي الملائم للدعوة هو أن الأسلوب يعني : « الكيفيات التي يتم من خلالها تبليغ الدعوة » (٣) .

إذا فالمراد من الأسلوب هو فن الاتصال بالناس من خلال كيفيات وقوالب تُضَمَّن المعاني المراد وعظ الناس بها وإرشادهم إليها ، وبالتالي فإنه يتطلب مهارة فائقة أساسها المهبة الذاتية للداعية ، ثم الاستفادة من التعليم والمران أثناء العملية الدعوية .
وباستقراء ماتوقر من وصايا العلماء الدعوية عند احتضارهم يتبين أنهم راعوا ذلك الجانب المهم في وصاياهم رغم الوضع النفسي والآلام الجسدية التي كان يعانها الواحد منهم في مرض موته وقبيل المعاينة .
ومن أبرز الأساليب المستخدمة في وصاياهم والتي تمكنت من الوقوف عليها مايلي :

(١) الفيومي ، المصباح المنير ٢٨٤ .

(٢) الرافعي ، وحي القلم ١٦/١ .

(٣) التعريف للدكتور أبو الفتح البيانوني ، من مذكرة « مناهج وأساليب الدعوة » للسنة الثالثة الجامعية ، لعام ١٤٠٧ هـ . ونيّه فضيلته إلى أن كثيراً من كتبوا في الدعوة لا يميزون في كتاباتهم بين الوسائل والأساليب .

١ - الترغيب والترهيب ، وهو من أوضح الأساليب وأكثرها استخداماً في وصايا العلماء عند احتضارهم لأنه أكثر الأساليب ملاءمة للداعية حال احتضاره ، وفيما يلي ذِكرُ لبعض الوصايا المتضمنة للترغيب والترهيب :

أ - وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه التي بين له فيها حقوق الله تعالى وضرورة أدائها في أوقاتها ، وذكر مآل أهل الحق يوم القيامة ومصير أهل الباطل ، ثم قال : « وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلتَ : إني أخاف أن لا ألحق بهم ، وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، وردَّ عليهم أحسنه ، فإذا ذكرتهم قلتَ : إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء . ليكون العبد راغباً راهباً ، لا يتمنى على الله ، ولا يقنط من رحمته » (١) .

ب - ووصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخليفة من بعده ، حثه فيها على التقوى والعدل والرفق بالرعية والمساواة بينهم ثم قال له : « وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فإن اقترفت لندياك عدلاً وعفةً عما بسط الله لك اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك عليه الهوى ومالت بك شهوة اقترفت به سخط الله ومعاصيه » (٢) ثم قال : « فإن عملت بالذي وعظتكَ ، وانتهيت إلى الذي أمرتكَ ، أخذت به نصيباً وافياً ، وحظاً وافراً ، وإن لم تقبل ذلك ولم يهملك ، ولم تنزل معاصم الأمور عند الذي يرضى الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، لأن الأهواء مشتركة ، ورأس كل خطيئة والداعي إلى كل هلكة إبليس ، وقد أضل القرون السالفة قبلك فأوردتهم النار ولبئس الثمن أن يكون حظُّ امرئٍ موالاةً لعدو الله والداعي إلى معاصيه » (٣) ، فالتترغيب انصب على العدل والعفة والأخذ بما جاء في الوصية ، والترهيب تركّز على

(١) انظر الوصية رقم ١٠ ص ١٤٥ من هذه الرسالة .

(٢ ، ٣) انظر الوصية رقم ١٩ ص ١٥٤ من هذه الرسالة .

غلبة الهوى ، واتباع الشهوة ، وإهمال الوصية ، وذكر مع الترغيب عاقبته ، ومع الترهيب خاتمته ، والمهتدي من أحسن الخيرة .

ج - ووصية أبي حازم الأعرج رحمه الله ، التي رغب في الأعمال الصالحة وتقديمها بين يدي الإنسان قبل موته ، مشيراً إلى فلاحه ونجاته ، ورهب من الانهماك في الدنيا وإغفال أمر الآخرة ، ملمحاً إلى ما يتبع ذلك من حسرة وندامة ، وما ورد في وصيته : « إيه والله ما يستوي من غدا وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له ، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب » (١) .

وهناك بعض الرصايا اقتصرت على أحد الأمرين - وإن كان ذكر أحدهما مشعراً بالآخر - كما في وصية يزيد الرقاشي رحمه الله ، إذ اقتصر فيها على الترهيب من حضور الأجل والورود على الله تعالى دون إعداد العدة ، وقال : « يا مَنْ القبر مسكنه ، وبين يدي الله موقفه ، والنار غداً مورده ، ماذا قدمت لنفسك ؟ ماذا أعددت لمصرعك ؟ ماذا أعددت لوقوفك بين يدي ربك ؟ » (٢) ، ووصية الحسن البصري رحمه الله التي رغب فيها بالتشهد عند النزوع ، مشيراً إلى أنها علامات حسن الخاتمة ، حيث قال لكاتب حضر وفاته : « اكتب : هذا ما يشهد به الحسن بن أبي الحسن ، يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، من شهد بها صادقاً عند موته دخل الجنة » (٣) .

٢ - التشبيه الحسي : وفائدته تكمن في تقريب المعنى إلى الذهن بقدرته على استحضار صورته ، وبذلك يتعمق المعنى المقصود في ذهن السامع ، وقد كان هذا الأسلوب أكثر وضوحاً في وصايا أبي بكر رضي الله عنه عند احتضاره منه في وصايا العلماء الآخرين .

(١) انظر الوصية رقم ١١٥ ص ٢٢١ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٠٧ ص ٢١٧ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١٦٦ ص ٢٥٩ من هذه الرسالة .

ففي وصيته لعبد الرحمن بن عوف - يحذره من التلهي بالدنيا - قال : « ورأيتم الدنيا مقبلة ، ولن تقبل - وهي مقبلة - حتى تتخذوا ستور الحرير ضائد الديباج ، وتألوا الاضطجاع على الصوف الأذري كما يألم أحدكم الاضطجاع على حسك السعدان » (١) .

وفي وصيته لعائشة رضي الله عنها ، فبعد أن ذكر أخذه لأمر الخلافة واستعانتها بما يحتاج إليه من بيت المال ؛ شبه استعانتها تلك بالمجهود المشرف على الهلاك من العطش الذي يدفع الهلاك عن نفسه بشرب الماء الكريه المتغير وذلك في قوله : « واضطرت إلى ذلك اضطرار الجرّض إلى الماء المعيف الآجن » (٢) .

٣ - تدعيم الوصايا بالشواهد ، سواء كانت آيات كريمة أو أحاديث نبوية ، بغرض تأكيد المعنى المنشود وتقويته ، مما يجعلها أدمى للقبول وأحرى للاستجابة ، فمن الاستشهاد بالآيات الكريمة ما جاء في وصية أبي حازم الأعرج رحمه الله حيث قال : « ما أس على شيء إلا على ذكر الله ، وإن كان هذا الليل والنهار لا يأتيان على شيء إلا أخلقاه ، وفي الموت راحة للمؤمنين ، ثم قرأ ﴿ وما عند الله خير للأبرار ﴾ » (٣) ، فقد استشهد بالآية الكريمة على قوله « وفي الموت راحة للمؤمنين » لأنهم موعودون من ربهم بالجنة والرحمة فكان ما أعد الله لهم في الآخرة خير مما هم فيه في الدنيا .

ومن الاستشهاد بالأحاديث النبوية ، ما ورد في وصية محمد بن أسلم الكندي رحمه الله أنه حمل صرة فيها نحو ثلاثين درهماً فقال : « هذا لابني أهداه قريب له ، ولا أعلم شيئاً أحل لي منه لأن النبي ﷺ قال : « أنت ومالك لأبيك » وقال : أطيّب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه فكفنونني فيها » (٤) .

(١) انظر الوصية رقم ١٣ ص ١٤٧ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٥ ص ١٥٠ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١١٦ ص ٢٢١ - ٢٢٢ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٥٣ ص ٢٤٩ من هذه الرسالة .

وهذا النوع من الاستشهاد تكرر في وصايا العلماء عند احتضارهم ، وإنما ذكرتُ قول ابن أسلم على سبيل التمثيل لا الحصر ، ولم أقف في الوصايا على شواهد شعرية (١) .

٤ - المحاورة ، وبهذا الأسلوب يصبح السامع داخلاً في الوصية مشاركاً فيها ، فأبوبكر الصديق - وهو وجود بنفسه - دار بينه وبين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حوار خلص منه إلى الوصية ، قال عبد الله بن عبيد الله بن عمير : « أتت عائشة أبابكر وهو وجود بنفسه ، قال : فقالت : يا أبتاه ، هذا كما قال حاتم :

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

قال : يابئني ، لا ، بل قول الله أصدق : « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » ، إذا أنا مُتّ فاغسلي أخلاقي هذه التي عليّ فاجعليها أكفاني .
قالت : قد رزق الله وأحسن نكفك في جدّد .

قال : إن الحي أحوج أن يصون نفسه ويصنعها من الميت ، إنما يصير إلى البلاء والصديد « (٢) .

وحذيفة بن اليمان - في مرض وفاته - جرى بينه وبين بعض عواده حواراً ضمنه ما أراد من نصيحة وإرشاد ، قال أسد بن وداعة :

« لماً مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه قيل له : ما تشتهي ؟

قال : أشتهي الجنة .

قالوا : فما تشتهي ؟

(١) الأشعار المذكورة سواء كانت من قول العالم أو تتلّ به إنما هي وصايا أوفى حكمها وليست شواهد .

(٢) هذا لفظ أبي نعيم في معرفة الصحابة ق ١ ل ٩ أ ، وانظر الوصية رقم ١٧ ص ١٥١ من هذه الرسالة .

قال : الذنوب .

قالوا : أفلا ندعو لك الطبيب ؟

قال : الطبيب أمرضني ، لقد عشتُ فيكم على ثلاث خلال : للفقير فيكم أحبُّ إلى من الغنى ، وللضعفة فيكم أحبُّ إليَّ من الشرف ، وأن من حمدني فيكم ولامني في الحق سواء .

قال : أصبحنا ، أصبحنا ؟

قالوا : نعم .

قال : اللهم إني أعوذ بك من صباح النار ، حبيب جاء على فاقةٍ ، لا أفلح من ندم « (١) .

٥ - تقديم القدوة ، حيث يشعر الموصى أن ما يُوصى به ممكناً ومقدوراً عليه ، وبرز هذا الأسلوب في وصية عبيد الله بن أبي المهاجر عند وفاته حيث قال لأبنائه : « وعليكم بالصدق ، حتى لو قتل أحدكم قتيلاً ثم سئل عنه أقرَّ به ، والله ما كذبتُ منذ قرأت القرآن . يابني ، وعليكم بسلامة الصدور لعامة المسلمين ، فوالله لقد رأيتني وأنا لا أخرج من بيتي وما ألقى مسلماً إلا والذي نفسي له كالذي في نفسي لنفسي ، أفتررون أنني لا أحبُّ لنفسي إلا خيراً » (٢) ، ففي قوله هذا حث على الصدق ، وعلى سلامة الصدور لعامة المسلمين ، وقدم لهم القدوة من نفسه ليتأسوا به ويفعلوا فعله ، وفي ذلك حافزٌ للاهتمام بالوصية وتطبيقها .

٦ - التوجيه والوعظ المباشر : وفيه يكون المخاطب محدداً معروفاً ، وهذا

الأسلوب كثير غالب في وصايا العلماء عند احتضارهم ومن نماذجه :

أ - وصية أبي الدرداء رضي الله عنه لحبيب بن مسلمة ، قال محمد بن كعب :

(١) انظر الوصية رقم ٣٦ ص ١٦٧ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٣٣ ص ٢٣٥ من هذه الرسالة .

« دخل حبيب بن مسلمة على أبي الدرداء وهو في الموت فقال : ما أراه إلا الفراق ، فجزاك الله من معلم خيراً ، عظني بشيء ينفعني الله به .
قال : يا حبيب بن مسلمة ، عدّ نفسك من أصحاب الأحداث ، يا حبيب بن مسلمة اتق دعوة المظلوم » (١) .

ب - ووصية عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى ، قال عبد الله بن صالح العجلي : « لما احتضر ابن المبارك جعل رجل يلقنه : قل : لا إله إلا الله . فأكثر عليه . فقال له : لست تحسن ، وأخاف أن تؤذي مسلماً بعدي ، إذ لقتني فقلت لا إله إلا الله ثم لم أحدث كلاماً بعدها فدعني ، فإذا أحدثت كلاماً فلقني حتى تكون آخر كلامي » (٢) .

٧ - التوجيه والوعظ غير المباشر ، والوصية في هذا الأسلوب لا توجه إلى شخص أو جماعة معينين ، مع نية قائلها إسماع الحاضرين ووعظهم بأمر ما يدور في ذهنه ، ومن نماذج الأسلوب غير المباشر في وصايا العلماء عند احتضارهم ما يلي :
أ - ما روته عائشة رضي الله عنها قالت : « قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . قالت : فلولا ذاك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً » (٣) ، فالنهي عن اتخاذ قبره مسجداً جاء بطريق الإيماء ، دون تصريح مباشر .

ب - قول يزيد بن حميد أبو التياح : « والله إن كان لينبغي للرجل المسلم اليوم أن يزيد ما يرى في الناس من التهاون بأمر الله ، أن يزيد ذلك لله جداً واجتهاداً » (٤) .

(١) انظر الوصية رقم ٦٢ ص ١٨٥ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٢٧ ص ٢٢٧ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الحديث في وصايا النبي ﷺ برقم ١ ص ١٣٩ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٦٧ ص ٢٥٩ من هذه الرسالة .

واستعمال الأساليب الممكنة وتنوعها أمرٌ أرشد إليه القرآن الكريم ، بل أمر به وحصر أمهات الأساليب في قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (١) ، وتمتاز الأساليب الدعوية وكما هو واضح من أساليب العلماء المحتضرين في وصاياهم بالرزانة ، والاستقامة ، والأدب ، والعفة ، لأنها تدعو إلى شرع الله القويم ، فأخذت من صفاته واصطبغت بصبغته (٢) .

(١) سورة النحل آية : ١٢٥ .

(٢) انظر مقاله : أبو المجد نوفل « أساليب الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم » الحلقة الأولى ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عدد ٤٩ ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

المبحث الثاني

المناهج الدعوية

المستفادة من وصايا العلماء الدعوية

مناهج العلماء في وصاياهم عند الاحتضار

تعريف المنهج :

في اللغة : المَنهج كالمِنهاج ، وهو الطريق البين الواضح ، يقال : أنهج الطريق إذا وَضَح واستبان وصار نهجاً واضحاً بَيِّناً ، قال يزيد العبيدي :

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت سبيلُ المكارم والهدى تُغدي (١)

وفسر الطبري قوله تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ﴾ (٢) ، قال : « معنى الكلام : لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمّه ، وسبيلاً واضحاً يعمل به » (٣) . وقسّر المنهاج بالسبيل كل من ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ، وقتادة ، والضحاك رضي الله عنهم (٤) .

ويمكن تعريف المنهج اصطلاحاً بأنه : « الطُرق المقتننة والخطط المرسومة للوصول إلى الأهداف المزملة تحقيقها » ، وهذا التعريف يبين أن المنهج يعتمد على خطط مؤصلة ، وأهداف محددة المعالم مسبقاً ، وذلك يعني الدقة والوضوح المطلوبين في المناهج حتى تؤدي الغرض منها .

أهمية المنهج :

تظهر أهمية المنهج من حيث إنه الطريق التي يُقدّم من خلالها ثقافة تربية عميقة ، تهدف إلى بناء جيل مثقف ، سوي الشخصية ، يعرف واجباته بقدر معرفته لحقوقه ،

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٢/٣٨٣ ، مادة « نَهَجَ » .

(٢) سورة المائدة آية : ٤٨ .

(٣) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠/٢٨٤ .

(٤) المصدر السابق ١٠/٣٨٨ - ٣٨٩ .

ويقدر على تحمل المسؤولية ، والتعاون مع الآخرين ، مع احترام آرائهم وحررياتهم .
فالمنهج كما أنه يقدم العلم ، فإنه يقدم الخبرات السابقة والمكتسبة من خلال الزمن وطول التجربة ، بعد تهيئتها لتقدم إلى الجيل الناشئ ، ليتم له النمو الشامل : الفكري ، والعلمي ، والسلوكي . إذ التربية بالنسبة للفرد تعني الحياة بكل أبعادها : الماضي بخبراته ، والحاضر بواقعه ، والمستقبل بتوقعاته .

ومن هنا فلا بد أن يكون المنهج سليماً قوياً ، قائماً على العلم ، متجرباً عن الميول والرغبات الذاتية قدر الإمكان ، فالمقصود منه التنظيم ، وحسن التوجيه ، وجودة الأداء ، مع إمكانية التأثير ، وسرعة الفهم والاستيعاب .

وباستقراء وصايا العلماء المحترمين توصلتُ إلى تقسيم المناهج الدعوية المستنبطة منها إلى قسمين :

الأول : بالنظر إلى ركائزها ، فإن لها ثلاثة أنواع : المنهج الوجداني ، والمنهج العقلي ، والمنهج الحسي .

والثاني : بالنظر إلى طبيعتها ، ولها نوعان : المنهج الوعظي الإرشادي ، والمنهج التربوي .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المناهج ليس كل واحد منها مستقلاً عن الآخر ، بل إنها تتفاعل وتتداخل أثناء العملية الدعوية لتحديث التكامل اللازم لنجاح الدعوة وضمان استمرارها بإذن الله .

المطلب الأول

المناهج الدعوية المستفادة من الوصايا

حسين بن علي

١ - المنهج الوجداني

الوجدان يراد به الإحساس الذي يدركه المرء من نفسه ، مأخوذ من الوجود ، مصدر وَجَدَ يَجِدُ ضد العَدَم (١) ، ومنه الوجدُ ويراد به الغضب أو الحزن (٢) .
وعرف المرحاني الوجدَ فقال : « ما يصادف القلب ويردُّ عليه بلا تكلفٍ وتصنع ، وقيل : هو بروق تلمع ثم تخدم سريعاً » (٣) .

والمعاني هذه تدلُّ على أن المنهج الوجداني في الدعوة ، يُقصد به ذلك المنهج الذي يلامس بخطابه القلب ، ويركز على إثارة من النفس في محاولة لتحقيق أمر معين ، أو الوصول إلى هدف مقصود .

ومن الكوامن النفسية التي يمكن إثارتها وتحريكها للاستفادة منها في المجال الدعوي دواعي الرغبة ، والرغبة ، والخوف ، والكره ، وعاطفة القربة ... ونحوها من الكوامن المستعملة في العملية الدعوية .

وغالباً - وكما هو ملاحظ في الوصايا - ما تتعدد الكوامن في الوصية لإثارة أمر محدد وتتفاعل مع بعضها ، فيحصل من جراء ذلك تحريك وجداني على نحو أقوى وأسرع .

وباستعراض الوصايا الدعوية للعلماء عند احتضارهم يتبين للمتعمّن أن المنهج الوجداني يأتي في مقدمات الوصايا ، وبالتالي تستيقظ المشاعر النفسية وتتأهب للسمع والتلقي ، ومن ثمَّ فهم الوصية واستيعابها ، أما العمل بها فذلك متوقف على قناعة الموصي من جهة ، وعلى قدر الموصي من جهة أخرى .

(١) انظر : الزمخشري ، أساس البلاغة ٤٩٢ .

(٢) انظر : الفيومي ، المصباح المنير ٦٤٨ .

(٣) التعريفات ٢٥٠ .

إن المنهج الوجداني بين الجلاء في مقدمة وصية الإمام الشافعي رضي الله عنه عند احتضاره ، حيث قال - يوصي أحد تلاميذه - : « اتق الله ، ومثل الآخرة في قلبك ، واجعل الموت نصب عينيك ، ولاتنس موقفك بين يدي الله ، وكن من الله تعالى على وجل » (١) ، فالتمتعن في فقراتها يدرك كيف أن الإمام الشافعي حبكها على نحو يشير دواعي الرهبة والخوف عند الموصى :

أوصاه بتقوى الله ، وكثير من وصايا العلماء عند الاحتضار جاءت مبدوءة بها ، ترغيباً بها ، وترهيباً من عاقبة تركها ، فالمسلم يخشى أن يقع في مخالفة أمرٍ من أوامر الله أو حكم من أحكامه ، ومن ثم ينحسر عنه قدرٌ كبير من التقوى ، ومع كثرة المخالفات يُنزِع لباس التقوى ، وهو مالا يرغب فيه كل مسلم نُور الله بصيرته وأخذ بيده إلى جادة الصواب ، رهبة من عاقبة زوال التقوى يوم القيامة .

وبعدها أوصاه بأمور ثلاثة الأخذ بها يحفظ من الغرق في ملاهي الدنيا أو الخوض المنسي في غمراتها ، أولها قوله : « ومثل الآخرة في قلبك » وذلك بأن تكون حاضرة في خاطر الإنسان دائماً يتفكر في أهوالها ويتدبر أحوالها : زحام الحشر ، ودنو الشمس ، وشدة الحر ، وهبوط الملائكة ، وبروز جهنم بشهيقها وزفيرها ... ونحو ذلك من المشاهد التي لا يطيب لعاقل مع ذكرها إلا الطاعة والتمسك بأمر الله تعالى ، وثانيها : « واجعل الموت نصب عينيك » فالحي لا بُدُّ له من الموت الذي يفرق الأحباب ، ويُزَقِّق الجماعات ، ويبعد الديار ، ويبعث إلى دار الظلمة والوحشة والدود ، وثالثها : « ولا تنس موقفك بين يدي الله » عند وضع الميزان ، وتطاير الصحف ، وعرض الأعمال ، كل تلك المشاهد إذا داوم الإنسان على تأملها وتذكرها أسرع واجتهد في الطاعات رهبة من سوء المآل في الآخرة .

ثم قال : « وكن من الله تعالى على وجل » وهنا يشير دواعي الخوف عند

(١) انظر الوصية رقم ١٥١ ص ٢٤٦ من هذه الرسالة .

الإنسان من الله تعالى الذي يثيب على الحسنة ، ويعاقب على السيئة ، والخوف من الأسباب المعينة على تجنب موجبات عقاب الله تعالى ، وأتباع موجبات رحمته .

وهناك وصايا أسداها العلماء عند احتضارهم إلى أقاربهم ، فجاء كثير منها مصدراً بما يثير عاطفة القرابة ، وبما أن معظمها مقدّم من الآباء لأبنائهم فإن غالبها يُدعى بقولهم : « يا بُني » وبذلك يستهل الموصي وصيته بإثارة عاطفة القرابة سالكاً أفضل مداخلها ، لأن الأبناء يعرفون أباهم ، والأب - غالباً - هو من أحرص الناس على نصح أولاده ونفعهم ، وبالتالي فإنه - مع سابق خبرته وتجربته - لا ينصحهم إلا بخير ، ولا يحذرهم إلا من سوء وشر ، وذلك الإدراك عند الأولاد يثير شعورهم ووجدانهم لتلقي الوصية والحفاظ عليها ، بل إن بعض الآباء لم يترك ابنه لذلك الشعور بمفرده فعمد إلى تأكيده ، كما فعل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في وصيته عند احتضاره حيث قال لابنه : « يا بُني ، إنك لن تلقى أحداً هو أنصح لك مني » (١) .

وبعد الإثارة الوجدانية والعاطفية يعمد العالم المحتضر إلى سرد الوصايا حتى لا يتركه لمجرد الإثارة ، فالإمام الشافعي رضي الله عنه بعد مقدمة وصيته التي رغب فيها ورهب وخوف ، أورد فيها بذكر أسباب رضى الله تعالى فقال : « اجتنب محارمه ، وأد فرائضه ، وكن مع الحق حيث كان ، ولا تستصغرن نعم الله عليك وإن قلت ، وقابلها بالشكر » (٢) ، وسعد بن أبي وقاص بعد إثارته لعاطفة القربى قال : « إذا أردت أن تصلي فأحسن وضوءك ، ثم صل صلاة لا ترى أنك تصلي بعدها ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر ، وعليك باليأس فإنه الغنى ، وإياك وما يعتذر منه من العمل والقول ، واعمل ما بدالك » (٣) .

(١) انظر الوصية رقم ٦٤ ص ١٦٤ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٥١ ص ٢٤٦ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ٣٤ ص ١٦٤ من هذه الرسالة .

وعلى هذه الطريقة أكثر الوصايا ذات الموضوعات المتنوعة ، تبدأ بإثارة بعض الكوامن النفسية للتشويق وإيقاظ الشعور ، ثم تقدم لب الوصايا المقصود ، إلا أن هنالك وصايا عند الاحتضار جاءت كلها وجدانية المنهج ، وهي في معظمها ذات موضوع واحد ، ومن تلك الوصايا :

أ - وصية النبي ﷺ فيها من اتخاذ قبره مسجداً ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، قالت : فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً » (١) .

فقول النبي ﷺ هذا وهو في شدة الكرب وصية غير مباشرة ، أثار فيها دواعي الكره والرغبة مجتمعين ، فاللعن يعني الطرد والإبعاد من رحمة الله ، والمسلم يكره أن يقع في دائرة اللعن لأنه يخشى أن يصبح مبعداً مطروداً من رحمة الله ، فيستوجب بذلك غضبه وعذابه ، والرغبة من عقاب الله تدفعه أيضاً إلى كراهية أسبابه المتمثلة في هذا الموطن باتخاذ قبر النبي ﷺ مسجداً .

ب - وصية أبي الدرداء رضي الله عنه ، قالها بأسلوب غير مباشر محذراً من التماذي في شئون الدنيا الفانية علي حساب الآخرة الباقية ، ولئلا يقع الإنسان في الحسرة والندامة عند حضور الأجل ، فسلك بها منهجاً وجدانياً أثار فيه دواعي الرغبة حيث قال وهو وجود بنفسه : « من يعمل لمثل مضجعي هذا ؟ من يعمل لمثل ساعتني هذه ؟ » ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴿ (٢) .

(١) انظر الوصية رقم ١ ص ١٣٩ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ٦٠ ص ١٨٤ من هذه الرسالة .

وإن من أساسيات الدعوة بين المسلمين التذكير بالآخرة ، وقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه في حياته ينعى على الناس من حوله انهماكهم في دروب الدنيا وسبلها وتشاغلهم بها عن الآخرة ، فعندما حضرته الوفاة لم يجد أفضل من التذكير بالآخرة مرهبا سامعيه من حضور الأجل دون إعداد العدة ، وبالمقابل فإنه يرغب في الأعمال الصالحة من خلال ترهيبه من حضور الأجل قبل الاستعداد له ، وبناءً على ذلك فإنه جمع في المنهج الوجداني الذي اتبعه إثارة دواعي الرغبة والرغبة معاً .

ج - وصية يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى ، سلك فيها المنهج الوجداني مثيراً فيه دواعي الحسرة ، والرغبة والرغبة ، قال دُرُست القزاز : « لما احتضِر يزيد الرقاشي بكى . فقيل : ما يبكيك يرحمك الله ؟ قال : أبكي والله على ما يفوتني من قيام الليل ، وصيام النهار .

ثم بكى وقال : مَنْ يصلي لك يا يزيد ؟ وَمَنْ يصوم وَمَنْ يتقرب لك إلى الله بالأعمال بعدك ؟ وَمَنْ يتوب لك إليه من الذنوب السالفة ؟ .

ويحكم يا إخوتاه ، لاتغترن بشبابكم فكان قَدْ حَلَّ بكم ما حَلَّ بي من عظيم الأمر وشدة كرب الموت ، النجاة النجاة ، الحذر الحذر ، يا إخوتاه ، المبادرة رحمكم الله « (١) . فدواعي الحسرة ظهرت من نفسه ، وتنعكس على المقصّر من الأحياء الذين لديهم فُسْحَةٌ - كما يبدو - عندما يجدون عالماً جاداً مجتهداً يأسف على انقطاع أعماله من الصلاة والصوم .

وتبع ذلك في وصيته إثارة عاطفة الأخوة « ويحكم يا إخوتاه » ، « يا إخوتاه المبادرة رحمكم الله » مما يشعر السامع بحرص الداعية وشفقته عليه الممزوجين بحب الخير له ، وفي ذلك دافع قوي جداً يثير النفس ويشحذ الذهن ويوطن النفس لقبول الوصية والاستفادة منها ، ويقرن إثارة عاطفة الأخوة الإسلامية ، بإثارة دواعي الرغبة

(١) انظر الوصية رقم ١٦٥ ص ٢٥٨ من هذه الرسالة .

ودواعي الرغبة ، إذ حذرهم من الاغترار بالصحة والعافية فلا يدري أحد متى يحضر أجله ، ورغبهم في النجاة وأخذ الحِيطة والحذر بالمبادرة للتقوى والأعمال الصالحة ، وهنا تتفاعل عدة كوامن نفسية أمكن الداعية إثارتها أملاً منه في انتفاع السامعين بوصيته وأخذهم بما فيها .

وأخلص مما سبق إلى أن أمثل سبيل لاستخدام المنهج الوجداني في الدعوة إلى الله تعالى - والله أعلم - مايلي :

١ - أن تعتمد الدعوة على مقدمة وجدانية تثير كوامن النفس الإنسانية إثارة توقظ الشعور لدى السامعين ، وتجعلهم مهيبين لاستقبال مايتبعها من إرشادات ومواعظ .

٢ - أن يعتمد المنهج الوجداني - قدر الإمكان - على التصوير والتخيل الذهني ، وبذلك يحدث التفاعل الضروري بين الداعية والمدعويين .

٣ - لعل من الأفضل عدم الاقتصار على أحد كوامن النفس ، بإثارة دواعي الخوف فقط أو الحب ، أو عاطفة القرابة ، لإن إثارة عدة كوامن في وقت واحدٍ أدعى لسرعة التفاعل والاستجابة .

ويلاحظ أن المنهج الوجداني إذا أسيء استخدامه فإن له أضراراً بالغة الخطورة على الدعوة والداعية والمدعويين ، ولذا فلا يصح الاقتصار على المنهج الوجداني في مجال الدعوة ، بل ينبغي أن يدمج بينه وبين المنهج العقلي ليحدث التكامل المطلوب في العملية الدعوية (١) ، والقرآن الكريم أول من استعملها وأرشد إلى استخدامها كما في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى

(١) انظر : البوطي ، منهج تربوي فريد في القرآن ٦٤ .

أموالكم إنه كان حُويًا كبيراً ﴿ الآيات (١) ، فقد بدأ بتحريك عاطفة الأخوة بين السامع وسائر إخوانه من الناس ، وأيقظ كوامن الرحمة والرأفة مذكراً بالرحم المشتركة بينهم مشيراً دواعي حفظها ، مع التنبيه إلى الحذر من التفريط فيها خشية عقاب الله سبحانه وتعالى ، وبعد تلك الإثارة الوجدانية الممهّدة جاءت التعليمات التي تتطلب التفكير العقلي لاستيعابها وقبولها فقال تعالى : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ... ﴾ الآيات .

(١) سورة النساء من أولها حتى الآية ١٢ .

٢ - المنهج العقلي

العقل جوهر روحاني يتعلق بالبدن ، تدرك به حقائق الأشياء ، قيل : محله الرأس ، ومنهم من جعله نوراً في القلب (١) ، ويصح أن يقال إن العقل عند الإنسان أشبه بغريزة تمكن الإنسان من الفهم والإدراك .

وإذا كان العقل هو وسيلة الإدراك والفهم ؛ فإن المنهج العقلي يرتكز عليه ، ويسعى لإثارته ، باعتماد أساليب متنوعة تتيح له حصول المناقشة العقلية كالمقارنة المنطقية ، وطرح الاستفهامات المحركة للأذهان ، واستعراض أحوال السابقين الدافعة للتفكير والتدبر ... ، ونحو ذلك من الأساليب التي استخدمها العلماء في وصاياهم الدعوية عند احتضارهم ، وفيما يلي استعراض لنماذج من الوصايا التي سار فيها العلماء وفق المنهج العقلي :

أ - وصية عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، التي قدمها لابن عمه يزيد بن عبد الملك ، وصاغها بأسلوب واضح الدلالة بيّن الغرض ، حيث كتب له يقول : « إياك أن تدركك الصرعة عند العزة ، فلا تقال العثرة ولا تمكن من الرجعة ، ولا يحمذك من خلفت بما تركت ، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به » (٢) .

فالوصية جاءت بأسلوب رُبطت فيه العلة بالمعلول ، والسبب بالنتيجة ، فالتكبر والظلم وإهمال شئون المسلمين معصية لله تعالى يستحق فاعلها العقوبة ، فإذا وقعت من الإنسان ولم ينته عنها في حياته ، ثم دهمه الموت فإنه يخسر الدنيا والآخرة ، فلا رهطه في الدنيا حمدوا فعله بل ربما أوسعوه ذمماً وتقبيحاً ، ولا ربه سبحانه وتعالى

(١) انظر : المرجاني ، التعريفات ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) انظر الوصية رقم ١٣٦ ص ٢٣٨ من هذه الرسالة .

يعذره حين يَقدِّم عليه ، بل يحاسبه على ما بدر منه . وفي ذلك إيضاح عقلي يُبَيِّن سوء عاقبة الظلم والجور وإهمال شؤون الرعية في الدنيا والآخرة .

ب - ووصية عمر بن العزيز الأخرى التي حاور فيها ابن عمه مسلمة بن عبد الملك وأوصى فيها أولاده ، استخدم فيها أسلوب المقارنة للوصول إلى الغاية ، ففي حوارهِ مع مسلمة لما طلب منه أن يوصي بأبنائه إليه أو إلى أشرف بني أمية قال له : « أما ما ذكرت أني فطمتُ أفواه ولدي عن هذا المال وتركتهم عالة : فإنني لم أمنعهم حقاً هو لهم ، ولم أعطهم حقاً هو لغيرهم ، وأما ما سألتَ من الوصاية إليك أو إلى نظرائك من أهل بيتي ؛ فإن وصيتي بهم إلى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، وإنما بنوا عمر أحد رجلين : رجل اتقى الله ، فجعل الله له من أمره يسراً وورقه من حيث لا يحتسب ، ورجل غيّر وفجر فلا يكون عمرٌ أوّل من أعانه على ارتكابه » (١) ، فعمر رضي الله عنه قارن أولاً بين ما هو حقٌّ لأبنائه ، وما لا يحق لهم ، ومن خلال هذه المقارنة توصل إلى أن ما هو حقٌّ لهم أخذوه ولم يمنعوا منه ، أما حقٌّ غيرهم فلا علاقة لهم به . ثم قارن بين صفتي التقى والفجور ، وخلص إلى أن التقى يعينه الله ويرزقه من حيث لا يحتسب ، أما الفاجر فلا يستحق المساعدة أو العون .

وعندما توجه بالوصية لأبنائه قال لهم : « يا بني ، مثلتُ رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا ، وبين أن يدخل أبوكم النار ، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول أبيكم يوماً واحداً في النار » (٢) ، وهنا عقد المقارنة بين المعاناة من الفقر في الدنيا وبين العذاب يوم القيامة ، ففضل - بتوفيق الله له - شقاء الدنيا ومعاناتها ، على العذاب يوم القيامة .

(١ ، ٢) انظر الوصية رقم ١٤٠ ص ٢٣٩ من هذه الرسالة .

إذا فعمد بن عبد العزيز رحمه الله عمد في وصيته الآتفة إلى عقد مقارنات ، كل أمرين قارن بينهما على حدة ، وتوصل إلى غاية ونتيجة رجحها العقل المستنير بنور الله تعالى وقبلها .

ج - وصية محمد بن واسع رحمه الله ، أوردتها وفق المنهج العقلي مستخدماً أسلوب الاستفهام لإثارة الذهن وحثه على التفكير ، فقد روى صالح بن رستم أبو عامر عن صاحب له أنه « لما نُقِلَ محمد بن واسع كثر الناس عليه في العيادة . قال : فدخلت فإذا قوم قيام ، وآخرون قعود ، قال : فأقبل عليّ فقال : أخبرني ما يغني هؤلاء عني إذا أخذ بناصيتي غداً وقدمي وألقيت في النار ؟ ثم تلا هذه الآية : ﴿ يُعرف المجرمون يسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾ (١) .

فالاستفهام أسلوب من أساليب المنهج العقلي ، ينشط الذهن ويحركه للتفكير والتدبر في المعنى المطروح ، ومحمد بن واسع أراد هنا - والله أعلم - تذكير حامل الوصية والسامعين لها أن كل فرد يأتي يوم القيامة وحده كما قال تعالى : ﴿ وكلكم آتية يوم القيامة فرداً ﴾ (٢) ، لا يغني عنه أحد من أهله وأصحابه ، ولا يجدي سوى العمل الصالح ، أما المجرمون فمآلهم النار ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ (٣) ، وسلك في سبيل توصيل المعنى أسلوب الاستفهام لينجذب سامعوه وتتهياً أذهانهم ، حيث إن الاستفهام إذا طُرِح يُحدث فراغاً في الذهن مصاحباً بالتهيؤ للسمع ، وذلك أدعى للاستيعاب والقبول .

وجاء الأسلوب نفسه أيضاً في وصية عبيد الله بن أبي المهاجر رحمه الله تعالى ، الذي طرح الأسلوب الاستفهامي لينبه أذهان أولاده إلى حقيقة إحساس المرء تجاه نفسه

(١) سورة الرحمن آية : ٤١ ، وانظر الوصية رقم ١٥٥ ص ٢٥٠ - ٢٥١ من هذه الرسالة .

(٢) سورة مريم آية : ٩٥ .

(٣) سورة غافر : ١٨ .

فقال : « يَا بَنِيَّ ، وعليكم بسلامة الصدر لعامة المسلمين ، فوالله لقد رأيتني وأنا لا أخرج من بيتي وما ألقى مسلماً إلا والذي في نفسي له كالذي في نفسي لنفسي ، أفتررون أنني لا أحب لنفسي إلا خيراً ؟ » (١) ، وإذا تفكّر الإنسان وتدبّر في تصرفاته وأعماله يدرك بوضوح أنه إنما يفعل ذلك لصالح نفسه وخيرها ، والمسلم يعبد الله تعالى ، ويدعو إلى دينه ، ويوصي به مجتهداً في ذلك ابتغاء مرضاة الله وهو بذلك يسعى لخير نفسه ، ويحب لنفسه التوفيق والفلاح والسلامة ، فإذا كان مسلماً حقاً أحب كل ذلك لأخيه المسلم كما قال النبي ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٢) ، والمراد لا يبلغ كمال الإيمان ، لا نفي الإيمان عنه (٣) .

د - وصية الوليد بن أبان الكرابيسي رحمه الله تعالى ، وفيها يتجلى المنهج العقلي في مجال الدعوة والإرشاد ، حيث سلك الوليد رحمه الله أسلوب الحوار المصاحب بالاستفهام والتسلسل المنطقي المبني على عدة مقدمات ونتيجة تلخص الغاية من مجمل الحوار والنقاش ، فعندما حضرته الوفاة قال لبيته :

« تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني ؟ قالوا : لا .

قال : فتتهموني ؟ قالوا : لا .

قال : فإن أوصيكم تقبلون ؟ قالوا : نعم .

قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإنني رأيت الحق معهم ... » (٤) .

وربما كان سبب مجيء وصيته على هذا النحو أن الوليد رحمه الله اختلف أول أمره إلى أهل الكلام وجالسهم وأخذ عنهم ، وهم أكثر الناس استعمالاً للمنهج العقلي

(١) انظر الوصية رقم ١٣٣ ص ٢٣٥ من هذه الرسالة .

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ، باب الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ح ١٣ . انظر : فتح الباري ٥٦/١ .

(٣) انظر : ابن حجر ، فتح الباري ٥٧/١ .

(٤) انظر الوصية رقم ١٦٢ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ من هذه الرسالة .

الجدلي ، ونظراً لمعرفة الوليد بن أبان بحقيقة علم الكلام وسوء مزالقه خشبي على أبنائه أن يلتفتوا إليه فقدم لهم وصيته تلك رغبةً منه في سلامتهم وبعدهم عنه ، وحتى يذكرهم بسعة اطلاعه وعلمه بالكلام سألهم : « تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني ؟ » وهذه العبارة تشير إلى أنه بلغ شأواً بعيداً فيه ، وبعدهما وجه لهم سؤالاً آخر نبههم فيه إلى حقيقة نوايا الآباء تجاه أبنائهم فقال : « فتنهموني ؟ » وكل عاقل يدرك أن الآباء بطبيعتهم لا يحبون إلا الخير لأبنائهم وهو إدراك عقلي قبل أن يكون إدراكاً عاطفياً ، ثم بعد استنفاذه للمقدمات اللازمة في الأسلوب المنطقي الجدلي أسدى خلاصة معرفته وتجربته فقال : « عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت أن الحق معهم » ، وهنا قدم أبان رحمه الله البديل لما حذّر منه ، وذلك من أفضل الأساليب الدعوية وأنجعها ، وبعضهم يسميه أسلوب « التخلية ثم التحلية » .

إذاً فالوصية تضمنت التحذير من علم الكلام والتنفير منه ، وقدمت عوضاً عنه علم الحديث الذي يجعل المسلم يعيش دائماً في رياض السنة المشرفة ، ويعرف منها أحكام دينه .
 هـ - ووصية الربيع بن خثيم رحمه الله التي جاء المنهج العقلي فيها من خلال استعراض أحوال بعض السالفين والتدبر فيها ، قال عبد الملك بن عمير : « قيل للربيع ابن خثيم : ألا ندعو لك طبيباً ؟ فقال : انظروا . ثم تفكّر - يعني الربيع - فقال : عاد وثمود وأصحاب الرسّ وقروناً بين ذلك كثيراً - فذكر من حرصهم على الدنيا ورغبتهم فيها - كانت فيهم مرضى ، وكانت فيهم أطباء فما أرى المداري بقي ولا المتداوي ، هلك الناعت والمنعوت »^(١) ، فالعقل وحده يعي - بتنوير الله له - أن الناس كلهم إلى فناء ، ولا يجدي سوى الصلاح والتقوى .

وقد وردت عن العلماء عند احتضارهم وصايا سارت ضمن إطار المنهج العقلي ، لكنها تختلف عن الوصايا المذكورة آنفاً بأنها تقدم الحقائق المجردة من خلال عرضها

(١) انظر الوصية رقم ٨٨ ص ٢٠٦ من هذه الرسالة .

بأسلوب سهل واضح تدركه العقول من الوهلة الأولى ، يحرك - بلطف - باعث التأمل والتفكير ، ومن تلك الوصايا ما يلي :

١ - وصية الحسن البصري رحمه الله تعالى قال فيها : « إني مزودكم ثلاث كلمات ثم قوموا عني ودعوني لما توجهتُ إليه : مانهيتم عنه من أمرٍ فكونوا من أترك الناس له ، وما أمرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به ، واعلموا أن خطاكم خطوتان : خُطوة لكم ، وخطوة عليكم ، فانظروا أين تغدون وأين تروحون » (١) .

فالحقائق المقدمة في الوصية تتمثل في تقسيم الشريعة إلى حقيقتين : المأمورات ، والمنهيات ، والمسلم مكلف باتباع المأمورات واجتناب المناهي ، هذا من جهة ومن جهة أخرى حصر عمل الإنسان وسعيه بخطوتين ، خُطوة له يؤجر عليها ، وخطوة عليه يؤزر فيها ، والعاقلة يتبع الأصلح له ، وهاتان الحقيقتان - كما يلاحظ من الوصية - قدمتا بأسلوب سهل واضح وبإمكان السامع لها - أياً كان حاله - معرفة القصد منها عند أدنى تفكير .

٢ - ووصية محمد بن أسلم الكندي ، جاء فيها : « يا أبا عبد الله ، إن هؤلاء قد كتبوا رأي فلان ، وكتبت أنا الأثر ، فأنا عندهم على غير الطريق ، وهم عندي على غير الطريق ، أصل الفرائض في حرفين : ما قال الله ورسوله : أفعل فهو فريضة ينبغي أن يُفعل ، وما قال الله ورسوله : لا تفعل فينبغي أن يُنتهى عنه وتركه فريضة . وهذا في القرآن ، وفي فريضة النبي ﷺ ، وهم يقرؤونه ولكن لا يتفكرون فيه ، قد غلب عليهم حُب الدنيا » (٢) ، وخلاصة الوصية تكمن في الحث على الاقتصار على الأثر ، واجتناب الرأي ، نصح بها صاحبه محمد بن القاسم وقدمها بأسلوب مُيسر

(١) انظر الوصية رقم ص من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ص من هذه الرسالة .

يفهمه كل سامع للوصية وكل قارئ لها (١) .

والمنهج العقلي في مجال الدعوة إلى الله تعالى تضمنه القرآن الكريم وأرشد إليه ، فكثير من آياته جاءت مختومة بقوله : ﴿ يتفكرون ﴾ ﴿ يتذكرون ﴾ ﴿ يعقلون ﴾ ونحوها من العبارات الدالة على تحريك الذهن واستخدام العقل للوصول إلى الحقائق ، ومن أساليبه في القرآن الكريم : المحاجة ، وحكاية أخبار السابقين ، وضرب الأمثلة .. ونحوها ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ * إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم * وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴿ (٢) .

كما استخدمه النبي ﷺ في دعوته ، بل استفتح به الدعوة الجهرية عندما نزل عليه قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتک الأقربين ﴾ (٣) إذ وقف على الصفا ونادى قريشاً فلما اجتمعوا قال : « أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ » سؤال أيقظ أذهانهم وحرك عقولهم ، وذكرهم بحقيقة شعورهم تجاه النبي ﷺ فأجابوه من واقع معرفتهم له وخبرتهم به : « قالوا : نعم ، ماجرنا عليك إلا صدقاً » إذا فهو لا يقول إلا الصدق ومن المنطق أن يصدقوا ما يقول : « فياني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » (٤) ، فما قدر أحد منهم عندها على تكذيبه .

(١) لعله يقصد بأهل الرأي المعتزلة والفلاسفة الذين مالوا إلى الجدول وكانوا قد كسروا في زمانه . وإن قصد الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة فذلك من كلام الأقران في بعضهم ، وانفق العلماء على عدم الأخذ به ، وأهل الرأي من الفقهاء إنما استعانوا بالقياس ، وتتبع علل النصوص ، وتتبع أقوال الصحابة ، وهم بذلك إنما يعتمدون على النصوص الشرعية ، وكلاً من أهل الرأي وأهل الحديث خدم الإسلام فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

(٢) يورة العنكبوت الآيات : ٤١ - ٤٣ .

(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤ .

(٤) انظر الحديث بتمامه عند البخاري في كتاب التفسير ، باب وأنذر عشيرتک الأقربين ، ح ٤٧٧٠ ، انظر : فتح الباري ٥٠١/٨ .

ولا بد من التنبيه إلى أن المنهج العقلي إذا قُدِّم بأسلوب جدلي مُعَقَّد ، فمن الأفضل ألا يستخدم إلا مع الجدليين والفلاسفة والمعتدِّين - إلى حدِّ كبير - بعقولهم ، وإن طُرِحَ بأسلوب منطقي مقارنة فيمكن استعماله مع المثقفين الذين يتصفون بالتجرد والموضوعية ، أما إن جاء المنهج العقلي مطروحاً بأسلوب واضح سهل ، فبإمكان الداعية استخدامه مع غالب الناس ويحسن أن يقرن - مع هؤلاء - المنهج العقلي بالمنهج الوجداني ليكون التأثير وإيصال الحقائق أبلغ وأقوى .

٣ - المنهج الحسي

يقصد بالمنهج الحسي ذلك المنهج الذي يتعامل مع حواس الإنسان : السمع والبصر ... ويعتمد على المشاهدات في تقريب المعنى وترسيخه .

وهو من المناهج المستخدمة في الوصايا الدعوية للعلماء المحترفين ، عُرض من خلال أساليب دعوية مرتبطة به منها :

أ - تقديم المعنى المقصود في صورة حسية مشاهدة ، وليس بالضرورة أن تكون حاضرة ، بل هي مما يراه الإنسان عياناً في بعض الأوقات ، وهذا الأسلوب المرتبط بالمنهج الحسي كثر في وصايا أبي بكر الصديق ، لإكثاره فيها التشبيهات الحسية ، ففي وصيته لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه شبه الغضب بورم الأنف فقال : « إني وليتُ أمركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورمٍ من ذلك أنفه يريد أن يكون له الأمر من دونه »^(١) ، وشبه المتألم من النوم على الصوف الأذريجاني ، بالمتألم من النوم على حسك السعدان وذلك في قوله : « ورأيتم الدنيا مقبلة ، ولن تقبل - وهي مقبلة - حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج ، وتآلموا الاضطجاع على الصوف الأذري كما يألم أحدكم الاضطجاع على حسك السعدان »^(٢) ، فالمعتاد على نعومة الحرير والديباج يصعب عليه أن يتحول عنه إلى الصوف الخشن ، كما يصعب على الإنسان أن ينام على حسك السعدان .

وفي إحدى وصاياہ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر ثلاث صور حسية يريد منها تحذيره مما تدل عليه فقال : « استطعت أن تجفّ يدك من دمائهم ، وأن يَضْمُرُ

(١ ، ٢) انظر الوصية رقم ١٣ ص ١٤٧ من هذه الرسالة .

بطنك من أموالهم ، وأن يخفّ لسانك عن أعراضهم فافعل » (١) ، فالصورة الأولى « أن تجف يدك من دمانهم » يوصيه فيها بالتحري في الدماء وعدم الحكم بالقتل إلا بعد التثبت والتيقن ، فكأنه شبه عدم القتل بجفاف اليد من الدماء ، وقصد بالصورة الثانية « وأن يضمّر بطنك من أموالهم » إلى تحذيره عن أخذ أموال المسلمين من غير وجه حق ، وأراد بالصورة الثالثة « وأن يخفّ لسانك عن أعراضهم » الاحتراس في الكلام وعدم التقرّيع واللوم بما يتعلق بأعراض الناس ، إذا فالجفاف والضمور والخفة أمور محسوسة استعملها الصديق رضي الله عنه للتحذير من أمور يدركها الذهن قد تكون حسية أو معنوية .

ب - ربط الأمر المدعو إليه بحادثة حسية مشاهدة ، سواء كان بتطبيق أمر وإجراء الموعظة عليه ، أو استغلال حادثة واقعة للتذكير بمعنى دعوي مقصود ، أو دفع المدعو إلى التطبيق العملي والاستفادة منه بنفسه ... ونحوها مما يشترك فيه الحس مع العقل في إدراك المعنى المقصود ، الحس يقوم بالإدراك الأول ، والعقل يصل إلى الغاية والنتيجة .

ومن أمثلة الوصايا التي جاء فيها المنهج الحسي عن طريق ربط الأمر المدعو إليه بحادثة حسية مشاهدة :

١ - وصية عمرو بن العاص رضي الله عنه :

قال ثابت البناني : « كان عمرو بن العاص على مصر ، فاشتكى وثقل ، فقال لصاحب شرطه : أدخل عليّ ناساً من وجوه أصحابك أمرهم بأمر . فلما دخلوا عليه نظر إليهم ثم قال : إنها قد بلغت هذه - يعني الخلقوم - ، ارددوها عني .

قالوا : ومثلك أيها الأمير يقول هذا ؟ ! هذا أمر الله الذي لا مردّ له .

(١) انظر الوصية رقم ١٤ ص ١٤٩ من هذه الرسالة .

قال : إني والله قد عرفتُ أنه كذا ، ولكنني أحببت أن تتعظوا . لا إله إلا الله ، فلم يزل يقولها حتى مات « (١) .

فعمرو رضي الله عنه لما نزل به الموت ندم على اتخاذ الشرط والحرس لحمايته ، وتقى ألا يكون فعل ذلك ، وأنه سلك مسلك علي رضي الله عنه إذ لا حارس أفضل من الأجل ، وعند حلول الأجل لا ينفع معه حارس ، وأراد أن ينقل تلك الحقيقة من خلال تطبيق عملي إلى وجوه حرسه وحشمه ففعل مارواه البُنَّاني رحمه الله ، وبين لهم قصده « أحببتُ أن تتعظوا » فهم يشاهدون أمامهم رجلاً ممدداً ، تُستل روحه من جسمه عضواً عضواً ، ويجدون أنفسهم عاجزين عن دفع الموت عنه ، لا بل عن تخفيف آلامه ، وهم الذين كانوا يجتهدون في حمايته من القتل ، فكان ذلك درساً عملياً لهم ولغيرهم يذكرهم بالحقيقة المنسية : إذا وقع القضاء لم ينفع التدبير ، ويقوله تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ (٢) .

٢ - وصية سعيد بن المسيب رحمه الله :

قال عبد الرحمن بن الحارث المخزومي : « اشتكى سعيد بن المسيب ، فاشتد وجعه ، فدخل عليه نافع بن جببير بن مطعم يعوده ، فأغمي عليه ، فقال نافع بن مطعم بن جببير : وجهوا فراشه إلى القبلة ، ففعلوا . فأفاق - أي سعيد - فقال : من أمركم أن تحوكونا فراشي إلى القبلة ؟ أنافع بن جببير أمركم ؟ فقال نافع : نعم . فقال له سعيد : لئن لم أكن على القبلة والملة لا ينفعني توجيهكم فراشي » (٣) .

إن سعيد بن المسيب رحمه الله يعلم أن من السنة توجيه الميت إلى القبلة ، لكنه استغل عملية التوجيه التي قام بها عواده لَلَّفَتْ نظرهم إلى قضية أهم وأوجب من التوجيه ، لاسيما وأنه كان يَعُدُّ أهلَ زمانه مقصّرين ، فتوجه إليهم بموعظة قصيرة

(١) انظر الوصية رقم ٥٩ ص ١٨٢ من هذه الرسالة .

(٢) سورة النحل آية : ٦١ .

(٣) انظر الوصية رقم ١١١ ص ٢١٩ من هذه الرسالة .

مؤثرة نبههم فيها إلى أنه يجب على المسلم إن كان يرجو الفلاح والنجاة في الآخرة ؛ أن يكون على دين الله تعالى متمسكاً بأوامره مجتنباً نواهيه مستمراً على ذلك ، أما التمسك ببعض السنن في بعض المناسبات وإهمال أوامر الله تعالى في سائر الأوقات ، فأمر لا جدوى منه ، ولا ينتفع به صاحبه ، وذلك مانعاه الله سبحانه على الأمم السابقة كما تبين الآيات في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآتْسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ ﴾ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴿ (١) .

٣ - وصية عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

قال : عمرو بن قيس : « قالوا لعمر بن عبد العزيز لما حضره الموت : اعهد يا أمير المؤمنين . قال : أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه ، وإذا وضعتوني في قبري فانزعوا عني لينة ثم انظروا ما لحقني من دنياكم هذه » (٢) .

لقد لمس ورأى عمر بن عبد العزيز في حياته حُبَّ الناس للدنيا وانهماكهم فيها - وبخاصة بني مروان - وتشاغلهم بها عن الآخرة والاستعداد لها ، فلم يجد أفضل من وعظهم بمشهد الميت داخل قبره فأوصاهم أولاً بالإعداد للآخرة فكل إنسان مقبل عليه مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ (٣) ، ثم سلك في وصيته أسلوباً تطبيقياً ينفذه المخاطب بنفسه ، بغرض أن تبلغ الوصية مداها وغايتها في التأثير - لمن شاء الله له ذلك ، فأمر واحداً منهم - وفي رواية ابن خميس أنه مسلمة - بعد وضعه

(١) سورة البقرة الآيتان : ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) انظر الوصية رقم ١٤٢ ص ٢٤٠ من هذه الرسالة .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٨٥ .

(٤) انظر ص ٢٤٠ حاشية رقم (٣) .

في القبر ووصف اللبنة على فتحته ؛ أمره أن ينزع لبنة ويلقي نظرة إلى عمر وهو في قبره وينظر كيف حاله ؟ وماذا حوله ؟ وما أخذ معه ؟ وأين سلطانه ؟ كل ذلك مواعظ تهز القلوب وتحببها وتوقظ صاحبها من غفلته ، فمن أخذ الله بيده استمر على يقظته ، وإلا عاد إلى غفلته كما حصل مع يزيد بن عبد الملك (١) .

وسار الضحاك بن مزاحم رحمه الله تعالى على المنهج نفسه ، فأوصى أخاه بوصايا كان منها : « فإذا وضعتني في لحدي فسويت عليّ اللبنة فارفع لبنة من عند رأس أخيك ثم انظر إلى مضجعه ثم شنْ شأنك » (٢) .

والمنهج الحسبي أو التجريبي سبق القرآن الكريم باستخدامه ، بلفته أنظار المدعويين من قريشٍ بخاصة إلى التأمل في أحوال الأمم السابقة التي يرون آثارهم وأثر العذاب الذي نزل عليهم بكفرهم ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ إذ نجيناه وأهله أجمعين ﴿ إلا عجوزاً في الغابرين ﴾ ثم دمّرنا الآخرين ﴿ وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين ﴾ وبالليل أفلا تعقلون ﴿ (٣) .

كما استخدمه النبي ﷺ في مجال الوعظ والإرشاد ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « خطّ النبي ﷺ خطاً مربعاً ، وخطّ خطاً في الوسط خارجاً منه ، وخطّ خطاً صغيراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال : هذا الإنسان ، وهذا أجله محيطٌ به — أو قد أحاط به — وهذا الذي هو خارجٌ أمّله ، وهذه الخطط الصغار الأعراض ، فإن أخطأه هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا » (٤) .

(١) انظر : ابن شاکر الکتبي ، فوات الوفيات ٤/٣٢٢ ، وص ٤٠٧ - ٤٠٨ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٢١ ص ٢٢٤ من هذه الرسالة .

(٣) سورة الصافات ، الآيات ١٣٣ - ١٣٨ .

(٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق ، باب في الأمل وطوله ... ح ٦٤١٧ . انظر : فتح الباري ١١/٢٣٥ ، والأعراض معناها — كما قال ابن حجر — : ما ينتفع به في الدنيا في الخير وفي الشر . فتح الباري

١١/٢٣٨ كما أورد ابن حجر أشكالا في صفة خط النبي ﷺ ، انظر الفتح ١١/٢٣٧ .

وفي ختام الحديث عن المنهج الحسي لابد من الإشارة إلى أن الفائدة الأولى منه تقريب المعنى إلى الذهن بصورة أوضح ليكون أدعى للفهم والقبول ، وهو على كل حال لا يمكن الاقتصار عليه وحده في المجال الدعوي ، ولا بُدَّ أن يتماشى مع المنهج العقلي ليحصل الإدراك التام والفهم الكامل للمعنى المطروح .

المطلب الثاني

المناهج الدعوية المستفادة من الوصايا

حسين طبعها

١ - المنهج الوعظي الإرشادي

الوعظ والإرشاد طريق مهم لتأليف الناس وتقريبهم وتعريفهم بالشريعة الإسلامية إن كانوا غير مسلمين ، أو تعليمهم أحكامها لمن يجهلها من المسلمين ، وهي سبيل الأنبياء الرامية إلى محاولة تغيير ما بنفوس الناس ، محاولة هداية الضالين ، وتنبيه الغافلين ، وزجر العاصين ، وتذكير الناسين ، وتعليم الجاهلين ، وكل وعظ وإرشاد لا تكون هذه غايته ومقصده فعملٌ هَدْرٌ لا فائدة تُرجى منه ، وعند التأمل في معنى الوعظ ومعنى الإرشاد تجده يحمل هذه المعاني ويستوعبها .

فالوعظ في اللغة يعني : النصح والتذكير ، وعرفه ابن سيدة - كما نقل عنه ابن منظور - بقوله : « تذكيرك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب » (١) .

والإرشاد يعني : الهداية والدلالة ، ومن أسماء الله تعالى الرشيد ، قال ابن منظور في معناه : « هو الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم ، أي هداهم ودلهم عليها » (٢) ، والرشاد ضد البغي ، يقال : أرشد الرجل إذا أصاب وجه الأمر والطريق (٣) .

والمنهج الوعظي الإرشادي في مجال الدعوة والمستفاد من وصايا العلماء الدعوية عند احتضارهم يُعنى بذكر الموت والآخرة وبالكليات العامة ، بمعنى أنه يعتمد إلى أمرٍ ما كالطاعة فيرغب فيها ويرهب من تركها دون أن يدخل في التفاصيل الجزئية لها (٤)

(١) ابن منظور ، لسان العرب ٤٦٦/٧ ، مادة « وَعَظَ » .

(٢) المرجع السابق ١٧٥/٣ ، مادة « رَشَدَ » .

(٣) انظر : المرجع السابق ١٧٥/٣ - ١٧٦ .

(٤) الوصية بالتفصيلات والأمور الجزئية تتلاءم مع المنهج التربوي أكثر منها مع المنهج الوعظي ، ولذا جرى فرزها والتركيز عليها في المنهج التربوي ، وسيأتي الحديث عنه عقب الفراغ مباشرة من المنهج الوعظي إن شاء الله .

وهكذا دواليك ، وليس بالضرورة أن تكون الوصية بكاملها مقصورة على هذا المنهج بل ربما تضمنت المنهجين : الوعظي ، والتربوي .

ومن الموضوعات الوعظية التي تضمنتها وصايا العلماء الدعوية عند احتضارهم مايلي :

١ - الاستقامة ومحاسبة النفس ، جاء ذلك في وصية الحسن البصري رحمه الله تعالى إذ قال فيها لبعض زواره : « إني مزودكم ثلاث كلمات ثم قوموا عني ودعوني ولما توجهت إليه : ماأنهيتم عنه فكونوا من أترك الناس له ، وما أمرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به ، واعلموا أن خطاكم خطوتان : خطوة لكم ، وخطوة عليكم ، فانظروا أين تغدون وأين تروحون » (١) .

٢ - الاعتبار والعظة من حال الدنيا ، وقد ورد في هذا الموضوع أكثر من وصية ، أحدها ألمحت إلى تقلب أحوالها ثم زوالها ، وذلك في وصية مالك بن دينار التي قال فيها : « ما أقرب النعيم من اليأس ، يعقبان ثم يوشكان زوالاً » (٢) ، وفي وصية أبي حازم الأعرج جرى ذكر أثر الدنيا على أهلها حيث قال : « ما آسى على شيء إلا على ذكر الله ، وإن كان هذا الليل والنهار لا يأتيان على شيء إلا أخلقاه ، وفي الموت راحة للمؤمنين ، ثم قرأ ﴿ وما عند الله خير للأبرار ﴾ (٣) .

٣ - تذكر الموت ، وقصر الأمل ، وإليه أشار أبو الدرداء رضي الله عنه في وصيته لحبيب بن مسلمة : « يا حبيب بن مسلمة عد نفسك من أصحاب الأجداث » (٤) ، فالاستمرار والمداومة على ذكر الموت ينفي من ذهن المسلم طول الأمل المؤدي إلى الانهماك في الدنيا .

(١) انظر الوصية رقم ١٠٦ ص ٢١٦ - ٢١٧ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٤٩ ص ٢٤٥ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١١٧ ص ٢٢١ - ٢٢٢ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ٦٢ ص ١٨٥ من هذه الرسالة .

٤ - الاستعداد للموت قبل نزوله ، وهذا الأمر فرع عن الموضوع السابق (تذكر الموت) ، فمن تذكر الموت أعد له عدته - حسب طاقته - وخاف من الورد على الله تعالى دونها ، وإلى هذا المعنى ألمح عدد من المحتضرين في وصاياهم ومنهم :

أ - أبو عبيدة رضي الله عنه الذي جمع قبيل احتضاره من حضره من المسلمين وهو بالأردن وأوصاهم بوصية كان منها : « ولا تلهكم الدنيا فإن امرأ لو عمر ألف حول ما كان له بدء من أن يصير إلى مثل مصرعي هذا الذي ترون ، إن الله قد كتب الموت على بني آدم فهم ميتون ، وأكيسهم أطوعهم لربه وأعملهم ليوم معاده » (١) .

ب - ويزيد الرقاشي رحمه الله ، فعندما حضره الموت جعل يقول : « كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة » ألا إن الأعمال محفوظة ، والأجور مكملة ، ولكل ساع ما سعى ، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت .

ثم بكى وقال : « يامن القبر مسكنه ، وبين يدي الله موقفه ، والنار غداً مورده ، ماذا قدمت لنفسك ؟ ماذا أعددت لمصرعك ؟ ماذا أعددت لوقوفك بين يدي ربك ؟ » (٢) وهنا بين يزيد رحمه الله دور الملائكة الكتبة في تدوين الأعمال وحصرها ، مقتبساً ذلك من قوله تعالى : « وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون » (٣) ، وكل إنسان محاسب وفق سعيه ، ثم استعرض أحوال الإنسان عند موته وعرضه على ربه ... كل ذلك من باب التذكير بالآخرة ، وضرورة الاستعداد للموت .

٥ - الالتزام بالطاعة ومجاناة المعاصي : أوصى بذلك العباس بن عبد المطلب ابنه عبد الله فقال له : « يا عبد الله ، إني والله ما ميتٌ موتاً ولكني فنيْتُ فناءً ،

(١) انظر الوصية رقم ٣٥ ص ١٦٥ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٦٦ ص ٢٥٩ من هذه الرسالة .

(٣) سورة الانفطار الآيات : ١٠ - ١٢ .

وإني موصيك بحبّ الله وحبّ طاعته ، وخوف الله وخوف معصيته ، فإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك ، وإني استودعك الله يا بُنَيَّ « (١) .

٦ - الازدياد - قدر المستطاع - من طاعة الله تعالى ، من باب استباق الخيرات ، قال أبو التياح الضبيعي يزيد بن حميد عند احتضاره : « والله إن كان لينبغي للرجل المسلم اليوم أن يزيد ما يرى في الناس من التهاون بأمر الله أن يزيده ذلك لله جداً واجتهاداً ، ثم بكى » (٢) .

٧ - عدم الاعتداد بالعمل ، لأن نجاة العبد مرهونة برحمة الله تعالى لا بما قدّم من عمل ، وفي هذا المعنى جاءت وصية مسعر بن كدام رحمه الله ، قال يحيى بن آدم : « لما حضرت مسعراً الوفاة دخل عليه سفيان الثوري فوجده جَزِعاً ، فقال له : لم تجزع ؟ فوالله لو ددت أني ميت الساعة .

فقال مسعر : أقعدوني ، فأعاد عليه سفيان الكلام ، فقال : إنك إذا لوائت بعملك ياسفيان !! لكني والله لكأني على شاق جبل لا أدري أين أهبط . فقال سفيان : أنت أخوف لله عز وجل مني » (٣) .

٨ - المحافظة على الفرائض في أوقاتها ، واتباع الحق ومجانبة الباطل ، واجتماع الرغبة والرغبة في قلب المسلم ، أوصى بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند احتضاره عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٤) .

(١) انظر الوصية رقم ٥٣ ص ١٧٨ - ١٧٩ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٦٧ ص ٢٥٩ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١٥٦ ص ٢٥١ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٠ ص ١٤٥ من هذه الرسالة ، ولم أذكرها كما ذكرت الوصايا الأخرى لطولها ، وفيما

يتعلق بالرغبة والرغبة أو الخوف والرجاء فلعل أفضل حال للمسلم أن يغلب حال صحته ونشاطه الخوف ،

أما حال ضعفه وعند حضور أجله يغلب الرجاء والله أعلم .

وتأتي أهمية المنهج الوعظي في مجال الدعوة إلى الله من ناحية أن الناس حتى أهل التقوى معرضون للنسيان والغفلة كما قال تعالى : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ (١) ، وما مسهم ذلك الطائف إلا بسبب النسيان ، فيأتي المنهج الوعظي لإبعاد سنة الغفلة ، وتذكيرهم بالحق وإعادتهم إليه ، قال تعالى : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ (٢) ، ومن هنا فقد داوم النبي ﷺ على الوعظ والنصح والتذكير والتحذير حتى آخر لحظات حياته (٣) .

ويشترط في الموعظة - حتى تبلغ الهدف ، وتصيب القصد - أن تكون فصيحة بليغة ، وهو ما أرشد إليه الله تعالى نبيه ﷺ في قوله : ﴿ وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴾ (٤) ، والبلاغة إبانة وإفصاح بلا لبس ولا غموض ، قال الرازي في معنى الآية : « أن يكون الكلام حسن الألفاظ ، حسن المعاني ، مشتملاً على الترغيب والترهيب ، والإحذار والإنذار ، والثواب والعقاب ، فإن الكلام إذا كان هكذا عظم وقعه في القلب » (٥) ، والمتأمل والمتعمّن في وصايا العلماء الدعوية عند احتضارهم وعلى وجه الخصوص ما ذكر آنفاً مما يتعلق بالمنهج الوعظي يلحظ بجلاء اتصافها بذلك وتضمنها له . ولا بد أن يتحلى القائم بالوعظ والإرشاد بصفات تؤهله لذلك المركز وتجعل كلماته ذات روح وحياة وتأثير ، ولعل من أهم تلك الصفات للداعية ما يلي :

١ - القدوة العملية :

الطبيعة البشرية مجبولة على التأثر بالأفعال أكثر منها بالأقوال ، ولذا جعل

(١) سورة الأعراف آية : ٢٠١ .

(٢) سورة الذاريات آية : ٥٥ .

(٣) انظر وصايا النبي ﷺ في بداية الباب الثاني من هذه الرسالة من ١٣٩ إلى ١٤٣ .

(٤) سورة النساء آية : ٦٣ .

(٥) التفسير الكبير ١٠/١٥٦ .

القرآن الكريم النبي ﷺ قدوة المسلم الأولى ، قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ (١) .

فالداعية الناجح هو الذي يهدي إلى الحق بفعله قبل قوله ، ويتأمل جملة من وصايا العلماء عند الاحتضار يظهر في بعضها كيف قدم بعضهم القدوة من نفسه ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أيقظه من إغمائه سوى ذكر الصلاة ، فقام عندما نُودي لها وقال : « ها الله إذا ، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، ثم قام فصلى وإن جرحه يثعبُ دماً » (٢) .

وخالد بن الوليد في وصيته بالجهاد بدأ بالحديث عن نفسه فذكر حبه للجهاد واصطباره فيه مقدماً لهم القدوة من نفسه ، ثم أوصاهم بالجهاد (٣) ، وذلك يجعل قابلية الوصية أدهى وأسرع .

وعمر بن عتبة أراد وصية الحاضرين بالاهتمام بدينهم وتقديم مقتضى الشرع على رغباتهم فقدم لهم القدوة من حاله حيث قال في وصيته : « نزل بي الموت ولم أتأهب له ، اللهم إنك تعلم أنه ما سنع لي أمران لك في أحدهما رضاً ولي في الآخر هوى إلا آثرتُ رضاك على هواي » (٤) .

إذاً فسلوك الداعية « هو الصورة العملية لدعوته ، يراها الناس في سكونه وحركته ، ووقوفه ومشيئته ... والقدوة العملية تصيب من قلوب الناس أكثر مما تصيب الكلمة ، مهما كانت طيبة وجيدة ومؤثرة » (٥) .

(١) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

(٢) انظر الوصية رقم ٢٥ ص ١٥٧ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ٤٣ ص ١٧١ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٤٤ ص ٢٤١ من هذه الرسالة .

(٥) محمد الركيل ، أسس الدعوة وأداب الدعاة ٧٤ .

٢ - الصبر :

درب الدعوة شاق وطويل ، والداعية يحثك أثناءه بفئات متباينة من الناس ، ويتعرض لألوان مختلفة من المواقف كثير منها فيها إضرار به وإيذاء له ، ولذا كان من وصية الله تعالى لنبيه ﷺ الصبر في قوله عز وجل : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ (١) ، وتوافرت الوصية بالصبر من قِبَل العلماء للدعاة بخاصة حتى صدر ذلك من بعضهم عند احتضارهم ، فأوصى به النبي ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها (٢) ، وهم بن حيان لأقاربه وذويه (٣) ، والقاضي عبد الله بن غانم لأحد عواده (٤) ، وندم زيد بن صوحان على العجلة وعدم الصبر حيث قال : « فليتنا إذا ظلمنا صبرنا » (٥) .

٣ - الحلم :

الحلم خصلة شريفة يحبها الله تعالى ، بل إن بعض العلماء فضلها على العقل فقال : « الحلم أجلّ من العقل لأن الله تعالى وصف به نفسه » (٦) ، وقد أوصى به عند احتضاره معاوية بن أبي سفيان لوجهاء بني أمية حين قال لهم : « ولقد جهل بي فحلمتُ ، وتقر لي ففهمت » (٧) .
ومن فوائد الحلم أنه يكفُّ سفه السفيه ، ويفتح قلوب الناس ، وقد قيل : « حسب الخليم أن الناس من أنصاره » (٨) .
لكن يلاحظ أن الحلم لا يعنى الذلّة والهوان ، فالنبي ﷺ لما أخذ ملا قریش

(١) سورة الأحقاف آية : ٣٥ .

(٢) انظر الوصية رقم ٩ ص ١٤٣ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ٩٦ ص ٢١١ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٢٦ ص ٢٢٦ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ٨٩ ص ٢٠٧ من هذه الرسالة ، وراجع ص ١٢٠ .

(٦) الثعالبي ، التمثيل والمحاضرة ٤١٣ .

(٧) انظر الوصية رقم ٧٣ ص ١٩٧ من هذه الرسالة .

(٨) التمثيل والمحاضرة ٤١٣ .

يغمزونه ويعرضون به عند الكعبة أقبل عليهم وقال : « أتسمعون يامعشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده لقد جثتكم بالذبح » ، فارتعد القوم وخافوا ، حتى إن أشدهم عليه أخذ يترضاه ويقول : « انصرف أبا القاسم فما كنت جهولاً » (١) .

٤ - الرفق :

الرفق صفة يحبها الله تعالى ، وكان يحث عليه النبي ﷺ كما في حديث عائشة رضي الله عنها : « يا عائشة ، إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على سواه » (٢) لأنه يتأتى به ما لا يتأتى بغيره ، فهو « مفتاح النجاح » (٣) ، وبه تدرك الحاجات ، وتؤلف القلوب ، ونظراً لضرورته وأهميته فقد أوصى به بعض العلماء عند احتضارهم منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أوصى بما يدل عليه (٤) ، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه حيث قال لابنه « ... فارق بالناس ، وإياك وجه أهل الشرف » (٥) .

وأختم الحديث عن المنهج الوعظي الإرشادي بقول الشيخ علي محفوظ : « وعلى الجملة فالوعظ والإرشاد هو العلاج الوحيد لصلاح العالم ، والدين الحنيف هو الدواء المفيد لشفاء القلوب من أمراضها ، ولاسلامة للعالم من مخاطر الشقاء إلا به ، ولا ريب أنه إذا ترك علاج القلوب من هذه الأمراض استفحل أمرها ، ومتمى أهمل تطهير النفوس من أدران النقائص والرذائل عظم خطرهما ، وانتشر الفساد ، وهلك العباد ، وزاد البلاء ، وساء حال المجتمع الإنساني » (٦) .

(١) انظر : البيهقي ، دلائل النبوة ٢/٢٧٦ . وابن كثير ، السيرة النبوية ١/٤٧١ . وانظر ص ١١٩ من هذه الرسالة .

(٢) رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق ، ح ٧٧ (٢٥٩٣) انظر الصحيح ٤/٤٠٤ .

(٣) الشعالي ، التمثيل والمحاضرة ٤٢٠ .

(٤) انظر الوصية رقم ١٩ ص ١٥٤ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ٧٤ ص ١٩٧ من هذه الرسالة .

(٦) هداية المرشدين ٨٣ .

٢ - المنهج التربوي

التربية في مدلولها الذاتي تعني تلك العملية التي تتم في جسم الأمة وبين أفراد المجتمع الواحد ، من قبل أشخاص ذوي مسؤوليات تجاه الآخرين ، وهي إطار عام تُحدد من خلاله طبيعة الإنسان ، والمجتمع الذي يعيش فيه ، والأهداف المراد تحقيقها . فالتربية هي الطريق التي يَحْدُثُ من خلالها تنمية السلوك والأفكار لدى الأفراد بالدرجة الأولى ، لأنها تحمل نظرة متكاملة شاملة للإنسان ، ليتسنى من خلالها تزويده بالمهارات والخبرات والمعلومات الضرورية ، وتنمية قدراته الذاتية إلى أقصى ما هو مهياً له .

والتربية من المنظار الإسلامي تهتم بتنشئة المسلم على قيم وعقائد وتشريعات الدين الحنيف ، كما تساعد المسلم على الاندماج في الواقع ، واستقلالية التفكير ، وموضوعية السلوك والتصرف ، ونبذ الاتكالية ، مع الاهتمام بإحياء الطاقات الكامنة في النفس (١) .

ومن هنا تأتي ضرورة التربية من حيث إنها تهدف إلى سلامة المعتقدات والشرائع الإسلامية ، والمحافظة عليها ، إضافة إلى إحيائها في نفوس أبناء هذه الأمة ليمثلوها في أنفسهم اعتقاداً وعملاً .

ووصايا العلماء عند احتضارهم والتي هي بين أيدينا دلت على أساس المنهج التربوي ، ولذا رأيت التحدث عنه من خلال ثلاثة عناصر هي :

☆ - التربية الفكرية .

☆ - التربية العقّدية (الإيمانية) .

☆ - التربية السلوكية .

(١) انظر مقالة للدكتور علي خليل أبو العينين بعنوان « التربية الإسلامية والتنمية » في « رسالة الخليج العربي » العدد ٢٢ ، السنة السابعة ، لعام ١٤٠٧ هـ ، ص ٥٢ .

أولاً : التربية الفكرية

من أساسات الدعوة إلى الله تعالى تنوير الفكر وتحرير العقل ، وإعداد الفرد لتحمل أعباء الدعوة فيما بعد ، وفي سبيل ذلك فإن الدعوة تقوم بذلك من خلال المنهج التربوي في المجال الفكري .

وبما أن العقل هو أداة التفكير والمعرفة ، فإن الشريعة الإسلامية عمدت إلى تحريره من قيود الجاهلية فوجهته إلى عبادة الله ونبذ ما سواه ، قال تعالى : ﴿ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً و الله هو السميع العليم ﴾ (١) ، وجعل استجابة الناس لأمر الله سبب الرشاد في قوله سبحانه ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ (٢) .

ويعقب تحرير العقل من القيود المفروضة عليه إثارة وتنشيطه للتدبر والتفكير والتأمل ، وهو أمر عمل به القرآن الكريم ، واستخدمه النبي ﷺ وسار عليه عدد كبير من العلماء الذين برزوا في جانب الوعظ والإرشاد ، حتى إن بعضهم عند وفاته لم يغب عنه ضرورة إثارة العقل وتنشيط الذهن لترسيخ ما يدعو إليه ويحث عليه كما في مقولة الربيع بن خثيم عند وفاته « عاد وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً ... كانت فيهم مرضى ، وكانت فيهم أطباء ، فما أرى المداوي بقي ولا المتداوي ، هلك الناعت والمنعوت » (٣) ، وهو بذلك يريد أن يصل إلى نتيجة واضحة هي أن الطبيب مهما بلغ من قدرته لا يقدر على دفع الأجل .

(١) سورة المائدة آية : ٧٦ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

(٣) انظر الوصية رقم ٨٨ ص ٢٠٦ من هذه الرسالة .

وأفضل سبيل تنوير العقل وتحريره « العلم » فمجرد إزالة القيود عنه لا يكفي للاهتداء ، بل ربما أدى إلى غواية أعظم ، ولذا فإن الدعوة الإسلامية تتعامل مع العقل من جانبين :

الجانب الأول : تحريره من القيود المفروضة عليه .

الجانب الثاني : تزويده بالأصول والقواعد الثابتة في الشريعة ، والتي لا يمكن للعقل أن يصل إليها بمفرده .

ويتتبع وصايا العلماء الدعوية عند احتضارهم نجد بعضها حثاً على العلم الشرعي ورغباً فيه كما فعل المهلب بن أبي صفرة رحمه الله حيث قال لأبنائه : « ... تعلموا القرآن والسنن والفرائض ... »^(١) ، والوليد بن أبيان حذر في وصيته - إلماحاً - من علم وأوصى بخير منه ، وذلك في قوله لبنيه : « تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني ؟ قالوا : لا .

قال : فتتهموني ؟ قالوا : لا .

قال : فإن أوصيكم تقبلون ؟ قالوا : نعم .

قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإنني رأيت الحق معهم »^(٢) ، فالواضح من الوصية أنها تحذر من علم الكلام ، وترغب في علم الحديث .

أما معاذ بن جبل رضي الله عنه فإنه أوصى بالتعلم وأرشد إلى مظانه كما جاء في وصيته لأحد تلاميذه ، فقد روى عبد الرحمن بن غنم أن رجلاً بكى ومعاذ يوجد بنفسه فقال له : « ما يبكيك ؟ قال : ما أبكي على دنيا كنت أصبتها منك ، ولكن أبكي على العلم الذي كنت أصيبه منك . قال : لا تبك ، فإن إبراهيم صلوات الله عليه كان في الأرض وليس بها علم فأتاه الله علماً ، فإذا أنا ميت فاطلب العلم عند

(١) انظر الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٥ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٦٢ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ من هذه الرسالة .

أربعة : عبد الله بن مسعود ، وسلمان الفارسي ، وعبد الله بن سلام ، وعويمر أبي الدرداء « (١) ، وفي لحظاته الأخيرة كان من جملة ما أسف على فواته « مزاحمة العلماء بالركب على حلق الذكر » (٢) .

إذا فالشريعة الإسلامية تلزم المسلم – والداعية على وجه الخصوص – أن ينطلق في تفكيره ودعوته من قاعدة علمية تمثل أساس المبادئ الشرعية التي ينادي بها ، أما كفاءات الدعوة وسبلها فموكول إلى اجتهاد الداعية .

ومن خلال ماسبق يمكن تحديد مدلولات التربية الفكرية في المضمار الدعوي وذلك في النقاط التالية :

١ – التربية الفكرية بارتكازها على العلم فإنها تعتمد الحقائق الواضحة والمعلومات الثابتة بعيداً عن الحدس والتخمين لأنهما لا يجديان في تكوين الفكر الناضج الذي يجعل صاحبه مؤهلاً للدعوة والتأثير ، وبهذا الصدد يحسن تأمل وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند احتضاره لابنه الحسن رضي الله عنه حيث قال له : « يا بني ، احفظ أربعاً وأربعاً لا يضرک ما عملت معهن . قال : وما هن يا أبت ؟ قال : إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العُجب ، وأكرم الكرم حُسن الخلق .

فقال : يا أبت ، هذه الأربع فأعطني الأربع الأخرى .

قال : إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب إليك البعيد ويبعد عليك القريب ، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ماتكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه » (٣) .

فإرشادات علي رضي الله عنه عبارة عن حقائق تعلمها ممن سبقه ومن تجرته العلمية في حياته ، وجدير بالداعية أن يراعيها ويستفيد منها .

(١) انظر الوصية رقم ٦٨ ص ١٩١ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ٧١ ص ١٩٣ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ٣٠ ص ١٦١ من هذه الرسالة .

٢ - الفِكرُ في التربية الإسلامية يلتزم فقط بالإطار الشرعي ، ولا يصح أن ينحصر في قيود أو قوالب يصعب الخلاص منها ، أما كيفية التفكير وسبل تنمية الفكر فأمر متاح للإنسان مادام ضمن الإطار الشرعي (١) .

٣ - تهدف التربية الفكرية إلى تنشيط الذهن لاستيعاب المعاني ، وتنمية القدرة على التحليل ، مع إدراك العلاقات بفهم العظات والعبر وربطها بالواقع المشاهد ، قال عمر بن عبد العزيز : « ... وإذا وضعتوني في قبري فانزعوا عني لبنة ثم انظروا مالحتني من دنياكم هذه » (٢) ، إضافة إلى ربط العلل بالمعلولات ، قال أبو بكر رضي الله عنه : « واعلم أنهم لن يزالوا لك هائبين ما هبت الله عزَّ وجلَّ ، فرقين منك ما فرقت منه » (٣) ، والأسباب بالنتائج ، قال الشافعي رحمه الله في ختام وصيته لتلميذه المزني : « فمن كانت هذه صفته ؛ كانت الجنة منزلته » (٤) .

٤ - التربية الفكرية تجعل الداعية بخاصة متفتحاً ، عارفاً بأمور عصره وما يجري فيه ، واعياً للضروريات المطلوبة (٥) ، ثم يسعى لتكوين نفسه وإعدادها بالشكل الملائم ، ولعل وصية يزيد بن حميد تدلُّ على هذا حيث يقول : « والله إن كان لينبغي للرجل المسلم اليوم أن يزيد ما يرى في الناس من التهاون بأمر الله أن يزيد ذلك جداً واجتهاداً » (٦) ، كما أن وصية الحسن لأخيه الحسين بن علي رضي الله عنهم تُبيِّن معرفته بأحوال الناس في زمانه وذلك في قوله : « يا أخي ، إياك أن تسفك في دماً ، فإن الناس سراع إلى الفتنة » (٧) .

(١) انظر : علي خليل ، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ١٧٢ .

(٢) انظر الوصية رقم ١٤٢ ص ٢٤٠ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١٢ ص ١٤٦ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٥١ ص ٢٤٧ من هذه الرسالة .

(٥) انظر : فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ١٧٤ - ١٧٥ .

(٦) انظر الوصية رقم ١٦٧ ص ٢٥٩ من هذه الرسالة .

(٧) انظر الوصية رقم ٤٠ ص ١٦٨ من هذه الرسالة .

ثانياً : التربية العقديّة (الإيمانية)

العقيدة من حيث المدلول اللغوي تعني الاستيثاق من شيءٍ والعزم عليه ، والجزم به مع الإصرار عليه (١) ، أما المعنى الاصطلاحي فقد جاءت تعاريف كثيرة للعقيدة ، ولعل من أسهلها وأوضحها تعريف الشيخ حسن البنا رحمه الله في رسالة العقائد حيث قال : « العقائد هي الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك وتطمئن إليها نفسك ، وتكون يقيناً عندك ، لا يُمازجه ريبٌ ، ولا يخالطه شك » (٢) .

ويمكن التعبير عن التربية العقديّة بالتربية الإيمانية في هذا البحث ، لأن وصايا العلماء المحتضرين ركزت على أركان الإيمان على نحو خاص حثاً عليها وتذكيراً بها دون الدخول في تفاصيل أي ركن منها .

وأهم ما تحدثت عنه وصايا العلماء المحتضرين :

١ - التحذير من عبادة غير الله تعالى ، جاء ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . قالت : فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً (٣) .
وفي روايات أخرى كان يقول : « لا تجعلوا قبوري وثناً » (٤) ، فالنبي ﷺ مكث ينابذ الشرك والأوثان ويدعو إلى الإسلام ثلاثاً وعشرين سنة ، فخشى أن ينقلب الأمر بعد وفاته مباشرة بدافع المحبة فحذّر من ذلك .

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ٢٩٦/٣ ، مادة (عَقَدَ) ، والزبيدي ، تاج العروس ٤٢٦/٢ ، مادة (عَقَدَ) .

(٢) مجموعة رسائل الإمام حسن البنا ٢٩٢ .

(٣) انظر الوصية رقم ١ ص ١٣٩ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ٢ ص ١٣٩ من هذه الرسالة .

٢ - التذكير بأركان الإيمان ، ترغيباً في الثواب لمن تمسك بها ، وترهيباً من تركها أو ترك بعضها ، وجاء ذلك في وصايا عدد من العلماء عند احتضارهم منهم ، معاذ بن جبل (١) ، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما (٢) ، وداود بن أبي هند رحمه الله (٣) .

ولعل هؤلاء العلماء وغيرهم ممن أوصى بالتربية الإيمانية عند الاحتضار إنما ركزوا عليها دون غيرها لتيقنهم بضرورتها وأهميتها لكل فرد ، فالإيمان أساس قبول الأعمال ، هذا من جانب ، ومن الجانب الآخر فالتربية الإيمانية إذا تركزت في النفس وانعقد عليها القلب أصبحت ذات أثر بالغ في توجيه حركات الإنسان وعواطفه وفقاً لها شعر بذلك أو لم يشعر (٤) .

ولإتمام الفائدة وتكملة الحديث عن التربية الإيمانية رأيت من الضروري التعرض لطرق الدعوة للإيمان وتركيزه في النفس ، وبيان آثار التربية الإيمانية في المجال الدعوي وذلك فيما يلي :

طرق الدعوة إلى الإيمان وتركيزه في النفس :

باستقراء مواطن من الدعوة الإسلامية في العهد النبوي يمكن تحديد بعض تلك الطرق في النقاط التالية :

١ - الطريق العقلي (*) ، فالقرآن الكريم استخدم هذا الأسلوب في الدلالة على وحدانية الله تعالى ومن ثم استحقاته للعبادة دون غيره ، قال تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من

(*) انظر هذه الفقرة : أبو بكر الجزائري ، عقيدة المؤمن ٤٧ - ٤٨ .

(١) انظر الوصية رقم ٧٠ ص ١٩٣ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ٥١ ص ١٧٧ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١٦٩ ص ٢٦٢ من هذه الرسالة .

(٤) انظر : عمر الأشقر ، العقيدة الإسلامية وأسسها ٣٠ - ٣١ .

- شفيح إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون » ﴿ (١) .
- ٢ - بيان أن الإيمان بالله وتوحيده في مصلحة البشر (٢) ، يشعر بالأمن والطمأنينة ، قال سبحانه - فيما يحكيه عن نفرٍ من الجن - : ﴿ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً ﴾ (٣) ، وينجو من التناقض ، قال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً مسلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ (٤) .
- ٣ - إشعار الإنسان بالعناية ، فالكون ليس فيه أي مظهر من مظاهر العبث قال عز وجل : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ ما خلقناهم إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿ (٥) ، إضافة إلى أنه مسخر للإنسان ، قال تعالى : ﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴿ (٦) .

آثار التربية الإيمانية :

من خلال ماسبق يمكن تلخيص نقاط تبين آثارها على النفس المؤمنة وذلك في الآتي :

- ١ - انضباط سلوك المسلم ، وسيره وفق أحكام الشريعة وتعاليمها ، فالإيمان إذا استحكمت في النفس أصبح ذا سلطان قاهر تخضع له الجوارح وتنقاد لتوجيهاته .

(١) سورة يونس آية : ٣ ، ويلاحظ أن الأسلوب العقلي مستخدم في الوصايا لكن العلماء المحضرين لم يتعرضوا من خلاله للأمور العقديّة .

(٢) انظر : علي خليل ، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ١٨٢ .

(٣) سورة الجن آية : ١٣ .

(٤) سورة الزمر آية : ٢٩ .

(٥) سورة الدخان الآيتان : ٣٨ - ٣٩ .

(٦) سورة الجاثية الآيتان : ١٢ - ١٣ .

٢ - إيقاظ العقل البشري وتنويره ، ليأخذ في المرحلة التالية وظيفته الطبيعية في التأمل والتدبر ضمن الإطار المحدد له ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن العقل أيضاً محدود لا يمكنه إدراك كل شيء ، فإذا حاول شخص التفكير فيما لا يدركه تردى في الهاوية إلا أن يتداركه الله برحمته .

٣ - الجد والمثابرة في الدعوة واستباق الخيرات ، وعدم التعلل بالآمال الطويلة ، فكل فرد مطالب بحقوق وواجبات لا يُسأل عنها أحد غيره .
هذه بعض الآثار ، ولا بد أن هنالك آثاراً أخرى يمكن الوقوف عليها عند التقصي وطول البحث .

ثالثاً : التربية السلوكية

السلوك الإنساني عادة ما يكون تعبيراً ظاهراً لحقيقة كامنة في النفس ، وتلك الحقيقة عند المسلم تتمثل في التربية الإيمانية التي يتلقاها في المراحل الأولى من حياته أو من إسلامه ، فمن ولد ونشأ في بيئة إسلامية يتلقاها من سنه الأولى ، أما الداخل في الإسلام فتبدأ التربية معه وقت دخوله فيه .

والسلوك الإنساني أنواعه مختلفة ، بعضها يدخل تحت الأحكام الخلقية ، والبعض الآخر يندرج تحت أحكام ذوقية جمالية تدخل تحت عنوان " الأدب " ، وبعضها أحكام دينية محضة أمر بها الشارع توجب مراعاتها والعمل بها وفقاً لأحكامها (١) .

وبما أن البحث متعلق بوضايا دعوية فإن الكلام سيكون عن سلوك الفرد من حيث الأخلاق والعبادة ، وعن سلوك الجماعة من حيث ما يجب أن تكون عليه .

١ - سلوك الفرد :

سلوك الفرد من الناحية الدعوية يركز بالدرجة الأولى على الأخلاق ، فهي وسيلة تعامله مع المدعوين ، وعلى العبادة ، فهي الصلة الروحية بالله تعالى التي تمده بالثبات والطمأنينة والقوة .

وفيما يلي عرضٌ مفصلٌ بعض الشيء عن كلٍّ من الأخلاق والعبادة :

أ - الأخلاق

الشرع الإسلامي دين شمولي ترتبط فيه العبادات والأخلاق والمعاملات وسائر أحكام التشريع ارتباطاً متيناً ، والإخلال بأحدها يورث خللاً في باقية ، وهناك بعض النصوص الشرعية تذكر خلقاً من الأخلاق إلى جانب الإيمان أو أحد مقتضياته كما في قوله

(١) الميداني ، الأخلاق الإسلامية وأسسها ١٢/١ .

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) ، وقول النبي ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنه : « قل آمنت بالله ثم استقم » (٢) .

والأخلاق أساسية للدعوة والحركة ، فهي لذلك هدف مقصود في عملية البناء والتربية ، لأن التربية الخلقية هي روح التربية الإسلامية ، وهي الغرض الأساسي الذي يرمي إليه المربي إلى جانب عنايته بالتربية الفكرية ، ذلك أن التربية الخلقية الصحيحة تنشئ أجيالاً كريمة الأخلاق ، قوية العزيمة ، مهذبة الأقوال والأفعال ، حكيمة مخلصمة (٣) ، ومن ثمَّ قادرة على تحمل أمانة الدين الإسلامي ، والقيام بأعباء الدعوة إليه ، كما فعل جيل الإسلام الأول الصحابة رضوان الله عليهم ، وإن كان من الصعب تكرار ذلك الجيل فلا صعوبة في الاقتداء بهم ، والتأسي بأفعالهم .

ومن الأخلاق التي تحدثت عنها الوصايا عند الاحتضار :

أ - التواضع ، كان من جملة ما أوصى به حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، وما قال في وصيته : « وللضعة فيكم أحب إلي من الشرف » (٤) ، وهو من الأخلاق التي رغب فيها رسول الله ﷺ في قوله : « ما نقصت صدقةً من مال ، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً ، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه » (٥) .

ب - الصدق : أوصى به محمد بن سيرين رحمه الله إذ قال : « فإن العفاف والصدق خير وأبقى وأكرم من الزنى والكذب » (٦) ، وقد أمر الله تعالى به في مواطن

(١) سورة التوبة آية : ١١٩ .

(٢) رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام ، ح ٦٢ (٣٨) ، انظر : الصحيح ٦٥/١ .

(٣) انظر : محمد الإبراهيمي ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ١١٠ .

(٤) انظر الوصية رقم ٣٦ ص ١٦٧ من هذه الرسالة .

(٥) رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلوة والآداب ، باب استحباب العفو والتواضع ، ح ٦٩ (٢٥٨٨) ، انظر الصحيح ٢٠٠١/٤ .

(٦) انظر الوصية رقم ١٥٤ ص ٢٥٠ من هذه الرسالة .

عديدة منها قوله عز وجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (١) ، وأكد عليه النبي ﷺ حيث قال : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً » (٢) .

ج - ترك المرء ما لا يعنيه ، وبه أوصى أبو دجانة رضي الله عنه إيجاباً فقال : « ... أما أحدهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني » (٣) ، وهو بذلك يحث على التمسك بحديث النبي ﷺ : « من حسن إلام المرء تركه مالا يعنيه » (٤) .

د - صفاء الصدور ، وقد أوصى به - أيضاً - أبو دجانة رضي الله عنه حيث قال : « وأما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً » (٥) ، والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في وصيته لعثمان رضي الله عنه : « وعليك بسلامة القلب وحفظ اللسان تصب بهما سرورا » (٦) ، وعبد الملك بن مروان الذي قال بعد الوصاة بالتقوى واحترام الكبير والعطف على الصغير « ... مع سلامة الصدور وجميل الأمور » (٧) وإلى هذا الخلق أرشدنا النبي ﷺ حيث جاء في الحديث الشريف : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٨) .

هـ - الكرم ، أوصى به في وصية شيب بن ربيعي رحمه الله ومما قال في وصيته :

(١) سورة التوبة آية : ١١٩ .

(٢) رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الخلق وفضله ، ح ١٠٥ (٦٠٧) اظر : الصحيح ٢٠١٣/٤ .

(٣) انظر الوصية رقم ٤٨ ص ١٧٦ من هذه الرسالة .

(٤) رواه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ٩ ، ح ٢٤١٩ ، انظر : تحفة الأحوذى ٦٠٧/٦ .

(٥) انظر الوصية رقم ٤٨ ص ١٧٦ من هذه الرسالة .

(٦) انظر الوصية رقم ٥٢ ص ١٧٨ من هذه الرسالة .

(٧) انظر الوصية رقم ١٣٠ ص ٢٣١ من هذه الرسالة .

(٨) رواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ح ١٣ ، انظر : فتح الباري ٥٦/١ - ٥٧ .

« ... أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجواد في الجنة ، والبخيل في النار » (١) ، وأوصى به المهلب بن أبي صفرة في أكثر من موضع من الوصية (٢) .

و - القناعة ، أشار إليها موصياً بها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في وصيته التي قال فيها : « ... وإياك والطمع فإنه فقر حاضر ، وعليك باليأس فإنه الغناء » (٣) .

إن النبي ﷺ حرص - في مسيرته الدعوية - على غرس الأخلاق السامية في أصحابه من خلال سيرته العطرة ، قبل التعليمات القولية ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً » (٤) .

وتأتي ضرورة التربية العملية في المجال الخلقى من ناحية أن « حُسن الخلق لا يؤسس في المجتمع بمجرد التعاليم المرسلّة ، أو الأوامر والنواهي المجردة ، إذ لا يكفي في طبع النفوس على الفضائل أن يقول المعلم لغيره : افعل كذا ، أو لا تفعل كذا ، فالتأديب المثمر يحتاج إلى تربية طويلة ، ويتطلب تعهداً مستمراً ... ولن تصلح التربية إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة » (٥) .

والتربية الخلقية تؤدي إلى تهذيب النفس وتزكيتها ، وينعكس أثرها الدعوي في إقبال الناس على الداعية ، وحبهم له ، وقبوله منه إذا شاء الله له ذلك .

(١) انظر الوصية رقم ٩٠ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٣ - ٢٥٥ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ٣٤ ص ١٦٤ من هذه الرسالة .

(٤) رواه الإمام مسلم في كتاب المساجد ، باب جواز الجماعة في نافلة والصلاة على حصير وخمرة وثوب وغيرها من الطاهرات ، ح ٢٦٧ (٦٥٩) ، انظر الصحيح ٤٥٧/١ .

(٥) محمد الغزالي ، خلق المسلم ١٦ .

ب - العبادة

العبادة هي التقرب إلى الله تعالى بأقصى غايات الخضوع والتذلل له سبحانه فيما شرعه لعباده من الأقوال والأعمال القلبية والبدنية «^(١)»، فمدلول العبادة في الإسلام شامل للحياة كلها ، قال تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ^(٢) .

وباستعراض الوصايا الدعوية - المتوفرة - للعلماء المحتضرين ظهر للباحث كيف ركز عددٌ منها على العبادات حثاً على المأمور بها ، وتحذيراً من المناهي التي يعد تركها عبادة .

فمن العبادات الواجبة المذكورة في الوصايا : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، والجهاد ، والعمرة ، وصلة الرحم ، والدعوة إلى الله .
ومن السنن : الاستغفار ، والذكر ، والتهجد ... والتوافل عامة .

أما المناهي التي يعد تركها عبادة يثاب عليها المسلم فمنها : اتخاذ القبور مساجد ، وأكل مال اليتيم ، والظلم ، والعقوق ، والفرار من الزحف ، والنياحة ... ونحوها مما تعرضت له الوصايا .

وما كان الاهتمام في التربية العبادية مرتبطاً - فقط - بالسلوك الخارجي ، بل اهتمت بعضها بالفرائض الداخلية ، فالعباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه وجّه غريزة الحبّ نحو الطاعة ، وغريزة الخوف تجاه المعصية ^(٣) ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وجّه غريزة الحذر صوب الذنوب ^(٤) .

(١) عبدالله سراج الدين ، سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، ٢٦٠ .

(٢) سورة الأنعام الآيتان : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) انظر الوصية رقم ٥٢ ص ١٧٨ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ٢١ ص ١٥٥ من هذه الرسالة .

إن التركيز على العبادات ، والاهتمام بها ، وتوجيه السلوك نحوها ، عنصرٌ أساس من عناصر المنهج التربوي في عملية الدعوة إلى الله تعالى .

وقد دلَّ النبي ﷺ أُمَّته في الجانب العبادي على منهج سوي لعل أبرز معالمه :

١ - المداومة على الأعمال الصالحة ^(١) : فالنبي ﷺ داوم على الركعتين قبل الفجر ، وصلاة الوتر ، وكان لا يتركهما في حضر ولا سفر ، وكان يحث على المداومة على العمل وإن كان قليلاً لأنه أحب إلى الله تعالى ، جاء في حديث عائشة أن النبي ﷺ قال : « خذوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يملئ حتى تملأوا . وأحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دووم عليه وإن قلت ، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها » ^(٢) .

٢ - أداء كل العبادات الواجبة دون التقصير في بعضها لحساب أخرى ، فالنفر الذين تقالوا عبادة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأرادوا ترك بعض السنن رغبة في الزيادة ، بين لهم النبي ﷺ خطأ ذلك وأنه خلاف سنته ^(٣) .

٣ - عدم التشدد في الدين ^(٤) : قال ﷺ : « إن الدين يسر ، ولن يشادَ الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة » ^(٥) ، وعند الإمام أحمد « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » ^(٦) ، فالحديثان يعنيان عدم مغالبة الدين ، والرفق في أخذه ، فلا يأخذ بأشد الأعمال دفعة واحدة ، لأن النفس حينئذٍ لا تحملها ، وربما عجزت عنها ، فانقلبت ، وصار مكان الحب كرهاً ، وهذا ما يُخشى منه .

(١) انظر : عبد الله سراج الدين - سيدنا محمد رسول الله ﷺ ٢٢٦ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الصوم ، باب صوم شعبان ، ح ١٩٧٠ ، انظر : فتح الباري ٢١٣/٤ .

(٣) انظر : سيدنا محمد رسول الله ﷺ ٢٦٤ .

(٤) انظر : المرجع السابق ٢٦٧ .

(٥) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر وقول النبي ﷺ « أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة »

برقم ٣٩ . فتح الباري ٩٣/١ .

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٩٩/٣ .

ولعل من الآثار الدعوية للتربية العبادية :

أ - أن العبادة تهيء النفس للثبات على المبادئ والفضائل الشرعية ، والتي يلتزم بها الداعية ، ويستفاد هذا الأثر من وصية صفوان بن سليم رحمه الله ، فقد روى سفيان ابن عيينة قال : « حلف صفوان ألا يضع جنبه بالأرض حتى يلقى الله . فمكث على ذلك أكثر من ثلاثين عاماً ، فلما حضرته الوفاة ، واشتدَّ به النزع والعكز وهو جالس ، فقالت له ابنته : يا أبة ، لو وضعت جنبك ؛ فقال : إذا ما وقَّيت الله بالنذر والحلف ، فمات وإنه لجالس » (١) ، وبما أن الله تعالى لا يكلف المرء إلا طاقته فهذا النذر - والله أعلم - لا يجب عليه ، ومع ذلك يستفاد من الوصية الثبات على المبادئ والفضائل .

ب - الاستمرار على الدعوة ، فالأمر بها في قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (٢) مستمر ، وقد ألهم الله تعالى أحد العلماء أن يوصي بهذه الآية عند احتضاره (٣) ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن تقديم وصاياهم الدعوية عند الاحتضار حافز آخر للاستمرار على الدعوة ولا سيما أن الوصية إحدى أساليبها .

٢ - سلوك الجماعة :

إن المنهج التربوي في الإسلام كما أنه يُعنى بالفرد فإنه يُعنى كذلك بالجماعة ، وكما وضع تعاليم تهذب نفس الفرد وتصلحه وتهيئه ليصبح فرداً صالحاً نافعاً ضمن الجماعة ، فإنه جاء بتعاليم وتوجيهات تجعل من جماعة المسلمين بدأ واحدة قوية ، تطبق الإسلام وتخدمه .

ومن الأسس التي يجب أن يقوم عليها المجتمع ، وتمثله الجماعة في سلوكها

ما يأتي :

(١) انظر الوصية رقم ١١٩ ص ٢٢٣ من هذه الرسالة ، وهناك شرح الكلمات الغريبة .

(٢) سورة النحل آية : ١٢٥ .

(٣) انظر وصية الربيع بن خثيم رقم ٨٧ ص ٢٠٦ من هذه الرسالة .

أ - الأخوة في الله (٥) :

الأخوة نعمة امتنَّ الله تعالى بها على عباده المؤمنين فقال : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾^(١) ، ذلك أن من ضرورات الحياة أن يعيش المجتمع في ألفة ووثام ومحبة ، بعيداً عن الخلاف والتمزق ، لأن المجتمعات المتألفة المتكاتفة قوية تفرض وجودها ، أما المجتمعات المتنافرة فهي ضعيفة فاشلة ، فائدة سببَ ظهورها - إن لم يكن وجودها - والإسلام يريد من المجتمع الإسلامي ليس فقط الظهور والبروز ، بل القوة والقيادة .

ومن خلال دراسة الوصايا تبين أن بعضها حوى نخبة من عناصر التأخي مثل : التأزر ، والتبَّار ، والتحاب ، والتراحم ، والتعاون ، والتواد ، والتواصل ... ونحوها ، وتأمل في ذلك قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصيته لأبنائه : « عليكم يا بني بالبر ، والتواصل ، والتبَّار ... و ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ »^(٢) .

ووصية المهلب بن أبي صفرة لبنيه : « تواطؤ ، وتآزروا ، وتواصلوا ، وتعاطفوا ، فإن ذلك يشبث المودة ، وتحابوا »^(٣) .

وقول عبد الملك بن مروان الذي أنشد عند وفاته : (٤)

« فلمثل ريب الدهر أَلَّفَ بينكم بتراحم وتواصل وتودد »

« وهذه الأخوة هي روح الإيمان الحي ، ولباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم

* انظر هذا المبحث : محمد الغزالي ، خلق المسلم ١٦٥ - ١٧٣ . عبدالكريم الخطيب ، الدعوة إلى الإسلام مضامينها ومبادئها ١٨ - ١٩ . البوطي ، عناصر القوة في الإسلام ١٨١ - ١٨٢ .

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

(٢) انظر الوصية رقم ٣٢ ص ١٦٣ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٥ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٣٠ ص ٢٣٣ من هذه الرسالة .

لإخوانه ، حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم ، فكأنهم أغصان انبثقت من دوحه واحدة أو روح واحد حل في أجيال متعددة» (١) .

ب - المساواة (*) :

الناس متساوون في أصولهم فكلهم من ذكر وأنثى آدم وحواء ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (٢) ، فهم متساوون في أصل التناسل ، وقد سَوَّى اللهُ تعالى بينهم - أيضاً - في التكليف ، فأمرهم جميعاً بالعبادة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٣) .

وفيما يتعلق بوصايا العلماء المحتضرين فقد تمثلت المساواة في سلوك عمر بن عبدالعزيز الذي أفصح عنه عند وفاته حيث قال لمسلمة : « ... فإني لم أمنعهم حقاً هو لهم ، ولم أعطهم حقاً هو لغيرهم » (٤) ، فهم أسوة بغيرهم ، وهو بذلك يطبق قاعدة إسلامية سامية في بناء المجتمعات .

ج - الشورى (**)

الشورى سمة أساس من سمات المجتمع الإسلامي ، أمر الله تعالى بها نبيه ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ (٥) ، وجعلها من صفته حيث قال سبحانه :

(*) انظر هذا الموضوع بالتفصيل : د . رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في عهدنا المدني ٣٦ - ٤١ .
(**) انظر هنا الموضوع مفصلاً : المرجع السابق ١٠٠ - ١٠٤ . و البوطي ، على طريق العودة إلى الإسلام ٥٧ - ٦١ .

(١) محمد الغزالي ، خلق المسلم ١٦٦ .

(٢) سورة النساء آية : ١ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢١ .

(٤) انظر الوصية رقم ١٤٠ ص ٢٣٩ من هذه الرسالة .

(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٩ .

﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (١) .
ونظراً لأهمية الشورى فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يغفل عنها وألح إليها موصياً بها أبناءه فقال - مخاطباً ابنه محمد بن الحنفية - :
« ... أسمع ما أوصيتهما به ؟ قال : نعم . قال : وأوصيك بمثله ويتزين أمر أخوك ، ولا تقطع أمراً دونهما » (٢) .

د - الاتفاق وصلاح ذات البين (*):

حرص الإسلام على منع الخلاف ودفع أسبابه ، وكان من التعليمات الإلهية لعباده إصلاح ذات البين ، قال تعالى : ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ (٣) ، وروى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصيته وقت احتضاره عن النبي ﷺ دعوته لصلاح ذات البين فقال : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن صلاح ذات البين أعظم من عام الصلاة والصيام » (٤) ، وأوصى المهلب بن أبي صفرة رحمه الله تعالى بنيه بلزوم الجماعة وعدم الخلاف حيث قال : « والزموا الطاعة والجماعة ، وإياكم والخلاف وفراق الجماعة » (٥) .

ولا يخفى مافي إصلاح ذات البين من فائدة عظيمة للمجتمع الإسلامي ، حيث يظهر بصورته الزاهية ، قوياً ، مترابطاً ، ملتزماً ، يضبط تصرفات أفرادها ، ويحاسبهم

(*) انظر هذا الموضوع مفصلاً : الميداني ، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢٢١ - ٢٢٢ . سيد سابق ، عناصر

القوة في الإسلام ١٩٠ - ١٩١ .

(١) سورة الشورى الآية : ٣٨ .

(٢) انظر الوصية رقم ٣١ ص ١٦٢ من هذه الرسالة .

(٣) سورة الأنفال آية : ١ .

(٤) انظر الوصية رقم ٣٢ ص ١٦٣ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ من هذه الرسالة .

على هفواتهم ، فيسلم للمجتمع صفاؤه ونقاؤه ، فيبقى قدوة للمقتدين ، ونبراساً للسائرين .

إن الأخوة في الله والمساواة ، والشورى ، والإصلاح ، نقاط تتحدث عن بعض أسس سلوك الجماعة المسلمة ، ذكرتها على سبيل التمثيل والأهمية ، وإلا فهي - أي أسس سلوك الجماعة - متعددة تحتاج بمفردها إلى كتاب مستقل بذاته ، وليس هو المقصود هنا في هذه الأطروحة بل إلقاء الضوء عليها والحديث عن أبرزها .

الفصل الثاني

الخصائص والآثار

المبحث الأول

خصائص وصايا العلماء المحتضرين

خصائص وصايا العلماء الدعوية عند احتضارهم

الخصائص هي السمات والنقاط التي امتازت بها الوصايا في مجموعها ، واكتسبت من خلالها أهميتها ، باعتبارها أسلوباً من الأساليب الدعوية الشائعة الاستعمال .

وقد حاولتُ في هذا المبحث - قدر الطاقة - البحث والتنقيب عن تلك الخصائص ، من خلال النصوص التي قدرتُ على جمعها ، ولم يسعفني في ذلك مرجع تحدث عن خصائص هذا الأسلوب على نحو محدد ، وهذا مما زاد في الأمر مشقة وصعوبة ، وبحمد الله تعالى وُقِّتُ إلى جمع خمس خصائص رئيسة للوصايا هي : الانضباط الشرعي ، والواقعية ، والوضوح ، والتركييز ، والتأثير . ولا أدعي أن خصائص الوصايا محصورة في هذه فقط ، إذ قد يظهر لدارسٍ آخر وصايا أخر لم أتمكن من الوقوف عليها .

إضافة إلى ذلك فهذه الخصائص ليس بالضرورة أن تتوفر في كل وصية بمفردها ، وإنما هي متوفرة في مجموع الوصايا ، وبعبارة أخرى : مجموع الوصايا أفرز هذه الخصائص . وفيما يأتي حديثٌ مفصلٌ عن كل واحدة منها ، تعقبها كلمة خاتمة تتعلق بالسمات والمميزات الشكلية للوصايا ، والله المستعان .

أولاً : الانضباط الشرعي

المقصود بالانضباط الشرعي في وصايا العلماء عند احتضارهم أنها لاتخرج في مضمونها وألفاظها عن أحكام الشريعة الإسلامية وآدابها ، والعلماء الذين قدموا هذه الوصايا هم حملة العلم الشرعي ، والدعاة إلى الشريعة بآدابها وأحكامها ، فبهدي أن تصدر عنهم الوصايا مقيدة بالشريعة الإسلامية .

وهذا الانضباط الشرعي قد أعطى الوصايا ميزة تقارب الموضوعات في البدايات بخاصة ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « كانوا يكتبون في صدورهم وصاياهم : هذا ما أوصى به فلان بن فلان ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وأوصى من ترك من بعده من أهله أن يتقوا الله حق تقاته ، وأن يصلحوا ذات بينهم ، ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين ، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب ﴿ يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾^(١) .

فهذه البداية الشرعية والدعوية أخبرنا أنس بن مالك رضي الله عنه بشيوعها بين الصحابة رضوان الله عليهم ، وانتقل ذلك الاهتمام إلى عدد من التابعين رحمهم الله تعالى كما هو مشاهد في وصية محمد بن سيرين^(٢) ، والربيع بن خثيم^(٣) رحمهما الله تعالى ، وهي تدل دلالة واضحة على الالتزام التام بالإطار الشرعي في وصاياهم ،

(١) الآية في سورة البقرة رقم ١٣٢ . والحديث رواه الدارمي ، كتاب الوصايا ، باب ما يستحب بالوصية من

التشهد والكلام ، برقم ٣١٧٧ . السنن ٢/٢٩١ . وعبد الرزاق ، كتاب الوصايا ، باب كيف تكتب

الوصية ، برقم ١٦٣١٩ . المصنف ٩/٥٣ . والدارقطني في الوصايا ، ح ١٦ . السنن ٤/١٥٤ .

والبيهقي ، كتاب الوصايا ، باب ما جاء في كتاب الوصية ، السنن الكبرى ٦/٢٨٧ .

(٢) انظر وصيته رقم ٨٧ ص ٢٠٦ من هذه الرسالة .

(٣) انظر وصيته رقم ١٥٤ ص ٢٥٠ من هذه الرسالة .

في وصاياهم ، إضافة إلى أن الوصية عند الاحتضار هي آخر أعمال العبد ، ومجيئها ملتزمة بالشرع يعني أنها خاتمة خير ، وهذا يزيد في حرصهم على الانضباط الشرعي رجاء حسن الخاتمة ، إلى جانب تحذير النبي ﷺ من الحيف والمضارة في الوصية ، وعده ذلك من علامات سوء الخاتمة ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليعمل بعمل سبعين سنة ، فيعدل في وصيته ، فيختم له بخير عمله ، فيدخل الجنة » ثم يقول أبو هريرة واقروا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ﴾ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴿ (١) ، وفي حديث آخر قال النبي ﷺ : « إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ، ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار » (٢) .

وبما أن هؤلاء العلماء عرفوا الله تعالى حق المعرفة ، وقدروه حق التقدير ، واستوعبوا هذه النصوص الشرعية المتضمنة للوعيد الشديد لمن حاف وجار في الوصية وعدل بها عن الحق ، فلا بد أن تأتي وصاياهم منضبطة بالشرع الإسلامي فيما تحويه من مضامين ، وتأمل وصاياهم عند الاحتضار (٣) تجددها تحدثت مرغبة في : التعلم والتعليم ،

(١) الآيتان في سورة النساء ١٣ ، ١٤ . والحديث رواه ابن ماجه ، كتاب الوصايا ، باب الحيف في الوصية ، برقم ٢٧٠٤ . السنن ٩٠٢/٢ . وعبد الرزاق ، كتاب الحيف في الوصية والضرار ، برقم ١٦٤٥٥ . المصنف ٨٨/٩ .

(٢) رواه أبو داود ، كتاب الوصية ، باب ماجاء في كراهية الإضرار في الوصية . عون المعبود ٧٢/٣ . والترمذي ، كتاب الوصايا ، باب ماجاء في الوصية بالثلث ، برقم ٢٢٠٠ ، وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه . تحفة الأحوذى ٣٠٤/٦ .

قد يتبادر إلى الذهن أن الحديثين يتحدثان عن الوصايا المالية فحسب ، لكن لفظ الوصية فيهما عام يشمل الوصايا المالية وغيرها ، فكما أن الوصية تكون على كتاب الله وستة رسوله في المال ، تكون في غيره ، وكما يحصل الحيف والإضرار في المال يحصل أيضاً في غيره ، والله أعلم .

(٣) انظر الباب الثاني في هذه الرسالة من ١٣٩ إلى ٢٦٩ .

والجهاد ، والحج ، والدعوة إلى الله ، والزكاة ، والصلاة ، والصوم ، وصلة الرحم ، والعدل ، والوفاء بالعهد ، مذكراً بالإكثار من الاستغفار والعبادات ، والزهد في الدنيا ، ومُنْبَهَةً على مكارم الأخلاق : الحلم ، والرحمة ، والشجاعة ، والعفة ، والكرم ، والمعونة ، ومنقراً عن سيئها : الأثرة ، وجِبِّهِ الشرفاء ، والطمع ، واللؤم ، والمحابة ، ومصاحبة الأشرار ، ومحذرة من المحرمات : أكل مال اليتيم ، والرياء ، وشرب الخمر ، والعقوق ، والفرار من الزحف ، والكذب ، والنياحة ... ونحو ذلك من الأمور التي تحدثت عنها النصوص الشرعية تفصيلاً وإجمالاً ، وليس في مجموع تلك الوصايا ما يخرج عن الإطار الشرعي .

هذا من حيث الموضوعات ، أما بالنسبة للألفاظ والأساليب فهي أيضاً ملتزمة بالإطار الشرعي ، فألفاظها نظيفة مؤدبة ليس فيها ما يخذش الحياء ، بعيدة عن الكلمات الهابطة وغير المستحبة ، خالية من الأساليب الجارحة لشعور السامع ، فهي أيضاً ضمن حدود الأدب الشرعي .

وهنا يظهر الفارق بين وصايا العلماء المنضبطة بالإطار الشرعي ، ووصايا غيرهم من فقدوا الإطار الشرعي أصلاً كما في وصايا بعض الجاهليين ومنهم « سعيد بن زيد » فقد حكى ابن قتيبة أنه : « لما حضرته الوفاة جمع بنيه وقال : يا بني ، أوصيكم بالناس شراً ، كلموهم نزراً ، وانظروا إليهم شزراً ، ولا تقبلوا لهم عذراً . قصرُوا الأعنة ، واشحدوا الأسننة ، تأكلوا القريب ، ويرهبكم البعيد »^(١) ، أو الذين لم يلتزموا بالإطار الشرعي وحادوا عنه ، ومثاله ماروي عن الخطيئة^(٢) أنه لما حضرته الوفاة قيل له : « أوصِ . قال : بم أوصي ؟ مالي للذكور دون الإناث . فقالوا : إن الله لم يأمر بذلك ،

(١) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ٦١/٢ . ولم أقف له على ترجمة .

(٢) هو جرول بن أوس بن مالك ، جاهلي إسلامي ، سمي جرولاً لقصره وقريه من الأرض ، قال الأصمعي :

« كان الخطيئة سؤولاً ملحفاً ، دنيء النفس ، كثير الشر قليل الخير بخيلاً ، قبيح المنظر رث الهيئة ،

مغموز النسب ، فاسد الدين » ، توفي في حدود الثلاثين للهجرة . انظر :

ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ٢٣٨/١ . والكتبي ، فوات الوفيات ٢٧٦/١

فقال : لكنني أمر به . ثم قال : ويلٌ للشعر من راوية الشعر ، فقيل له : أوصي يا أبا مليكة للمساكين بشيء ، قال : أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبور . قيل : أعتق عبدك يساراً ، قال : اشهدوا أنه عبد ما بقي . قيل : فلان اليتيم ما توصي فيه ؟ قال : أوصي أن تأكلوا ماله و ... أمه ^(١) ، قالوا : ليس إلا هذا ؟ قال : احملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم لعلي أنجوا . ومات مكانه ^(٢) .

وهذه التخصيص تعطي طالب العلم الشرعي وبخاصة المشتغل بالدعوة لفتة كريمة عند اختياره للموضوعات ، وطرحه لها ، وكلماته التي يتحدث بها ، فلا بد أن تكون مقيّدة بالإطار الشرعي ، منضبطة بالآداب الإسلامية ، حتى لا يجد المترصون فيه ثغرة يستغلونها لعرقله عمله الدعوي ، كما أنها تلفت النظر إلى ضرورة المحافظة على تلك الأمور الشرعية ، واستمرارها ، بالوصية بها وتناقلها عبر الأجيال المسلمة المتعاقبة ، ليشبوا محافظين على الشخصية الإسلامية ، منضبطين بالتعاليم الشرعية كما انضبطت توجيهات العلماء ووصاياهم .

(١) كلمة منافية للأدب الإسلامي .

(٢) أبو حاتم السجستاني ، المعرون والوصايا ١٣٤ . وابن قتيبة ، عيون الأخبار ٦٠/٢ ، والشعر والشعراء ٢٩٣/١ . والكتبي ، قوات الوفيات ٢٧٨/١ .

ثانياً : الواقعية

المجتمع الإسلامي - كأى مجتمع من المجتمعات - يحوي فئات متنوعة من الناس ، تتولد بينهم مشكلات وقضايا تطرح نفسها في الواقع العملي ، يشاهدها العالم بنفسه ، أو تبلغ علمه ، وتتطلب علاجاً وحلاً من العلماء الذين يعيشون فيه ، ليس العلاج الشكلي العاجل ، بل العلاج المثالي الناجع ، وهنا يظهر دور كل عالم وبراعته في التوعية والتوجيه .

فالمقصود بخصيصة الواقعية بالنسبة لرضايا العلماء الدعوية عند احتضارهم أن تلك الرضايا تلامس حقيقة مشاهدة ، وواقعاً مدركاً في المجتمع ، ذلك الواقع الذي يحمل بين ثناياه علامات الخير ، ونذر الشر ، وبما أن العالم من هؤلاء عاش حياة حافلة بالتجارب والتعلم والتعليم ، والتوجيه والإرشاد ، فلا بد أنه ركز في حياته أثناء العملية الدعوية على نقاط سلبية بدا له أنها مواطن الوباء ، وعلى نقاط إيجابية شعر أنها منطلق الإصلاح ومرتكزه الأساس ، فجاءت رضايا من دونت وضاياهم من العلماء عند الاحتضار مبرزة اهتمام كل واحد منهم طيلة حياته التي عاشها في مجتمعه ، ومقدمة خلاصة ما عنده ، وعصارة تجربته ، لمجموعة أو أفراد عرف أحوالهم وما يناسبهم . وقد اختلف أسلوب كل عالم في التوجيه والتذكير عند الاحتضار ، فمنهم من تعرض عند وفاته للعللة ثم عقب بعلاجها ، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ففي مرض وفاته كأنه شعر بأن أفراداً من الصحابة تآقت نفوسهم إلى الخلافة ، فلما صُرف عنهم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجدوا في أنفسهم ، فوجه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وصية تقيه من المشكلات المقبلة ، وتُسَلِّم من عواقب التنافر والمنافسة ، فحثه على الالتزام التام بالتعاليم الشرعية والعمل بموجبها ، لتحصل له الهيبة في نفوس الرعية ، ولا يجدوا عليه ثغرة ينفذون إليه منها ، قال أبو بكر الله عنه :

« وأحذرك هؤلاء الرهط من المهاجرين ، فإنني قد رأيتهم طمحت أبصارهم ، ونفخت أجوافهم ، وفتنى كل امرئ لنفسه ، فاحملهم على الطريق الواضح يكفوك أنفسهم ، واعلم أنهم لن يزالوا لك هائبين ما هبت الله عز وجل ، فرقين منك ما فرقت منه » (١) ، وهنا في هذه الوصية يلاحظ أن أبا بكر رضي الله عنه صدر في وصيته عن واقع لمسه ، وأدرك بعضه ، فقدم لخليفته العلاج الشافي لتلك المعضلة .

ومن العلماء من ركز على أمر فحذر منه لما رأى الناس مستغرقين فيه ، لاهين به عن أمور الآخرة ، كما فعل أبو الدرداء رضي الله عنه ، حيث عاش في دمشق ، ورأى في ذلك الوقت المبكر من صدر الإسلام التفات الناس إلى أمور الدنيا ، وتراخيهم عن العلم وأمور الدين ، فأخذ يعظ ويذكر بالآخرة ، قال مرة لأهل دمشق : « يا أهل دمشق ، أنتم الإخوان في الدين والجيران في الدار ، والأنصار على الأعداء ، ما يمنعكم من مودتي وإنما مؤنتي على غيركم ؟ مالي أرى علماءكم يذهبون ، وجهالكم لا يتعلمون ؟ وأراكم قد أقبلتم على ماتكفل لكم به ، وتركتم ما أمرتم به ، ألا إن قوماً يتنوا شديداً ، وأملاوا بعيداً ، فأصبح بنيانهم قبوراً ، وأملمهم غروراً ، وجمعهم بوراً ، ألا فتعلموا وعلموا ، فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ، ولاخير في الناس بعدهما » (٢) هذه التوجيهات وأمثالها عاشها أبو الدرداء رضي الله عنه بقلبه ، واستغرقت جهده ، فلما دنا الموت منه لم تفارقه ، وأخذ يردد كثيراً : « من يعمل لمثل يومي هذا ؟ من يعمل لساعتي هذه ؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا ؟ » (٣) ويتلو قول الله عز وجل : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأهواءهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ (٤) ينذر بذلك من مآل الانشغال بالدنيا ونسيان الآخرة ، ويعيد إلى أذهان الناس أمراً استيقنوا به ونسوه ، ويذكرهم

(١) انظر الوصية رقم ١٢ ص ١٤٦ من هذه الرسالة .

(٢) حلية الأولياء ٢١٣/١ .

(٣) انظر الوصية رقم ٦٠ ص ١٨٤ من هذه الرسالة .

(٤) سورة الأتعام آية : ١١٠ .

بالموت الذي غفلوا عنه ، وأجلّوا الاستعداد له ، حتى إذا جاء أحدهم الموت ندم على تفريطه ، وأسف على عبثه ، روى الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله عن الحسن البصري إنه كان يمر بشاب فيعظه ، فيقول الشاب : « يا أبا سعيد دعنا نَدُقُ الدنيا دَقاً » فمرض ، فدخل عليه الحسن يعوده ، فلما رآه الشاب بكى ، وقال : « يا أبا سعيد ، أتاني آتٍ في منامي فقال : أنت القاتل للحسن : دعنا نَدُقُ الدنيا دَقاً ؟ والله لأدُقَنَّكَ دَقَّةً لا تَدُقُ الدنيا بعدها » فلم يلبث أن مات (١) .

وذكر أبو محمد العجلي عن رجل قال في الموت : « سَخِرَتْ بي الدنيا حتى ذهبت أيامي » (٢) ، إنه مصير مؤسف ، وبما أن العلماء لا يحملون تجاه الناس في نفوسهم إلا الرحمة والشفقة ، لذا قاموا بتوجيه الوصايا والمواعظ خشية سوء المآل على أولئك ، فإنما هم داعاة خير ، يحبون الخير لهم كما يحبونه لأنفسهم ، ويكرهون لهم سوء العاقبة كما يكرهونها لأنفسهم .

وبعض العلماء قصد بيان هوان الدنيا وسرعة زوالها ، فاستخدم أسلوب المشاهدة الواقعية ساعة الدفن ، فعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أوصى عند وفاته فقال : « أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا يبد لكم منه ، وإذا وضعتوني في قبري فانزعوا عني لبنة ثم انظروا مالحني من دنياكم هذه » (٣) ، هذا الخليفة الذي يحكم أقوى دولة في ذلك العهد ليس معه في قبره من حطام الدنيا سوى الكفن ، قد زال عنه ماعداه ، ولم ينتفع منها إلا بما قدمه من الصالحات ، وفي هذا أبلغ العظة لمن نُورَ الله بصيرته ، وأحيا قلبه . واستخدم الضحاک بن مزاحم رحمه الله تعالى هذا الأسلوب المشاهد ، ليجعل الناظر أمام مصير الناس في الدنيا ، واقع الموت المشاهد : ميت ، وكفن ، وقبر ، بعيداً عن الخيال ، جاء في وصيته لأخيه : « فإذا وضعتني في لحدي فسوّيت على

(١) المحتضرون (خ) ل ٢٨ ب .

(٢) المرجع السابق ل ٧٣ أ .

(٣) المرجع السابق ل ٢٢ ب ، وانظر الوصية رقم ١٤٢ ص ٢٤٠ من هذه الرسالة .

اللبن فارفع لبنة من عند رأس أخيك ثم انظر إلى مضجعه ، ثم شُنْ شأنك «^(١) .
وقد اشتملت بعض وصايا العلماء عند الاحتضار على مواضيع متعددة ذات
ارتباط بالواقع العملي ، حيث تعرضت لها ، وأوصت بها ، وترغيباً بها ، وترهيباً عنها ،
ومن هذه الوصايا الطويلة الجامعة وصية المهلب بن أبي صفرة رحمه الله ^(٢) ، تعرض
فيها لذكر الموضوعات التالية :

أ - صلة الرحم ، فذكر فوائدها الواقعية لمن التزم بها ، وآثارها المشاهدة في
الواقع لمن تركها ، فقال : « أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم ، فإن تقوى الله تعقب
الجنة ، وإن صلة الرحم تُنسى في الأجل ، وتُثري المال ، وتجمع الشمل ، وتكثر العدد ،
وتُعمِّرُ الدار ، وتُعزِّزُ الجانب ، وأنهاكم عن معصية الله وقطيعة الرحم ، فإن معصية
الله تعقب النار ، وإن قطيعة الرحم تورث القلَّة ، والذلَّة ، وتفرق الجمع ، وتدع الدار
بلاقع ، وتطمع العدو ، وتبدي العورة » .

ب - الرزانة وحفظ اللسان ، حيث نبه إلى سوء عاقبة زلَّة اللسان فقال : « اتقوا
الجواب وزلَّة اللسان ، فإنني رأيت الرجل تَعَثُرُ قَدَمُهُ فيقوم من زلته ، فينتعش منها
سويًا ، ويزل لسانه فيوبقه ، وتكون فيه هلكته ... وإياكم والخفَّة في مجالسكم ،
وكثرة الكلام ، فإنه لا يسلم منه صاحبه » .

ج - التؤدة وعدم العجلة ، ولأنه قائد عسكري فقد تحدث عن هذا الأمر في
جانب الحرب فقال : « عليكم في الحرب بالأناة والتؤدة في اللقاء ، وعليكم بالتماس
الخديعة في الحرب لعدوكم ، وإياكم والتُّزُق والعجلة ، فأن المكيدة والأناة والخديعة أنفع
من الشجاعة » .

د - الاجتماع والتآلف ، قال : « تواطؤوا ، وتآزروا ، وتواصلوا ، وتعاطفوا ،
فإن ذلك يشبث المودة » ، وذلك من أسباب صفاء القلوب ، وسيادة المحبة بين الإخوة .

(١) انظر نص الوصية رقم ١٢١ ص ٢٢٤ من هذه الرسالة .

(٢) انظر نص الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ من هذا البحث .

هـ - حفظ الوصية ، قال : « وخذوا فيما أوصيكم به بالجدّ والقيام به ، تظفروا بدنياكم ماكنتم فيه » .

إذا فالوصايا تعالج الواقع ، وتقدم الأمثل ، وهو الأمر الذي ينبغي لكل داعية أن يراعيه ويلتزم به أثناء قيامه بالدعوة إلى الله تعالى ، لعل الله عز وجل يكتب له التوفيق والنجاح .

ثالثاً : الوضوح

اشتملت وصايا العلماء عند احتضارهم على موضوعات رئيسة في الدين الإسلامي ، والدعوة إليه ، منها ما يتعلق بأسس الدين وركائزه ، ومنها ما يتعلق بالتشريعات التي تكمل بناء الصرح الإسلامي ، وتقييمه ، إضافة إلى اشتمالها على معان وأساليب دعوية عرفها العلماء من واقع تجربتهم فقدموها لأشخاص يَعزُونَ عليهم – فالوصية غالباً ماتقدم لعزیز ، ولا يقال فيها إلا عزیز – وهذا يقتضى أن تأتي الوصايا على درجة من الوضوح كافية للفهم والإدراك ، إذ الغاية من الوصايا التأثير على عواطف السامعين ، مع إقناعهم بما يُحْتَوَى عليه .

وإقناع العقول والتأثير على القلوب يقتضيان وضوح الدلالة فهو أساس الإقناع والاستمالة ، بخلاف تعقيد الألفاظ وغموض المعاني فإنهما يحولان دون إدراك المعنى المقصود والهدف المنشود . والإنسان لا يقتنع إلا بما يعيه فهمه ، ولا يؤثر فيه شيء يجهله ، فالإدراك والمعرفة يُؤلِّدان الشعور بالحاجة إلى تلك الوصية ، هذا الشعور هو الذي يدفع إلى العمل بالوصية .

والتمسك بتوجيهاتها ، ومراعاة إرشاداتها ، وبخاصة إذا رافقتها الثقة التامة بمن صدرت منه الوصية ، وبما أن مدار الأمر على البيان والإيضاح فقد وصف الله تعالى رسله – من جملة ما وصفهم به – بالبيان فقال جلّ وعلا : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾^(١) قال الجاحظ : « وكلما كان اللسان أبين كان أحمد ، كما أنه كلما كان القلب أشدّ استبانة كان أحمد ، والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل إلا أن المفهم أفضل من المتفهم ، وكذلك المعلم والمتعلم »^(٢).

(١) سورة إبراهيم آية ٤ .

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ١١/١ .

ولذلك فإن أنسب الألفاظ - كما هو ملاحظ في وصايا العلماء عند احتضارهم - هي الألفاظ الحقيقية المباشرة ، التي يدرك معناها من الوهلة الأولى ، دون الحاجة إلى شرحها وتفسيرها ، ولاسيما وأنه لا مجال للشرح والتفسير عند الاحتضار لحالة المحتضر النفسية ، وآلامه الجسدية ، لذا فالأمر البدهي والمتوقع أن تحيي ألفاظ وصايا العلماء التي بين أيدينا ^(١) واضحة المعاني ، قادرة على الإقحام المباشر وعلى تحقيق المعنى المراد ، حسنة الوقع على الأسماع ، وأذكر على سبيل العرض ثلاثاً من الوصايا عند الاحتضار :

* - قول النبي ﷺ : « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » ^(٢) .

* - قول سلمان الفارسي رضي الله عنه يوصي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « ياسعد اذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند حكمك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت » ^(٣) .

* - قول السري بن المغلس السقطي للجنيذ رحمهما الله يوصيه : « لاتصحب الأشرار ، ولاتشتغلن عن الله بمجالسة الأخيار » ^(٤) .

وهذه الوصايا - وباقيا مثلها - واضحة الألفاظ ، عميقة المعاني ، ولاغرابة في ذلك لأنها صادرة عن معرفة دقيقة وشاملة لما يوصي فيه ، نظراً لسعة العلم ، وطول التجربة واتساع الخبرة ، ومعرفة حال المحدث ، لذلك ترى العالم يختار الكلمات التي تناسب وصيته ، وتُناسب السامعين ، حتى كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : « ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » ^(٥) ، وليضمن كذلك سرعة نفاذ الوصية ووقوعها في ذهن السامع وقلبه ، قال بشر بن المعتمر : « ينبغي

(١) راجع الباب الثاني من هذه الرسالة .

(٢) راجع الوصية رقم ٦ ص ١٤١ من هذه الرسالة .

(٣) راجع الوصية رقم ٤٧ ص ١٧٥ من هذه الرسالة .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٨٦/١٢ . وانظر الوصية رقم ١١٠ ص ٢١٩ من هذه الرسالة .

(٥) رواه الإمام مسلم في المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ماسع ، الصحيح ١١/١ .

للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات « (١) .

ومما يزيد في الوضوح أن تأتي الوصية في مجملها متقاربة الموضوعات والمعاني ، فيها شيء من التسلسل الفكري لكل موضوع يطرح فيها ، دون تنافر أو شذوذ في العبارات ، مع خلوها من الألفاظ الغريبة أو نادرة الاستعمال ، وهذا الأمر يظهر بجلاء في وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخليفة من بعده التي قال فيها : « وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رداء العدو ، وجباة الأموال والفيء ، لا تحمل فينهم إلا عن فضل منهم » وفيها أيضاً : « وأوصيك بالعدل في الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، ولا تؤثر غنيهم عن فقيرهم ، فإن ذلك بأذن الله سلامة لقلبك ، وحطٌ لو زرك ، وخير في عاقبة أمرك ، حتى تفضي من ذلك إلى من يعرف سريرتك ، ويحول بينك وبين قلبك » (٢) .

ولا يضير الوضوح إجمال الوصية ، كوصية المغيرة بن حكيم رحمه الله : « اعمل لهذا المضجع » (٣) ، ووصية أبي حازم رحمه الله تعالى : « إنه والله لا يستوي من غدا وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت ، حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له ، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره ، ويرجع إلى الآخرة لاحظ له فيها ولا نصيب » (٤) ، وقول عمر بن سالم رحمه الله عند وفاته لصاحب له يعظه : « الانكسار بكل القلب على التقصير » (٥) ، وهذه الرصايا واضحة رغم إجمالها ،

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ١/٩٧ .

(٢) انظر الوصية رقم ١٩ ص ١٥٣ - ١٥٤ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١٥٨ ص ٢٥٢ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١١٥ ص ٢٢١ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ١٣٤ ص ٢٣٦ من هذه الرسالة .

فكل منها يحث الموصى على اغتنام فرصة الحياة والصحة والعافية ، للازدياد من طاعة الله تعالى ، بالحرص على الفرائض والواجبات ، والإكثار من المندوبات ، والبعد عن المكروهات والمحرمات ، إذ كل ذلك يزيد في الأجر ، ويرفع من الدرجة عند الله تعالى ، قبل أن يأتي الإنسان الموت فيندم على ما فرط في أيامه السالفة ألا يكون اجتهد فيها . ومن هنا فقد يكون الإجمال في بعض المواطن أقوى وأوضح من التفصيل ، فالسامع من المحتضر تشغله عدة أمور يصعب معها حفظ الوصية المفصلة الطويلة ، فتكون القصيرة المجملة أخرى للحفظ ، وأجدد للعمل بما حوت من توجيهات وإرشادات .

خلاصة الأمر أن الوصايا - وبخاصة عند الاحتضار - القصد منها التأثير العملي في النفوس ، وليس مجرد تَلْقِيها ونقلها دون فهم لعانيها ، والوضوح يعين على ذلك القصد ، ويساعد على تحقيقه .

رابعاً : التركيز

العالم المخلص تجول في نفسه أمور كثيرة ، وخواطر متنوعة ، مما يراه من حال نفسه وحال الناس ، فيجتهد في التعليم والتوجيه ، ويثُ ما يأمل تحقيقه إلى تلاميذه وعموم الآخذين عنه ، وهي بلا شك أمورٌ كثيرة ، لكن بعضها أهم من بعض ، فإذا جاء وقت الاحتضار - وهو لا بُدُّ آتٍ - ومكَّنه الله تعالى من الكلام والحديث مع العوَّاد ، هفت نفسه إلى ما اعتاد عليه في حياته من التعليم والتذكير والوعظ ، إلا أن حاله والوقت الذي هو فيه لا يساعدان على بث كل ما يريد ، فيلجأ إلى التركيز ، لأنه من خلال حياته العملية لمس أشياء غاية في الأهمية لاحظ من مجتمعه إهمالاً لها ، أو قصوراً في الأخذ بها ، فعند الاحتضار يَنْصَبُ تفكيره على ذلك الأمر ، ويبدو اهتمامه به أكثر من غيره .

ويظهر التركيز في الوصايا عند الاحتضار من الأمور التالية :

١ - التركيز في اختيار الموضوعات ، حيث اشتملت على أهم موضوعات الشريعة وأصول الدين ، وكثير من التوجيهات العملية في الدعوة ، ولا بأس من ذكر بعض الوصايا التي تبرز هذا الأمر فيما يأتي :

أ - وصية النبي ﷺ : « لا تجعلوا قبوري وثناً »^(١) ، فموضوع الوصية هنا يعد أصلاً من أصول الدين ، هو التحذير من الشرك ومقدماته ، فتعظيم الناس ومحبتهم لرسول الله ﷺ قد يدفعهم إلى التمسح بالقبور بحجة التبرك به ، هذا الأمر مع مرور الزمن يتطور إلى عبادة قبر النبي ﷺ ، فيقعون في الشرك الذي جهد النبي ﷺ في إزالته ومقاومته طيلة ثلاثٍ وعشرين سنة من بعثته إلى وفاته ﷺ .

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٣١٧/٧ ، وانظر الوصية رقم ٢ ص ١٣٩ من هذه الرسالة .

ب - وصية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : « إني أوصيكم بوصية ، إن قبلتموها لن تزالوا بخير ، وبعدها تهلكوا ، أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا شهر رمضان ، وحجوا ، واعتصموا ، وتواصلوا ، وانصحوا لأمرائكم ، ولا تبغضوهم ، ولا تلهكم الدنيا ، فإن امرءاً لو عُمِرَ ألفَ حَوْلٍ ما كان له بُدٌّ من أن يصير إلى مثل مصرعي هذا الذي ترون ، إن الله قد كتب الموت على بني آدم فهم ميتون ، وأكيسهم أطوعهم لربه ، وأعلمهم ليوم مياعده ، والسلام عليكم »^(١) ، فموضوعات هذه الوصية جد هامة ، تدلُّ مقدمتها على أهميتها « إن قبلتموها لن تزالوا بخير ، وبعدها تهلكوا » ، حيث تحدثت عن الجانب العبادي في الإسلام المتمثل في الأركان الأربعة : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وأتبعته بالجانب الاجتماعي : التواصل ، والنصح ، عدم التباغض ، وعقَّب على ذلك بالتحذير من الدنيا وطول الأمل فيها ، فهي عرض زائل ، والكل ميّت مهما امتدُّ به العمر .

ج - وصية هرم بن حيان رحمه الله تعالى ، فعن قتادة أنه بلغه أن هرم بن حيان « قيل له : أوص . قال : ما أدري ما أوصي ، ولكن بيعوا درعي فاقضوا عني ديني ، فإن لم يتم فبيعوا فرسي فاقضوا عني ديني ، فإن لم يتم فبيعوا غلامي ، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل » أدع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون * إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴿^(٢) ، وهنا ركز التابعي الجليل في الوصية على أمرين هما : الدين ، إذ التساهل فيه أمر خطير ، حتى إن الرجل لو كان من أهل الجنة لا يدخلها حتى يوفى ما عليه من دين ،

(١) انظر الوصية رقم ٣٥ ص ١٦٤ - ١٦٥ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ٨٧ ص ٢٠٦ من هذه الرسالة . والآيات في سورة النحل من الآية ١٢٥ - ١٢٨ آخر السورة .

وكثير من الناس يتساهل في أدائه أو يتناساه ، بل جاءت بعض الوصايا عند الاحتضار تحض على عدم الوفاء بالدين ، كما حكى أبو حاتم السجستاني « أن وكيع بن أبي الأسود^(١) أوصى - وكان أحق الناس وأظهرهم موقاً^(٢) ، - فقال : يا بني إنني لو قد هلكت أتاكم قوم قد شمروا ثيابهم ، وحلقوا شواربهم ، وعفروا جباههم فقالوا : إن لنا على أبيكم ديناً فاقضوا دين أبيكم ، ألا وإن قبل أبيكم تبعات ، إن يغفرها الله له فالدين أهون مما هنالك ، وإن تكن الأخرى فلا يهلكن أبيكم ، وتذهب أموالكم^(٣) ، فهذا المسكين فضل الهلاك على ذهاب الأموال والعياذ بالله .

والأمر الثاني الدعوة إلى الله تعالى كما بينت الآيات الكريمة ، بالأساليب الموضحة وهي أم الأساليب الدعوية ، إضافة إلى أخلاق هامة يحتاجها الداعية بخاصة مع ضرورة توفرها عند كل مسلم هي : المعاقبة بالمثل ، والصبر ، وعدم الأسف على الكافرين ، والتقوى والإحسان .

٢ - تقارب موضوعات الوصية الواحدة وهذا الأمر متداخل بين الوضوح والتركيز ، ويبرز في الوصايا الطويلة المفصلة ، كوصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخليفة من بعده^(٤) ، غايته منها استقامة الخليفة ، وقيامه بين الناس بالعدل والإنصاف ، ووصية عمر بن عبد العزيز لبنيه^(٥) ، علمهم فيها الأخذ بالحق والتمسك به وإن بدا أن فيه مضرة ، لأن الوقوف مع الحق والعمل به منفعة بحد ذاته ، ووصية المهلب بن أبي صفرة رحمه الله^(٦) ، هدفه منها استقامة بنيه ، ورزانة تصرفاتهم ، وحسن تعاملهم مع عشيرتهم .

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) الموق : الحُرق والغباوة ، انظر : الجوهري ، الصحاح ١٥٥٧/٤ .

(٣) أبوحاتم السجستاني ، المعرون والوصايا ١٤٠ ، وانظر ابن قتيبة ، عيون الأخبار ٦١/٢ .

(٤) انظر الوصية رقم ١٩ ص ١٥٣ - ١٥٤ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ١٤٠ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ من هذه الرسالة .

(٦) انظر الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ من هذه الرسالة .

٣ - ويظهر التركيز في بعض الوصايا من طرحها ومعالجتها لمشكلة قائمة ، عاشها العالم في حياته ، كما في وصية يحيى بن اليمان رحمه الله ، قال الحسن : « كان يحيى بن اليمان يصلي بقومه فتعصب عليه قوم منهم فقالوا : لا تُصَلِّ بنا ، لانرضاك ، وإن تقدمت نَحِينَاكَ ، فجاء بالسيف فسَلَّ منه أربع أصابع ثم وضعه في المحراب وقال : لا يدنو مني أحدٌ إلا ملأت السيف منه . فقالوا : بيننا وبينك شريك . فقدموه إلى شريك فقالوا : إن هذا كان يصلي بنا وكرهناه ، فقال لهم شريك : من هو ؟ قالوا : يحيى بن اليمان ، فقال : يا أعداء الله ، وهل بالكوفة أحد يشبه يحيى ؟! لا يصلي بكم غيره . فلما حضرته الوفاة قال لابنه داود : يا بُنْتِي كاد ديني يذهب مع هؤلاء ، فإن اضطروا إليك بعدي فلا تصل بهم »^(١) ، ولعله حرص على الإمامة لأنه شعر أن أولئك يريدون التلاعب بها ، وليسوا من أهل التقوى والعلم ، ولذا قال : « كاد ديني يذهب مع هؤلاء » فأوصى ابنه بعدم الصلاة بهم حتى لا يحصل له الذي حصل لأبيه ، وفي هذه الوصية إشارة كذلك إلى ذلك التلاعب فهم يريدون تغيير الأئمة باستمرار - وهي عادة أهل الكوفة - دونما سبب .

ووصية سبط النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما لأخيه الحسين رضي الله عنه : « يا أخي إياك أن تسفك دماً فإن الناس سراع إلى الفتنة »^(٢) ، فكان الحسن رضي الله عنه يلاحظ من الحسين رضي الله عنه رغبة في تنفيذ ما يريد ، وإن استعمل القوة في ذلك ، وكاد يصدق ظنه عند محاولة دفن الحسن رضي الله عنه في حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، إذ كادت تنشب فتنة ، ولو لم يأخذ الحسين رضي الله عنه بوصية أخيه ؛ لوقعت الفتنة ، وسفكت الدماء إلى جوار قبر النبي ﷺ .

وقد تعالج تلك الوصايا مشكلة شاهد الناس عليها أثناء حياته فحاول معالجتها ، وأكد على ذلك عند وفاته ، ومن ذلك أن النعي والنواح كان أمراً شائعاً في الجاهلية ،

(١) انظر الوصية رقم ١٦٤ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ٤٠ ص ١٦٩ من هذه الرسالة .

ورغم نهى الإسلام عنه لكنه استمر - وإن كان على قلة - وأكثر ما كان يقع من النساء ، ومن هنا فكثير من الوصايا ركزت على النهي عن النياحة والنعي ، قال صفوان بن محرز : « أغمي على أبي موسى - الأشعري - فبكوا عليه ، فأفاق وقال : إني أبرأ إليكم مما برئ منه رسول الله ﷺ : من حلق ، وخرق ، وسلق »^(١) ، وهذه كلها من أشكال النياحة المحرمة التي شاعت بخاصة بين النساء ، ووصية شقيق بن ثور رحمه الله ركز فيها على منع النياحة^(٢) ، والوصايا في هذا الجانب كُثُر ، وفي وصية عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه للخليفة من بعده يزيد بن عبد الملك تركيز على معالجة خلق الحاكم ، ولعله كان يشعر بذلك فيه ، فكتب إليه : « أما بعد فإياك أن تدرك الصرعة عند العزة فلا تقال العثرة ، ولا تمكّن من الرجعة ، ولا يحمذك من خلقت ، ولا يعذرك من تقدم عليه ، والسلام »^(٣) .

٤ - إجمال الوصايا ، حيث جاءت جُملة من الوصايا مُجملة ، وهو أمر طبيعي في ذلك الوقت ، فالمحتضر في حالة نفسية وآلام جسدية لا يشعر بها إلا هو ، وإن بدا للناس أماراتها ، فعمر بن سالم رحمه الله لما طُلبت منه الوصية قال « لست أقوى على القول » ، فإذا مكّنه الله تعالى من الكلام ، وقدر على الوصية ، استحث قواه العقلية بكاملها ، ليبلغ وصية يأمل أن ينجذب إليها السامع ، ويستجيب لها ، وينتفع بها ، كما صنع عمر بن سالم حين وجد من نفسه القدرة الكلام قال : « الانكسار بكل القلب على التقصير »^(٤) .

ومن الوصايا المجملة عند الاحتضار : وصية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، قال لابنه لما نزل به الموت : « يا عبد الله ، إني والله مامتُ موتاً ، ولكنني فنيتُ

(١) انظر الوصية رقم ٥٦ ص ١٨١ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١١٨ ص ٢٢٢ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١٣٦ ص ٢٣٨ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٣٤ ص ٢٣٦ من هذه الرسالة .

فناءً ، وإني موصيك بحب الله وحب طاعته ، وخوف الله وخوف معصيته ، فإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك ، وإني استودعك الله يا بني «^(١) ، ووصية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لأبي مسعود الأنصاري : « عليك بما تعرف ، وإياك والتلون في أمر الله »^(٢) ، ووصية أبي هارون الأندلسي لصاحبه أبي عقال الذي جاور معه : « يا أبا عقال ، لم تقرأ أعمال القوم باطلاً ، نزل كل واحدٍ على ما عمل »^(٣) .

وهذه الوصايا مجملة ذكرتها ليتأمل القارئ مدى التركيز فيها ، فهؤلاء العلماء ومن هو على شاكلتهم جباهم الله تعالى القدرة على التركيز ، فتمكنوا من حصر معان كثيرة ومتعددة في جُمَلٍ قصيرة سهلة الحفظ والفهم والاستيعاب .

(١) انظر الوصية رقم ٥٣ ص ١٧٨ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ٣٧ ص ١٦٧ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١٦٨ ص ٢٦٠ من هذه الرسالة .

خامساً: التأثير

إن من متطلبات العمل الدعوي أن يكون له أثر وافٍ ملموس في المجتمع الذي تتم فيه ، ويتطلب ذلك أن يكون الداعية - بطبيعته - مؤثراً في المحيط الذي يدعو فيه والمجتمع الذي مارس الدعوة ، والتأثير إذا حصل في المدعويين فإنه يعكس استجابة منهم ، أو تعاطفهم معه ، أو شعورهم بأنه صادق وأن مامعه حق ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان لدعوته - بتوفيق الله تعالى - تأثير في نفوس أهل مكة ^(١) جميعهم ، فمنهم من بادر إلى اعتناق الإسلام كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وبعده سائر المهاجرين رضوان الله تعالى عليهم ، ومنهم من تعاطف معه ويتمثل ذلك في قيام بعض أشرف مكة بإدخال بعض المسلمين في جوارهم حتى لا ينالهم أذى قريش ، كما يتمثل بوضوح في موقف أبي طالب من النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته حيث تعرض للأذى في سبيل ذلك ودخل معه الشعب وقاسى المشاق من أجل ابن أخيه ، وقال في ذلك قصيدة طويلة ذكر فيها صدق النبي ﷺ وفضله وحمايته له ^(٢) ، بل وأوصى باتباعه وهو في سياقة الموت ^(٣) .

والصنف الأخير شعرَ بصدق النبي ﷺ ، وأنه لا يقول إلا الحق ، لكن حمله الكبر على معاداة النبي ﷺ ، ومنهم الوليد بن المغيرة - أحد كبراء قريش - الذي قال يصف القرآن في حواره مع أبي جهل : « والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا - يعني الشعر - ، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ،

(١) خصّصت مكة بالذكر مع أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم كان لها أثر بين القبائل الذين التقى بهم في موسم الحج ، وبعض المواسم الأخرى ، لأنه كابد مع أهلها مشاق الدعوة معهم أكثر من غيرهم ، وكانوا المحيط الأكثر لصوقاً به .

(٢) ذكرها ابن كثير في « البداية والنهاية » ٥٤/٣ - ٥٥ .

(٣) انظر الباب الأول ص ١٠٩ - ١١٠ من هذه الرسالة .

وإنه ليعلو وما يُعلا ، وإنه ليحظم ما تحته «^(١) ، وموقف أبي جهل نفسه الذي قال : « والله إنني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن ينعني شيء ، إن بني قُصي قالوا : فينا الحجابة . فقلنا نعم . ثم قالوا : فينا السقاية . فقلنا : نعم . ثم قالوا فينا الندوة . فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا اللواء . فقلنا : نعم . ثم أطعموا وأطعمنا ، حتى إذا تحاكت الركب قالوا : منّا نبي ، والله لا أفعل «^(٢) . فالحق الذي يحمله النبي ﷺ مؤثر ، والنبي ﷺ - كذلك - حياه الله تعالى قدرة على التأثير ، يقول الرافعي : « إنه لا يغير النفس إلا النفس التي فيها قوة التحويل والتغيير ، كنفوس الأنبياء ومن كان في طريقة روحهم «^(٣) .

إذا فالتأثير الفعلي يتجسد في نقل الداعية ما عنده من توجيهات وإرشادات إلى المدعويين ، وظهور ذلك في سيرتهم وتصرفاتهم ، وهذا الأمر وإن لم يكن بيد الداعية أو في مقدوره ، لكنه يتطلب أن يكون على قدر يؤوله للتأثير في الآخرين ، سواء من حيث السلوك الشخصي - وقد سبق الحديث عن القدوة الحسنة -^(٤) ، أو من حيث أسلوب الدعوة ، إذ لا يكفي تقديم الحق مجرداً من جمال الأداء ، لأن ذلك يضعف - إن لم يذهب - تأثيره ، وإذا كان أهل الباطل يحسنون باطلهم ، فأهل الحق أولى بتحسين ما عندهم وتجميله .

وإذا تأملنا وصايا العلماء عند الاحتضار نجد أن معظمها أتمم بخاصية التأثير ، وذلك من ناحيتين :

(١) انظر القصة : البيهقي ، دلائل النبوة ٢/١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ١/٥٠٧ .

(٣) وحي القلم ٢/١٨٥ .

(٤) انظر : صفحة ٢٤٤ وما بعدها من هذه الرسالة .

الأولى : حال العالم عند احتضاره ، إذ يشعر سامعه أن هذا العالم مُحِبُّ له ، راغبٌ في صلاحه ، حريص على تقديم الخير له ، هذا الشعور يجعل السامع أقرب قلباً وذهناً إلى العالم ، وأكثر استعداداً للقبول منه ، والعمل بمشورته ، إضافة إلى علمه بأنه مجرد الدعوة إلى الله ، والتذكير بشرعه ساعة الاحتضار ، علامة من علامات الصلاح ، ودلالة على حسن الخاتمة ، مما يؤكد الثقة بهذا العالم ، ويبعث على الطمأنينة إليه وإلى ما يرشد إليه ، ويحث عليه ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « انظروا الناس عند مضاجعهم ، فإذا رأيتم العبد يموت على خير ما ترونه فارجوا له الخير ، وإذا رأيتموه يموت على شر ما ترونه فخافوا عليه ، فإن العبد إذا كان شقيماً وإن أعجب الناس بعض عمله قُبِضَ له شيطان فأرداه وأهلكه حتى يدركه الشقاء الذي كُتِبَ له ، وإذا كان سعيداً وإن كان الناس يكرهون بعض عمله قُبِضَ له ملك فأرشده وسدده حتى تدركه السعادة التي كُتِبَتْ له »^(١) ، ويقول الإمام البخاري رضي الله عنه : « أصدق ما يكون الرجل عند الموت »^(٢) .

فهو في تلك الحال لا يقدر على إخفاء حقيقته ، وإلى ذلك نبهنا معاذ بن جبل رضي الله عنه حين قال عند احتضاره : « إنها ليست ساعة الكذب هذه »^(٣) ، ويجري على لسانه عند وفاته ما اعتاده في حياته وعند وفور صحته ، فالصالح يظهر صلاحه كما هو ملاحظ في وصايا العلماء عند احتضارهم^(٤) ، والفاقد أيضاً يظهر فساده ، يُروى أن محمد بن مغيث المغربي سأله بعض إخوانه في مرضه - الذي مات فيه - لِيخْبِرَ قُوَاهُ : « هل تقدر على النهوض لو رُمْتَهُ ؟ »

(١) رواه ابن أبي شيبة في كتاب الزهد ، كلام ابن مسعود رضي الله عنه ، ح ١٦٤١٨ ، انظر : المصنف ٣٠٢/١٣ - ٣٠٣ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٤٧/١٢ .

(٣) انظر الوصية رقم ٦٦ ص ١٨٩ من هذه الرسالة .

(٤) راجع الباب الثاني من هذه الرسالة .

فقال : لو شئت مشيت من ههنا إلى حانوت أبي زكريا النبأذ ، فقال : فألا قلت إلى الجامع ؟! فقال :

لكلِّ امرئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا

وكان مفتوناً بالخمر ، مُدْمِناً عليها « (١) .

كما يُروى عن كُثَيْرِ عَزَّةَ أنه كان رافضياً يخفي رفضه ممالأة لبني أمية فلما كان عند وفاته أنشد يقول : (٢)

« برئتُ إلى الإله من ابن أروى ومن قول الخوارج أجمعينا ،

ومن عمر برئتُ ومن عتيق غداة دُعي أمير المؤمنين »

الثانية : حسن الأداء ، حيث اتخذت الرصايا طريقة سهلة في أداء المعاني ، وتضمنت عبارات الوصية أسلوباً بارعاً ، يجذب النفوس ، ويؤثر على القلوب ، حتى إن بعضها ليشعر السامع أنه لم يسمع بتلك الموعظة قبل ولا بما يشبهها ، من جودتها ودقة معانيها ، وحسن تعبيراتها ، ومن الأمثلة على ذلك قول أبي بكر رضي الله عنه لسلمان الفارسي « إنها ستكون فتوح ، فلا أعرفن ما كان حظك ما جعلته في بطنك وألقيته على ظهرك » (٣) ، ففي هذه الوصية ذكر المعنى الذي يهدف إليه وهو عدم الاغترار بالدنيا والانغماس في ملاذها ، فليس للإنسان منها إلا ما أكل ولبس ، وقدم ذلك المعنى في صورة متقنة ، ذات شكل مادي تجعل السامع يتخيلها أمامه ، وليس بدعاً هذا الأسلوب فقد سبق إليه القرآن الكريم واستخدمه في كثير من المواضع ، كما في قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى

(١) الصفدي ، الوافي بالوفيات ٤٨/٥ ، وما تمثل به شطر بيت للمتنبي وعجزه :

وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

انظر ديوان المتنبي ٦٠/١ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ٤٠٦/٢ ، ويريد بابن أروى عثمان رضي الله عنه .

(٣) انظر الوصية رقم ١٨ ص ١٥٢ من هذه الرسالة .

إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب * أو كظلمات في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴿١﴾ ، فهذه صورة تخيلية بالغة التأثير يدركها الفكر من الواقع المشاهد وهي بالغة التأثير ، استخدمها القرآن الكريم لبيان سوء حالة الكفار ومن ترك سبيل الحق ، كما استخدم النبي ﷺ الأسلوب التمثيلي كذلك كما في حديث السفينة (٢) ، والنهر الجاري (٣) .

ومن الوصايا المؤثرة – أيضاً – والتي استخدمت الواقع المشاهد للوصول إلى الهدف المراد قول عمر بن عبدالعزيز رحمه الله « أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه ، وإذا وضعتوني في قبري فانتزعوا عني لينة ثم انظروا ما لحقني من دنياكم هذه » (٤) .

وقد توفر في الوصايا بمجموعها ذلك الجمال ، وحسن الأداء ، الأمر الذي جعلها مؤهلة للتأثير في الناس ، حتى مع غياب قائلها ، فكل واحدة منها صادرة من قلب

(١) سورة النور الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) حديث السفينة رواه :

البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ح ٢٤٩٣، فتح الباري ١٣٢/٥ ، وكتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، ح ٢٦٨٦، فتح الباري ٢٩٢/٥، والترمذي، كتاب الفتن، باب رقم ١١، ح ٢٢٦٤، تحفة الأحوذى ٣٩٤/٦. وأحمد في مسنده ٢٦٨/٤، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤ .

(٣) حديث النهر الجاري رواه :

البخاري، كتاب المراقبت، باب الصلوات الخمس كثارة برقم ٥٢٨، فتح الباري ١١/٢ .
ومسلم، كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تحي به الخطايا وترفع به الدرجات، ح ٢٨٣ (٦٦٧) و ٢٨٤ (٦٦٨)، الصحيح ٤٦٢/١ - ٢٦٣، والنسائي، كتاب الصلاة، فضل الصلوات الخمس، ح ٤٦٢ . السنن ٢٣٠/١ - ٢٣١، والدارمي، كتاب الصلاة، باب في فضل الصلوات، ح ١١٨٦ . السنن ٢١٣/١، وأحمد في مسنده ٧٢/١، ١٧٧، ٣٧٨/٢ .

(٤) انظر الوصية رقم ١٤٢ ص ٢٤٠ من هذه الرسالة .

قائلها ، وما صدر من القلب وقع في القلب ، وظهر أثره على الجوارح .
وقد كان لبعض الوصايا تأثير في الموصى ، منها ما ظهر تأثيره في الوقت نفسه - مع أن الوصية قيلت بأسلوب غير مباشر - ، قال أحمد بن حنبل : « دخلت على أبي الحسن - يعني إسماعيل والد أبي عبدالله البخاري رحمه الله - عند موته فقال : لأعلم من مالي درهماً من حرام ، ولادرهماً من شبهة ، قال أحمد : فتصاغت إليّ نفسي عند ذلك » (١) ، ووصية عمر بن عبدالعزيز رحمه الله لمسلمة بن عبد الملك لما دخل عليه فقال له : « ألا توصي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : فيم أوصي ؟ فوالله إن من مال ، فقال : هذه مائة ألف فمرّ فيها بما أحببت ، فقال : أو تقبل ؟ قال : نعم . قال : تُردّ علي من أخذت منه ظملاً . فبكى مسلمة ، ثم قال : يرحمك الله ، لقد ألتنا قلوباً قاسية ، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً » (٢) .

ومن الوصايا ما ظهر أثرها بعد فترة من الزمن كوصية أبي هريرة - رضي الله عنه - قال سعيد بن المسيب رحمه الله : « لما نزل بأبي هريرة الموتُ قال : لا تضربوا على قبري فسظاطاً ، ولا تتبعوني بنار ، فإذا حملتموني فأسرعوا بي فإن أكن صالحاً تأتون بي إلى ربي ، وإن أكن غير ذلك فإنما هوشيء تطرحونه عن رقابكم » (٣) ، فلما حضرت سعيد بن المسيب الوفاة قال : « إذا متُّ فلا تضربوا على قبري فسظاطاً ، ولا تحملوني على قطيفة حمراء ، ولا تتبعوني بنار ، ولا تؤذونوا بي أحداً ، حسبي من يبلغني ربي ، ولا يتبعني راجزهم هذا » (٤) ، فمن الوصيتين يظهر التقارب الشديد بينهما حيث اشتملتا النهي عن النعي ، وعن البدع التي اعتاد بعض الناس عليها

(١) انظر تخريج الوصية رقم ١٠١ ص ٢١٤ من هذه الرسالة .

(٢) انظر تخريج الوصية رقم ١٣٩ ص ٢٣٩ من هذه الرسالة .

(٣) انظر تخريج الوصية رقم ٨١ ص ٢٠١ من هذه الرسالة .

(٤) انظر تخريج الوصية رقم ١١٢ ص ٢٢٠ من هذه الرسالة .

في الجنائز من الرجز ، وأتباعها بنار ، والجلوس على القبور .
وحيث إن تأثير الوصايا يعني وجود آثار واقعية في الأفراد ، وفي المجتمع ،
فسأتحدث في المبحث الثاني عن آثار وصايا العلماء الدعوية عند احتضارهم بعون الله
تعالى وتوفيقه .

كلمة خاتمة

إن الخصائص الخمس التي تعرضت لها آنفاً تُعنى بالدرجة الأولى بالمضمون ، وبموضوعات الوصية ، وهناك مزايا شكلية ظهرت في الوصايا ، أذكرها تكملة للفائدة إن شاء الله تعالى .

فالوصايا منها ما هو طويل ، ومنها ما هو قصير ، أما القصير منها فحفظها وتداولها ، وإمكانية روايتها على حالها دون تغيير أمر بارز فيها ، وظهر لي ذلك من خلال تخريج الوصايا فغالباً ما تذكر الوصايا القصيرة المجملة كما هي في المراجع التي وقفت عليها فيها ، أما الطويلة فينتابها شيء من التبديل والتغيير في الألفاظ ، والاختصار بذكر بعضها دون بعضها الآخر مما يُقوّت قسطاً من فوائدها .

ومن ناحية الفقرات فالطويلة منها معظمها قصيرة الفقرات ، قصراً معتدلاً ، أما الوصايا المجملة والقصيرة فبعضها في فقراتها شيء من الطول ، وهناك وصايا كاملة لا تتجاوز الفقرة الواحدة كوصية المغيرة بن حكيم « اعمل لهذا المضجع »^(١) .

وفي جانب الألفاظ فهي سهلة واضحة فيها شيء من القوة والجزالة ، بعيدة عن الألفاظ السوقية ، خالية من حوشي الكلام الذي لا معنى له ، ولعل العامل الذي ساعد على ذلك حالة المحتضر فوضعه وآلامه لا تسمح له في الاستطراد والحشو ، إلا ما كان من بعض الوصايا التي استُخدمت فيها ألفاظ غريبة وهي نادرة بالنسبة لمجمل الوصايا .

أما من حيث الترتيب فكثير من الوصايا الطويلة تفتقر إلى ترتيب الموضوعات عامة ، فالموضوعات المطروحة غاية في الأهمية ، لكن المحتضر في حالة لا تساعد على الترتيب ، وتدفعه الرغبة في النصح والإرشاد إلى ذكر ما عنده وإن جاء دون ترتيب ، وهو

(١) انظر تخريج الوصية رقم ١٥٨ ص ٢٥٢ من هذه الرسالة .

أمر جدٌ مقبول من المحتضر ، فليس الكلام في مرض الموت – وعلى الخصوص في لحظاته الأخيرة – بالأمر السهل .

هذه الملاحظات وإن كانت في الجانب الشكلي ، إلا أن الداعية والموجه – من وجهة نظري – بحاجة إلى مراعاتها ، فجودة الشكل عامل مساعد في الترحيب بالداعية وقبول الدعوة إن شاء الله تعالى .

المبحث الثاني

آثار

وصايا العلماء المحتضرين

آثار وصايا العلماء المحتضرين

الآثار هي الانطباعات النفسية ، والتصرفات السلوكية ، التي تظهر على متلقي الوصية ، مباشرة ، أو بعد فترة من الزمن ، نتيجة لما تلقاه من مواعظ وإرشادات أوصاه بها العالم في مرض موته وحتى ساعة الاحتضار .

وآثار الوصايا هنا قسمان :

أ - آثار واقعة ، ظهرت في تصرفات وأقوال من تلقى تلك الوصايا ، وقفت عليها من خلال الوصية ذاتها ، أو بعد تتبع بعض سير رواة الوصايا .
ب - آثار متوقعة ، وذلك أن الوصايا في مجملها اشتملت على توجيهات وإرشادات في جوانب شتى ، تلامس حياة الإنسان وواقعه ، وتحثه للرفق بنفسه نحو الأسمى ، فالأخذ بهذه الوصايا وتطبيقها عملياً بين أفراد الأمة الإسلامية تنتج عنه آثار هامة وجليلة القدر .

وقد ركزت في الحديث عن الآثار المتوقعة على نقاط ثلاث :

- ١ - قوة المجتمع الإسلامي وترابطه .
- ٢ - تميز الشخصية الإسلامية .
- ٣ - سعة أفق الدعاء .

وسأحدث أولاً عن الآثار الواقعة ، ثم الآثار المتوقعة في هذا المبحث بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى .

المطلب الأول

لقد نزل الوفاء

لوصايا العلماء المحتضرين

أثر وصية الصديق لعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما

شعر الصديق رضي الله عنه بدنواً أجله ، فتفكر في أمر الأمة ، ولعله تذكروا يوم السقيفة ، وما كاد يقع فيه من خلاف إزاء الخلافة ، فاجتهد رضي الله عنه ، وشرح الله صدره أن يستخلف رجلاً يرتضيه لها ، فتفحص الصحابة المهاجرين رضوان الله عليهم . فلم يعدل بعمر بن الخطاب رضي الله عنه أحداً ، فعزم على استخلافه ، وأخذ البيعة له ، فاستشار بعض الصحابة في عمر بن الخطاب ، ليعرف رأيهم فيه ، فعرفوا قصده ، وأنه مستخلفه ، وكانوا يخشون شدة عمر رضي الله عنه فكأنهم لم يرغبوا في استخلافه ، لكن معرفة أبي بكر رضي الله عنه بالرجال جعلته يُمضي استخلاف عمر رضي الله عنه .

وتشعر بعض وصايا أبي بكر رضي الله عنه عند احتضاره أن نفرأ من الصحابة المهاجرين رضي الله عنهم رغبوا في الخلافة (١) ، ووجدوا في أنفسهم إذ صُرُفت عنهم ، فلما دخل عليه عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه يعوده ، وجه له وصية بين موقف المهاجرين من استخلافه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وحذره من الدنيا والخوض في غمراتها ، قال عبدالرحمن بن عوف : « دخلت يوماً على أبي بكر الصديق في علته التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله ﷺ ، فقال : أما إني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يامعشر المهاجرين أشد علي من وجعي ، إني وليت أموركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه ، والله لتتخذن نضائد الديباج ، وستور الحرير ، ولتألمن النوم على الصوف الأذري (٢) كما يألم أحدكم

(١) لعلمهم رغبوا في الخلافة لعلمهم بفضل الإمام العادل - وهم أهل للعدل - وعظيم منزلته عند الله تعالى وإخبار النبي ﷺ أنه تليه خلافة راشدة أمدها ثلاثون سنة ، وهم لا يزالون في أولها ، فأمل كل واحد منهم أن يحصل له الشرف بذلك ، ثم إنهم على كل حال بشر ، وليسوا بمعصومين ، يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم ، فلا ينقص من قدرهم ، أو يفض من شأنهم حصول التنافس بينهم ، والله أعلم .

(٢) الأذري : نسبة إلى أذربيجان على غير القياس ، والقياس أن يقال : أذري ، انظر : لسان العرب ١/٣٨٧ .

النوم على حسك السعدان ، والذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدٍ خير له من أن يخوض في غمرات الدنيا (١) .

وتمضي السنون والأيام ويستشهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على يد المجوسي أبي لؤلؤة ، وأثناء احتضاره رضي الله عنه رأى أن يجعل أمر الاستخلاف شورى بين البقية الباقية من العشرة المبشرين بالجنة : عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، والزيير بن العوام ، وطلحة بن عبيدالله رضوان الله عليهم أجمعين ، فلعله كان من أثر وصية أبي بكر رضي الله عنه لعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أن انخلع من الخلافة باختياره ، وعن طيب نفس ، وكان مما قال في هذا الشأن : « إني رأيت كروضة خضراء ، كثيرة العُشب ، فدخل فحل لم أر فحلاً قط أكرم منه ، فمرّ كأنه سهم لا يلتفت إلى شيء مما في الروضة ، حتى قطعها ولم يعرّج ، ودخل بعير يتلوه فاتبع أثره حتى خرج من الروضة ، ثم دخل فحلّ عبقرٍ يجرّ خطامه يلتفت يميناً وشمالاً ، ويمضي قصد الأولين حتى خرج ، ثم دخل بعير رابع فرتع في الروضة ، ولا والله لا أكون الرابع » (٢) .

أثر وصية عمر بن الخطاب وأبي هريرة رضي الله عنهما

ركزت وصية أبي هريرة رضي الله عنه على قضايا الجنائز وما يحصل فيها ، فنهاهم عن البدع التي اعتاد الناس في الجاهلية إتقانها - وربما استمرت عند أقوام من المسلمين - ، وحثهم على إحياء سنة النبي ﷺ عند نقل الجنازة ، روى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال لما نزل به الموت : « لاتضربوا على قبري فسطاطاً ، ولا تتبعوني بنار ، فإذا حملتموني فأسرعوا ، فإن أكن صالحاً تأتون بي إلى ربي ، وإن أكن غير ذلك فإنما

(١) المبرد ، الكامل في الأدب ٥/١ ، وانظر تنمة الوصية رقم ١٣ ص ١٤٧ من هذه الرسالة .

(٢) ابن شبة ، تاريخ المدينة ٩٢٨/٣ - ٩٢٩ . وابن عدي ، العقد الفريد ٢٧٨/٤ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٧٠/٣ .

هو شيء تطرحونه عن رقابكم» (١) ، وسعيد بن المسيب رحمه الله نقل كثيراً من أخبار عمر رضي الله عنه وحفظها (٢) ، حتى إن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان يرسل إليه يسأله عن بعض مسائل عمر ، وقد ورد في إحدى وصايا عمر رضي الله عنه بعد طعنه وإشرافه على الموت التحذير من النعي (٣) ، وهي تقارب في موضوعها وصية أبي هريرة رضي الله عنه .

ونظراً لما عرف عن سعيد بن المسيب من التقوى ، والتمسك بالسنن ، والبعد عن البدع والمحرمات ، فإن وصية كل من عمر بن الخطاب ، وأبي هريرة التي رواها بنفسه لم تفارقه إلى آخر حياته ، وظهر أثرها في نفسه عند احتضاره ، فأوصى بها ، وزاد عليها ما جد في عصره ، فقد صار إيذان الناس بالجنائز أقرب إلى النعي ، وأخذ بعض الناس يخرجون راجزاً خلف الجنائز ، ولعله كان يذكر مآثرها ، قال أبو حازم : قال سعيد بن المسيب في مرضه الذي مات فيه : « إذا ميتٌ فلا تضربوا على قبري فسقاطاً ، ولا تحملوني على قطيفة حمراء ، ولا تتبعوني بنار ، ولا تؤذنوا بي أحداً ، حسبي من يبلغني ربي ، ولا يتبعني راجزهم هذا » (٤) .

أثر وصية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

أبو موسى الأشعري رضي الله عنه من قضاة رسول الله ﷺ تحول إلى العراق زمن الفتوح الإسلامية فأقام بها ، وأصبح له هناك حلقة علم يأخذ الناس عنه فيها ، ولذا تناقل علمه عدد من فضلاء التابعين الذين لازموا حتى اللحظات الأخيرة من حياته ، وحضره بعضهم عند احتضاره ، واستمعوا إلى نصائحه ووصاياه التي كان منها :

(١) انظر الوصية رقم ٨١ ص ٢٠١ من هذه الرسالة .

(٢) انظر : المزي ، تهذيب الكمال ٧٤/١١ .

(٣) انظر الوصية رقم ٢٤ ص ١٥٦ من هذه الرسالة .

(٤) الوصية رقم ١١٢ ص ٢٢٠ من هذه الرسالة .

« إني أبرأ إليكم مما برئ منه رسول الله ﷺ من حَلَقَ ، وَخَرَقَ ، وَسَلَقَ » (١) ، يعني النواح والجزع عند مصيبة الموت .

وكان ممن حضر وفاته وسمع وصيته وحفظها صفوان بن محرز رحمه الله تعالى ، الذي عُرف بالتقوى والورع ، ويبدو أن وصية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه تركت أثراً عند صفوان ، وتغلغلت في نفسه ، واستمرت معه إلى أن حضرته الوفاة ، عندها ظهر بجلاء أثر وصية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، فأوصى بها كما أوصى بها ، وقالها بنحو ما سمعها : « تعلمون ! أنا بريء من مما برئ منه رسول الله ﷺ » ليس مِنَّا من سلق وحلق وخرق » (٢) .

أثر وصية الحسن بن علي لأخيه الحسين رضي الله عنهم

كان الحسن رضي الله عنه يعلم من أخيه الحسين رضي الله عنه حدة وشدة ، لمسهما منه عندما عزم على مصالحة معاوية ، حيث عارض الحسين ذلك وأباه (٣) ، ولما سقي الحسن السم ، وأشرف على الموت ، أراد الحسين رضي الله عنه معرفة ساقية ليقتله ، روى عمير بن إسحاق أن الحسين فقال لأخيه : « أي أخي ، أنبئني من سقاك ؟ قال : لِمَ ؟ لتقتله ؟ قال : نعم ، قال : ما أنا محدثك شيئاً ، إن يكن صاحبي الذي أظن فالله أشد نقمة ، وإلا فوالله لا يقتل بي بريء » (٤) .

وقد رغب الحسن رضي الله عنه أن يدفن مع جده المصطفى ﷺ ، فأوصى الحسين أن يفعل ذلك بعد أن استأذن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فأذنت له ، ولم ينس صلابة الحسين رضي الله عنه في إمضاء ما عزم عليه ، فحذره من الفتنة وسفك الدماء ،

(١) انظر الوصية رقم ٥٦ ص ١٨١ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٢٠ ص ٢٢٣ من هذه الرسالة .

(٣) انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢٦٥/٣ .

(٤) المرجع السابق ٢٧٣/٣ .

قال له الحسن رضي الله عنه : « ادفني عند أبي - يعني النبي ﷺ - إلا أن تخافوا الدماء ، فادفني في مقابر المسلمين » (١) ، وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : « جعل الحسن يوعز للحسين : يا أخي .. إياك أن تسفك في دماً ، فإن الناس سراع إلى الفتنة » (٢) .

ووصية الحسن رضي الله عنه هذه تبين حصافته وذكاءه وبعد نظره ، فقد عرف صلابة الحسين رضي الله عنه ، كما كان يعلم أن هناك من يضيق صدره أن يُدفن الحسن رضي الله عنه مع جدّه ﷺ ويسوؤه ذلك ، ولا بد أنه ممانع له ، فصدق حدسه ، إذ أثار مروان بن الحكم بني أمية ليمنعوا بني هاشم من دفن الحسن رضي الله عنه في الحجرة النبوية ، فتسلح الحسين رضي الله عنه وجمع مواليه ، فهياً الله تعالى له عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، فوعظه وذكره وصية أخيه ، وقال له : « اتق الله ، ولا تُثر فتنة ، ولا تسفك الدماء ، ادفن أخاك إلى جنب أمه ، فإنه قد عهد بذلك إليك » (٣) ، وقال له أبوهريرة : أنشدك الله ووصية أخيك ، فإن القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دماء » (٤) وأشار عليه بذلك أيضاً سعد بن أبي وقاص ، وجابر بن عبد الله ، فامتثل الحسين ، ودفن أخاه قريباً من قبر فاطمة الزهراء رضي الله عنهم أجمعين .

فكان من أثر وصية الحسن رضي الله عنه ، حقن دماء المسلمين ، ودفع أسباب الفرقة من مجتمع المسلمين في المدينة ، رغم أن الحق كان مع آل البيت رضوان الله عليهم لكن مصلحة الأمة مقدمة ، ولذا حث كبار الصحابة المتوافرون في ذلك العهد الحسين رضي الله عنه على درء الفتنة وإن تنازل عن حقه ، ولعل الحسن كان يأمل أن تؤثر وصيته في الحسين رضي الله عنه في سائر حياته الباقية ، وليس - فقط - بعد وفاته ، إذ كان يعلم رغبة أخيه في الخلافة ، وسعيه لذلك ، فخشي عليه من ذلك ، لكن الله تعالى شاء أمراً آخر ، وكتب له الشهادة بكريلاء ، فإننا لله وإنا إليه راجعون * .

* ذكر وفاة الحسن رضي الله عنه وما جرى فيها المسعودي في : « مروج الذهب » ٥/٣ ، وابن كثير في « البداية والنهاية » ٤٥/٨ - ٤٦ وآخرون .
 (٤٣،١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٧٣/٣ .
 (٢) انظر الوصية رقم ٤٠ ص ١٦٩ من هذه الرسالة .

أثر وصية عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

فتح باب الفتنة على الأمة الإسلامية بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ووضع السيف فيها ، فكثرت الحروب ، وسالت الدماء ، واستمرت فترة طويلة من الزمن - وإن هدأت في عهد معاوية قليلاً - فقد خلالها عدد من فضلاء الصحابة رضوان الله عليهم قتلاً أو غيلة ، منهم طلحة بن عبيدالله ، والزبير بن العوام ، وعلى بن أبي طالب ، والحسن بن علي ، والحسين بن علي ، وعبدالله بن الزبير ، رضوان الله عليهم جميعاً ، وآل أمر المسلمين إلى بني أمية ، فجاء بعض خلفائهم وولاتهم من عرف بالظلم والغلظة ، كزياد بن أبيه ، وعبيدالله بن زياد ، وعبدالمك بن مروان ، والحجاج بن يوسف ، فزياد تسبب في قتل حُجر بن عدي رضي الله عنه وصحبه ، وعبيدالله بن زياد قتل معظم آل البيت بكريلاء ، وأول غدر وقع في الإسلام صدر من عبد الملك بن مروان (١) ، أما الحجاج فهو « المبير » كما وصفته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما .

وإزاء كل تلك الفتن المتلاطمة ، اعتزل عبدالله بن عمر الناس ، ولم يرغب في القتال ، و كان من أبعد الناس عن الفتن ، وأكرههم لسفك الدماء ، ولم ينزع على الخلافة أحداً ، رغم محبة أهل الشام له ، وكثرة ميلهم إليه ، ثم كان بعد ذلك يندم ألا يكون قاتل مع علي رضي الله عنه (٢) ، ولم يعمل على نصرته ، مع أن الحق معه ، ورأى ذلك بعد ظهور أولئك الأمراء والخلفاء ، فتعمق الندم في نفسه فباح بما فيها قبيل وفاته ، قال سعيد بن جبير : « لما أصاب ابن عمر الحَبْلُ (٣) الذي أصابه بمكة فرُمي حتى أصاب الأرض ، فخاف أن يمنعه الألم ، فقال : يا ابن أمّ الدهماء ، اقضِ بي المناسك ، فلما اشتد وجعه بلغ الحجاج ، فأتاه يعوده ، فجعل يقول : لو أعلم من

(١) حيث آمن عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) ثم قتله بيده . انظر : الكتبي ، قوات الوفيات ١٦١/٣ ، والقصة في الكامل لابن الأثير ٣٧٩/٣ - ٤٠٠ .

(٢) انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ٢٢٨/٣ .

(٣) الحَبْلُ : فساد الأعضاء حتى لا يدري المرء كيف يمضي . انظر : لسان العرب ١٩٧/١١ ، مادة « حَبْل » .

أصابك لفعت وفعلت ، فلماً أكثر عليه قال : أنت أصبتني ، حملت السلاح في يوم لا يحمل فيه السلاح ، فلماً خرج قال ابن عمر : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : ظمأ الهواجر ، ومكابدة الليل ، وألا أكون قاتلت هذه الفئة الباغية التي حلت بنا « (١) زاد ابن أبي الدنيا والذهبي « يعني الحجاج » (٢) .

ويبدو أن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى لم تغب عنه هذه الوصية - غير المباشرة - التي رواها لنا ، فما زال يتحين الوقت المناسب حتى واتاه ، إذ خرج مع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث لقتال رتبيل ، فبدا لابن الأشعث أن يخلص الناس من الحجاج ، فخلعه وكرّ عليه راجعاً بجيشه ، فكان ممن خلعه أيضاً سعيد بن جبير رحمه الله تعالى ، وقاتل معه الحجاج ، إلا أن التوفيق لم يحالفهم ، وانهمز جيش ابن الأشعث ، وتخفى كثير ممن كان معه ومنهم ابن جبير ، ولم يزل مختفياً إلى أن قبض عليه خالد بن عبدالله القسري والي مكة ، وأرسله إلى الحجاج فقتله (٣) .

أثر وصية عمر بن عبدالعزيز ليزيد بن عبدالملك

شاهد عمر بن عبدالعزيز قبل استخلافه الحياة التي كان يعيشها خلفاء بني أمية من بني عبدالملك - الذين أدركهم - ولاحظ ما يقعون فيه من تعدّ على أموال بيت المسلمين ، وإقطاعهم من يلوذ بهم دونما حق ، وتبذير للأموال دونما ضابط ، فلما صارت إليه الخلافة ، عزم على ردّ المظالم إلى أهلها ، فعكف على ذلك وبدأ بنفسه ثم ببني أمية

(١) انظر الوصية رقم ٥٤ ص ١٧٩ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الموضوع السابق ، وابن أبي الدنيا والذهبي ينقلون قول الراوي « يعني الحجاج » لأن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أشار إليه « هذه الفئة الباغية التي حلت بنا » ، والواقع أن الحجاج من أعوانهم وليست الفئة محصورة فيه .

(٣) انظر القصة في « تاريخ الطبري » : ٤٧٨/٦ - ٤٨٩ ، وهي في غيره أيضاً .

حتى رد جميع ما قدر عليه ^(١) ، وكان سليمان بن عبدالمك بايع له وليزيد من بعده ، فلعله أدرك من معرفته بسيرة يزيد أنه سيسير بالأمة سير من سلفه بل ربما كانوا خيراً منه ، فوجه إليه عند احتضاره وصية ذكره فيها بقدمه على الله تعالى ، قال فيها : « إياك أن تدركك الصرعة عند العزة ، فلا تقال العثرة ، ولا تمكن من الرجعة ، ولا يحمدك من خلفت بما تركت ، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به ، والسلام » ^(٢) .

وقد تركت هذه الوصية أثراً في نفس يزيد بن عبدالمك بعض الوقت ، فعندما بويع بالخلافة أمر الناس أن يسيروا بسيرة عمر بن عبدالعزيز ، وقال : « والله ما عمر بن عبدالعزيز بأحوج إلى الله مني » ^(٣) ، وأقام أربعين يوماً يسير بسيرته ، هي مدة تأثره بوصية عمر بن عبدالعزيز ، لكن غلبه الطبع على التطبع ، وكان قد غلبه حب « حبابة » وهي جارية بديعة الحُسن ، جيدة الغناء ، فمال إليها ، وتلهى بها عن أمور الخلافة ، وترك مصالح المسلمين ، وبقي على لهوه حتى مات ، ولم يجاوز الخامسة والثلاثين من عمره ^(٤) ، فرط في دنياه ، وأفضى إلى الله تعالى بما قدم من عمل .

أثر وصية عمر بن عبدالعزيز لمسلمة بن عبدالمك

مسلمة بن عبدالمك رجل من أشرف بني أمية ، وكانوا يعدونه من عقلائهم ، حتى إن عبدالمك والده أوصى بنيه عند احتضاره أن يشاوروه في شؤونهم ، ولم يقصر به عن الخلافة إلا أن أمه أم ولد ، وكان ميسور الحال ، فلما احتضر عمر بن عبدالعزيز ، طلب منه مسلمة أن يوصي ، ولم يكن عند عمر مالا ، فعرض عليه مسلمة مائة ألف ، فردها

(١) ابن الجوزي ، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ١٢٥ - ١٢٨ .

(٢) انظر الوصية رقم ١٣٦ ص ٢٣٨ من هذه الرسالة .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٥١/٥ .

(٤) انظر : ابن شاعر الكتبي ، فوات الوفيات ٣٢٢/٤ .

عمر رضي الله عنه على بيت المال وعدّها من المظالم ، روي أن مسلمة « دخل على عمر ابن عبدالعزيز في مرضته التي مات فيها فقال : ألا توصي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : فيم أوصي ؟ فوالله إن من مالٍ . فقال : هذه مائة ألف فمر فيها بما أحببت . فقال : أو تقبل ؟ قال : نعم . قال : تُردُّ على من أخذت منه ظلماً . فبكى مسلمة ثم قال : يرحمك الله ، لقد ألتنا قلوباً قاسية ، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً »^(١) .

فوصية عمر رضي الله عنه منه لمسلمة في المال أظهرت ما يكنه تجاه هذا المال ، إذ كان يعتقد أن معظم أموال بني أمية إنما أخذت ظلماً ، ولو قدر على ردها جميعاً في حياته لفعل .

هذا التوجّه عند عمر بن عبدالعزيز الذي لازمه حتى في مرض وفاته ، أثر في مسلمة بن عبد الملك – وكان رجلاً خيراً – وظهر تأثره من قوله : « يرحمك الله ، لقد ألتنا قلوباً قاسية ، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً »^(٢) .

أثر وصية عمر بن عبدالعزيز لأبنائه

سبق آنفاً أن عمر بن عبدالعزيز كان يرى معظم أموال بني أمية من المظالم ، ولذلك عمّد إلى كثير منها فردّها في بيت المال ، ورد ما كان بيده أيضاً ، حتى إنه نظر إلى فصّ خاتم فقال : « هذا مما كان الوليد أعطانيه مما جاء من أرض المغرب »^(٣) ، فخرج منه ، فلما حضرته الوفاة لم يكن عنده شيء من المال إلا أحداً وعشرين ديناراً ليست خالصة لأولاده ، وكان عددهم اثني عشر ذكراً وست نسوة وزوجته فاطمة^(٤) .

(١) انظر الوصية رقم ١٣٩ ص ٢٣٩ من هذه الرسالة .

(٢) لم تتوفر لدي معلومات حول إنفاذه لوصية عمر بن عبدالعزيز أو لا .

(٣) ابن الجوزي ، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ١٣٢ .

(٤) المرجع السابق ٣٣٧ .

ونظراً لموقفه من أموال بني أمية لم يشأ أن يوصي بهم إلى أمثاله من بني أمية ،
ووكّل أمرهم إلى الله تعالى ، روى هشام أن عمر بن عبدالعزيز بعد نقاشه لمسلمة - قال :
« ادعوا لي بني ، فدعوهم وهم يومئذ اثنا عشر غلاماً ، فجعل يصعدُ بصره فيهم ويصوبه
حتى اغرورقت عيناه بالدمع ، ثم قال : بنفسي فتية تركتهم ولا مال لهم ، يا بني ، إني
قد تركتكم من الله بخير ، إنكم لا تمرّون على مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق وأجب
إن شاء الله ، يا بني إني مثلت رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار ،
فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول أبيكم يوماً واحداً في النار ، قوموا
يا بني عصمكم الله ورزقكم » (١) .

فكان من أثر قبولهم للحق ورضاهم به أن بارك الله تعالى فيهم ، ووسع أرزاقهم ،
قال الراوي « فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا افتقر » ، حتى أن عبدالرحمن بن القاسم
ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه جعل من حال بني عمر بن عبدالعزيز عند
وفاته ويعدها موعظةً وعظ بها المنصور ، قال ابن الجوزي : « وبلغني أن المنصور قال
لعبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه : عظني ، قال : بما رأيتُ أو
بما سمعتُ ؟ قال : بما رأيتُ ، قال : مات عمر بن عبدالعزيز رحمه الله وخلف أحد عشر
ابناً ، وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً ، كفن منها بخمسة دنانير ، واشترى له موضع
قبره بدينارين ، وقسّم الباقي على بنيه ، وأصاب كل واحد من ولده تسعة عشر درهماً ،
ومات هشام بن عبدالملك وخلف أحد عشر ابناً ، فقسمت تركته ، وأصاب كل واحد من
تركته ألف ألف . ورأيت رجلاً من ولد عمر بن عبدالعزيز قد حمّل في يوم واحد على
مائة فرس في سبيل الله عز وجل ، ورأيت رجلاً من ولد هشام يتصدق عليه » (٢) .
فهذا أثر من آثار الالتزام بالحق والعمل به في الدنيا ، والعاقبة عند الله خير
وأبقى .

(١) انظر الوصية رقم ١٤٠ ص ٢٣٩ من هذه الرسالة .

(٢) ابن الجوزي ، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ٣٣٨ .

أثر وصية إسماعيل بن إبراهيم رحمه الله (والد البخاري)

يتهاون بعض الناس في أموالهم ، ولا يتأكدون من مصدرها ، ولا كيف دخلت إليهم ، بل وهناك فريق يتذرع بالشبه لتحليل ما يقع في يده من أموال حتى وإن لم يكن مقتنعاً بها ، ووالد البخاري رحمه الله - كما تُبيِّن الوصية - عاش وهو حريص على إنقاذ ماله ، وجلبه من حِلِّه ، وعندما حضره الموت أوصى - بطريقة غير مباشرة - الحاضرين بذلك فقال : « لأعلم من مالي درهماً من حرام ولا درهماً من شبهة » (١) .

وقد تركت عبارته هذه التي أشبهت الوصية غير المباشرة أثراً في نفس من سمعها وبخاصة الراوي لها أحمد بن حفص البخاري رحمه الله ، الذي كان من العلم والصلاح والورع بمكان جعل الذهبي يقول عنه : « يصلح أن يكون عَلمَ الزمان » (٢) ، فعبر عن تأثره ذلك بقوله : « فتصاغرت إليّ نفسي عند ذلك » (٣) ، ولعله شعر أن المؤمن يجب أن يزداد حرصه في أخذ ماله من حِلِّه ، ليكون عمله عند الله مقبولاً ، فإن المال الحرام سبب لعدم التوفيق ، ولعدم استجابة الدعاء كما ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أيها الناس إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ (٥) ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمدّ يديه إلى السماء ، يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنتى يستجاب لذلك ؟ » (٦) .

(١) (٣٠٢٠١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٤٧/١٢ ، وانظر الوصية رقم ١٠١ ص ٢١٤ من هذه الرسالة .

(٤) سورة المؤمنون آية ٢٣ .

(٥) سورة البقرة آية ١٧٢ .

(٦) رواه الإمام مسلم ، كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها ، برقم ٦٥ (١٠١٥) ،

الصحيح ٧٠٣/٢ .

أثر وصية مسعر بن كدام للثوري رحمهما الله

كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى شديداً في الحق ، بعيداً عن الممالأة ، نافراً من السلاطين ومجالسهم ، جريئاً في بيان الحق والقول به ، وقد كلفه ذلك كثيراً من العنت ، ومحاربة السلطان ، حتى إن المنصور أمر الخشابين بمكة إن وجدوا سفيان الثوري أن يصلبوه (١) ، وكان مختفياً ، فضاقت به الدنيا ، حتى صار يتمنى الموت ليتخلص منهم (٢) ، فلما حضرت مسعر بن كدام رحمه الله الوفاة ، دخل عليه سفيان يعوده ، فوجده جزعاً فقال له : « لِمَ تجزع ؟ فوالله لو ددتُ أني مت الساعة . فقال مسعر : أقعدوني . فأعاد عليه سفيان الكلام ، فقال : إنك إذا لوائق بعملك يا سفيان ! لكني والله لكأني على شاق جبل لا أدري أين أهبط . فبكى سفيان فقال : أنت أخوف لله عزوجل مني » (٣) .

فقول مسعر - رحمه الله - هذا نبه سفيان رحمه الله إلى أن الموت ليس بالهين ، بل يحتاج إلى عمل واجتهاد ومصابرة ، ولا يجوز أن يثق الإنسان بعمله مهما كان قدره ، حيث إن قبوله بيد الله سبحانه وتعالى فبكي ، وشعر به تماماً عندما حضره الموت وعابن شدته ، فبكي وجزع وقال : « الموت - والله - شديد » (٤) ، وكره الموت ، فأوصى عبدالرحمن بن مهدي أن يقرأ عليه « يس » ليخفف عنه ألم الاحتضار (٥) .

إن الآثار التي سبق ذكرها هي آثار « إيجابية » تشعر بقبول الوصية وتفهمها واستيعابها ومحبة السامع للعمل بتوجيهاتها ، إلا أن هناك وصية لسفيان الثوري وجهها لعبدالصمد عم الخليفة المنصور ، قصد منها تخجيله وإثارة الغضب في نفسه ، حتى

(١) انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٥١/٧ .

(٢) المرجع السابق ٢٧٨/٧ .

(٣) انظر الوصية رقم ١٥٦ ص ٢٥١ من هذه الرسالة .

(٤،٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٧٨/٧ ، وانظر الوصية رقم ١١٣ ص ٢٢٠ من هذه الرسالة .

لا يشارك في حمل جنازته ، فحصل ما يريد - كما توضح الوصية ذلك - ، نقل الذهبي « أن عبدالصمد عم المنصور دخل على سفيان يعوده ، فحول وجهه إلى الخائط ، ولم يردّ السلام ، فقال عبدالصمد : ياسيف - رجل عند سفيان - ، أظن أبا عبدالله نائماً ؟ قال : أحسب ذلك - أصلحك الله - . فقال سفيان : لا تكذب ، لست بنائم ، فقال عبدالصمد : يا أبا عبدالله ، ألك حاجة ؟ قال : نعم ، ثلاث حوائج : لا تعود إليّ ثانية ، ولا تشهد جنازتي ، ولا تترحم عليّ . فخجل عبدالصمد وقام . فلما خرج قال : والله لقد هممتُ ألا أخرج إلا ورأسه معي » (١) .

فوصية سفيان لعم المنصور أدت أثرها السلبي « في الحال » ، حيث خجل ، وقام لتوه فخرج ، وعبر عن غضبه برغبته في قتل سفيان ، وهذه الوصية تعكس منهج الثوري رحمة الله تعالى في مجانبية السلطان وحاشيته ، وعدم الاحتكاك بهم ، وصراحتهم عند محادثة أحد منهم (٢) .

وفي ختام هذا المبحث « آثار وصايا العلماء عند احتضارهم » أقول : إن ما ذكرته من آثار لبعض الوصايا عند الاحتضار ، هو ما استطعت الوقوف عليه من خلال الوصية ذاتها ، أو سيرة المتأثرين بها ، ولا بد أن أناساً آخرين تأثروا بهذه الوصايا وبغيرها .

(١) انظر الوصية رقم ١١٤ ص ٢٢٠ - ٢٢١ من هذه الرسالة .

(٢) للعلماء في تعاملهم مع السلاطين مناهج وتوجهات مختلفة ، فمنهم من كان يحرص على تجنبهم والابتعاد عنهم أمثال سفيان الثوري والإمام أبي حنيفة والإمام أحمد وقتادة السدوسي رحمة الله عليهم ... ، وبعضهم يرى أن الاحتكاك بهم وسيلة تُيسر عملية التذكير وإسداء النصح وتقديم الوعظ لهم ومن هؤلاء الإمام مالك والإمام الشافعي والزهري وأبو يوسف القاضي والباقلاني رحمة الله عليهم ، وبكل حال فالعالم الحصيف الناصح يضع الأمور مواضعها ، ويراعي المصلحة الشرعية في تصرفاته ومعاملاته .

ورغبة في التعرف على بعض أولئك قمتُ بالبحث في تراجم عددٍ من رواة
الوصايا ومنهم : الوليد بن عباد بن الصامت ، راوي وصية أبيه ، ويشر الأثوه ، راوي
وصية أبي حازم الأعرج ، وعبد العزيز بن أبي رواد ، راوي وصية المغيرة بن حكيم ،
ومحمد بن القاسم الطوسي ، راوي وصية محمد بن أسلم الكندي ، وحبيب بن مسلمة
رضي الله عنه الذي طلب الوصية من أبي الدرداء رضي الله عنه ... وغيرهم ، لكن
تراجمهم التي وقفتُ عليها لم تسعفني في ذلك .

المطلب الثاني

الوقاية من الأوبئة

لوصايا العلماء المحتضرين

أولاً : قوة المجتمع الإسلامي وترابطه

اشتملت الوصايا الدعوية للعلماء عند احتضارهم - كما مر معنا من خلال دراسة موضوعاتها في الباب الأول - على كل الأسس المؤدية إلى قوة المجتمع الإسلامي وترابطه ، ندباً إليها ، وحثاً عليها ، ولأن الإسلام دين شمولي والوصايا تعرضت لأركانه مذكورة بها ؛ فكل الموضوعات سواء كانت متعلقة بالعقيدة ، أو العبادات ، أو الأخلاق والمعاملات ، لها دور أساس في قوة المجتمع وتآلفه ، ولا بد أن يكون للوصايا دور في ذلك ، وبإلقاء نظرة سريعة على تاريخ القرون الثلاثة الفاضلة يعرف القارئ مدى قوة المسلمين آنذاك ، وكيف حكمت دولة الإسلام أصقاعاً واسعة من المعمورة ، وعاش من بعدهم في كنف آثارهم إلى أن تغيروا وبعثوا عن الجادة ، وشاء الله أن يضعفوا فذهبت ريحهم وتفرق شملهم .

ولعل أبرز مظاهر قوة المجتمع الإسلامي وترابطه يتمثل فيما يلي :

أ - التكافل الاجتماعي * :

من سنة الله تعالى في المجتمعات البشرية أن يكون فيها فئات غنية وفئات فقيرة ، ونظراً لقصور الإنسان فقد نتج عن ذلك عدد من المشكلات ، عالجهما الشرع الإسلامي ، ووضع لها الحلول الشافية ، فشرع الزكاة وأمر بها ، وجعلها ركناً من أركان الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (١) ، ونحوها من الآيات الموجبة للزكاة الركن الرابع في الإسلام ، والتي أوصى بها عدد من العلماء

* راجع هذا الموضوع : رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في عهدنا المدني ١١٢ - ١١٦ ، وسيد سابق ،

عناصر القوة في الإسلام ١١٤ - ١١٦ ، وأمين حسين ، خصائص الدعوة الإسلامية ٢٦٤ - ٢٧٣ .

(١) سورة البقرة آية ٤١ .

المحتضرين ، منهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومما قال في وصيته :
« والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب ربكم عنكم » ^(١) ، وأبي عبيدة بن الجراح
رضي الله عنه الذي قال : « إني أوصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير وبعدها
تهلكوا ، أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا شهر رمضان ، وحجوا ... » ^(٢) .

والزكاة هي الحد الواجب على كل من انطبقت عليه شروطها ، إضافة إلى الحث على
البذل والإنفاق المنسوب الذي أوصى به كذلك علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عند احتضاره
فقال : « والله الله في الأيتام فلا تغيرن أفواههم بحضرتكم » ^(٣) ، والمهلب بن أبي
صفرة رحمه الله حيث أوصى بنيه باليتامى والفقراء فقال : « ... واجبروا يتيمكم ،
وجودوا عليه بما قدرتم ... وتعهدوا جيرانكم وفقراءكم بما قدرتم عليه » ^(٤) .

والوصايا بذلك تذكر المسلم بما سبق أن ندب الله تعالى إليه حيث قال سبحانه :
﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ
وإليه ترجعون ﴾ ^(٥) ، وقال جل شأنه : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا في سبيل الله
بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ ^(٦) .

وأبرز أثر للزكاة الواجبة ، والإنفاق المسنون ، تحقيق التكافل الاجتماعي في
الأمة الإسلامية ، التكافل الذي لا يُبقي في المجتمع من هو بحاجة إلى غير المسلمين ،
والزكاة تحقق الحد الأدنى له ، وأداؤها على وجهها الصحيح يحفظ التوازن بين الفئات
الغنية والفقيرة في المجتمع الإسلامي ، ويقوي أواصر المودة بينهم ، لما تحمل من معنى
المواساة والمعاونة ، دون أن تؤثر في شيء من ذلك على الأغنياء .

(١) ، ٣) انظر الوصية رقم ٣٢ ص ١٦٣ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ٣٥ ص ١٦٥ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٤ من هذه الرسالة .

(٥) سورة البقرة آية ٢٤٥ .

(٦) سورة التوبة آية ٤١ .

وحصول الكفاية للفقراء فيه معالجة لأخطار الفقر التي تعتبر أخطر شيء يهدد كيان الأمة ، فهي - أي الكفاية - تقي المجتمع من آفات الانحلال الأخلاقي ، وتفشي الجريمة فيه ، تلك الأمور التي أكثر ما تظهر بين الفقراء ويزيد من شرها ضعف الإيمان والفجرة من الأغنياء ، فالجوع والفقر المدقع لا يزالان في دين المرء حتى يضعفانه - إلا أن تتداركه عصمة الله تعالى - ثم يدفعانه إلى الحصول على حاجته بكل وسيلة ممكنة - شرعية أو غير شرعية - فتظهر في المجتمع أعمال السرقة والسطو والقتل ، مما يذهب الأمن ، ويشيع الرعب في المجتمع ، هذا من حيث تصرفات الرجال ، أما النساء فيدفعهن الفقر - إذا رافقه ضعف الإيمان - إلى الحصول على لقمة العيش - وبخاصة ذوات الأولاد - عن طريق البغاء بحجة تأمين لقمة العيش لهن ولأولادهن ، متناسيات قول الله تعالى : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴿ (١) ، ومن هنا نبه الرسول ﷺ على أن الزكاة سبب رئيس للخلاص والنجاة من تلك الآفات والمفاسد ، وذلك حيث يقول : « الصدقة تسد سبعين باباً من سوء » (٢) .

خلاصة الأمر أن بعض وصايا المحتضرين حثت على الزكاة الواجبة والمندوبة ، وهما أساس التكافل الاجتماعي ، والأثر المتوقع للعمل بما أوصى به العلماء في كلماتهم الأخيرة : تماسك المجتمع الإسلامي وقوته ، وشيوع الأمن فيه ، والاستغناء عن معونات غير المسلمين حتى لا يكون لهم فضل علينا .

ب - حل الخلافات والنزاعات وجمع الكلمة :

حث الله سبحانه وتعالى على الوحدة بين المسلمين حيث قال : ﴿ إن الله يحب الذين

(١) سورة الذاريات الآيتان ٢٢ - ٢٣ .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٤/٣٢٧ .

يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴿ (١) ، فاتحاد الصف مطلوب دائماً من المسلمين ، لكنه عند القتال أوجب ، فالآية ذكرت أوجب الحالات ، وجاء حديث النبي ﷺ مبيناً ضرورة الوفاق والوحدة في جميع الحالات حيث قال عليه الصلاة والسلام : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » (٢) ، وحذر الله سبحانه وتعالى من الفرقة والنزاع حيث قال سبحانه : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ (٣) ، والفشل هو الضعف المؤدي إلى الإخفاق ، فمن ضعف عن أمر أخفق في تحقيقه ، أوفاته جلّه .

وإذا تفحص القارئ وصايا العلماء المحترمين ؛ يدرك من بعضها كيف تنبه العلماء إلى أهمية اجتماع الكلمة حتى أوصى بعضهم بها ، فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قال موصياً أولاده وكل من بلغته الوصية : « وإياكم والتقاطع ، والتدابير ، والتفرق ، ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ » (٤) ، والمهلب بن أبي صفرة رحمه الله أوصى - أيضاً - بذلك فقال : « ... والزمو الطاعة والجماعة ، وإياكم والخلاف وفراق الجماعة ، تواطؤوا ، وتأزروا ، وتواصلوا ، وتعاطفوا فإن ذلك يثبت المودة » (٥) ، كما تنبه إليه عبدالملك بن مروان عند موته فقال يوصي أبناءه « وإياكم والاختلاف والفرقة ، فإن بها هلك الأولون قبلكم ، وذللّ ذوروا العدد والكثرة » (٦) ، وهذه الوصايا كما هو ملاحظ حثت على التماسك وحل النزاعات من داخل المجتمع الإسلامي .

(١) سورة الصف آية ٤ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس للبهائم ، برقم ٦٠١٠ ، فتح البخاري ٤٣٨/١٠ .

(٣) سورة الأنفال آية ٤٦ .

(٤) انظر الوصية رقم ٣٢ ص ١٦٣ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٥ من هذه الرسالة .

(٦) أبو حاتم السجستاني ، المعمرن والوصايا ١٦٠ ، وانظر الوصية رقم ١٣٠ ص ٢٣١ من هذه الرسالة .

إذا فإن الأثر المتوقع للالتزام بما جاء في هذه الوصايا الذي سبق أن أمرت به الشريعة الإسلامية من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يتمثل في وحدة المجتمع المسلم إضافة إلى اكتسابه قوةً تمكنه من الحفاظ على صدارته أمام المجتمعات الأخرى غير الإسلامية ، أما إذا اعتمد المسلمون في حل نزاعاتهم على عناصر أجنبية غير مسلمة فأقل ما في ذلك من ضررٍ كشف بيضة المسلمين ، وبيان لنقاط الضعف في صفوفهم .

ج - الجهاد في سبيل الله :

شرح الله سبحانه وتعالى الجهاد في سبيله (القتال) بعد الهجرة النبوية ، حيث تكونت نواة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، واحتاجت إلى قوة تحميها وتدافع عنها ، فالمجتمعات الكافرة تأبى ترك الحق وأهله ولا بد أن تقف في وجهه وإن لم يتعرض لها المسلمون ، فجاءت آيات تأذن به كما في قوله تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ (١) ، وتنازلت الآيات بخصوص الجهاد في سبيل الله تعالى إلى أن نزل الأمر العام في قوله عز وجل : ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ (٢) ، وبيّن النبي ﷺ أن ترك الجهاد من أسباب الذل حيث قال عليه الصلاة والسلام : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » (٣) .

وتلقى العلماء رحمهم الله تعالى تلك التوجيهات الشرعية فوعّوها وطبقوها ، حتى صار الجهاد لدى بعضهم من أحب الأعمال إليه كما هو حال خالد بن الوليد رضي الله عنه ، ففي إحدى روايات وصيته عند احتضاره قال : « ما كان في الأرض من ليلة

(١) سورة الحج آية : ٣٨ .

(٢) سورة التوبة آية : ٣٦ .

(٣) رواه أبو داود ، كتاب البيوع والإجازات ، باب النهي عن العينة ، برقم ٣٤٦٢ ، السنن ٣ / ٧٤٠ .

أحبُّ إليَّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح العدو ، فعليكم بالجهاد « (١) ، وأوصى به كذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابنه عبد الله رضي الله عنه ، وجاء في الوصية : « ... وقتل الأعداء بالسيف » (٢) ، ولما حضرت الوفاة يونس ابن عبيد رحمه الله تحسر ألا يكون جاهد في سبيل الله ، قال الذهبي : « قيل إن يونس بن عبيد نظر إلى قدميه عند الموت وبكى ، فقيل له : ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ قال : قدماي لم تغبرا في سبيل الله » (٣) .

إن الاهتمام الشرعي بالجهاد ، وتركيز العلماء المحتضرين عليه يبرهن على ضرورته وأهميته ولعل أبرز الآثار المتوقعة من القيام به عملياً عزّة المسلمين ، وقوة الدولة المسلمة ، ومن ثمّ نشر الدعوة الإسلامية كما تجسد ذلك في العصور الزاهية للأمة الإسلامية .

د - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الحسبة) فرض كفائي - على رأي الجمهور - أمر الله سبحانه وتعالى به في عدد من الآيات القرآنية الكريمة ، قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (٤) ، وأمر به النبي ﷺ في قوله : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » (٥) .

(١) ابن حجر، الإصابة ٢/٢٥٤ ، وانظر الوصية رقم ٤٣ ص ١٧١ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ٢٦ ص ١٥٧ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١٦٨ ص ٢٥٩ من هذه الرسالة .

(٤) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

(٥) رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب ... وأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، ح ٧٨

(٤٩) ، انظر : الصحيح ١/٦٩ ، والترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو

باللسان أو بالقلب ، ح ٢٢٦٧ ، انظر : تحفة الأحوذى ٦/٣٩٢ ، والنسائي ، كتاب الإيمان ، باب تفاضل

أهل الإيمان ، ح ٥٠٠٧ ، ٥٠٠٨ ، انظر : السنن ٨/١١١ - ١١٢ ، وأحمد في مسنده ٣/٢٠ ، ٤١ .

ومن العلماء المحتضرين من أوصى به ، فالمهلب بن أبي صفرة رحمه الله قال لأبنائه : « يا بني ، أحيوا المعروف وافعلوه ، واكرهوا المنكر واجتنبوه »^(١) ، وآخرون منهم قام به في مرض موته ، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الشاب الذي جاء يبشره ، فعندما انصرف إذا إزاره يمس الأرض فناده وقال له : « يا ابن أخي ارفع ثوبك ، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لريك »^(٢) ، ومع أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها لما شَعَرَ أنها تندبه قال لها : « إني أخرج عليك بما لي عليك من الحق أن تندبيني بعد مجلسك هذا ، فأما عينك فلن أملكها وإنه ليس من ميت يندب بما ليس فيه إلا الملائكة تمقته »^(٣) ، ورؤي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه إنكاره على بعض عُوَّاده استئذانهم إياه للصلاة مع الجماعة ، قال الربيع : « لما كان مع المغرب ليلة مات الشافعي قال ابن عمه يعقوب نزلت حتى نصلي ؟ قال : تجلسون تنتظرون خروج نفسي !؟ »^(٤) .

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أثرٌ من الآثار المتوقعة إذا أخذت الوصايا التي جاءت به بعين الاعتبار ، وإن من الآثار المتوقعة - أيضاً - لإقامته : وقاية المجتمع من الذنوب والأضرار الناتجة عنها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى دَفْعُ اللعنة وسخط الله عن الأمة ، فالذين تساهلوا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استحقوا لعنة الله عزوجل ، قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴿^(٥) .

(١) انظر الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٤ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ٢٣ ص ١٥٦ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ٢٤ ص ١٥٦ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٢٢ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ من هذه الرسالة .

(٥) سورة المائدة آية ٧٨ ، ٧٩ .

ثانياً : تَمَيُّزُ الشخصية الإسلامية

من المؤلف المتعارف عليه في كل أمة ، ولدى كل مجتمع أن ينفرد بصبغة خاصّة يمتاز بها عن غيره وتكون مدعاة للفخر والاعتزاز عند بعضهم ، كما قال شاعر همدان (١) :

وكل أناس لهم صبغة وصبغة همدان خير الصبغ
صبغنا على ذاك أبناءنا فأكرم بصبغتنا في الصبغ

هذا الاعتزاز جاء على الطريقة الجاهلية ، وقبل أن يشع نور الإسلام في مكة المكرمة ، ثم ينتشر إلى أنحاء الجزيرة العربية فالبلاد المحيطة بها من المدينة المنورة . فلما جاء الإسلام ، واعتنقه الجيل الأول (الصحابة رضوان الله عليهم) صبغ شخصيتهم صبغة ميزتهم عمّن سواهم من الناس هي خير الصبغ حيث قرّر سبحانه ذلك في قوله : ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾ (٢) .

معالم الشخصية الإسلامية من خلال وصايا المحتضرين :

١ - التوحيد ، وقد أوصى به إلحاحاً النبي ﷺ في معرض تحذيره من اتخاذ قبره وثناً : « لا تجعلوا قبوري وثناً » (٣) ، ولعنه متّخذي القبور مساجد : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (٤) ، فمفهوم وصايا النبي ﷺ يؤكد الأمر بالتوحيد ، وتجنب الإشراف بالله ، وقد أشار خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أهمية التوحيد وأنه أساس العمل (٥) .

(١) ذكره الطبري في تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » ١٤٤/٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٣٨ .

(٣) انظر الوصية رقم ٢ ص ١٣٩ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١ ص ١٣٩ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ٤٣ ص ١٧١ من هذه الرسالة .

ومن وصية النبي ﷺ : « لعنة الله على اليهود والنصارى ... » يبدو تمييز المسلمين عن غيرهم من أصحاب الملل الأخرى وبخاصة اليهود والنصارى ، فالتوحيد عند المسلمين نقي خالص من الشوائب ، بخلافه عند اليهود ، ونقيض ما يدعيه النصارى .

٢ - الالتزام بالشعائر الإسلامية ، وهو تابع للتوحيد ، بل من مقتضياته الأولى ، حيث تؤدي الشعائر الإسلامية المنصوص عليها وفق التعاليم الشرعية بلا تدخل من أحد ، وحتى ما يدخل في نطاق الاجتهاد فإنه لا يخرج - أيضاً - عن الإطار الشرعي ، بل إن في الشريعة الإسلامية واجبات لا تكاد توجد في الأديان الأخرى بالصفة التي هي في الإسلام^(١) منها : صلة الرحم ، والعدل ، والمساواة ... ونحوها مما أمرت به الشريعة ، وذكرت به الوصايا^(٢) ، والذي يعطي المجتمع الإسلامي صبغة تميزه عن سائر المجتمعات الأخرى .

إذا فالصبغة الإلهية تتشكل من خلال التعاليم الشرعية ، والمبادئ الإسلامية التي أرشدت إليها الشريعة الإسلامية ، وبينها النبي ﷺ ، وحذر من كل ما يؤثر عليها فقال ﷺ : « بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم »^(٣) ، فالتشبه بغير المسلمين بأخذ عاداتهم في اللباس أو التعامل يذهب الشخصية الإسلامية ، ويصعبُ بعد ذلك تمييز المسلمين عن غيرهم .

وقد برئ النبي ﷺ من كل مسلم أقام بين ظهرائي المشركين ، روي أن قوماً من المسلمين لجؤوا إلى خثعم ، فلما غشيه المسلمون استعصموا بالسجود ، فقتلوا بعضهم ، فبلغ النبي ﷺ فقال : « أعطوهم نصف العقل لصلاتهم » ، ثم قال عند ذلك :

(١) ربما كان ذلك بسبب التحريف الذي حصل للأديان السماوية ، والاحتمال الآخر هو أن الإسلام أتم الأديان وأشلها فجاءت هذه الأمور وغيرها فيه أكمل منها في تلك .

(٢) انظر الصفحات التالية : (صلة الرحم) ١٩٩ ، ٣٦١ ، (العدل) ١٤٤ ، ٢٨٨ ، (المساواة) ٣٦٥ .

(٣) رواه أبو داود ، كتاب اللباس ، باب في لباس الشهرة ، برقم ٤٠٣١ . السنن ٣١٤/٤ ، وأحمد - واللفظ له - في مسنده ٥٠/٢ .

« ألا إني بريء من كل مسلم مع مشرك ، قالوا لم يارسول الله ؟ قال : لا ترايا ناراهما » وفي رواية الطبراني : « أنا بريء من كل مسلم أقام مع المشركين لا تراءى ناراهما » (١) . واستدل الكوفيون بهذا الحديث على أن الإقامة بأرض العدو لا تجوز (٢) ، وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه : إن كان هذا ثبت فأحسب النبي ﷺ - والله أعلم - أعطى ما أعطى متطوعاً ، وأعلمهم أنه بريء من كل مسلم مع مشرك - والله أعلم - في دار الشرك ، ليعلمهم أن لاديات لهم ولا قود » (٣) . فمخالطة المشركين ومعاشرتهم تنافي مبادئ الإسلام التي جعلت من المسلم شخصية مستقلة متميزة ومؤثرة لا متأثرة ، ولا يتأتى ذلك إلا من تبلور المسلمين في جماعة واحدة ، يعين بعضهم بعضاً في الأمور الدينية والدنيوية ، ومن هنا جاء الحزب من النبي ﷺ على ملازمة الجماعة ، قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد ، من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة » (٤) ، وذلك مما أوصى به - أيضاً - علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٥) ، والمهلب بن أبي صفرة رحمه الله (٦) ... وغيرهما .

(١) رواه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود ، برقم ٢٦٤٥ . السنن ١٠٤/٣ . ١٠٥ . وذكر الخطابي في كتابه « معالم السنن » بحاشية سنن أبي داود أوجهاً لمعنى قوله ﷺ : « لا تراءى ناراهما » قال : « وقال بعضهم : معناه أن الله فرق بين داري الإسلام والكفر ، فلا يجوز لمسلم أن يساكن الكفار في بلادهم ، حتى إذا أوقدوا ناراً كان منهم بحيث يراها » وذكر وجهاً لأهل اللغة معناه « أن لا يتسبم المسلم بسمة المشرك ، ولا يتشبه به في هديه وشكله » معالم السنن بحاشية سنن أبي داود ١٠٥/٣ . والترمذي ، كتاب السير ، باب ماجاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين ، برقم ١٦٤٥ . تحفة الأحوذى ٢٢٩/٥ . والطبراني في المعجم الكبير ١٣٤/٤ . والبيهقي ، كتاب القسامة ، باب ما جاء في وجوب الكفارة في أنواع قتل الخطأ ، السنن ١٣١/٨ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥٣/٥ . وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٢) انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٦٣/١٨ .

(٣) سنن البيهقي ١٣١/٨ .

(٤) رواه الترمذي ، كتاب الفتن ، باب في لزوم الجماعة ، برقم ٢٢٥٤ . تحفة الأحوذى ٣٨٣/٦ - ٣٨٥ .

(٥) انظر الوصية رقم ٣٢ ص ١٦٣ من هذه الرسالة .

(٦) انظر الوصية رقم ١٤٠ ص ٢٥٥ من هذه الرسالة .

وإن جميع التوجيهات النبوية تعني أن الدين الإسلامي يفرض على كل من ينتمي إليه أن يبرز السلوك الإسلامي في تصرفاته ، وتتخذ شخصيته الطابع الإسلامي المميز ، دون امتزاج بأي شخصيات أخرى بعيدة عن الإسلام ، أو حتى مجرد الاحتكاك بها لغير ضرورة ، وقد اشتملت وصايا العلماء عند احتضارهم على أهم المبادئ المميزة للشخصية الإسلامية ، حيث استقى قائلوها توجيهاتهم وإرشاداتهم من معين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ولهذا جاءت كثير من الوصايا متحدة الموضوعات .

فإذا تأملنا وصية كل من أبي الدرداء رضي الله عنه : « من يعمل لمثل يومي هذا ؟ من يعمل لمثل ساعتني هذه ؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا ؟ »^(١) ، ووصية المغيرة ابن حكيم رحمه الله : « اعمل لهذا المضجع »^(٢) ، ووصية عطية العوفي رحمه الله : « أجدني إلى الآخرة أقرب مني إلى الدنيا ، فمن استطاع منكم أن يعمل لمثل هذه الصرعة فليفعل »^(٣) ، وقول إبراهيم بن هانئ : « لمثل هذا فليعمل العاملون »^(٤) ، إن تأمل هذه الوصايا وما شابهها يعطي فكرة عن وحدة المصدر الذي يستقي منه أولئك العلماء ، مما جعل وصاياهم تتفق في موضوعها رغم فارق الزمن بين كل واحد منهم .

أما وصايا معاذ بن جبل رضي الله عنه^(٥) ، وعبد الله بن عمر رضي الله عنه^(٦) وعبد الرحمن بن الأسود رحمه الله^(٧) ، وعامر بن عبد القيس رحمه الله^(٨) ، وحسان بن أبي سنان رحمه الله^(٩) ، فإن المتعمن فيها يجد أنها تكاد تتحد في حديثها عن : أ - قيام الليل . ب - صيام النافلة . وهذه الوصايا - أيضاً - تعكس في اتحاد موضوعاتها وحدة مصدر قائلها .

(١) انظر الوصية رقم ٦٠ ص ١٨٤ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٥٨ ص ٢٥٢ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الوصية رقم ١٣٤ ص ٢٣٥ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ٩٨ ص ٢١٣ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصية رقم ٧١ ص ١٩٣ من هذه الرسالة .

(٦) انظر الوصية رقم ٥٤ ص ١٧٩ من هذه الرسالة .

(٧) انظر الوصية رقم ١٢٤ ص ٢٢٥ من هذه الرسالة .

(٨) انظر الوصية رقم ١٢٢ ص ٢٢٤ من هذه الرسالة .

(٩) انظر الوصية رقم ١٠٩ ص ٢١٦ من هذه الرسالة .

ومن أسس تميز الشخصية الإسلامية - إلى جانب وحدة المصدر - عبودية المسلم لله تعالى بمعناها الشامل ، وقد تحدثت وصايا العلماء عند احتضارهم عن جزء كبير من أجزاء تلك العبودية فذكرت الصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، والصدق ، والأمانة ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد ، والإكثار من ذكر الله ، وحسن الخلق ، وكل هذه الأمور تدخل في مسمى العبادة بمفهومها الواسع ، وفي الحقيقة فإن حياة المسلم ينبغي أن تكون كلها عبادة لله تعالى ، قال تعالى - موجهاً الخطاب للنبي ﷺ - : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿ (١) ، ولا يشك أحد أن المرء إذا التزم بدينه كانت شخصيته أقوى وأكثر تميزاً واحتراماً من الأشخاص الأقل التزاماً بتعاليم دينهم . وتؤدي المناهج التي انتهجها العلماء في وصاياهم إلى تكوين تلك الشخصية الإسلامية المتميزة ، فالمنهج الوعظي الإرشادي يدفع الغفلة والنسيان عن الأفراد المسلمين ويحثهم على التزام مبادئ الشريعة الإسلامية ، والمنهج التربوي يؤدي إلى استقلالية التفكير ، وحرية الرأي ، والرقي بالمسلمين إلى مستوى القدوة والتأثير ، وفي الجانب السلوكي ، يهيئ الفرد الصالح ، ويبنى المجتمع المتكامل المحافظ على الشخصية الإسلامية واستقلالها .

ومما يؤسف له أن كثيراً من المجتمعات الإسلامية أغفلت أهمية تميز الشخصية الإسلامية ، والمحافظه عليها ، وتساهلت في الاحتكاك بالمجتمعات غير المسلمة ، فنتج عنه عدد من المشكلات أذكر عرضاً سريعاً لبعضها ، محارلاً انتقاء الأهم منها فيما يلي :

١ - البعد عن الأخلاق الإسلامية ، وأخذ كثير من عادات المجتمعات الإفريقية في المجال الاجتماعي ، فمن الواضح أن أبرز سمة في تلك المجتمعات التحلل الأخلاقي ،

(١) سورة الأنعام الآيتان ١٦٢ - ١٦٣ .

وانفصام الأسر ، وقد انتقلت هذه الأويثة إلى معظم المجتمعات الإسلامية ، وأصبحت سمة من سماتها ، عوضاً عن الأخلاق الإسلامية الفاضلة ، فظهر السفور ، والتبرج ، والاختلاط ، مما أفرز آفات اجتماعية ، كالانحلال الخلقي ، وتفكك الروابط الأسرية .

٢ - أخذ المسميات الغربية للأشخاص بدل الأسماء الإسلامية ، فظهرت بين المسلمين تسميات غير إسلامية مثل « لورنس » و « ماري » ونحوها من الأسماء النصرانية ، بالإضافة إلى عبارات « أبيه » و « تانت » و « آنكل » ونحو ذلك من المسميات الدالة على ذهاب الشخصية الإسلامية ، أو اهتزازها في نفوس حاملها ، إلى درجة أن البعض منهم يخجل من انتمائه للإسلام .

٣ - خلط اللغة العربية أثناء التحدث بكلمات أجنبية ، فهناك بعض المثقفين ، الذين تلقوا تعليمهم خارج البلاد الإسلامية ، إذا ما تحدث يدمج في كلامه بين اللغة العربية واللغة التي درس بها ، وذلك يعني فقدانه الاعتزاز بلغة القرآن ، التي جهد أعداء الإسلام في إبعاد الناس عنها بكل وسيلة : بالدعوة إلى العامية ، وتغيير رسم الحروف العربية إلى اللاتينية ، ليجعل الناس لغتهم وبالتالي تضعف صلتهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، وهما مصدرا التشريع الإسلامي وباللغة العربية .

٤ - التعامل بالتاريخ الإفرنجي عوضاً عن التاريخ الهجري^(١) ، وربما احتج أناس لذلك الاستعمال ، لكن الأهم من جميع تلك الحجج والبراهين تميز الشخصية الإسلامية ، والتاريخ الهجري القمري الذي ابتداء وضعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه شعاراً أساساً للأمة الإسلامية ، تجب المحافظة عليه .

هذه نقاط من آثار ضعف الشخصية الإسلامية الناتج عن الاحتكاك غير الضروري بالأهم غير الإسلامية ، وربما نتج عن ذلك آثار أشد وأقسى كالتحول عن الدين الإسلامي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم * .

* للاستزادة راجع : الأشقر ، معالم الشخصية الإسلامية ١٤ - ٣٠ . القاعد ، مسلمون لا نخجل ١٧ - ٢٥ .

(١) انظر : مسلمون لا نخجل ٢٠ .

ثالثاً : سعة أفق الدعاة

سبق أن الواقعية إحدى خصائص وصايا العلماء عند احتضارهم ، ومن أهم أسس الواقعية سعة أفق الداعية ، والذي هو أحد آثار الأخذ بالوصايا والعمل بها ، وتحقق سع الأفق لدى الداعية من خلال عوامل عدة منها :

١ - تعرّف الداعية على المحيط الذي يدعو فيه * :

عند استعراض الوصايا يمكن استفادة هذا العامل من وصية الحسن بن علي لأخيه الحسين رضي الله عنهم التي قال له فيها : « إياك أن تسفك في دماً ، فإن الناس سراع إلى الفتنة » ^(١) ، وقوله أيضاً : « لا أرى أن الله يجمع لنا النبوة والخلافة ، فلا يستخفّنك أهل الكوفة ليخرجوك » ^(٢) ، فمعرفة الحسن رضي الله عنه بطبائع عامة الناس في زمانه ، وبحال أهل الكوفة وخلقتهم بخاصة : إنّما اكتسبها من مخالطته لهم واحتكاكه بهم فترة مكوثه مع والده في الكوفة حتى تنازله عن الخلافة ، أما وصية يزيد بن حميد رحمه الله : « والله إن كان لينبغي للمسلم أن يزيد ما يرى في الناس من التهاون بأمر الله أن يزيد ذلك جداً واجتهاداً » ^(٣) ، فلم تصدر منه إلا بعد ملاحظته الناس ومدى اهتمامهم بعباداتهم وشؤون دينهم من خلال معايشته لهم واحتكاكه بهم .

إذا فسبيل تعرف الداعية على المحيط الذي يدعو فيه التغلغل داخل المجتمع المستهدف ، ودراسته دراسة فاحصة مستنيرة ، حيث شاءت إرادة الله تعالى أن تختلف

* من مراجع هذا العامل : عبد البديع صقر ، كيف تدعو الناس ص ٢٩ . والوكيل ، أسس الدعوة ص ٨٩ .

(١) انظر الوصية رقم ٤٠ ص ١٦٩ من هذه الرسالة .

(٢) ابن الأثير ، أسد الغابة ١٥/٢ ، انظر الوصية السابقة .

(٣) انظر الوصية رقم ١٦٧ ص ٢٥٩ من هذه الرسالة .

علوم الناس وطبائعهم وأعراقهم ، والدين الإسلامي فيه من المرونة ضمن أطره الثابتة ما يمكنه من استيعابهم ، إضافة إلى ملاءمته للظروف الزمانية المكانية ، ولعل هذا أحد أسباب خلود الرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

ومن هنا كان لزاماً على كل داعية دؤوب يسعَى إلى النجاح في وظيفته إلى الاتصال بالناس ، البيئة التي يدعو في إطارها ، والتعرف على كميّات وطرق التعامل معهم ، وأسباب التأثير فيهم ، ولعل من حكمة الله تعالى أن يرسل الرسل وينزل الوحي إليهم بعد فترة زمنية يُمضيها النبيّ مع قومه ، فيعرفهم ويعرفونه ، لعل في ذلك ما يؤكد ضرورة وأهمية إحاطة الداعية بالمجتمع الذي يمارس الدعوة فيه ، بل إن الله تعالى جعل من براهين صدق النبيّ ﷺ وصحة نبوته مدة مكثه فيهم قبل البعثة ، قال تعالى : ﴿ قل لو شاء الله ماتلوتة عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ﴾ (١) ، حيث قضى بين ظهرانهم أربعين سنة قبل أن يتلو القرآن ، ولو كان شيئاً استحدثه من عند نفسه لجاء به في شبابه ، ولو لم يُوحَ إليه ويؤمر بتبليغه لكان في مندوحة عن معاداة قومه ومخالفتهم (٢) .

وتأتي أهمية معرفة محيط الدعوة من أن الداعية يصبح بمقدوره تقديم المناسب للبيئة التي يتعامل معها ، فالتأمل في وصايا الحسن بن علي رضي الله عنه يجد أن معرفته الدقيقة بأساليب أهل الكوفة وعاداتهم جعلته يقدم لأخيه الحسين رضي الله عنه وصية تجنبه مغبة التعامل معهم وتقويه — بإذن الله — من الأذى ، لكن قضاء الله سبحانه سابق ، وأبو التياح يزيد بن حميد رحمه الله قدم نصيحته من واقع معرفته بحال الناس المعاصرين له .

ومن الشواهد المؤيدة لذلك من مرحلة الدعوة النبوية ما جاء في سيرة النبيّ ﷺ

(١) سورة يونس آية ١٦ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤١/١٥ - ٤٢ .

الذي لبث في قومه قبل البعثة أربعين سنة فعرفهم معرفة كاملة ، كما عرفوه معرفة تامة ، جاء في سيرته ما يشير إلى ضرورة معرفة الداعية المحيط الذي يدعو فيه واستخدام الأساليب الملائمة له ، من ذلك استخدامه وسيلة « النذير العريان »^(١) التي تشعر بخطر عظيم داهم القوم ، فيفزعون إلى المنذر ليخبروا ما عنده ، روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لما نزلت : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾^(٢) ورهطك منهم المخلصين^(٣) ، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف : « يا صباحاه » ، قالوا : من هذا الذي يهتف ؟ قالوا محمد . فاجتمعوا إليه . قال : رأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جرنا عليك كذباً . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد »^(٤) ، وفي موقف آخر عندما ظن أن عمه أباطالب بدا له في نصرته أمر ، وأنه خاذله ، قام بإثارة حميته وقال له : « يا عمّاه ، لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه عمّه أبوطالب فقال : أقبل يا بن أخي ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : اذهب يا بن أخي فوالله لأسلمك لشيء أبداً »^(٥) .

(١) من عادة العرب في الجاهلية إذا دهمهم أمر خطير أن يستخدموا هذه الوسيلة ، وصفتها : أن يركب الصريخ راحلة مستديراً إياها ، ويمزق قميصه ، ويجدع أنف بعيره ، ويشرف على القوم من مرتفع وينادي بالقوم ، كما فعل ضمضم بن عمرو الغفاري يوم اعترض المسلمون غير قريش (السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٠/٢) ، وعندما استخدمها النبي ﷺ خالصها من الشوائب المحرمة واكتفى بالصعود إلى مرتفع ، والنداء على القوم ، ويستفاد من ذلك أن الوسائل المشوية إذا أمكن تجريدها من شوائبها فلا بأس من استخدامها .

(٢) سورة الشعراء آية ٢١٤ .

(٣) نقل محقق « دلائل النبوة » عن النووي فيما يتعلق بقوله : « ورهطك منهم المخلصين » قال : الظاهر أن هذا كان قرآناً أنزل ثم سُخِّت تلاوته . دلائل النبوة ١٨١/٢ .

(٤) دلائل النبوة ١٨١/٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٣٢٦/٢ .

والمواقف السابقة مع وصايا العلماء المحتضرين تبين أهمية دراسة محيط الدعوة والتعرف عليه ، ويتجلى أثرها في سعة أفق الداعية على وجه الخصوص ، مما يجعله بصيراً حاذقاً ، حسن التصرف والتدبير في مستلزمات الدعوة .

ولا بد من الإشارة إلى أن الإحاطة الدقيقة لا تتأتى بسرعة ، بل تحتاج إلى مزيد من الوقت والجهد والصبر وتناسي هذا العامل أو التساهل فيه يؤدي إلى مفاجأة الداعية بعقبات صعبة ، وإصابته بصدمات شديدة ، تضعف نشاطه ، وتعود بالضرر على مجهوده .

٢ - المعرفة العلمية الكافية للدعوة :

أهم ما يجب توفّره في الدعاة أن يكونوا على بينة في دعوتهم ، ولا يكون أحدٌهم جاهلاً بما يدعو إليه ، وإن جهله فلا يتحدث حتى يعرفه ، قال تعالى - مخاطباً النبي ﷺ - : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ (١) ، والبصيرة في اللغة تأتي بمعنى : الفطنة ، والعلم ، والعبرة ، واليقين ، وقال ابن منظور : قال الليث : « البصيرة اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأمور » (٢) ، فالبصيرة بهذه المعاني مجتمعة تعني أعلى درجات الوضوح والمعرفة .

وبالعودة قليلاً إلى منهج التربية الفكرية يمكن القول أن العلماء المحتضرين عُنوا في وصاياهم بالجانب العلمي ، فحثوا عليه ، وذكروا به كما فعل معاذ بن جبل رضي الله عنه (٣) ، والمهلب بن أبي صفرة (٤) ، وربما دلّوا على موارده كما في وصية أخرى لمعاذ بن جبل رضي الله عنه (٥) .

(١) سورة يوسف آية ١٠٨ .

(٢) لسان العرب ٦٥/٤ مادة « بصر » .

(٣) انظر الوصية رقم ٦٧ ص ١٩٠ من هذه الرسالة .

(٤) انظر الوصية رقم ١٦٠ ص ٢٥٥ من هذه الرسالة .

(٥) انظر الوصايا رقم ٦٨ ، ٦٩ ص ١٩١ - ١٩٢ من هذه الرسالة .

فالأخذ بتلك الوصايا والعمل بها يوفر للمسلم استعداداً علمياً كافياً للدعوة ، لأنه إذا رام النجاح في دعوته « فلا بد أن يكون عالماً بما يدعو إليه ، متفقهاً في أسراه ، محيطاً بحكمته » (١) .

ولعل من المهم إضافة معلومات أخرى إلى العلم الشرعي ، إذ الداعية بحاجة ماسة لدراسة المذاهب المنتشرة والتيارات السائدة ، والإلمام بأفكار وعقائد النحل والأديان الأخرى - ما يحتاج إليه منها على أدنى حد - ثم يتزوّد من العلم والمعرفة ما يساعده في كشف زيفها ، وبيان بطلانها وانحرافها ، لأنها كذلك - بلا شك - فهي تعارض دين الله تعالى الحق ، ثم يعمل في المرحلة التالية على محاولة إقناع الناس بما توصل إليه من حقائق تجاه تلك المذاهب والملل والنحل ، قارناً ذلك ببيان محاسن الدين الإسلامي وشموله ، وملاءمته لجميع الظروف والأزمنة .

أخلص من ذلك إلى أن أمر الدعوة ليس بالهين ، فهي بحاجة إلى دعاة ذوي هم عالية ، لديهم القدر الكافي من الإحاطة وسعة الأفق وبخاصة في الجانب المعرفي ، يتناسب مع عظم الدعوة ، وجسامة مسؤوليتها ، يقول الدكتور يوسف القرضاوي : « ولقد تبين لي أن الداعية في حاجة إلى مجموعة من الثقافات هي : الثقافة الإسلامية ، والثقافة التاريخية ، والثقافة الأدبية واللغوية ، والثقافة الإنسانية ، والثقافة العلمية ، والثقافة الواقعية ، والمطلوب من الداعية الناجح أن يتمثل هذه الثقافات وبهضمها ، ويكون منها مزيجاً جديداً طيباً نافعاً ، أشبه شيء بالنحلة التي تأكل من كل الثمرات ، سالكة سبل ربها ذللاً ، لتخرج منها بعد ذلك شراباً مختلفاً ألوانه ، فيه شفاء للناس ، كما أن فيه آية لقوم يتفكرون » (٢) .

(١) محمد أمين المصري ، سبيل الدعوة ص ١٤ .

(٢) القرضاوي ، ثقافة الداعية ص ٨ .

ويتبع ذلك المعرفة الفنية المتعلقة بالأساليب الدعوية ، واختيار الملائم منها للدعوة والمدعوين ، فالعلماء المحترمين استخدموا في وصاياهم أساليب كثيرة مناسبة للوقت والحال الذي هم فيه ، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه استخدم أسلوب الترغيب والترهيب في وصيته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ^(١) ، وكذا كثير بن زياد البُرسانى رحمه الله الذي قال : « تبيعون دنياكم بأخرتكم تريحونهما والله جميعاً ، ولا تبيعون أخرتكم بدنياكم فتحسرونهما والله جميعاً » ^(٢) ، وأسلوب الحوار والمناقشة ، والوعظ المباشر ، والوعظ غير المباشر ، حسب ما يقتضيه المقام ^(٣) ، وذلك أن فئات المجتمعات مختلفة ففيها الكبير ، والشاب ، والصغير ، وفيها المثقف ثقافة عالية ، ومتوسط الثقافة ، والجاهل أو المبتدئ ، مع انقسام المجتمع إلى ذكور وإناث ، إضافة إلى العرف السائد عندهم ، وغالباً ما تنتظم الأعراف جميع فئات المجتمع الواحد ، فمعرفة الداعية بفنون الاتصال تجعله ينتقي الأسلوب المناسب لكل فئة من فئات المجتمع ، ولا يتضاد مع العرف القائم .

ومن الأخلاق المرتبطة بسعة الأفق : الحلم ، والرفق ، والصبر ... ونحوها من الأخلاق التي أوصى بها المحترمين وركزوا عليها ^(٤) ، وتوفرها للداعية يمكنه من استيعاب الأحداث والأشخاص ، والإغضاء عن كثير من المسائل الصغيرة ، في سبيل الوصول إلى الهدف الأكبر ، هداية الناس ، وانقيادهم لشريعة الإسلام ، قال تعالى - موجهاً نبيه ﷺ - : ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ﴾ ^(٥) .

(١) انظر الوصية رقم ١٠ ص ١٤٥ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الوصية رقم ١٤٨ ص ٢٤٤ من هذه الرسالة .

(٣) انظر ص ٣٠٦ - ٣١٣ من هذه الرسالة .

(٤) راجع ص ١١٩ - ١٢١ و ٣٤٦ - ٣٤٧ من هذه الرسالة .

(٥) سورة الأحزاب آية ٤٨ .

وهذا الأثر (سعة الأفق) الذي تعكسه الوصايا عند الاحتضار بما حوت من توجيهات وإرشادات ، إذا تحققت في الداعية نتج عنه آثار واقعية وعملية في ميدان الدعوة ، أبرزها أن يكون احتمال نجاح الداعية وانتشار الدعوة كبيراً ، ذلك أنه سلك السبل السليمة له ، أما الهداية فبيد الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ (١) ، ودقة التخطيط للعمل الدعوي إذ يصبح الداعية ذا نظرة فاحصة ، وبصيرة نافذة ، ومعرفة بمجريات الأحداث ، مما يعينه على وضع الأمور مواضعها ، وعدم الدخول في مشكلات تُضرب به ، ولا ترجع على الدعوة والدعاة الآخرين بفائدة ، وربما ألحقت بهم قسطاً من الأذى والضرر ، مراعيّاً في ذلك القاعدة التي ذكرها العلماء في تحريم الاحتساب إذا أفضى إلى منكر أكبر ، ولحق الأذى بغير من قام بالاحتساب (٢) ، والله أعلم .

إن النقاط الآتية الذكر : قوة المجتمع الإسلامي وترابطه ، وتميز الشخصية الإسلامية ، وسعة أفق الدعاة ، آثار يتوقع حصولها في الواقع العملي ، إذا أخذت الوصايا عند الاحتضار بعين الاعتبار ، وعُمل بالمبادئ والتوجيهات والإرشادات التي تضمنتها ، فكما أن الالتزام بتلك المبادئ المستقاة من الكتاب والسنة أنتج جيلاً إسلامياً فريداً حمل تلك الشريعة ونشر الإسلام - بتوفيق الله - في ربوع المعمورة ، ذلك الجيل الذي تربي في كنف النبوة ، ورَبَّى جيلاً تلقى تعاليم الشرع ويُلغى إلى من بعده ، كما حقق الالتزام تلك النتائج لدى جيل الصحابة ، فإنه لا بد وأن يحقق ولو بعضاً منها للمسلمين في واقعنا المعاصر ، إذا تم العمل بتلك المبادئ والأسس الشرعية على النحو المطلوب ، والكيفية المرجوة .

(١) سورة القصص آية ٥٦ .

(٢) انظر : زيدان ، أصول الدعوة ص ١٩١ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ

الخاتمة

الدعوة الإسلامية حلقات في سلسلة متصلة بدأت بمبعث النبي ﷺ عند نزول قوله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأندر ﴾ (١) ، فقام بها خير قيام ، وأدى الأمانة كما أمره الله تعالى ، ثم مضى إلى ربه عزوجل ، فتحمل عبء الدعوة من بعده صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، فاجتهدوا في القيام بها ، ثم تناقلها عنهم التابعون فتابعوهم ، ثم من بعدهم وإلى أن يشاء الله ، فكل مسلم مدين للعلماء والدعاة من أهل القرون الثلاثة الأولى على وجه الخصوص فيما هو فيه من نعمة الإسلام ومعرفة الدين ، ومن هنا فإن دراسة سيرهم وتتبع أقوالهم وبخاصة في مجال اهتمام الداعية كالنصح والوعظ والإرشاد والتعليم فيه فائدة عظيمة ومنفعة جلييلة ، سئل حمدون بن أحمد بن عمارة : « ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟ فقال : لأنهم تكلموا لعز الإسلام ، ونجاة النفوس ، ورضاء الرحمن . ونحن نتكلم لعز النفس ، وطلب الدنيا ، وقبول الخلق » (٢) .

وقد كانت وصاياهم عند الاحتضار من تلك الأقوال المفيدة النافعة التي ورثوها من بعدهم ، فهي تكشف صفوة من المناهج الدعوية التي استخدموها ، وتوحي بدروس ذات قيمة واقعية في مجال الدعوة إلى الإسلام ، ذلك لأن الوصايا جاءت خلاصة معارفهم وثمرة عمل دؤوب في الدعوة والوعظ والإرشاد .

ومجمل تلك الوصايا يجعل الداعية الحصيف لا يغفل مكانة القول في تبليغ الدعوة ، وأثر الكلمة الطيبة في النفوس ، ومن ثم يراعي في كلماته الوضوح والبيان ، ليدرك السامع مغزاها فتؤدي الغرض منها ، ومن تمام البيان ودقته ترك الألفاظ الموهمة والبعد عنها ، وهذا مما أرشد إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا

(١) سورة المدثر الآيتان : ٢،١ .

(٢) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ٢٣١/١٠ . وابن خيس ، مناقب الأبرار (خ) ١١٧ أ .

الخاتمة

لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴿ (١) ، فكلمة « راعنا » كان اليهود يستخدمونها في مخاطبة النبي ﷺ على وجه السخرية والاستهزاء ، والمسلمون لا يشعرون بذلك ، ويَدْر من بعضهم استخدامها فنهاهم الله تعالى عن ذلك (٢) . ومن عناصر البيان أيضاً البعد عن الغريب وتادر الاستعمال من الكلمات (٣) . وهذه الأمور مما تم التطرق إليها عند الحديث عن « خصائص وصايا العلماء عند احتضارهم » (٤) .

يضاف إلى ذلك أن أي مسلم والداعية بخاصة يجب أن ينطلق في عمله من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة أولاً وقبل كل شيء ، لأن ذلك يعني صفاء الدعوة ونقاءها وسلامتها من الشوائب الفكرية والعقدية التي انتشرت بين الناس عند إقبالهم على علوم الفلسفة والمنطق ، وابتعادهم عن الإفادة من القرآن الكريم والسنة النبوية . ولأن العلماء في تلك القرون تجنبوا تلك العلوم وانطلقوا ابتداءً من هذين المصدرين جاءت وصاياهم منضبطة بالإطار الشرعي ، داعية إلى تعاليم الدين وآدابه ، محذرة مما يناقضها وينافي آدابها وأحكامها .

ولا يفوتني أن أذكر ببعض التوصيات التي استفدتها من موضوع الرسالة وأثناء العمل فيها في النقاط الآتية :

١ - إن نجاح الدعوة يحتاج إلى إعداد دعاة أكفاء ، وكل الدلائل تؤكد أن الداعية لا يؤثر كما ينبغي ولا يتقدم كما يُرجى إلا إذا كان محيطاً بميدان الدعوة : الظروف ، والعادات ، والأحوال السائدة والمنتشرة في بيئة المدعوين ، وهي أمور لا تتأتى

(١) سورة البقرة آية : ١٠٤ .

(٢) انظر : الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢ / ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٣) قد تكون بعض الكلمات والتعبيرات المستخدمة في القرون الثلاثة الأولى وبخاصة عصر صدر الإسلام واضحة بالنسبة لهم لكنها غامضة بالنسبة لنا ، كما في وصايا أبي بكر رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها [ص ١٤٧] ولعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه [ص ١٤٩ - ١٥٠] فهذا أمر نسبي يخضع لوقت إلقاء الكلمة ونوعية المتلقي .

(٤) انظر الرسالة ص ٣٦٩ - ٣٨٩ .

الخاتمة

لطالب الدعوة إذا اقتصر على المجال النظري ، بل إنها تحتاج إلى ممارسة عملية للدعوة ، ومن هنا أتمنى أن تُعدّ الجهات المسؤولة عن شؤون الدعوة برامج تفرض على منسوبيها - وبخاصة الطلاب - النزول إلى ميدان الدعوة بالقدر المتيسر .

ب - قام عدد من الأساتذة والكتاب الفضلاء بالكتابة عن غايات الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها ، وقدمو بذلك جهداً طيباً وعملاً نافعاً ، إلا أن بعض تلك الدراسات لا تُميّز بين المناهج والأساليب والوسائل ، وربما عد بعضهم المناهج والأساليب لوناً واحداً ، وقد حاولت عند تعرضي للمناهج وللأساليب تعريف كلاً منهما للتمييز بينهما مستعيناً بأراء بعض الباحثين ومنها د. أبو الفتح البيانوني حفظه الله ، وهو جهد متواضع وإن كنتُ بذلت ما في وسعي ، ولذا أقترح طرح فكرة دراسة المناهج والأساليب والوسائل دراسة أكاديمية عميقة ومؤصلة تكون المصدر الأساس لما يأتي بعدها من دراسات وأبحاث .

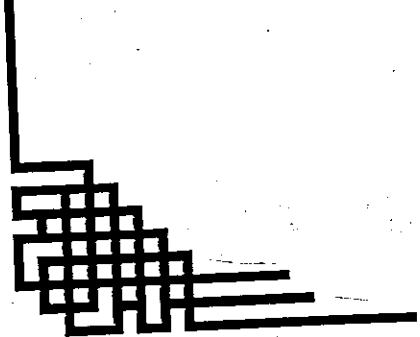
ج - الوصايا أسلوب من الأساليب القولية للدعوة ، يضاف إليه أسلوب القصص ، والخطب ، وخلق الذكر ، والمحاضرات ، والندوات ... الخ ، وقد يسرّ الله تعالى لي دراسة الوصايا عند الاحتضار دراسة دعوية أرجو أن تكون حسنة القبول إن شاء الله تعالى ، وليس في حدود علمي أن أحداً قام بدراسة الخطب أو القصص أو خلق الذكر ، مما يجعلني أقترح أن تكون هذه الأنواع محط الأنظار وموضع العناية ، وأن تطرح على شكل موضوعات لرسائل علمية عالية ، هذا إذا لم تبحث من قبل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

وصلّى الله وسلّم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين .



الفهارس

- ١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة .
 - ٢- فهرس الأخادِيث النبوية والآثار .
 - ٣- فهرس الأشعار .
 - ٤- فهرس الأعلام المترجم لهم .
 - ٥- فهرس المصادر والمراجع .
 - ٦- فهرس الموضوعات .
- 

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
٦١	١٣١	البقرة	﴿ أسلمت لرب العالمين ﴾
٢٦٧	٢٤	البقرة	﴿ أعدت للكافرين ﴾
٢٦٤	١٤٦	البقرة	﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾
١٨٦	١٥٩	البقرة	﴿ إن الذين يكتفون ما أنزلنا من الكتاب والهدى ... ﴾
٢٦٨	٨٢	البقرة	﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾
٢٦٨	٣٩	البقرة	﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾
٢٣٦	٨٥	البقرة	﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم ... ﴾
٢٥٢	١٤٧	البقرة	﴿ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾
٦	١٢٨	البقرة	﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئتنا أمة مسلمة لك ﴾
٤٢٣	١٣٨	البقرة	﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾
٢٦٧	١٨٤	البقرة	﴿ فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾
٦٧	١٨٠	البقرة	﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية ... ﴾
٤١٧	٢٤٥	البقرة	﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ... ﴾
٤٤	٢٣١	البقرة	﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴾
٣٣٦	٨٤	البقرة	﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم ﴾
٣٤٩	١٨٦	البقرة	﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾
٢٧٨ ، ١٧٧	٤٥	البقرة	﴿ واستمعينوا بالصبر والصلاة ﴾
٤١٦	٤١	البقرة	﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾
٤٠	٢٣	البقرة	﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾
٢٧٥	١٩٧	البقرة	﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾
٢٩١	١٠٩	البقرة	﴿ ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾
٣٧	١٤٨	البقرة	﴿ ولكل وجهة هو موليها ﴾
١٦١	١٩٠	البقرة	﴿ ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾
١٣٨ ، ٦٢ ، ٣٥	١٣٢	البقرة	﴿ ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾
٤١١	٧٢	البقرة	﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾
٣٦٥	٢١	البقرة	﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم ﴾

الفهارس

الآيات الكريمة

رقم الصفحة	السورة	رقم الآية	الآية
٢٦٧	آل عمران	١٣١	﴿ أعدت للكافرين ﴾
٢٦٧	آل عمران	١٣٣	﴿ أعدت للمتقين ﴾
٣٤٢ ، ٢٣٦ ، ٢٥٩	آل عمران	١٥٨	﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنا نوفون أجوركم يوم القيامة ﴾
٣٦٤ ، ١٦٣	آل عمران	١٠٣	﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم ﴾ ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾
٣٦٥	آل عمران	١٠٩	﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ... ﴾
٤٢١ ، ٧٣ ، ٥	آل عمران	١٠٤	﴿ وما عند الله خير للأبرار ﴾
٢٢٢ ، ١٣٣	آل عمران	١٩٨	﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾
١١٥ ، ٧٢	النساء	٤٨	﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾
٢٩٠	النساء	١٠٥	﴿ أولئك هم الكافرون حقا ﴾
٢٦٤	النساء	١٥١	﴿ تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات ... ﴾
٣٧١	النساء	١٣	﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ﴾
٣٢٣	النساء	٢	﴿ وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ﴾
٢٦٧	النساء	١٠١	﴿ وصية من الله و الله عليم حلِيم ﴾
٣٥	النساء	١٢	﴿ وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴾
٣٤٤	النساء	٦٣	﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾
٢٧٤ ، ٥٩	النساء	١٣١	﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها ﴾
٣٧١	النساء	١٤	﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾
١١	النساء	٨٢	﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ﴾
٢٨٨	النساء	١٣٥	﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ... ﴾
٣٦٥ ، ٣٢٣	النساء	١	﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾
٥٧ ، ٣٤	النساء	١١	﴿ ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾
٤٥	المائدة	٨٣	﴿ قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً ﴾
٣٤٩	المائدة	٧٦	﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ... ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾
٤٢٢	المائدة	٧٨ ، ٧٩	﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾
٣١٥	المائدة	٤٨	﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾
٣٦٣ ، ٢٩٩ ، ١٦٣	المائدة	٢	

رقم الصفحة	السورة	رقم الآية	الآية
٦٠	المائدة	٣	﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ... ﴾
٢٦٤	الأنعام	٢٠	﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾
١٦٣ ، ١٦٢ ، ٤٢٧ ، ٣٦١	الأنعام	١٦٣ ، ١٦٢	﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴿ الأنعام ﴾ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾
٧١ ، ٣٥	الأنعام	١٥١	﴿ قل تعالوا أتبل ما حرم ربكم عليكم ... ذلكم وصاكم به الأنعام لعلكم تتقون ﴾
٢٣٤	الأنعام	٩٤	﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾
١٨٤ ، ١٣٢ ، ٣٨ ، ٣٧٥ ، ٣٢١	الأنعام	١١٠	﴿ وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾
٣٤٤	الأعراف	٢٠١	﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ... ﴾
٢٣٧	الأعراف	٧	﴿ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾
٢٦٤	الأنفال	٤	﴿ أولئك هم المؤمنون حقا ﴾
٣٠٢ ، ٤٧ ، ٤٤	الأنفال	٦٠	﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ﴾
٤١٩	الأنفال	٤٦	﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾
١١٧	الأنفال	٣٣	﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ... ﴾
٣٦٦	الأنفال	١	﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ﴾
٤١٧	التوبة	٤١	﴿ انفروا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وجاهدوا في سبيل الله ﴾
٢١٨	التوبة	٥١	﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا ﴾
٤٢٠	التوبة	٣٦	﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾
٣٥٨	التوبة	١١٩	﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾
٣٥٤	يونس	٣	﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات في ستة أيام ... ﴾
٦	يونس	٨٤	﴿ فعليه توكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾
٤٣٠	يونس	١٦	﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ... ﴾
٦	يونس	٧٢	﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾
١٠٤	هود	١١٤	﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴾
٤٣٢	يوسف	١٠٨	﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن ﴾
٢٧٩	الرعد	٢٨	﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾
٢٢٨	الرعد	١٦	﴿ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾

رقم الصفحة	السورة	رقم الآية	الآية
٥٨	إبراهيم	٤٠	﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾
٣٧٩	إبراهيم	٤	﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾
٣٦٣ ، ٣١٣ ، ٥	النحل	١٢٥	﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾
١٩٢	النحل	١٢٠	﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ﴾
٣٨٣	النحل	١٢٨	﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾
٣٨٨ ، ٧٣	النحل	٩٠	﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ﴾
٣٣٥	النحل	٦١	﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾
٣٨٣	النحل	١٢٧	﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ﴾
٣٨٣	النحل	١٢٦	﴿ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾
٧٤	النحل	٤٤	﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾
٧٣	النحل	٩١	﴿ وأوفوا بعهدي الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾
٧٤ - ٧٣	النحل	٩٢	﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ﴾
٢٦٧	الإسراء	١٤	﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾
٤٠	الإسراء	١١٠	﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾
٥٩	الإسراء	٢٣	﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾
٤٨	الإسراء	٨٥	﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾
٦٠	مريم	١٦	﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾
٥٨	مريم	٣١	﴿ وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ... ﴾
٣٢٧	مريم	٩٥	﴿ وكلكم آتية يوم القيامة فرداً ﴾
٣٠٢	مريم	٢٥	﴿ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ﴾
٥٨	طه	١٤	﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾
٨٧	طه	١١١	﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾
٤٤	الأنبياء	٨١	﴿ ولسليمان الريح عاصفاً تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ﴾
٢٦٧	الأنبياء	٤٧	﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾
٤٢٠	الحج	٣٨	﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ﴾
٢٦٨	الحج	٧	﴿ وأن الله يبعث من في القبور ﴾
٤١١	المؤمنون	٢٣	﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ﴾
١٦٠	النور	٢٢	﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور حلِيم ﴾
٣٩٢ - ٣٩١	النور	٤٠	﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج ... ﴾

رقم الصفحة	السورة	رقم الآية	الآية
٣٩١	النور	٣٩	﴿والذين ظلموا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء﴾
٤١	الفرقان	٦٨	﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾
٧٢	الفرقان	٢٣	﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾
٥٤	الفرقان	٣٨	﴿وقرئنا بين ذلك كثيراً﴾
٤٣١ ، ٣٣١	الشعراء	٢١٤	﴿ وأنذر عشيرتک الأقرین ﴾
٤١	الشعراء	٢١٣	﴿ فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبین ﴾
٢٨٨، ٢٥٧، ١٤٦	الشعراء	٢٢٧	﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾
٣.٣			
٢٩٥	الشعراء	١٨٠	﴿ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمین ﴾
٤٣٥	القصص	٥٦	﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾
٢٧٧	العنكبوت	٢ ، ١	﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ﴿ ولقد العنكبوت فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾
٣٣١	العنكبوت	٤٢	﴿ إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ﴾
٣٣١	العنكبوت	٤١	﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت ... ﴾
٢٧٦	العنكبوت	٦٩	﴿ والذين جاهدوا فينا لتهديناهم سبلنا ﴾
٣٣١	العنكبوت	٤٣	﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾
٥٨	العنكبوت	٨	﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ﴾
٤٢	الأحزاب	٥	﴿ ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ﴾
٣٤٥	الأحزاب	٢١	﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ... ﴾
٣٩	الأحزاب	٤٦	﴿ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾
٤٣٤	الأحزاب	٤٨	﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله ﴾
٧٤	سبأ	٤٦	﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴾
٤١	يس	٥٧	﴿ لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ﴾
٣٣٧	الصافات	١٣٣ - ١٣٦	﴿ وإن لوطاً لمن المرسلين ... ثم دمرنا الآخرين ﴾
٢١٣	الصافات	٦١	﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾
٣٣٧	الصافات	١٣٧ ، ١٣٨	﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ﴿ وبالليل أفلا تعقلون ﴾
١٠٤	ص		﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾

رقم الصفحة	السورة	رقم الآية	الآية
١٠٤	ص	٨٧	﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾
١٠٤	ص	٨٦	﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾
	الزمر	٢٩	﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سليماً لرجل ﴾
٣٢٧	غافر	١٨	﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾
٦٠ ، ٣٥	الشورى	٨٨	﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ﴾
٣٢٧	الشورى	٣٨	﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ﴾
١٢٣	الشورى	١٣	﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾
٢٧٨	الزخرف	٤٣	﴿ فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم ﴾
٣٥٥	الدخان	٣٨ ، ٣٩	﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ﴿ ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾
٣٥٥	الجاثية	٣٨	﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ﴾
٣٥٥	الجاثية	٣٩	﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾
٣٤٦ ، ١٢٠	الأحقاف	٣٨	﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾
٧٤	الأحقاف	٤٦	﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ﴾
٧٣	الحجرات	١٥	﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ﴾
٤١٨ ، ٧٢	الذاريات	٢٢ ، ٢٣	﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴿ فو رب السماء والأرض إنه الذاريات ﴿
			لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴿
٣٤٤	الذاريات	٥٥	﴿ وذُكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٣٢٧ ، ٢٥١ ، ١٣٣	الرحمن	٢٢	﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾
٢٦٦ - ٢٦٥	الواقعة	١٠ - ١٢	﴿ والسابقون السابقون ﴿ أولئك المقربون ﴿ في جنات النعيم ﴾
٥٠	المجادلة	٤١	﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾
٤٧	المتحنة	١١	﴿ فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار ﴾
٤١٨	الصف	٤	﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾
٢٦٤	المنافقون	١	﴿ والله يشهد إن المنافقون لكاذبون ﴾
٢٥٣	الملك	٢	﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾
٤٨	الحاقة	١٠	﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾
٤٤	الجن	١٨	﴿ عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾
٣٥٥	الجن	١٣	﴿ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً ﴾
٣٠٢ ، ٥	المدثر	٢ ، ١	﴿ يا أيها المدثر ﴿ قم فأنذر ﴾

رقم الصفحة	السورة	رقم الآية	الآية
٣٤٢	الانفطار	١٠ - ١٢	﴿ وإن عليكم لحافظين ﴿ كراماً كاتبين ﴿ يعلمون ما تفعلون ﴾
٦١	البلد	٢٦	﴿ أولئك أصحاب الميمنة ﴾
٦١	البلد	١٨	﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالحق وتواصوا بالمرحمة ﴾
٦٢	العصر	١٧	﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر ... وتواصوا بالصبر ﴾

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	نص الحديث
٦٤	« اتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي »
٣٦٢	« أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة »
١٠٣	« إذا أردت مضجعم فقل : اللهم أسلمت نفسي إليك ... »
٤٢٠	« إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، وتركتم الجهاد ... »
٣٣١	« أرايتكم إن أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ »
٤٣١	« أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ »
١٦٣ . ٣٥	« استوصوا بالنساء خيراً »
٢٩٤	« أطيّب ما أكل الرجل من كسبه ، وإن ولده من كسبه »
٤٢٤	« أعطوهم نصف العقل لصلاتهم »
٧٥	« ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ »
٤٢٤	« ألا إني بريء من كل مسلم مع مشرك »
١٣٩ . ١١٤	« اللهم لا تجعل قبري وثناً ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »
٢٠٠	« أما إنك لعلك أن تدرك أموالاً تقسم وإنما يكفيك خادم ومركب في سبيل الله »
١٧٧ . ١١٤	« إن أول ما خلق الله القلم فقال عزوجل له : اكتب ... »
٣٦٢	« إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه »
٦٦	« إن رجلاً قال للنبي ﷺ : أوصني . قال : لا تغضب »
٣٧١	« إن الرجل ليعمل بعمل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير فيدخل الجنة »
٣٧١	« إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية ... »
٣٦٦	« إن صلاح ذات البين أعظم من عام الصلاة والصيام »
١١٩	« إن فيك خصلتين يحيهما الله ، الحلم والأناة »
٥٣	« إن لك كنزاً من الجنة وإنك لذو قرنيها »
٢٩١	« إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - ... »
٧٥	« إن الناس لكم تبع وإنهم سيأتونكم من أقطار الأرض ... »
٥٥	« إن النبي ﷺ مسح على رأس غلام وقال : عش قرنا »
٣٦٢	« إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق »
٥١	« إن هذه الحشوش محتضرة »
٧٥	« إنك تأتي قوما أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ... »

الصفحة	نص الحديث
١٤٠	« إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل »
٦٠ ، ٦	« أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة »
٢٩٤	« أنت ومالك لأبيك »
٦٥	« أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت ... »
٧٦	« أوصيك بتقوى الله فإنها رأس أمرك »
٦٣	« أوصيكم بأصحابي ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »
١٦٣	« أوصيكم بالضعيفين خيراً »
١٤٠	« أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً »
٤٢٤	« بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده »
٤١٩	« ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد ... »
٣٠٢ ، ١٩٩	« حلوة الدنيا مرة الآخرة ، ومرة الدنيا حلوة الآخرة »
٣٦٢	« خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا »
٣٣٧	« خط النبي ﷺ خطأ مرهما ، وخط خطأ في الوسط خارجاً منه ... »
٤٠	« الخلافة في قريش ، والحكم في الأنصار ... »
٥٤ ، ١٧	« خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »
٤٠	« دع داعي اللين »
١٤١ ، ٦٦	« سألت عبد الله بن أبي أوفى : أوصى رسول الله ﷺ ؟ قال : لا ... »
٤١٨	« الصدقة تسد سبعين باباً من السوء »
١١٥	« الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم »
١٦٣	« صلاح ذات البين أفضل من عام الصلاة والزكاة »
٧٧	« عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم »
٤٢٥	« عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة »
١١٨	« عليكم من الأعمال ما تطيقون »
٥٢	« فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها ، والروم ذات القرون ... »
٣٥٨	« قل آمنت بالله ثم استقم »
٣٦٠	« كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً »
٢٧٥	« كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله »
٢٩٦	« كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً ... »
٣	« لا يشكر الله من لا يشكر الناس »

الصفحة	نص الحديث
٦٤	« لا تتخذوا قبوري وثناً يعبد »
١٣٩ ، ١١٤	« لا تجعلوا قبوري وثناً »
٣٥٩ ، ٣٢٨	« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »
١٧٥	« لتكن بلفة أحدكم مثل زاد الراكب »
١٤٠	« لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها »
٣٢١ ، ٣١٢ ، ١٣٩ ، ١١٣	« لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »
٣٠٤	« لن ينجي أحد منكم عمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ ... »
٤٠٤	« ليس منّا من سلق وحلق وخرق »
٢٨٧	« ما أحدث قوم بدعة إلا رفع من السنة مثلها »
٢٩٤	« ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده »
٢٨٠	« ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة »
٦٢	« ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده »
٦٧	« ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه »
٣٥٨	« مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً ... »
٥	« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »
٧٢	« من استطاع منكم أن يقي وجهه النار ولو بشق تمره فليفعل »
٢٩٢	« من التمس رضا الناس بسخط الله بسخط الله عليه وأسخط عليه الناس ... »
٢٤٣	« من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار »
٤٢١	« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ... »
٢٤٣	« من صلى ثنتي عشرة ركعة بالنهار أو بالليل بنى الله له بيتاً في الجنة »
١٧٠	« من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة »
٢٨٤	« نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا »
٦	« ... وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ... »
٧٥	« والذي نفسي بيده ... ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ، ويصوم رمضان ... »
١٧	« يأتي على الناس زمان فيغزو فنام من الناس فيقال : فيكم من صاحب رسول الله ﷺ ؟ ... »
٤١١	« يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ... »
٤٨	« يا رسول الله ، أي الناس أعلم ؟ قال : من جمع علم الناس إلى علمه »
٧٧	« يا رسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت ... »
٦٣	« يا سبحان الله كأنها أخذت على غضب ، المحروم من حرم الوصية »

الصفحة	نص الحديث
٣٤٧	« يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ... »
٤٨	« يا عبد الله بن مسعود ... أتدري أي الناس أعلم ؟ »
٢٧٨	« يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك »

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
		« الباء »	
٤٥	معدي كرب	الكلاب	تعلم أن خير الناس طراً
٢٠٣ ، ١٥٥	عمر بن الخطاب	كعب	فأوعدني كعب ثلاثاً بعدها
• •	• • •	السذنب	وما بي حذار الموت إنني لميت
٢١٥	أبو العتاهية	المصائب	ستمضي مع الأيام كل مصيبة
		« التاء »	
٨٣	عمر بن ميسرة	علتي	يسائلني ذا اللب عن طول علتي
• •	• • •	راحتسي	سأكتنمها صبراً على حرّ جمرها
• •	• • •	لذتسي	إذا كنت قد أبصرت موضع علتي
• •	• • •	وخلتسي	صبرت على دائي احتساباً ورغبة
١٦٠	علي بن أبي طالب	فورت	عش ما بدا لك قصرك الموت
• •	• • •	البيت	بيننا غني بين بهجته
• •	• • •	لبت	بالبيت شعري ما يراد بنا
		« الدال »	
١٩٨	الأشهب بن رميلة النهشلي	مصرّد	إذا مت مات الجود وانقطع الندى
• •	• • •	مجدّد	وردت أكف السائلين وأمسكوا
٢٧٢	النايعة الذبياني	مسزود	أمن آل مية رائح أو مفتد
• •	• • •	البيد	سقط النصف ولم ترد إسقاطه
٢٣٣ ، ١٢٢	عبد الملك بن مروان	المشهد	انفوا الضغائن عنكم وعليكم
• •	• • •	بمدد	بصلاح ذات البين طول بقائكم
٣٦٤ ، ٢٣٣ ، ١٢٢	• • •	تسودد	فلمثل ريب الدهر ألف بينكم
٢٣٣ ، ١٢٢	• • •	مسود	حتى تلين قلوبكم وجلودكم
٢٣٣ ، ١٢٣	• • •	أبيد	إن القдах إذا اجتمعن فرامها
• •	• • •	متبدد	عزت فلم تكسر وإن هي بددت
١٧٨	قيس بن عاصم المقري	المولود	إنما المجد ما بنى والصدق
١٧٩	• • •	وجود	وكفى بالمجد والشجاعة والحلم
• •	• • •	العهود	وثلاثون يابني إذا ما

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
١٧٩	قيس بن عاصم المنقري	شديدُ	كثلاثين للقداح إذا ما
• •	• • •	التبديدُ	لم تكسروا وإن تبددت الأسم
• •	• • •	تسريدُ	وذوو السنن والمروءة أولسى
• •	• • •	المجهودُ	وعليكم حفظ الأصاغر حتى
٤٠	ابن أحمر	قردا	أهوى لها مشقفاً جشراً فشيرتها
٣٩٢	المتنبي	العمدا	لكل امرئ من دهره ما تعودا
٨٢	طفيل العرائس	بعميدُ	لا تجزعن من التسريب
• •	• • •	الشريدُ	وادخل كسأئك طسابعُ
• •	• • •	الصيودُ	متدلياً فوق الطعام
• •	• • •	الفهودُ	لتسلف ما فوق الموائد
• •	• • •	حديدُ	وأطرح حيساءك إفسا
• •	• • •	الشريدُ	لاتلتفت نحو البقول
• •	• • •	الشديدُ	حتى إذا جاء الطعام
• •	• • •	القصيدُ	وعليك بالفالوة جاجات
• •	• • •	مزيدُ	هَذَا إِذَا حَرَّرْتَهُمْ
• •	• • •	عتيدُ	والعرس لا يخلو من اللوزنج
• •	• • •	الجديدُ	فإذا أتيت به محوت
• •	• • •	مريدُ	وتنقلن على الموائد
• •	• • •	القديدُ	وإذا انتقلت عبثت بالكعك
• •	• • •	الحسودُ	يسارب أنت رزقتني
• •	• • •	عبد الحميدُ	واعلم بأنك إن قبلت
		« الرء »	
٣١٠ ، ١٥١	حاتم الطائي	الصدرُ	أماوي ما يفني الشراء عن الفتى
٢٢٦	_____	عَارُ	فهل من خالد إما هلكنا
٥٢	الأخطل	نذورُ	وإذا نصبت قرونهن لغدرة
٥٣	خداش بن زهير	أثسارُ	وأصبح عهده كمقص قرن
٢٤٢	_____	الدهرا	أخيين كنا فرق الدهر بيننا
• •	_____	السدھرا	وكنا جميعاً فرق الدهر بيننا
٧٩	مالك بن المنذر	دهورا	أكلت شبابي فأفنيته

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٧٩	مالك بن المنذر	كبيراً	ثلاثة أهلين أفنيتهم
• •	• • •	قصيراً	قليل الطعام قصير القيام
• •	• • •	ظهوراً	أبيت أراعي نجوم السماء
٢٠٨	ليبد بن ربيعة	مضراً	تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
• •	• • •	الشعراً	فقوما فقولا بالذي قد علمتما
• •	• • •	أثراً	ونادبتان تنديبان بعاقيل
• •	• • •	غدر	وقولا هو المرء الذي لا صديقه
• •	• • •	اعتذراً	إلى الحول ثم اسم السلام عليكما
٥١	_____	زماً	وانهم بدلوليك نهيم المحتضر
		« السين »	
٨١	أبو العتاهية	حرس	لا تأمن الموت في طرف ولا نفس
• •	• • •	مترس	واعلم بأن سهام الموت صائبة
• •	• • •	دنس	ما بال دينك ترضى أن تدنسه
• •	• • •	يبس	ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
٥٥	الجعدي	مستأناً	ثلاثة أهلين أفنيتهم
		« العين »	
٢٧٤ ، ٢١٦	أبو العتاهية	وعبي	أذن حسي تستعسي
• •	• • •	مصرعي	أنارهن مضجعي
• •	• • •	مضجعي	عشتُ تسعين حجة
٢١٥	• • •	تزعزع	كم ترى الحسي ثابتاً
٢٧٤ ، ٢١٦	• • •	دعي	ليس شيء سوى التقى
٣٩	ذو الرمة	قطيح	تباعدت مني أن رأيت حمولتي
١٩٨	أبو ذؤيب الهذلي	لا تنفع	وإذا المنية أنشبت أظفارها
١٩٤	يزيد بن معاوية	جزعا	جاء البريد بقرطاس يخب به
• •	• • •	وجعا	قلنا لك الويل ماذا في صحيفتكم
• •	• • •	انصدعا	فحادت الأرض أو كادت تميد بنا
• •	• • •	سرعا	ثمت ملنا إلى عيس مزمة
• •	• • •	طلعا	لسنا نبالي إذا بلغن أرحلنا
• •	• • •	مصطنعا	حتى دفعنا لرأس الناس كلهم

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
١٩٤	يزيد بن معاوية	تقعا	من لم تزل نفسه توفي على شرف
• •	• • •	فانقلعا	لما انتهينا وباب الدار منصفق
• •	• • •	الغين	
٤٢٤	_____	الصبغ	وكل أناس لهم صبغة
• •	_____	الصبغ	صبغنا على ذاك أبناءنا
٤١	_____	الكاف	
• •	_____	عليكا	دعاك الله من قيس بأفعى
٨٤	مدرك الشيباني	إليكا	أنافسي عافية إلا
• •	• • •	عليكا	أيها العائد مابسي
• •	• • •	يديكا	لا تعد جسمي وعد قلبا
• •	• • •	مقتيكا	كيف لا يهلك مرشوق
• •	• • •	اللام	
١٥١	أبو طالب	أرامسل	وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
١٩٩	أبو قيس بن صرمة	طوال	يابنسي الأرحام لا تقطعوها
• •	• • •	الحلال	واتقوا الله في ضعاف اليتامي
• •	• • •	السؤال	واعلموا أن لليتيم ولياً
• •	• • •	الليالي	يا بنسي الأيام لا تأمنوها
• •	• • •	ويسال	واعلموا أن مرّها لنفاذ الخلق
• •	• • •	الحلال	وأجمعوا أمركم على البر والتقوى
٢١٥	أبو العتاهية	يُسْقِيلُ	ألا هل إلى طول الحياة سبيل
• •	• • •	قليل	إذا ما انقضت عني من الدهر مدتي
• •	• • •	خليل	سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي
٢٤٢	_____	الأمسل	يسؤمل دنيا لتبقى له
• •	_____	الرجل	حشيشاً يروي أصول الفسيل
• •	• • •	الميم	
٢٩٩	بشار بن برد	حازم	إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
• •	• • •	قوادم	ولا تجعل الشورى عليك غضاظة
٢٣٤	عمرو بن قميثة	لجامي	كأنني وقد جاوزت تسعين حجة
• •	• • •	رامسي	رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٢٢٤	عمرو بن قميثة	سهام	فلو أنها نبيلٌ إذا لاتقبتها
• •	• • •	كهام	إذا ما رأي الناس قالوا ألم يكن
• •	• • •	نظام	فنبئت ولم تفن من الدهر ليلة
• •	• • •	قياسي	على الراحتين مرة وعلى العصى
٤٢	عترة	الأدهم	يدعون عترة والرماح كأنها
٢٢	ذو الرمة	معكوم	بين الرحا والرحا من جنب واصية
٢٤٧	الشافعي	مجرما	إليك إله الخلق أرفع رغبتني
• •	• • •	سلسا	فلما قسى قلبي وضقت مذهبني
• •	• • •	أعظما	تعاطمني ذنبي فلما اقترنته
• •	• • •	وتكرما	وما زلت ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل
• •	• • •	آدمسا	فلولا ك ما يغوى بإبليس عابد
• •	• • •	مأثما	فإن تعف عني تعف عن ذي قمرٍ
• •	• • •	جهنما	وإن تنتقم مني فلست بأيس
• •	• • •	أجسما	فجرمي عظيم من قديم وحادث
٢٤٨	• • •	دما	فلله در العارف الندب إنه
• •	• • •	مأثما	يقيم إذا ما الليل مد ظلامه
• •	• • •	أعجما	فصيحا إذا ما كان في ذكر ربه
• •	• • •	أجرما	ويذكر أياماً مضت من شبابه
• •	• • •	أظلما	فصار قرين الهم طول نهاره
• •	• • •	مغنما	يقول : حبيبي أنت سؤلي ومنيتي
• •	• • •	مُنعمما	ألست الذي غذيتني وهديتني
• •	• • •	تقدما	عسى من له الإحسان يغفر زلتي
		التون	
٥٢	جرير	قـرن	أبلغ خليفتنا إن كنت لاقبه
٣٤	• • •	بنيان	أنشد من خوارة عليان
• •	• • •	يسومان	ألقت طلاً بملتقى الحومان
• •	• • •	رعسيان	لم يلهها عن همها قيدان
٥٤	زهير بن أبي سلمى	قـرون	نعودها الطراد فكل يوم
٣٩٢	كثير عزة	أجمعينا	برئت من الإله من ابن أروى

الفهارس

الأشعار

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
٣٩٢	كثير عزة	المؤمنينا	ومن عمر برئت ومن عتيق
٣٩	ابن أحمر	شربنا	ولا بيضاء في نضد تداعت
٤٥	النمر بن تولب	كلانا	فإن الله يعلمني ووهبا
٢١٥	أبو العتاهية	حين	يا نفس قد مثلت حالي
.	الظنون	وشككت أني ناصح
.	السكون	فتأملني ضعف الحراك
.	المنون	وتبئني أن السذي
٩٤	الشافعي	تهينها	أهين لهم نفسي لكي بكرمونها
		الهاء	
١١	_____	يـداه	وما من كاتب إلا سيفني
. .	_____	تـراه	فلا تكتب بخطك غير شيء

فهرس الأعلام المترجمين

الاسم	الاسم	الصفحة	الصفحة
إبراهيم بن هانئ النيسابوري	الحسن بن يسار البصري	٢١٣	٢١٦
أبي بن كعب بن قيس رضي الله عنه	الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما	٧٩	١٦٠
أحمد بن خضرويه البلخي	الحطينة = جرول بن أوس	٢١٣	
أحمد بن أبي سليمان الصواف	خالد بن زيد بن كليب (أبو أيوب) رضي الله عنه	٩٥	١٧٠
أحمد بن أبي محرز القاضي	خالد بن الوليد بن المغيرة رضي الله عنه	٢١٣	١٧٠
أسد بن خزيمه بن مدركة	خباب بن الأرت بن جندلة رضي الله عنه	٧٨	١٧٢
إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة	خلف بن حيان الأحمر النحوي	٢١٤	٢١٧
إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل القاضي	خيشمة بن عبدالرحمن الجعفي	١٠١	٢١٨
إسماعيل بن القاسم بن سويد (أبو العتاهية)	داود بن دينار - أبي هند - بن عذافر	٢١٤	١٦٢
الأسود بن يزيد النخعي	داود بن يحيى بن اليمان	٢٠٣	٢٥٨
الأشعث بن قيس الكندي	الربيع بن خثيم الثوري	١٤٨	٢٠٦
أكثم بن صيفي التميمي	الربيع بن سليمان المرادي	٢٠٣	٩٤
أوس بن حارثة بن ثعلبة	الزبير بن العوام بن خويلد رضي الله عنه	١١١	١٥٥
أويس بن عامر القرني	زياد بن أبيه - ابن أبي سفيان -	٢٠٥	٨٩
إياس بن عبد الله بن عبدياليل	زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب	١٤٨	٢١٤
بسر بن أبي أريصة العامري	زيد بن صوحان بن حجر	٢١١	٢٠٧
بلال بن عويمر - أبي الدرداء - بن عامر	سالم بن عبد الله بن عمر	١٨٤	١٠٦
قيم بن مر بن أد	السري بن المغلس السقطي	٧٨	٢١٨
جرول بن أوس بن مالك	سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه	٣٧٢	١٧٢
جندب بن عبد الله البجلي	سعد بن مالك - أبي وقاص - رضي الله عنه	٩٩	١٦٤
حاتم بن عبد الله الطائي	سعيد بن جبير بن هشام	١٥١	١٧٩
حبيب بن مسلمة الفهري	سعيد بن العاصي بن هشام رضي الله عنه	١٨٥	١٧٣
الحجاج بن يوسف الثقفي	سعيد بن المسيب بن حزن القرشي	٢٣١	٢١٩
حذيفة بن اليمان العبسي	سفيان بن سعيد الثوري	١٦٧	٢٢٠
حسان بن أبي سنان التنوخي	سلمان الفارسي	٢١٦	١٧٥
الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما	سلمة بن دينار المدني (أبو حازم)	١٦٩	٢٢١

الفهارس

الأعلام المترجمون

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
سليمان بن طرخان التيمي	٢٢٢	عبد الله بن عبد الملك بن مروان بن الحكم	٢٢٢
سماك بن خرشة (أبو دجانة) رضي الله عنه	١٧٥	عبد الله بن عثمان - أبي قحافة - بن عامر التيمي	١٤٥
سبويه = عمرو بن عثمان		(أبو بكر الصديق) رضي الله عنه	
سَبَّحَ بن ريعي التيمي	٢٠٧	عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١٧٩
شداد بن أوس بن ثابت رضي الله عنه	١٧٦	عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه	١٨٠
شريك بن عبد الله النخعي	٢٥٧	عبد الله بن المبارك المروزي	٢٢٧
شقيق بن ثور السدوسي	٢٢٢	عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه	١٩١
صفوان بن سليم المدني	٢٢٣	عبد الله بن هارون الرشيد (المأمون)	٢٢٧
صفوان بن محرز المازني	٢٢٣	عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز	٢٣٠
الضحَّاك بن مزاحم	٢٢٣	عبد الملك بن مروان بن الحكم	٢٣١
طاهر بن الحسين بن زُرَيْق	٩٠	عبد مناف بن شيببة بن هاشم	١١٠
طَقَيْسِل العرائس	٨١	عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي	٢٣٥
طلحة بن طاهر الخزاعي	٢٤٢	عتبة بن صخر - أبي سفيان - بن حرب	٩٥
طلحة بن عبيد الله بن عثمان رضي الله عنه	١٥٦	عثمان بن عفان رضي الله عنه	١٥٥
عامر بن عبد الله بن الجراح (أبو عبيدة) رضي الله عنه	١٦٤	عثمان بن محمد بن أبي سفيان	١٩٧
عامر بن عبد الله بن عبد القيس	٢٢٤	عظيمة بن سعد العوفي	٢٣٥
عبادة بن الصامت رضي الله عنه	١٧٦	عقبة بن عمرو بن ثعلبة الفهري	١٦٧
العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه	١٧٨	عقبة بن نافع الفهري	١٠٧
عبد الرحمن بن الأسود النخعي	٢٢٥	علقمة بن قيس النخعي	٢٠٩
عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه	١٤٧	علي بن حمزة الكسائي	٢٤٢
عبد الرحمن بن معاذ بن جبل	١٨٩	علي بن أبي طالب بن عبد المطلب رضي الله عنه	١٥٩
عبد الرحمن بن ملجم المرادي	١٦٠	علي بن عبد الله بن عباس	٢٣٢
عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس	٢٢٠	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١٥٣
عبد الله بن الحسن بن الحسن الهاشمي	٩٧	عمر بن سالم الحداد	٢٣٦
عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه	١٩٥	عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم	٢٣٧
عبد الله بن سلام بن الحارث رضي الله عنه	١٩١	عمرو بن سعيد بن العاصي (الأشدق)	١٧٣
عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه	١٧٧	عمرو بن العاص بن وائل رضي الله عنه	١٨٢
عبد الله بن عبد الرحمن العمري	٢٢٦	عمرو بن شرحبيل الهمداني	٢٤١
عبد الله بن عمر بن غانم	٢٢٦	عمرو بن عتبة السلمي	٢٤١

الفهارس

الأعلام المترجمون

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)	٢٤١	مِسْعَر بن كِدَام الهلالي	٢٥١
عمرو بن قميئة بن ذُرَيْح	٢٣٤	مَطْرَف بن عبد الله الشَّخِير	٢٥١
عمرو بن يوحنا	٨٣	معاذ بن جبل رضي الله عنه	١٨٩
عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنه	١٨٢	معاوية بن صخر بن حرب رضي الله عنه	١٩٤
عنبسة بن خارجة القافقي	١٠٠	المعتصم = محمد بن هارون	
عنبسة بن أبي سفيان بن حرب	٢٤٢	معتمر بن سليمان التيمي	٢٢٢
عويمر بن عامر بن زيد (أبو الرداء) رضي الله عنه	١٨٤	المغيرة بن حكيم الصنعاني	٢٥٢
عياض بن غنم بن زهير الفهري رضي الله عنه	١٧٠	مفضل بن يونس الجعفي	٢٥٢
الفجاءة السلمي = إياس بن عبد الله		المهلب بن أبي صفرة العتكي	٢٥٣
القاسم بن محمد بن أبي بكر	٢٤٤	ميمون بن مهران الجزري	١٠٥
قتادة بن دعامة السدوسي	٨٠	نافع بن جبيرة بن مطعم بن عدي	٢١٩
قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه	١٨٧	النعمان بن ثابت (أبو حنيفة)	٢٣٣
كثير بن زياد البرساني البصري	٢٤٤	هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله	٩٥
كعب بن ماتع الحميري (كعب الأحبار)	٢٠٩	هرم بن حيان العبدي	٢١٠
ليبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه	٢٠٨	وكيع بن الجراح الرؤاسي	٢٥٥
مالك بن دينار البصري	٢٤٤	الوليد بن أبان الكرابيسي	٢٥٥
المأمون = عبد الله بن هارون		الوليد بن عيادة بن الصامت	١٧٧
محمد بن إدريس الشافعي	٢٤٦	الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم	٢٣٢
محمد بن أسلم الكندي	٢٤٩	وهب بن منبه الصنعاني	٩٨
محمد بن الحنفية = محمد بن علي بن أبي طالب		يحيى بن خالد بن برمك	٨٨
محمد بن سيرين	٢٥٠	يحيى بن كثير بن وسلاس	٢٥٦
محمد بن صَبِيح العجلي (ابن السَّكَّ)	٨٨	يحيى بن معمر الألهاني	٢٥٦
محمد بن علي بن أبي طالب	١٦١	يحيى بن اليمان الكوفي	٢٥٧
محمد بن هارون الرشيد (المعتصم)	٢٢٩	يزيد بن أبان الرقاشي	٢٥٨
محمد بن واسع الأزدي	٢٥٠	يزيد بن حميد الضُّبَيْعي (أبو التياح)	٢٥٩
مدرك بن علي الشيباني	٨٣	يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم	٢٣٧
مروان بن الحكم بن أبي العاص	٩٠	يزيد بن عَميرة السكسكي	١٩١
مسروق بن الأجدع الهمداني	٢١٠	يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	١٩٤
مَسْلَمَة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم	٢٣١	يوسف بن يعقوب البويطي	٩٤

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
يونس بن عبيد بن دينار	٢٥٩	أعلام النساء	
		الكنى	
أبو أيوب = خالد بن زيد رضي الله عنه		أمامة بنت الحارث الشيبانية	١٠٨
أبو بكر الصديق رضي الله عنه = عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي		حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما	١٥٧
أبو التياح = يزيد بن حميد		رملة بنت أبي سفيان - صخر - بن حرب (أم حبيبة) رضي الله عنها	١٤١
أبو حازم الأعرج = سلمة بن دينار		رملة بنت معاوية بن أبي سفيان	١٩٤
أبو حنيفة = النعمان بن ثابت		عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما	١٥١
أبو دجانة = سماك بن خرشة رضي الله عنه		فاطمة بنت النبي ﷺ رضي الله عنها	١٤٣
أبو الدرداء = عويمر بن عامر رضي الله عنه		هَجِيمَة بنت حُيَي الأوصائية (أم الدرداء الصغرى)	١٨٤
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري	٢٠١	هند بنت أبي أمية المخزومية (أم سلمة) رضي الله عنها	١٤١
أبو طالب بن عبد المطلب = عبد مناف بن شيبه			
أبو العتاهية = إسماعيل بن القاسم			
أبو قيس بن صرمة الأنصاري رضي الله عنه	١٩٩		
أبو مالك الأشعري رضي الله عنه	١٩٩		
أبو مسلم الخولاني	٢١١		
أبو هارون الأندلسي	٢٦٠		
أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة	٢٠٠		
أبو هريرة الدوسي رضي الله عنه	٢٠١		

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

« حرف الألف »

- ١ - آداب الشافعي ومناقبه عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي ، عناية عبد الغني عبد الخالق ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٢ - الإحسان بترتيب صحيح علي بن هلبان ، عناية كمال يوسف الحوت ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧ هـ .
- ٣ - إحكام الأحكام شرح عمدة ابن دقيق العيد ، ت محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٤ هـ .
- ٤ - الأحكام السلطانية علي بن محمد الماوردي ، دار الكتب العلمية بيروت .
- ٥ - إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .
- ٦ - الأخلاق الإسلامية وأسسها عبدالرحمن حسن حنكة ، ط ١ ، دار القلم ، بيروت ١٣٩٩ .
- ٧ - إرشاد الساري بشرح صحيح أحمد بن علي بن حجر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . البخاري
- ٨ - أساس البلاغة محمد بن عمر الزمخشري ، ت عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٩ - الاستبصار في نسب عبد الله بن أحمد بن قدامة ، ت علي نويهض ، دار الفكر . الصحابة من الأنصار
- ١٠ - الاستيعاب في معرفة ابن عبد البر ، مطبوع بحاشية الأصابة لابن حجر . الأصحاب
- ١١ - أسد الغابة في معرفة عزالدين بن الأثير علي بن محمد ، المكتبة الإسلامية . الصحابة
- ١٢ - أسس الدعوة وآداب الدعاة محمد السيد الركيل ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة .
- ١٣ - الإسلام عقيدة وشرعة محمود شلتوت ، دار الشروق ، بيروت .
- ١٤ - إشارة التعمين في تراجم عبد الباقي اليماني ، ت عبد المجيد دياب ، ط ١ ، نشر مركز الملك النحاة واللغويين فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ١٤٠٦ هـ .
- ١٥ - الإصابة في تمييز الصحابة أحمد بن علي بن حجر ، ط ١ ، نشر مكتبة المثنى ، لبنان .
- ١٦ - أصول الترميزية الإسلامية عبدالرحمن نحلاوي ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ١٣٩٩ . وأساليبها

الفهارس

المصادر والمراجع

- ١٧ - أصول الدعوة د.عبدالكريم زيدان ، مكتبة المنار الإسلامية ١٤٠١ هـ .
- ١٨ - الأعلام خيرالدين الزركلي ، ط٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤ .
- ١٩ - أعلام النساء عمر رضا كحالة ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٧ هـ .
- ٢٠ - الأغاني أبو الفرج الأصفهاني ، دار إحياء التراث العربي .
- ٢١ - الإكمال ابن ماكولا ، عناية عبد الرحمن المعلمي ، نشر أمين دمج ، بيروت .
- ٢٢ - الأمالي أبو علي القالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ٢٣ - الأمالي محمد بن العباس اليزيدي ، عالم الكتب ، بيروت .
- ٢٤ - الأمالي في المشكلات القرآنية عبدالرحمن بن القاسم الزجاجي ، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت والحكم والأحاديث النبوية ١٤٠٣ هـ .
- ٢٥ - إنباء الرواة على أنباء النحاة علي بن يوسف القفطي ، ت محمد إبراهيم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ١٤٠٦ هـ .
- « حرف الهاء »
- ٢٦ - البداية والنهاية إسماعيل بن كثير ، ت مجموعة من الباحثين ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ . و ط١ ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٦٦ م .
- ٢٧ - البحر الزخار "مسند البزار" أحمد بن عمر البزار ، ت د.محفوظ الرحمن ، ط١ ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ١٤٠٩ هـ .
- ٢٨ - بذل المجهود في حل أبي داود خليل أحمد السهارنفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٢٩ - بستان العارفين التنوري ، ت محمد حجار ، دار مصر للطباعة ، نشر محمد الصابوني .
- ٣٠ - بغية الملتبس في تاريخ أهل أحمد بن يحيى الضبي ، مطبعة روخس ، مجريط ١٨٨٤ م . الأندلس
- ٣١ - البيان والتبيين عمرو بن بحر الجاحظ ، ت عبد السلام هارون ، ط٥ مكتبة الخالجي ، القاهرة ١٤٠٥ هـ . وطبعة دار الفكر للجميع ١٩٦٨ م .
- ٣٢ - البيان والتحصيل والشرح ابن رشد القرطبي ، ت عدد من الأساتذة وعناية عبد الله الأنصاري ، دار والتوجيه والتعليل في الغرب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٦ هـ . مسائل المستخرجة
- « حرف التاء »
- ٣٣ - تاج العروس من جواهر محمد مرتضى الزبيدي ، ط١ ، المطبعة الخيرية ، مصر ١٣٠٦ هـ ، القاموس تصوير مكتبة الحياة .
- ٣٤ - تاريخ بغداد أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

الفهارس

المصادر والمراجع

- ٣٥ - تاريخ دمشق علي بن الحسن بن عساكر ، صورة عن عدد من النسخ المخطوطة اعتنى بها وفهرسها محمد الطرهوني ، نشر مكتبة الدار ، المدينة المنورة ١٤٠٧ هـ .
- ٣٦ - تاريخ الرسل والملوك محمد بن جرير الطبري ، ت محمد إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢ م .
- ٣٧ - تاريخ الصحابة الذين رُوي عنهم الأخبار محمد بن حبان البستي ، ت بوران الضناوي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٨ هـ .
- ٣٨ - تاريخ قضاة الأندلس أبو الحسن الثباي ، نشر إ . ليفي بروقتسال ، ط ١ ، دار الكاتب العربي ، مصر ١٩٤٨ م .
- ٣٩ - تاريخ ولاية مصر وقضاتها محمد بن يوسف الكندي ، ط ١ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ١٤٠٧ هـ .
- ٤٠ - تاريخ المدينة المنورة عمر بن شبة ، ت فهم شلتوت ، ط ٢ ، دار الأصفهاني ، جدة .
- ٤١ - تاريخ مولد العلماء ووفياتهم محمد بن زبیر الربيعي ، ت د . عبدالله الحمد ، ط ١ ، دار العاصمة ، الرياض ١٤١٠ هـ .
- ٤٢ - تبصير المنتبه بتحرير المشتبه أحمد بن علي بن حجر ، ت محمد النجار و علي البجاوي ، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
- ٤٣ - التبيين في أنساب القرشيين عبدالله بن أحمد بن قدامة ، ت محمد نايف ، ط ١ ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٠٢ هـ .
- ٤٤ - تحفة الأحوذى بشرح جامع محمد بن عبدالرحمن المباركفوري ، نشر محمد عبدالمحسن الكتبي ، المدينة المنورة .
- ٤٥ - تذكرة الدعاة البهي الخولي ، ط ٥ ، دار القلم ، بيروت ١٣٩٧ هـ .
- ٤٦ - التريية الإسلامية في القرن د . عبدالغني عيود ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٨٢ م .
- الخامس عشر الهجري
- ٤٧ - ترتيب المدارك وتقريب القاضى عياض ، ت مجموعة من الباحثين ، ط ٢ ، نشر وزارة الأوقاف المسالك لمعرفة أصحاب مذهب مالك والشؤون الإسلامية المغربية .
- ٤٨ - التعازي أبو الحسن علي بن محمد المدائني ، ت ابتسام مرهون الصفار ويدي محمد فهد ، مطبعة النعمان ، التجف ١٣٩١ هـ .
- ٤٩ - التعازي والمرائي محمد بن يزيد المبرد ، ت محمد الديباجي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٦ هـ .
- ٥٠ - التعريفات الشريف علي الجرجاني ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣ هـ .
- ٥١ - تفسير القرآن العظيم إسماعيل بن كثير ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٥٢ - التفسير الكبير الفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٥٣ - التمثيل والمحاضرة عبدالملك بن محمد الثعالبي ، ت عبدالفتاح الحلو ، عيسى البابي الحلبي ، ١٢٨١ هـ .

الفهارس

المصادر والمراجع

- ٥٤ - تقريب التهذيب أحمد بن علي بن حجر ، ت محمد عوامة ، ط ١ ، دار الرشيد ، حلب ١٤٠٦ هـ ، و طبعة دار المعرفة الثانية ، ت عبدالرهاب عبداللطيف .
- ٥٥ - تهذيب الأسماء واللغات زكريا بن شرف النووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٥٦ - تهذيب تاريخ دمشق عبدالقادر بدران ، ط ٢ ، دار المسيرة ، بيروت ١٣٩٩ هـ .
- ٥٧ - تهذيب التهذيب أحمد بن علي بن حجر ، ط ١ ، مطبعة دار المعارف النظامية ، الهند ١٣٢٥ هـ ، تصوير دار صادر .
- ٥٨ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال جمال الدين المزي ، ت د.بشار عوكاد معروف ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨ هـ .
- ٥٩ - تهذيب اللغة محمد بن أحمد الأزهرى ، ت عبدالسلام هارون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- « حرف الشاء »
- ٦٠ - الثقات محمد بن حبان البُستي ، ط ١ ، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، الهند ١٣٩٣ هـ .
- ٦١ - ثقافة الداعية د.يوسف القرضاوي ، ط ٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٣ هـ .
- ٦٢ - ثمار القلوب في المضاف عبدالملك بن محمد الثعالبي ، ت محمد إبراهيم ، دائرة المعارف ، القاهرة . والمنسوبة
- « حرف الجيم »
- ٦٣ - الجامع لأحكام القرآن محمد الأنصاري القرطبي ، دار إحياء التراث العربي .
- ٦٤ - جامع بيان العلم وفضله يوسف بن عبد البر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨ هـ .
- ٦٥ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير الطبري ، ت محمود شاكر ، دار المعارف ، مصر .
- ٦٦ - جامع العلوم والحكم عبدالرحمن بن رجب الحنبلي ، مؤسسة الكتب الثقافية .
- ٦٧ - الجرح والتعديل ابن أبي حاتم الرازي ، ط ١ ، دار المعارف العثمانية ، الهند ١٣٧١ هـ .
- ٦٨ - جمهرة أشعار العرب أبوزيد القرشي ، ت محمد علي الهاشمي ، طباعة ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- ٦٩ - جمهرة أنساب العرب علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ، ت عبدالسلام هارون ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة .
- ٧٠ - الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة محمد بن أبي بكر التلمساني البُري ، ت محمد التونجي ، ط ١ ، دار الرفاعي ، الرياض ١٤٠٣ هـ .

« حرفي الحاء والحاء »

- ٧١ - حلية الأرباء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٥١ هـ .
٧٢ - خلق المسلم محمد الغزالي ، ط ١ ، دار القلم ، دمشق ١٣٩٨ هـ .

« حرف الدال »

- ٧٣ - دعاة لا بغاة د.علي جريشة ، ط ١ ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٣٩٩ هـ .
٧٤ - الدعوة الإسلامية مضامينها عبدالكريم الخطيب ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٢ هـ .
ومبادئها
٧٥ - الدعوة الإسلامية مفاهيم حسني أدهم جزار ، ط ١ ، دار الضياء ، الأردن ، عمان ١٤٠٤ هـ .
ومناهج وواجبات
٧٦ - الدعوة الإسلامية ، الوسائل ، أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي المخطط ، المداخل المنعقد في نيروبي بكينيا ، ط ١ ، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤٠٥ هـ .

- ٧٧ - دعوة الرسل إلى الله تعالى محمد أحمد العدوي ، دار المعرفة ، بيروت .
٧٨ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة أحمد بن الحسين البيهقي ، ت عبدالمعطي قلعجي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥ هـ .
٧٩ - ديوان بشار بن برد ش محمد بن عاشور ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .
٨٠ - ديوان حاتم الطائي دار صادر ، بيروت ١٣٨٣ هـ .
٨١ - ديوان لبيد بن ربيعة دار صادر ، بيروت ١٣٨٦ هـ .

« حرف الذال »

- ٨٢ - الذخائر والأعلاق في آداب سلام بن عبدالله الإشبيلي ، المطبعة الوهبية ، مصر ١٢٩٨ هـ ، وفي النفوس ومكارم الأخلاق مكتبة الجامعة الإسلامية نسخة وحيدة بالية تحت رقم ١٧٠ / س . ل . ذ .
٨٣ - الذريعة إلى مكارم الشريعة الراغب الأصفهاني ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٠ هـ .

« حرفي الراء والزاي »

- ٨٤ - رجال صحيح مسلم أحمد بن منجوية ، ت عبدالله الليثي ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٧ هـ .
٨٥ - رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية عبدالله بن محمد المالكي ، ت بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٣ هـ .
٨٦ - زهر الآداب وثمره الألباب إبراهيم بن علي القيرواني ، ت زكي مبارك ، ط ٤ ، دار الجيل ، بيروت .

« حرف السين »

- ٨٧ - سنن الدارقطني علي بن عمر ، عناية عبدالله هاشم ، شركة الطباعة الفنية ، مصر ١٣٨٦ هـ .
٨٨ - سنن أبي داود سليمان بن الأشعث ، عناية عزت دعاس ، ط ١ ، نشر محمد علي السيد ١٣٨٨ هـ .

الفهارس

المصادر والمراجع

- ٨٩ - سنن ابن ماجه محمد بن يزيد ، ت محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ١٣٧٣ هـ .
- ٩٠ - سنن النسائي أحمد بن شعيب ، عناية الشيخ عبدالفتاح أبوغدة ، ط ١ ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ١٤٠٦ هـ .
- ٩١ - سيدنا محمد رسول الله ﷺ عبد الله سراج الدين ، ط ٣ ، جمعية التعليم الشرعي ، حلب ١٤٠٢ هـ .
- ٩٢ - سير أعلام النبلاء محمد بن أحمد الذهبي ، حقق بإشراف شعيب الأرنؤوط ، ط ٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٦ هـ .
- ٩٣ - سيرة ومناقب عمر بن عبدالرحمن بن الجوزي ، عناية نعيم زرزور ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٤ هـ .
- ٩٤ - السيرة النبوية إسماعيل بن كثير ، ت مصطفى عبدالواحد ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٦ هـ .
- ٩٥ - السيرة النبوية عبدالملك بن هشام ، ت عدد من الباحثين ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩١ هـ .
- ٩٦ - السيرة النبوية دروس وعبر د. مصطفى السباعي ، ط ٥ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٠ هـ .
- « حرف الشين »
- ٩٧ - شذرات الذهب ابن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٩٨ - الشعر والشعراء ابن قتيبة ، ط ٢ ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٩ م .
- ٩٩ - الشفا بتعريف حقوق القاضي عياض اليعصبي ، ت عدد من الباحثين ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق .
- « حرف الصاد »
- ١٠٠ - الصحاح (تاج اللغة وصحاح إسماعيل بن حماد الجوهري ، ت أحمد عطار ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ . العربية)
- ١٠١ - صحيح مسلم ت محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٠٢ - صحيح مسلم بشرح النووي عناية محمود توفيق ، مطبعة حجازي ، القاهرة .
- ١٠٣ - صوت المنبر محمد الحجار ، دار مصر للطباعة ، ١٤٠٦ هـ .
- « حرف الطاء »
- ١٠٤ - الطبقات خليفة بن خياط ، ت أكرم العمري ، ط ٢ ، دار طيبة ، ١٤٠٢ هـ .
- ١٠٥ - الطبقات (لوائح الأنوار في عبدالوهاب بن أحمد الشعراني ، ط ١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٣ هـ . طبقات الأخيار)

الفهارس

المصادر والمراجع

- ١٠٦ - طبقات الشافعية الكبرى عبد الوهاب بن علي السبكي ، ت محمود الطناحي وعبدالفتاح الخلو ، ط ١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٨٣ هـ .
- ١٠٧ - طبقات الصوفية محمد بن الحسن السلمي ، ت شربة ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، مصر ١٣٧٢ هـ .
- ١٠٨ - الطبقات الكبرى محمد بن سعد ، دار بيروت ، بيروت ١٣٩٨ هـ .
- ١٠٩ - طبقات التحوين واللغويين محمد بن الحسن الأندلسي ، ت محمد إبراهيم ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة .
- ١١٠ - طريق الدعوة في ظلال إهداء أحمد فائز ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١ هـ .
القرآن الكريم
- « حرف العين »
- ١١١ - العقائد الإسلامية سيد سابق ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ١١٢ - المقدنفر يد أحمد بن عبد ربه ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٢ م .
- ١١٣ - العقيدة في الله د. عمر الأشقر ، ط ١ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ١٣٩٩ هـ .
- ١١٤ - عقيدة المؤمن أبو بكر الجزائري ، ط ١ ، مطبعة النهضة الحديثة ، ١٣٩٧ هـ .
- ١١٥ - عيون الأخبار عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- « حرف الفاء »
- ١١٦ - الفاضل في صفة الأدب محمد بن أحمد الوشاء ، ت يوسف يعقوب مسكوني ، مطبعة شفيق ، بغداد ١٣٩٢ هـ .
- ١١٧ - فتح الباري بشرح صحيح أحمد بن علي بن حجر ، المطبعة السلفية ، القاهرة .
البخاري
- ١١٨ - الفتح أحمد بن أعثم الكوفي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٦ هـ .
- ١١٩ - الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي ، ط ٣ ، دار الفكر ، دمشق ١٤٠٩ .
- ١٢٠ - الفقيه والمتفقه أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، عناية إسماعيل الأنصاري ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٠ هـ .
- ١٢١ - فلسفة التربية الإسلامية في علي خليل أبو العينين ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٨٠ م .
القرآن الكريم
- ١٢٢ - الفهرست ابن التديم محمد بن إسحاق ، ت رضا المازندراني ، ط ٣ ، دار المسيرة ١٩٨٨ م .
- ١٢٣ - فهرس الخزانة العلمية د. محمد حجي ، ط ١ ، نشر معهد المخطوطات العربية ، الكويت ١٤٠٦ هـ .
الصبيحية بسلا
- ١٢٤ - فهرس المخطوطات العربية د. صلاح الدين المنجد ، ط ٢ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٣٩٩ هـ .
بمكتبة الكونغرس بواشنطن

- ١٢٥ - فهرس مخطوطات مكتبة سالم عبد الرزاق أحمد ، نشر وزارة الأوقاف العراقية ، ١٣٩٧ هـ .
الأوقاف العامة في الموصل
- ١٢٦ - فهرس مخطوطات مكتبة إعداد ونشر جامعة أم القرى ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
جامعة أم القرى
- ١٢٧ - فوات الوفيات محمد بن شاكر الكتيبي ، ت إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
- ١٢٨ - في ظلال القرآن الكريم سيد قطب ، ط ٩ ، دار الشروق ، ١٤٠٠ هـ .
- ١٢٩ - فيض التقدير شرح الجامع عبدالرؤف المناوي ، ط ١ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ١٣٥٦ هـ .
الصغير
- « حرف القاف »
- ١٣٠ - القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، ط ٢ ، المطبعة الحسينية ، مصر ١٣٤٤ هـ .
- ١٣١ - قلائد الجمان في التعريف أحمد بن علي القلقشندي ، ت إبراهيم الأبياري ، ط ١ ، دار الكتب
بقبائل عرب الزمان الحديثة ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .
- « حرف الكاف »
- ١٣٢ - الكامل في التاريخ عزالدین بن الأثير علي بن محمد ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت
١٣٨٧ هـ .
- ١٣٣ - الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي المجراني ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥ هـ .
- ١٣٤ - الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ، مكتبة المعارف ، بيروت .
- ١٣٥ - كيف تدعو الناس عبدالبدیع صقر ، ط ٦ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٣٩٦ هـ .
- « حرف اللام »
- ١٣٦ - لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٨ هـ .
- ١٣٧ - لسان الميزان أحمد بن علي بن حجر ، ط ٢ ، نشر مؤسسة الأعلمي ، بيروت ١٩٧١ م .
- « حرف الميم »
- ١٣٨ - مجمع الأمثال أحمد بن محمد الميداني ، ت محمد إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي .
- ١٣٩ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد علي بن أبي بكر الهيثمي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- ١٤٠ - مجموعة رسائل الشيخ المؤسسة الإسلامية ، بيروت .
حسن البنا
- ١٤١ - المجموع شرح المهذب النووي ، نشر زكريا علي يوسف ، مطبعة العاصمة ، القاهرة .
- ١٤٢ - المجتبی محمد بن الحسن بن دريد ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٩٩ هـ .
- ١٤٣ - مختصر منهاج القاصدين أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة ، تعليق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوطيان ،
مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ١٤٠٧ هـ .

الفهارس

المصادر والمراجع

- ١٤٤ - مدارج السالكين بين منازل ابن قيم الجوزية ، ت محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت
إياك نعبد وإياك نستعين ١٣٩٢ هـ .
- ١٤٥ - مروج الذهب ومعادن الجوهر علي بن الحسين السعدي ، ت محمد عبد الحميد ، ط ٤ ، مطبعة
السعادة ، مصر ١٣٨٤ هـ .
- ١٤٦ - المستدرک علی الصحیحین الحاكم النيسابوري ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ١٤٧ - مسلمون لانخجل حلمي القاعود ، ط ١ ، دار الاعتصام ، القاهرة ١٣٩٩ هـ .
- ١٤٨ - المسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت .
- ١٤٩ - مسند أبي يعلى أحمد بن علي الموصلي ، ت إرشاد الحق الأثري ، ط ١ ، مؤسسة علوم
القرآن ، بيروت ١٤٠٨ هـ .
- ١٥٠ - مشاهير علماء الأمصار ابن حبان البستي ، عناية م . فلايشهر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر ، القاهرة ، ١٣٧٩ م .
- ١٥١ - المصنّف عبدالرزاق الصنعاني ، ت حبيب الرحمن الأعظمي ، ط ١ ، المكتب
الإسلامي ، بيروت ١٣٩٠ هـ .
- ١٥٢ - المصنّف عبدالله بن محمد بن أبي شيبة ، عناية عبد الخالق الأفغاني ، نشر إدارة
القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي ، باكستان .
- ١٥٣ - المعارف عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، ت ثروت عكاشة ، ط ٢ ، دار المعارف ، مصر .
- ١٥٤ - معالم الإيمان في معرفة أهل عبدالرحمن محمد الدباغ ، إكمال أبو القاسم بن عيسى التنوخي ، عناية
إبراهيم شيوخ ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي ، مصر ١٣٨٨ هـ .
- ١٥٥ - معالم الشخصية الإسلامية د. عمر الأشقر ، ط ٤ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ١٤٠٤ هـ .
- ١٥٦ - معالم في الطريق سيد قطب ، ط ٦ ، دار الشروق ، بيروت ١٣٩٩ هـ .
- ١٥٧ - معجم الأدياء ياقوت بن عبدالله الحموي ، دار المستشرق ، بيروت .
- ١٥٨ - معجم البلدان ياقوت بن عبدالله الحموي ، دار صادر ، بيروت .
- ١٥٩ - المعجم الكبير سليمان بن أحمد الطبراني ، ت حمدي السلفي ، ط ١ ، دار العربية للطباعة ، بغداد ١٣٩٨ هـ .
- ١٦٠ - المعجم المفهرس لألفاظ المجمع الأحمي للمجامع العلمية ، مكتبة بريل ، لندن ١٩٣٦ هـ .
الحديث النبوي الشريف
- ١٦١ - المعجم المفهرس لألفاظ محمد فؤاد عبدالباقي ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ١٩٨٤ م .
القرآن الكريم
- ١٦٢ - معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس ، ت عبدالسلام هارون ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٤٠٢ هـ .
- ١٦٣ - المعرون والوصايا أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد ، ت عبدالمنعم عامر ، دار إحياء
الكتب العربية ، ١٩٦١ م .

الفهارس

المصادر والمراجع

- ١٦٤ - المغرب في ترتيب المغرب المطرزي ناصر بن عبد السيد ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ١٦٥ - المغني عبدالله بن أحمد بن قدامة ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٤ هـ .
- ١٦٦ - المفردات في غريب القرآن الراغب الأصفهاني ، ت محمد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٦٧ - الفضليات المفضل بن محمد الضبي ، ت أحمد شاکر وعبدالسلام هارون ، ط ٥ ، بيروت .
- ١٦٨ - مقاتل الطالبين أبو الفرج الأصفهاني ، ت أحمد صقر ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٦٩ - المقتبس من أنباء أهل ابن حيان القرطبي ، ت محمد علي مكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت الأندلس ١٣٩٣ هـ .
- ١٧٠ - ملامح الشورى في الدعوة عدنان النحوي ، دار الإصلاح ، الدمام . الإسلامية
- ١٧١ - من وصايا السلف سليم الهلالي ، ط ١ ، دار ابن الجوزي ، الدمام ١٤١٠ هـ .
- ١٧٢ - مناقب الشافعي أحمد بن الحسين البيهقي ، ت أحمد صقر ، ط ١ ، دار التراث العربي ، القاهرة ١٣٩٠ هـ .
- ١٧٣ - مناقب الشافعي مجد الدين بن الأثير المبارك بن محمد ، ت خليل خاطر ، ط ١ ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ١٤١٠ هـ .
- ١٧٤ - منهج التربية الإسلامية محمد قطب ، ط ٢ ، دار الشروق ، بيروت ١٤٠١ هـ .
- ١٧٥ - منهج تربوي فريد في القرآن د. محمد سعيد البوطي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٣ هـ . الكريم
- ١٧٦ - منهج القرآن الكريم في محمد شديد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٩ هـ . التربية
- ١٧٧ - المنهل العذب المورود شرح محمد السبكي ، ط ١ ، مطبعة الاستقامة ، ١٣٥١ هـ . سنن أبي داود
- ١٧٨ - الموافقات في أصول الشريعة إبراهيم بن موسى الشاطبي ، عناية عبدالله دراز ، المكتبة التجارية ، القاهرة .
- ١٧٩ - الموطأ مالك بن أنس ، ت محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية .
- ١٨٠ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال الذهبي ، ت علي البخاري ، ط ١ ، نشر عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٢ هـ . « حرقى التون و الهاء »
- ١٨١ - نسب قریش المصعب بن عبدالله الزبيدي ، عناية إ . لبيقي بروقتسال ، ط ٢ ، دار المعارف ، مصر .
- ١٨٢ - نشوار المحاضرة وأخبار المحسن بن علي التنوخي ، ت عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت المذاكرة ١٣٩٣ هـ .

النهارس

المصادر والمراجع

- ١٨٣ - النكت والعيون (تفسير علي بن حبيب الماوردي ، ت خضر محمد خضر ، ط ١ ، نشر وزارة الماوردي) الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ١٤٠٢ هـ .
- ١٨٤ - النهاية في غريب الحديث مجد الدين بن الأثير المبارك بن محمد ، ت طاهر الزاوي ومحمود والأثر الطناحي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٨٥ - نوادر المخطوطات العربية د. رمضان ششن ، ط ١ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٤٠٢ هـ .
في مكتبات تركيا
- ١٨٦ - هداية المرشدين إلى طرق علي محفوظ ، ط ٧ ، دار مصر ١٣٩٥ هـ .
الوعظ والخطابة
- « حرف الواو »
- ١٨٧ - الوافي بالوفيات خليل بن أبيك الصفدي ، ط ٢ ، نشر فرايز شتاينز بنيسبادن ، ألمانيا ١٩٨١ م .
- ١٨٨ - وحي القلم مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ١٨٩ - الوصايا الحارث المحاسبي ، ت عبدالقادر عطا ، ط ١ ، الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٦ هـ .
- ١٩٠ - وصايا تربوية قرآنية ونبوية د. علي شوّاخ ، ط ١ ، دار الراية ، الرياض ١٤٠٧ هـ .
- ١٩١ - وصايا الرسول ﷺ فؤاد شاکر ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ١٤٠٨ هـ .
- ١٩٢ - وصايا العلماء عند حضور محمد بن زبیر الربيعي ، ت صلاح الخيمي ، ط ٢ ، دار ابن كثير ، دمشق الموت ١٤٠٧ هـ .
- ١٩٣ - الوصايا في الأدب العربي د. سهام الفريح ، ط ١ ، مكتبة المعلّ ، الكويت ١٤٠٨ هـ .
التقديم
- ١٩٤ - ووصايا الله ووصايا رسوله صديق بن حسن البخاري ، ت عبدالله الليثي الأتصاري ، ط ١ ، مؤسسة وصايا صالحی أمته الكتب الثقافية ، بيروت ١٤٠٦ هـ .
- ١٩٥ - وصايا ومواعظ العلماء خالد سيد علي ، ط ١ ، مكتبة دار التراث ، الكويت ١٤١٠ هـ .
للأمراء
- ١٩٦ - الوصية د. صالح الأطرم ، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٤٠٧ هـ .
- ١٩٧ - وفيات الأعيان وأنبياء أبناء أحمد بن أبي بكر بن خلکان ، ت إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
الزمان

المخطوطات

- ١ - الرقة والبيضاء لابن قدامة المقدسي ، مصورة عن دار الكتب الظاهرية بدمشق .
- ٢ - المحتضرون لابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد بن عبيد ، بحوذة د. نجم عبد الرحمن خلف ، وعندني صورة عنه .
- ٣ - معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصفهاني، مصورة عن مكتبة أحمد الثالث بتركيا ، تحت رقم ٤٩٧/١ .
- ٤ - مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار للحسين بن نصر بن خميس ، مصورة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، تحت رقم ١٩٧٩ .
- ٥ - نظم السلوك في مسامرة الملوك لعبد الرحمن البسطامي ، مصورة عن مكتبة الحرم النبوي الشريف .
- ٦ - وصية الإمام أبي حنيفة في مرضه على مذهب أهل السنة والجماعة مصورة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، تحت رقم ٢٠٦٨ .

المذكرات والمقالات

- ١ - مذكرة « مناهج وأساليب الدعوة » للدكتور أبو الفتح البيانوني ، للسنة الثالثة الجامعية ، عام ١٤٠٧ هـ .
- ٢ - مقالة « أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم » للدكتور أبي المجد نوفل ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عدد ٤٩ ، سنة ١٤٠١ هـ .
- ٣ - مقالة « التربية الإسلامية والتنمية » للدكتور علي خليل أبو العينين ، مجلة رسالة الخليج العربي ، عدد ٢٢ ، سنة ١٤٠٧ هـ .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	شكر وتقدير
٤	المقدمة :
٥	التمهيد
١٢	أهمية الموضوع
١٤	أسباب اختيار الموضوع
١٦	مجال البحث
٢٠	الدراسات السابقة للموضوع
٢٥	منهج البحث
الباب الأول : الدراسات الموضوعية لوصايا العلماء المحترمين	
٣١	الفصل الأول : تعريف الوصايا ومشروعيتها وأنواعها
٣١	المبحث الأول : التعريفات والمشروعية
٣٢	المطلب الأول : تعريف المصطلحات :
٣٣	تعريف الوصية
٣٩	تعريف الدعوة
٤٤	تعريف العلم وصفة العلماء
٥١	تعريف الاحتضار
٥٢	تعريف القرون الثلاثة الأولى
٥٧	المطلب الثاني : مشروعية الوصايا وحكمها
٥٧	الوصايا في القرآن الكريم
٦٢	الوصايا في السنة النبوية
٦٧	حكم الوصية
٦٩	المبحث الثاني : أنواع الوصايا
٧١	المطلب الأول : أنواع الوصايا من حيث مصدرها
٧١	الوصايا القرآنية
٧٤	الوصايا النبوية
٧٧	الوصايا البشرية :
٧٨	وصايا حكماء الجاهلية

الصفحة	الموضوع
٧٩	وصايا العلماء المسلمين
٨١	وصايا الطفيليين
٨٢	وصايا العشاق
٨٧	المطلب الثاني : أنواع الوصايا من حيث الموصى :
٨٧	الوصايا للخلفاء
٨٩	الوصايا لذوي الهيئات دون الخلافة
٩٦	الوصايا لطلاب العلم
٩٧	الوصايا للأقارب
٩٩	الوصايا للأصحاب والإخوان
١٠٠	الوصايا لعامة الناس
١٠٣	المطلب الثالث : أنواع الوصايا من حيث الوقت :
١٠٣	الوصايا العامة
١٠٥	وصايا المناسبات :
١٠٥	عند التوجه للقتال
١٠٦	عند حضور القتال
١٠٦	عند قدوم الوفود أو توديعها
١٠٦	عند تقلد الخلافة
١٠٧	عند السفر ومفارقة الأهل
١٠٨	عند الزفاف
١٠٩	عند الاحتضار
١١٢	الفصل الثاني : أنواع وصايا العلماء عند احتضارهم :
١١٣	المبحث الأول : الأنواع من حيث موضوعاتها :
١١٣	الوصايا العقديّة
١١٥	الوصايا العبادية
١١٩	الوصايا الخلقية
١٢٤	الوصايا السياسية
١٢٥	الوصايا العامة (الرعظية)
١٢٨	المبحث الثاني : الأنواع من حيث طبيعتها :
١٢٨	الوصايا المباشرة وغير المباشرة

الصفحة	الموضوع
١٣٤	الوصايا الفردية والجماعية
	الباب الثاني : جمع الوصايا الدعوية للعلماء المحتضرين وتوثيقها
١٣٨	الوصايا النبوية
١٤٤	الوصايا الدعوية للعلماء المحتضرين من العشرة المبشرين بالجنة
١٦٦	الوصايا الدعوية للعلماء المحتضرين من بقية الصحابة
٢٠٢	الوصايا الدعوية للعلماء المحتضرين من المخضرمين
٢١٢	الوصايا الدعوية للعلماء المحتضرين من سائر التابعين إلى نهاية القرن الثالث
٢٦١	ملحق الباب الثاني
	الباب الثالث : الدراسة التحليلية الاستنباطية لوصايا المحتضرين
٢٧١	الفصل الأول : الدروس والمناهج الدعوية المستفادة من الوصايا
٢٧٢	المبحث الأول : الدروس الدعوية المستفادة من الوصايا
٢٧٣	التقوى
٢٧٧	التمسك بالحق
٢٨١	تجنب البدع والتحذير منها
٢٨٨	تحقيق العدل والإنصاف
٢٩٣	الإنصاف بالعزة والكرامة
٢٩٦	توضيح ما يدعو لسوء الظن والبعد عن مواطن الشبه
٢٩٩	انتقاء الأخيار والاستعانة بهم
٣٠٢	الأخذ بالأسباب
٣٠٦	استعمال الأساليب الممكنة في الدعوة
٣١٤	المبحث الثاني : المناهج الدعوية المستفادة من الوصايا :
٣١٥	تعريف المنهج
٣١٥	أهمية المنهج
٣١٧	المطلب الأول : المناهج الدعوية المستفادة من الوصايا حسب ركائزها
٣١٨	المنهج الوجداني
٣٢٥	المنهج العقلي
٣٢٣	المنهج الحسي
٣٣٩	المطلب الثاني : المناهج الدعوية المستفادة من الوصايا حسب طبيعتها
٣٤٠	المنهج الوعظي الإرشادي

الموضوع	الصفحة
المنهج التربوي :	٣٤٨
التربية الفكرية	٣٤٩
التربية العقدية (الإيمانية)	٣٥٣
التربية السلوكية	٣٥٧
الفصل الثاني : الخصائص والآثار :	٣٦٨
المبحث الأول : خصائص وصايا العلماء المحترمين :	٣٦٩
الالتضباط الشرعي	٣٧٠
الواقعية	٣٧٤
الوضوح	٣٧٩
التركيز	٣٨٣
التأثير	٣٨٩
كلمة خاتمة	٣٩٦
المبحث الثاني : آثار وصايا العلماء المحترمين :	٣٩٩
المطلب الأول : الآثار الواقعة لوصايا العلماء المحترمين	٤٠٠
أثر وصية الصديق لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما	٤٠١
أثر وصية عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما	٤٠٢
أثر وصية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه	٤٠٣
أثر وصية الحسن للحسين رضي الله عنهما	٤٠٤
أثر وصية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما	٤٠٦
أثر وصية عمر بن عبد العزيز ليزيد بن عبد الملك	٤٠٧
أثر وصية عمر بن عبد العزيز لمسلمة بن عبد الملك	٤٠٨
أثر وصية عمر بن عبد العزيز لأبنائه	٤٠٩
أثر وصية إسماعيل بن إبراهيم	٤١١
أثر وصية مسعر بن كدام لسفيان رحمهما الله	٤١٢
المطلب الثاني : الآثار المتوقعة لوصايا العلماء المحترمين :	٤١٥
قوة المجتمع الإسلامي وترابطه	٤١٦
تميز الشخصية الإسلامية	٤٢٣
سعة أفق الدعاة	٤٢٩
الخاتمة	٤٣٧

الموضوعات	الفهارس
الصفحة	الموضوع
٤٤٠	الفهارس
٤٤١	فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٤٤٨	فهرس الأحاديث النبوية والآثار
٤٥٢	فهرس الأشعار
٤٥٨	فهرس الأعلام المترجم لهم
٤٦٢	فهرس المصادر والمراجع
٤٧٤	فهرس الموضوعات

